

موسوعة التطوع

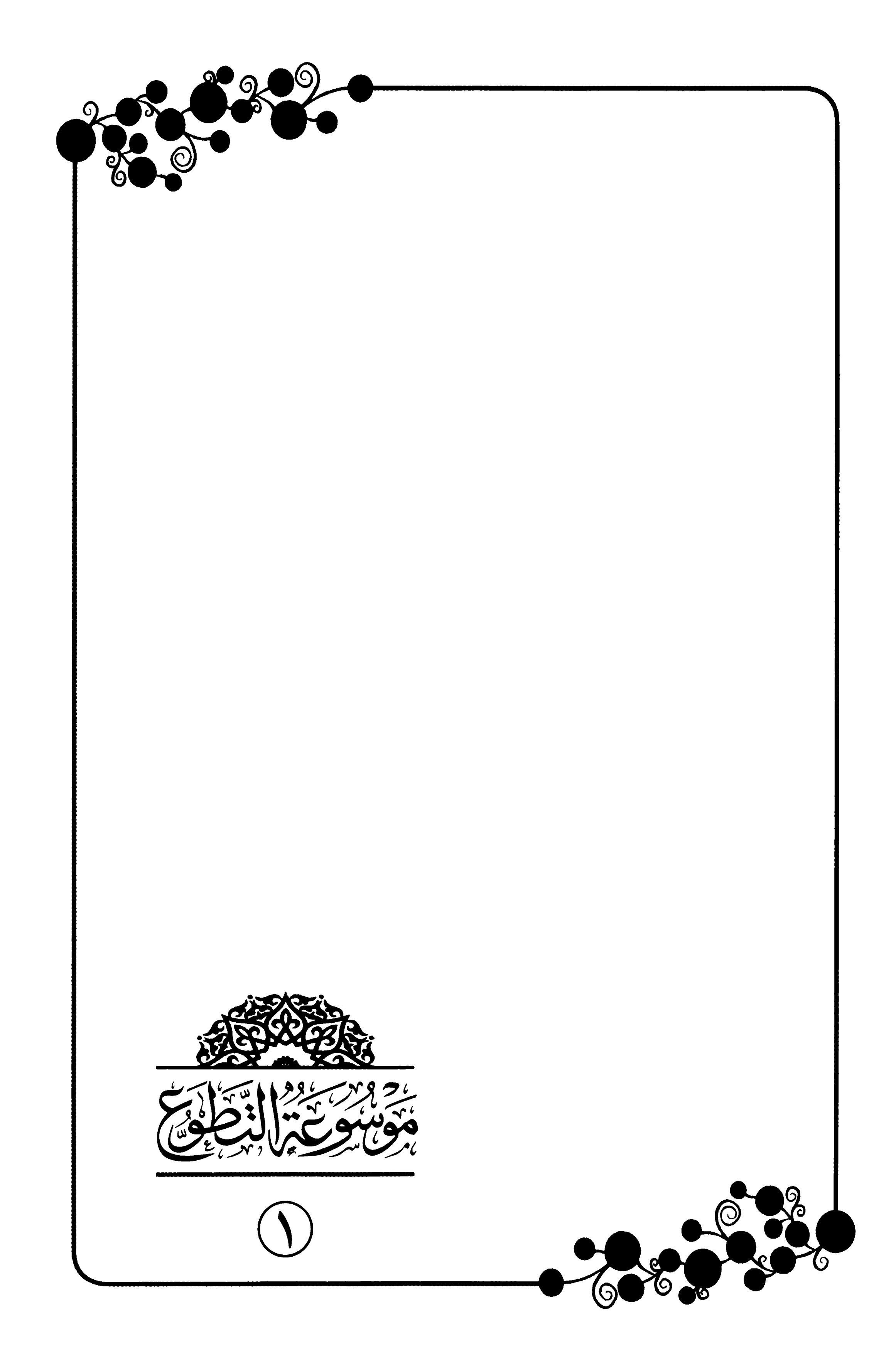
تأليف
أحمد بن سليمان أيوب
ونخبة من الباحثين

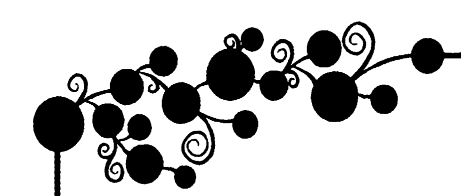
المشرف العام
أ.د/ سامي تيسير سلمان

تقديم
أ.د/ خالد بن علي بن محمد المشيقح   أ.د/ عبد الله بن شاكر الجنيدي

المجلد الأول




موسوعة التطوع
١



دار العلم

للبحث العلمي وتحقيق التراث

لصاحبها : أحمد بن سليمان

ah.solaiman1970@gmail.com

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨م

رقم الإيداع بدار الكتب

٩٣٩٥ / ٢٠١٨

الموزعون

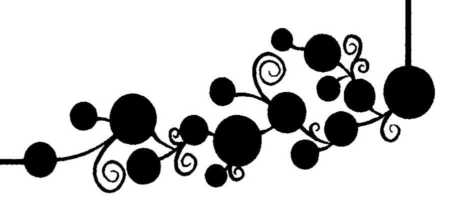
دار إيلاف الدولية هاتف: ٢٤٥٧٠٠٨٢ – ٩٦٩٩٩١٨٢- الكويت

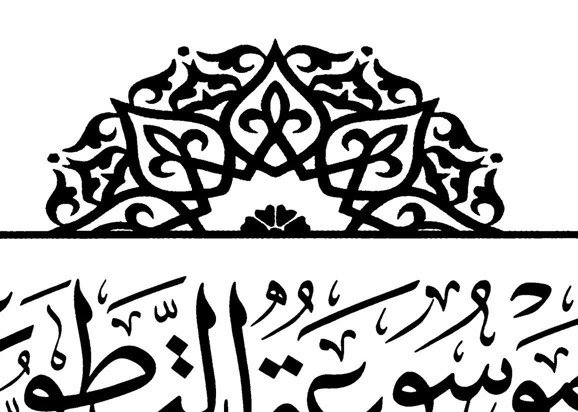
دار الأفهام الرياض- شارع حمزة بن عبد المطلب ت 0553800455

دار العلم بلبيس - الشرقية ت : ٠١١٥٨٩٨٠٥٨٠

دار الفلاح ت ٠١٠٠٠٠٠٥٩٢٠٠ واتس 002 01123519722 فرع القاهرة: الأزهر- شارع البيطار

١٨ شارع أحمد حسن - حي الجامعة - الفيوم





موسوعة التطوع

تأليف

أحمد بن سليمان أيوب

ونخبة من الباحثين

المشرف العام

أ.د/ سامي تيسير سلمان

تقديم

أ.د/ خالد بن علي بن محمد المشيقح أ.د/ عبد الله بن شاكر الجنيدي

المجلد الأول

دار العلم





فريق الإعداد

أحمد بن سليمان أيوب

أبو محمد صالح حسون — سيد عبد العال

محمد غريب — محمد الصادق

محمد حسني — محمود عبد الحكيم

ياسر العوامري — عبد الرحمن الفواخري

المشرف العام

أ.د/ سامي تيسير سلمان

تقديم أ.د/ خالد المشيقح

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

الحمد لله وحده والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده،

وبعد،

فقد اطلعت علىٰ موسوعة العمل التطوعي

إعداد الشيخ: أحمد بن سليمان. ونخبة من الباحثين،

وقد تميزت هٰذِه الموسوعة بجمع أحكام العمل التطوعي، وبيان آدابه، وما يتعلق بالعمل التطوعي من فتاوىٰ وغير ذلك مع تأصيل ذلك وتقعيده، والاستدلال له، كلُّ ذلك بأسلوب علمي، ومعنىٰ واضح، جزىٰ الله القائمين علىٰ هٰذا العمل خيرالجزاء، ونفع، آمين

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه .

كتبه

د / خالد بن علي المشيقح

أستاذ بكلية الشريعة بالقصيم

١٤٣٩/٣/٨هـ

تقديم أ.د عبد الله شاكر

رئيس جمعية أنصار السنة المحمدية بجمهورية مصر العربية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد

فإن الله تبارك وعالىٰ يحكم بما يشاء ويقضي ما يريد، وله الحكمة البالغة، فلا معقِّب لحكمه ولا رادَّ لقضائه، ومن ذلك أنه فضل بعض الناس علىٰ بعض في الرزق ووفق الأخيار لمساعدة أصحاب الحاجات من الفقراء واليتامىٰ والمساكين ووعدهم علىٰ ذلك الأجر العظيم، كما في حديث أبي هريرة عند مسلم: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، واللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»[(١)]، واستجابة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الداعية إلى البذل والعطاء، وإلى الأخوة الإيمانية التي تجمع بين أهل الإيمان نشط جمع من المؤمنين فتفقدوا المحتاجين، وانتبه فريق آخر إلىٰ أهمية جمع هٰذِه الجهود وبلورتها في عمل مؤسسي يقوم عليه متطوعون حسبة لله، ورغبة في نيل رضاه حتىٰ يتم تنظيم العمل بصورة سليمة وتوضع نفقة المنفقين عند أصحابها من المحتاجين ولقد بذلت جهود

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

فردية في وضع تصور لهٰذِه الأعمال الخيرية التطوعية، فنفع الله بها؛ غير أن هٰذِه الجهود كانت بحاجة إلىٰ تأصيل علمي جامع يربط هٰذِه الأعمال الخيرية بصورة مكتملة من جميع الجوانب، وشاء الله تبارك وتعالىٰ أن يتم هٰذا العمل وإخراج هٰذِه الموسوعة المباركة في مجلدات خمس، وقد ٱشتملت مفرداتها علىٰ بحوث متميزة أبرزت من خلالها تعريف العمل التطوعي وأهمية وسائله وآليات تفعيله، كما تحدثت عن أخلاقيات المتطوع، وعلاقتها بطبيعة عمله، كما ٱشتملت علىٰ مجالات العمل التطوعي، والأحكام الفقهية المتعلقة به كما تضمنت بعض فتاوىٰ كبار العلماء والمجامع الفقهية حول مسائل العمل التطوعي، وهٰذِه الموسوعة بهٰذا التصور السريع تدفعني إلى القول بأنه عمل علمي لم أر له نظيرًا حتى اليوم، ولذلك فإني أشكر الله تبارك وتعالىٰ أولًا أن وفق هٰؤلاء الباحثين إلىٰ إخراج هٰذِه الموسوعة، كما أشكر القائم علىٰ إدارتها والمشرف عليها وفريق الباحثين الذين قاموا بإعدادها وهٰذِه الموسوعة تسد جانبًا مهمًّا في العمل التطوعي، وتيسر السبيل إليه.

وفق الله المسلمين لما يحب ويرضىٰ وجمعهم على الخير والتقوىٰ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

عبد الله بن شاكر الجنيدي

صباح الأربعاء ١٤٣٨/١١/٣هـ

تقديم أ.د/ سامي سلمان

المشرف العام على الموسوعة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وبعد،

فإن العمل التطوعي من أنبل وأسمى العبادات الأخلاقية، والمتطوع من أحب الناس إلىٰ الله.

عن ابن عمر، أن رجلًا جاء إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ ﷻ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ سُرُورٍ تُدْخِلُهُ عَلَىٰ مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هٰذا المَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ المَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللهُ ﷻ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَىٰ مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّىٰ أَثْبَتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللهُ ﷻ قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الأَقْدَامُ»**.[١]

في الحديث إشارتان واضحتان:

الأولىٰ: أن هٰذِه العبادات التي أشار إليها النبي ﷺ من اعتكاف في

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦٠٢٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٠٦).

المسجد النبوي بما يشمله من حبس النفس في بيت الله وتلاوة القرآن وقيام الليل والذكر وغير ذلك من الأعمال العظيمة وإن كانت من القُرَبِ العظام لكن الأعظمَ منها نفعُ الناس بما يستطيع من بذلٍ للنفسِ والجهدِ والمال ليدفعَ عن إخوانه المسلمين البأسَ ويدخلَ عليهم السرورَ ويفرجَ عنهم الكروبَ.

الثانية: قوله ﷺ: (حتىٰ أقضيها له) وهٰذا يعني العناية بإنجاز العمل كاملاً، وأن قضاء الحوائج عمل يحتاج إلىٰ إتمام كما أراد المحتاج، مما يترتب عليه إنجازها له علىٰ أحسن وجه.

فالمجتمع المسلم مجتمع يتجلىٰ فيه العمل التطوعي بكل صوره وأشكاله.

فالمسلم يدعو ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر متطوعًا راجيًا الثواب من الله

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]

وقال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

ويُعلِّم الناس تطوعًا، فعن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »، قَالَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ، حَتَّىٰ كَانَ الحَجَّاجُ قَالَ: وَذَاكَ الذي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هٰذا[١]

وينفق تطوعًا قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٣٠].

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٢٧).

ويرحم الكبير والعاجز، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: "الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار"[(١)]

فحياة المسلم كلها بذل وعطاء ونفع للمسلمين، فهو محتسب في كل عمله راجيًا ما عند الله من الثواب، ولذلك كان من المهم أن يُكتب ويُنشر في مجال العمل التطوعي الأبحاث والدراسات بشتىٰ صورها لتشمل جوانب العمل التطوعي جملة وتفصيلًا وجمعًا وتأصيلًا وتحفيزًا وترغيبًا وإحصاء وتدوينًا، وإن الجهود التي بذلت إلى اليوم لا ترتقي إلىٰ منهج الإسلام الحاثِّ على التطوع والنفع، ولهٰذا كانت الكتابة في هٰذِه الموسوعة المباركة لتجمع شتات هٰذا الباب ولتكون نواة لسد الخلل في مؤلفات العمل التطوعي.

وقد رأيت أن يكون فيها من الشمولية والتنوع بحيث تكون مرجعًا مبسطًا للمهتمين بشأن التطوع فمن المهم أن يكون التأصيل والجانب الشرعي الحظ الأوفر في حياة المتطوع حتىٰ يصبح العمل موافقًا لما جاء في الشريعة الإسلامية،

ولهٰذا تم جمع فريق عمل متخصص لدراسة هٰذا الباب العظيم من الشريعة تحت إدارة **فضيلة الشيخ/ أحمد بن سليمان**، وتباحثنا سويًّا في خطة العمل حتى اتفقنا على الصورة التي خرج عليها الكتاب بحمد الله، وذلك في عامين متواصلين من البحث والتدقيق والجمع والترتيب.

ثم بعد إنهاء العمل عرضناه علىٰ شيوخ أفاضل، وكان علىٰ رأس أولئك فضيلة الشيخ / **خالد السبت حفظه الله** وقد أبدىٰ ملاحظات على العمل أخذناها بعين الجد وتم تعديل ما أبداه حفظه الله .

---

(١) صحيح البخاري (٥٣٥٣).

وأيضًا تم عرضه علىٰ فضيلة الشيخ / **علوي السقاف** في مركزه المبارك: الدرر السنية، وأبدىٰ أيضًا ملاحظات في ٱختصار بعض الأبواب وتم التعديل كما أشار **حفظه الله** .

ثم تمَّ الكتاب بحمده تعالىٰ في خمسة مجلدات.

وفي هٰذا المقام لا بد من التذكير بعدة أمور بين يدي هٰذِه الموسوعة المباركة.

- التطوع بلا مقابل هو الأصل وهٰذا هو الأساس في العمل التطوعي: أنه بذل بلا ٱنتظار الأجر من الناس وقد عقدنا بحثا في موسوعتنا حول أخذ المال على العمل التطوعي .

- المنافسة في التطوع تكامل فكل يسعىٰ لسد ثغرة في بنيان الإسلام هٰذا بالعلم وهٰذا بالدعوة وذاك بالنفقة إلىٰ غير ذلك وهو ما دعت إليه الشريعة ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

- أبواب العمل التطوعي كثيرة متشعبة ويستطيع كل مسلم أن يضرب بسهم في أي باب منها ولا عذر لأحد تخلف عن السباق فعن أبي ذر ﷺ، قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: « إِيمَانٌ باللهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ »، قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: « أَعْلاَهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا »، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: « تُعِينُ ضَايِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ »، : قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: « تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَىٰ نَفْسِكَ. »[1]

- أبوب التطوع تختلف من مكان إلىٰ مكان ومن زمان إلىٰ آخر وهي تتجدد باحتياج الناس، وأفضلها ما حققت المقاصد الشرعية للدين من حفظ النفس والدين والعقل والعرض والمال ولهٰذا لا ينبغي أن نحصرها

(١) صحيح البخاري (٢٥١٨).

في جانب واحد.

- تحديد الأولويات في البذل من خلال النظر في الضروريات والحاجيات والتحسينيات فيقدم الأهم على المهم فالأجر علىٰ قدر الأثر والأثر مرتبط بحاجات الناس المهمة.

- ينبغي ألا ننشغل عن تعليم الناس وإصلاح المجتمع، فنحن دعاة وأصحاب رسالة قبل كل شيء والبناء أولىٰ من الترميم وليس أعظم من منهج التربية وصناعة الإنسان الصالح فالعمل الٱجتماعي لا بد أن يرتبط بالعمل الدعوي والتعليمي.

- في ظل ما كتب الله على الأمة في هٰذِه الحقبة التاريخية من المحن المتلاحقة والمتلاطمة التي يعانيها المسلمون في شتىٰ بقاع الأرض، نحتاج أن نراجع أنفسنا فيما نتطوع ونبذل الجهد والمال والعمر، فقد يكون في أمر ليس ضروريًّا وفي ذات الوقت فينا من يموت جوعًا ويُقتل علىٰ دينه، أليس التطوع في حق هٰؤلاء واجب للمقتدر.

- إن التغريب المنظم يصيب الأمة، والتصدي له ولوسائله المختلفة، أصبح من واجبات المتطوعين وأولىٰ أولوياتهم.

- قطاع المتطوعين ليس قطاعا ترفيهيًّا، بل عليه واجبات ومسؤليات جسام، وهٰذا يتطلب التضحيات، والأجر علىٰ قدر المشقة.

- يلعب الإعلام ووسائل التواصل الٱجتماعي دورًا كبيرًا في صناعة التغيير والتأثير في المجتمع وهو من مجالات التطوع المهمة في هٰذِه المرحلة.

- إذا كنا نؤمن بأن أعمال التطوع على ٱختلاف صورها لا بد فيها من تجريد الإخلاص لله وحده فليس لنا حظ فيه، فالرجوع إلى الشرع والاحتكام إليه أصل لازم حتىٰ يسير العمل وفق ما أراده الشارع وما جهلناه سألنا أهله وهم العلماء الربانيين، قال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

فالرجوع للعلم وأهل العلم واجب علىٰ كل مسلم في أي قضية وعمل يبتغىٰ به وجه الله.

- يشهد عالم التطوع عودة وطفرة عظيمة تحتاج إلىٰ توجيه إلىٰ ما هو خير للأمة ونهضتها، وهٰذا واجب علىٰ أهل العلم وطلبة العلم الذين نرجوا أن يكونوا في المقدمة، وليس من الصحيح إهمال هٰذا الجانب، فالناس تسير خلف قائدها وإن لم ندعو الناس للخير؛ فدعاه الضلالة متوثبون في كل جانب وناحية.

- من أعظم أبوب التطوع المستدام، التطوع لإقامة وقف أو تأسيس وقف، أو منظمة خيرية فاعلة، هٰذِه الأعمال ينبغي أن تكون نصب أعيننا دائما فهي التي تحدث التغيرات والنقلة في المجتمعات ولقد كان أول ما قام به نبينا ﷺ بناء المسجد النبوي،ودعوة أصحابه للعمل والكسب ليكون كل واحد منهم مثالا للبذل والعطاء فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: « أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ » قَالَ: كُنَّا نحامِل، قال فتصدق أبو عَقِيل بنصف صاع، قال: وجاء إنسان بشيء أكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هٰذا، وما فعل هٰذا الآخر إلا رياء، فَنَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩][١]

- التقليدية قاتلة ويرفضها الأجيال. فالتجديد المحتكم للشريعة تفصيليًّا وشموليًّا هو طريقنا في مجالات التطوع مع الحفاظ على الثوابت وفهم طبيعة المتغيرات.

- احترام التخصص هو ٱحترام لإمكاناتنا وما وهبنا الله من نعمة قد وهب غيرنا أخرىٰ فلو قام كل متخصص بما حباه الله به لتفوقنا علىٰ غيرنا من أهل الضلال في كل ميدان.

---

(١) صحيح البخاري (١٤١٥)، وصحيح مسلم (١٠١٨).

أخيرًا: ينبغي للمهتمين أن يبذلوا ما يستطيعون في إثراء الجانب التطوعي وتطويره وتأصيله وربطه بما جاء في صدر الأمة فهم سلفنا و قدوتنا ولن تصلح آخر هٰذِه الأمه إلا بما صلح به أولها، فالعناية بهٰذا الجانب من الضرورات المُلحَّة .

هٰذا ما عندي فإن أحسنت فمن الله، وإن أسأت أو أخطأت فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منه براء.

وصل اللهم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم

وبالله التوفيق

المشرف العام على الكتاب

د/ سامي تيسير سلمان

تمهيـد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١]

أما بعد:

فإن مقام العبودية لله رب العالمين أشرف مقام يقوم به العباد، وهم فيه علىٰ طرائق:

فمنهم من يرىٰ أن أعظم عبادة ما كان صعبًا وشديدًا على النفس.

ومنهم من يسلك طريق الزهد في الدنيا والتقلل منها وكثرة التزود للآخرة.

ومنهم من يرىٰ أن أنفع العبادات وأفضلها: ما كان فيه نفع مُتعَدٍّ، فرأوه أفضل من ذي النفع القاصر، فرأوا خدمة الفقراء، والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم، ومساعدتهم بالمال والجاه والنفع أفضل، فتصدوا له وعملوا عليه

واحتجوا بأن صاحب العبادة إذا مات ٱنقطع عمله، وصاحب النفع لا

ينقطع عمله، ما دام نفعه الذي نسب إليه.

وبأن الأنبياء إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم، ونفعهم في معاشهم ومعادهم، لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع عن الناس والترهب، ولهٰذا أنكر النبي ﷺ علىٰ أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع للتعبد، وترك مخالطة الناس، ورأىٰ هٰؤلاء التفرق في أمر الله، ونفع عباده، والإحسان إليهم، أفضل من الجمعية عليه بدون ذلك.[(١)]

فالإنسان لا يستقيم معاشه إلا بتعاون الأفراد على القيام بمصالحهم

يقول ابن خلدون: "قد عرف وثبت أنَّ الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته في معاشه وأنّهم متعاونون جميعا في عمرانهم علىٰ ذلك والحاجة التي تحصل بتعاون طائفة منهم تشتدّ ضرورةُ الأكثرِ من عددهم أضعافًا. فالقوت من الحنطة مثلًا لا يستقلّ الواحد بتحصيل حصّته منه. وإذا ٱنتدب لتحصيله السّتّة أو العشرة من حداد، ونجّار للآلات، وقائم على البقر وإثارة الأرض، وحصاد السّنبل وسائر مؤن الفلح وتوزّعوا علىٰ تلك الأعمال أو ٱجتمعوا وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت فإنّه حينئذ قوت لأضعافهم مرّات"[(٢)]

فتوزيع المهام ضروري لإنجاز الأعمال، وهو معنىٰ قول الله تعالىٰ ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]

من هنا كان لا بد لكل فرد أن يستشعر المسئولية تجاه دينه ومجتمعه، وهٰذا يتطلب الإيمان بهٰذِه الرسالة فيبذل من جهده وماله ووقته قدر وسعه وهو لا يرجو ثوابًا من الناس؛ وإنما متطوعًا طالبًا الأجر من الله وحده، وهٰذا معنى التطوع.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٠٧- ١٠٨). (٢) المقدمة (١/ ٤٥٠).

فكرة المشروع

قد كانت الكتابة في هٰذا الباب تنحو منحىٰ جزئيًا يشمل بعض قضايا العمل التطوعي، وبعد حصر طويل وتتبع للجهود التي بذلت في ميدان العمل التطوعي العلمي لم نقف علىٰ جهد موسوعي شامل يجمع شتات ما تفرق في بطون الكتب ويؤلف بين الكتابات المتنوعة والمتعددة بما يسهل للقارئ والباحث والمتطوع الإلمام الكامل بكل جوانب العمل التطوعي، ولهٰذا قامت الفكرة للنهوض بالكتابة في هٰذا الميدان على الصورة الموسوعية الشاملة لكل أطراف الموضوع.

الفترة الزمنية للقيام به:

بعد الٱستقراء الطويل وجمع المصادر المتنوعة لهٰذا المشروع بدأنا في تجهيز كل ما له تعلق بالعمل التطوعي في الإسلام ثم شكَّلنا فريق عمل متخصص في العلوم الشرعية، وبدأنا في الٱستقراء وتوزيع المهام، ثم الجمع والتنسيق والتوثيق لكل أطراف العمل حتىٰ لا يَنِدَّ شيء من صلب البحث، وهٰذا علىٰ قدر الطاقة والوسع، ولا بد للعمل البشري من نقص وعجز فالكمال لله وحده؛ ولٰكنَّ رجاءَنا أننا لم نأْلُ جهدًا في الجمع والتصحيح والمراجعة والمناقشة وسؤال أهل العلم فعسىٰ أن يُشفع لنا في تقصيرنا، والله وحده قصدنا رضاه وهو رجاؤنا لا نبتغي سواه.

النتاج:

خلال سنتين من العمل الدؤوب، ثم المراجعة التي ٱستغرقت عامًا كاملًا، خرج العمل في خمس مجلدات كبار، وهي مقسمة على التالي:

المجلد الأول:

وقد تضمن تأصيلات العمل التطوعي وتضمن هٰذا المجلد أبوابًا رئيسية، وتحت كل باب مباحث، وهٰذِه الأبواب هي:

١- تعريف العمل التطوعي، والألفاظ المرادفة للعمل التطوعي
٢- حكم العمل التطوعي
٣- أهمية العمل التطوعي
٤- العمل التطوعي نفعه متعد ففائدته أعظم بخلاف القاصر
٥- فضل العمل التطوعي في الكتاب والسنة وأقوال السلف
٦- أشكال العمل التطوعي
٧- آليات تفعيل العمل التطوعي
٨- وسائل العمل التطوعي
٩- عقبات أمام ٱستمرار العمل التطوعي
١٠- مخالفات في العمل التطوعي
١١- الموارد المالية للعمل التطوعي
١٢- المصادر الأساسية في تمويل العمل الخيري
١٣- العمل التطوُّعي في المجتمعات الغربية والدعم المقدم له

المجلد الثاني

ويحتوي علىٰ أخلاقيات المتطوع الإيجابية وعلاقتها بالعمل التطوعي

وقد ذكرنا تحته أربعة وثلاثين صفة إيجابية، وهي:

١- الإخلاص	٢- الهمة
٣- الأمانة	٤ - التقوىٰ
٥- اللين	٦- الرحمة
٧- بشاشة الوجه	٨- الحلم
٩- العلم	١٠- حب الخير للناس

١١- الورع
١٢- العفة
١٣- التواضع
١٤- ٱستشعار المسئولية
١٥- البذل والعطاء
١٦- غض البصر
١٧- الإيثار
١٨- حسن الظن
١٩- الحكمة
٢٠- الحياء
٢١- الصفح والعفو
٢٢- صفة الرفق
٢٣- السماحة
٢٤- الصبر
٢٥- كظم الغيظ
٢٦- حسن السمت
٢٧- الوقار
٢٨- كتمان السر
٢٩ - الكرم
٣٠- الكلمة الطيبة
٣١- المواساة
٣٢- الصدق
٣٣- نصرة المظلوم
٣٤- الإنصاف

وخمس عشرة صفة سلبية مذمومة لا تليق بالمتطوع

١- الإهمال
٢- التنصل من المسؤولية
٣- الجفاء
٤- أكل الحرام
٥- أكل مال اليتيم
٦- الخيانة
٧- الخداع
٨- الرياء
٩- السرقة
١٠- سوء الظن
١١- الطمع
١٢- الغلول
١٤- الكسل
١٥- المن

المجلد الثالث:

اشتمل علىٰ ثلاثة أبواب رئيسة وهي متعلقة بمجالات العمل التطوعي

أولا: المجالات الدعوية، وفيها:

١- إقامة (عمارة) المسجد

٢- الدعوة إلىٰ الله

٣- الحسبة

٤- المساعدات التوجهية وإسداء النصح للغير

٥- الحج عن الغير

٦- الإصلاح بين الناس

ثانيًا: المجالات العلمية والتعليمية، وفيها:

٧- نشر العلم

٨- تعليم القرآن

٩- تعليم السنة

١٠- إعداد القادة

١١- التعليم في المدارس ودور العلم

١٢- تأديب الأطفال وتعليمهم

١٣- محو الأمية

١٤- تنمية المهارات

ثالثًا: مجالات العمل الاجتماعي، وفيها:

١٥- إعانة الفقراء

١٦- إطعام وكسوة المحتاجين

١٧- إعانة أصحاب الحاجات الخاصة (الإعاقة)

١٨- رعاية الحيوان والرفق به

١٩- حفر الآبار (سقيا الماء)

٢٠- الزراعة لنفع العامة

٢١- تعليم الحِرف والصناعات

٢٢- قضاء الديون

٢٣- كفالة النكاح

٢٤- كفالة الأرامل

٢٥- كفالة اليتيم

٢٦- كفالة المنكوبين

٢٧- قضاء حوائج الميت

ثم ختمنا هٰذا المجلد ببحث العمل التطوعي عند النساء، وكان فيه ما يلي:

- تقديم لمكانة المرأة في الإسلام

- نماذج من مجالات العمل التطوعي للمرأة المسلمة:

أولًا: تعليم العلم

ثانيًا: الدعوة إلىٰ الله

ثالثًا: الجهاد والغزوات

رابعًا: مداواة المرضىٰ

خامسًا: مواساة الجار بالطعام

سادسًا: رعاية شئون الأطفال

سابعًا: مجال المشورة

ثامنًا: إخراج الصدقات

تاسعًا: المشاركة في أمور الزواج

عاشرًا: مساعدة النساء عند الولادة

الحادي عشر: القيام بشئون الموتىٰ من غسل وتكفين للنساء

الثاني عشر: تعليم الحرف

المجلد الرابع:

ويتضمن فقهيات العمل التطوعي وهو يشمل كل الأحكام الفقهية للعمل التطوعي في الإسلام مرتبًا علىٰ أبواب الفقه، وفيه:

- التخريج الفقهي للمؤسسات التطوعية
- أخذ المال علىٰ أعمال التطوع والقرب
- أهم الأبواب الفقهية التي تتعلق بالعمل التطوعي، وهي:

١- الزكاة
٢- صدقة التطوع
٣- الأضحية
٥- العقيقة
٦- الهدي
٧- الوقف
٨- الهبة والهدية
٩- العُمْرىٰ والرُّقْبَىٰ
١٠- القرض
١١- العارية
١٢- اللقطة والضالة
١٣- اللقيط
١٤- الضمان والكفالة
١٥- الوديعة
١٦- الصلح
١٧- الإبراء
١٨- التأمين
١٩- الحضانة
٢٠- الرضاع
٢١- النفقات
٢٢- الوصايا
٢٣- المسابقات
٢٤- الكفارات
٢٥- النيابة والوكالة

المجلد الخامس:

وتضمن فتاوىٰ كبار العلماء والمجامع الفقهية حول مسائل العمل التطوعي مرتبة علىٰ أبواب الفقه، وهي:

١- فتاوى المساجد
٢- القرآن

٣- الصلاة	٤- الجنائز
٥- الزكاة	٦- زكاة الفطر
٧- الصدقات	٨- الصوم
٩- الحج	١٠- الهدي
١١- الأضاحي	١٢- العقيقة
١٣- الذبائح	١٤- الوصايا
١٥- النفقة	١٦- الهبة
١٧- النذور	١٨- الوقف
١٩- اللقطة	٢٠- الجمعيات
٢١- المسابقات	٢٢- الوكالة

وهٰذِه العناوين الرئيسة في العمل، وتحت كل عنوان مباحث تفصيلية كثيرة.

وبهذا العمل نرىٰ أننا قد ٱستوعبنا أطراف المسألة وجمعنا قدر ٱستطاعتنا ما يتعلق بالعمل التطوعي.

ملاحظة وتنبيه:

قد يسأل سائل: فلم لم تذكر في هٰذِه الموسوعة جهات العمل التطوعي في بلاد الإسلام وكذا التنويه على العاملين بحقل التطوع من الدعاة والعلماء وأصحاب الأيادي البيضاء؟

والجواب:

أننا فعلًا جمعنا أكثر من مجلدين ٱستقصينا فيهما جهات العمل التطوعي وذكرنا كثيرًا من المشهورين في مجال التطوع لٰكن بعد مناقشات رأينا عدم إدخال هٰذا المبحث في الطبع لأسباب عدة منها:

١- أن ٱستقصاء الجهات المعنية بهٰذا الشأن والأشخاص، هو في الحقيقة مسح ديموغرافي يتناول الجانب الٱستقرائي والاجتماعي، وهٰذا قد يبعدنا عن هدف الموسوعة إذ أهم أهدافها التأصيل الشرعي لقضايا العمل التطوعي.

٢- كثير من الجهات التطوعية لها توجهات مختلفة بعضها موافق للشرع وآخر مخالف، وهٰذا سيتطلب منا دراسة كل جهة تطوعية ومنهجها وطريقتها، وهٰذِه عقبة تحتاج إلىٰ دراسات ومعلومات قد لا تتوافر لدينا.

٣- حجم العمل كبير وقد ٱختصرنا قدر الحاجة، فإضافة هٰذا المبحث قد يضاعف حجم الموسوعة مجلدين آخرين فيكون سببًا في عزوف الناس عن الٱستفادة منها.

٤- أن هٰذِه الدراسة مطروحة للباحثين والمتخصصين ليسدوا هٰذِه الثغرة فلعل الله يقيد لهٰذا المبحث من يقوم علىٰ دراسته وتجليته للمسلمين حتىٰ نعرف قدر جهاتنا الخيرية في عالمنا الإسلامي.فهٰذا جهد المقل نسأل الله أن يتجاوز عن تقصيرنا .

الأهداف من إخراج الموسوعة

لابد من تحديد الأهداف لنجاح الأعمال، وعند بداية العمل في هٰذِه الموسوعة المباركة كانت لنا أهداف نأمل تحقيقها بعد هٰذا الجهد ومنها:

١- توعية القائمين على العمل التطوعي بتأصيل الجانب الشرعي في أعمالهم.

٢- بيان أهمية العمل التطوعي في نصوص الكتاب والسنة وعند السلف الصالح وعلماء المسلمين وعبر التاريخ.

٣- النهوض بقضايا العمل التطوعي وإبرازها لتكون محورًا أصيلًا في حياة المسلمين

٤- نفي كل دخيل على العمل التطوعي من مخالفات شرعية وأخطاء

ميدانية وتطبيقات بدعية أقحمت على العمل التطوعي.

٥- تحفيز القائمين على العمل التطوعي بتذكيرهم بما أعد الله لفاعل الخير من الثواب وحسن الجزاء.

٦- تنشيط الدعم بكل وسائله للنهوض بالمؤسسات الغير ربحية ومراكز البذل والعطاء في المجتمعات، ونعني بالدعم: الدعم الحكومي والدعم الشخصي للأفراد لما لهٰذِه المؤسسات من أثر بالغ في رفع معاناة كثير من أصحاب الحاجات.

٧- تذليل كل العقبات المؤثرة سلبًا علىٰ قيام الجهات الخيرية من إجراءات تحد من قيامها وتوسع نشاطها، فقد رأينا كيف تقوم المجتمعات الغربية بتسهيل دور المؤسسات التطوعية وفتح آفاق العمل لها لتشجيعها وتوسيع أنشطتها، فأهل الإسلام أحرىٰ بهم أن يعينوا جهات الخير علىٰ أداء هٰذِه الرسالة.

فريق الإعداد

قد وفقنا الله تعالىٰ فاجتمع لدينا ثلة من طلاب العلم النابهين والمجدين في طلب علم الشريعة فقمنا جميعًا وتعاونا علىٰ إخراج هٰذِه الموسوعة المباركة عن قناعة وإيمان بهٰذِه الرسالة السامية والتي نسأل الله تعالىٰ أن يكتب لنا بها الأجر في الآخرة، ولسنا ممن يبخس الناس حقهم ولله الحمد، بل لا بد من إعطاء كل ذي حق حقه،

فبعد أن وضعت خطة العمل بدأت بتوزيع المهام على الباحثين وتابعت أعمالهم في مكتبنا المبارك بمجمع التوحيد ببلبيس أستقبل الأعمال، وأراجع، وأضيف، وأختصر أحيانًا إن ٱقتضى المقام مع قيامي بجمع أجزاء متناثرة من العمل والربط بين الأبواب والمراجعات الأخيرة قبل الطبع، إلىٰ غير ذلك مما هو معهود في إخراج الأعمال العلمية

وقد عاونني علىٰ إخراج هٰذِه الموسوعة هٰؤلاء الأفاضل:

١- صالح حسون، وكان له دور كبير في الإشراف على العمل وتوزيع الأعمال على الباحثين

٢- سيد عبد المتعال

٣- محمود عبد الحكيم

٤- محمد حسني سلامة

٥- محمد غريب

٦- محمد الصادق

٧- ياسر العوامري

٨- عبد الرحمن الفواخري

هٰذا وقد شارك معنا بعض الباحثين بتجميع بعض الأبواب فجزاهم الله

خيرًا وأخص بالذكر أخانا **أبا عبد الرحمن موسىٰ عودة**، أسأل الله له الشفاء والمعافاة، والأخ/ **محمد نبيل**، والأخ/ **راجي نور الدين**.

فجزىٰ الله كل من ساهم في إخراج هٰذا العمل المبارك.

وأخص بالذكر فضيلة الدكتور سامي تيسير سلمان المشرف العام على الموسوعة فكم صبر معنا حتىٰ طباعة الموسوعة ولم نر منه إلا حرصًا واهتمامًا لبذل النفع والخير للمسلمين جميعًا.

فاللهم تقبل منا هٰذا العمل وتجاوز به عن الزلل إنك أنت الأعز الأكرم وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه

كتبه

أحمد بن سليمان

في الرابع من جمادى الأول

لعام تسع وثلاثين وأربعمائة بعد الألف

من هجرة الحبيب ﷺ

تعريف العمل التطوعي

تعريف العمل التطوعي

العمل التطوعي لقب يدل علىٰ معنىٰ من المعاني المشتقة لا ذاتًا من الذوات، وهو مكوَّن من لفظتين الآخرة منهما مخصِّصَة للأولىٰ، يفتقر فهم معناه إلىٰ فهم معنىٰ هاتين اللفظتين؛ إذ كل منهما يدل علىٰ جزء من المعنىٰ فلا بد من تعريف كل لفظة منهما، ثم تعريفه باعتباره لقبًا.

العمل لغة:

قال ابن فارس: (عَمِلَ) العين والميم واللام أصل واحد صحيح، وهو عام في كل فعل يُفْعَلُ.

قال الخليل: عمل يعمل عملًا، فهو عامل، واعتمل الرجل، إذا عمل بنفسه. قال:

إِنَّ الكَريمَ وأَبِيكَ يَعْتَمِلْ   إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَىٰ مَن يَتَّكِلْ

والعِمالَة: أَجْر ما عُمِلَ. والمعاملة: مصدر من قولك عاملته، وأنا أعامله معاملة. والعَمَلة: القوم يعملون بأيديهم ضروبًا من العمل، حفرًا، أو طيًّا أو نحوه[1].

والعمل يشمل: عمل القلب، والجوارح؛ لحديث أبي هريرة ﷺ، قال: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ الأعْمالِ أَفْضَلُ؟ قالَ: إيمانٌ باللهِ وَرَسُولِهِ قِيلَ: ثُمَّ ماذا؟ قالَ: جِهادٌ في سَبِيلِ اللهِ، قِيلَ: ثُمَّ ماذا؟ قالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ[2].

فقد سمى الإيمان عملًا، وهو يشمل تصديق القلب، ويقينه، وإذعانه، وذلك خلافًا لمن أخرج منه عمل الجوارح.

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ١٤٥).   (٢) أخرجه البخاري (١٥١٩)، ومسلم (١٣٥).

والعمل يشمل: الأعمال الصالحة والسيئة، خلافًا لمن خصَّه بالأعمال الشريفة، وجعل الفعل يشملهما (الأعمال الصالحة، والسيئة).

فالأعمال الصالحة يدل عليها نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: ١٢٤]. وقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢]. وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء: ٩٤].

وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ [الزلزلة: ٧].

والأعمال السيئة يدل عليها نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ الله يَجِدِ الله غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]. وقوله: ﴿لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَلا أَمانِيِّ أَهْلِ الكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ الله وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]. وقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢].

ويشمل الأعمال الصالحة والسيئة في نحو قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء: ٨٤].

الفرق بين العمل والفعل:

العمل ما صدر عن قصد، وترك أثرًا، فإن صدر عن غير قصد فهو فعل، فإنه يصدر عن قصد وغير قصد، وكذا إن لم يترك أثرًا.

قال الراغب الأصفهاني: العَمَلُ: كلّ فعل يكون من الحيوان بقصد، فهو أخصّ من الفعل؛ لأنّ الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعَمَلُ قلّما ينسب إلىٰ ذلك، ولم يستعمل العَمَلُ في الحيوانات إلّا في قولهم: البقر العَوامِلُ[(١)].

---

(١) المفردات في غريب القرآن (١ / ٤٥١).

قال أبو هلال العسكري: إن العَمَل إِيجاد الأثر في الشَّيْء، يُقال: فلان يعْمل الطين خزفًا، وَيعْمل الخوص زنبيلاً، والأديم سِقاء وَلا يُقال: يفعل ذَلِك؛ لأَن فعل ذَلِك الشَّيْء هُوَ إيجاده علىٰ ما ذكر هنا، وَقالَ الله تَعالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ أي: خَلقكُم وَخلق ما تؤثرون فِيهِ بنحتكم إِيّاه أَو صوغكم لَهُ.

وَقالَ البَلْخِي رَحمَه الله تَعالَىٰ: من الأفْعال ما يَقع في علاج وتعب واحتيال، وَلا يُقال للْفِعْل الواحِد عمل[1].

قال ابن رجب الحنبلي: والفعل: من الناس مَن يقول: هو مرادف للعمل. ومنهم من يقول: هو أعم من العمل. فمن هٰؤلاء من قال: الفعل يدخل فيه القول وعمل الجوارح، والعمل لا يدخل فيه القول على الإطلاق. ويشهد لهٰذا: قول عبيد بن عمير: ليس الإيمان بالتمني، ولكن الإيمان قول يُفعل، وعمل يُعمل.

ومنهم من قال: العمل: ما يحتاج إلىٰ علاج ومشقة، والفعل: أعم من ذلك. ومنهم من قال: العمل: ما يحصل منه تأثير في المعمول كعمل الطين آجُرًّا، والفعل أعم من ذلك.

ومنهم من قال: العمل أشرف من الفعل، فلا يطلق العمل إلا علىٰ ما فيه شرف ورفعة بخلاف الفعل، فإن مقلوب عمل: لمع، ومعناه ظهر وأشرف. وهٰذا فيه نظر، فإن عمل السيئات يسمىٰ أعمالًا كما قال تعالي: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [غافر: ٤٠]، ولو قيل عكس هٰذا لكان متوجها، فإن الله تعالىٰ إنما يضيف إلىٰ نفسه الفعل كقوله تعالىٰ: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا﴾ [إبراهيم: ٤٥]، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾ [الفجر: ٦]، ﴿أَلَمْ تَرَ

(١) الفروق اللغوية (ص ١٤٠).

﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨][1].

والعمل هنا حلي بـ« أل » و« أل » التي تدخل على الأسماء ثلاثة أنواع:

الأولىٰ: أل الزائدة: وهي الداخلة على الأعلام نحو: الحسن، والحسين، والعباس، والحارث.

الثانية: أل الجنسية، وهي تستغرق الجنس فتفيد العموم، وهي ثلاثة أنواع:

- الداخلة على ٱسم الجنس مثل: البيع، الشراء، العمل.
- الداخلة على الٱسم المفرد مثل: المؤمن، السارق، القارئ.
- الداخلة على الجموع مثل: المؤمنون، المؤمنات، الرجال.

الثالثة: أل العهدية، وهي التي ترجع إلىٰ معهود ذِكري أو ذِهني فلا تفيد العموم مثل قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝٢٩﴾ [الحج: ٢٩].

فهي ترجع لمعهود ذهني وهو الكعبة، وليس كل بيت عتيق.

وكقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فـ« أل » هنا ترجع لمعهود ذكري وهو قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والعمل المراد في هٰذا اللقب: العمل التطوعي، لا يُراد به إلا نوع من العمل وهو العمل الخيري، فـ« أل » هنا لا شك عهدية، لا تفيد العموم.

ومنهم من قال: تفيد العموم وقد خصها الوصف بالتطوع؛ فإنه لا يكون إلا في خير.

اللفظة الأخرى: التطوعي.

التطوع: الٱنقياد تكلفًا.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب (٦/١).

قال ابن فارس: (طوع) الطاء والواو والعين أصل صحيح واحد يدل على الإِصْحابِ والانقياد. يقال: طاعه يَطُوعُهُ، إذا ٱنقاد معه ومضىٰ لأمره. وأطاعه بمعنىٰ طاع له. ويقال لمن وافق غيره: قد طاوعه.

والاستطاعة مشتقة من الطَّوْعِ، كانها كانت في الأصل الاْستطواع، فلما أسقطت الواو جعلت الهاء بدلا منها، مثل قياس الاْستعانة والاستعاذة.

والعرب تقول: تطاوع لهٰذا الأمر حتىٰ تستطيعه. ثم يقولون: تطوع، أي تكلف ٱستطاعته، وأما قولهم في التبرع بالشيء: قد تطوع به، فهو من الباب، لكنه لم يلزمه، لكنه ٱنقاد مع خير أحب أن يفعله. ولا يقال هٰذا إلا في باب الخير والبر. ويقال للمجاهدة الذين يتطوعون بِالجِهادِ: المُطَّوِّعَةُ، بتشديد الطاء والواو، وأصله المُتَطَوِّعَةُ، ثم أدغمت التاء في الطاء. قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ٧٩]، أراد - والله أعلم - المتطوعين[(١)].

قال الجوهري: وتطوع، أي: تكلف ٱستطاعته. والتطوع بالشيء: التبرع به[(٢)]. وقال الراغب الأصفهاني: والتَّطَوُّعُ في الأصل: تكلُّفُ الطّاعَةِ، وهو في التّعارف التّبرّع بما لا يلزم كالتّنفّل، قال: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٨٤][(٣)].

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة:

تطوَّعَ، يتطوَّع، تطوُّعًا، فهو مُتطوِّع، والمفعول مُتطوَّعٌ به

تطوَّع الشَّخصُ: تقدَّم لعمل ما مختارًا، قدَّم نفسه لإنجاز عمل أو مهمة بدون مكافأة أو أجر "تطوَّع كثير من الشباب للخدمة في الجيش- كثُر المتطوِّعون لتنظيف المسجد- ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ﴾.

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٤٣١)، وانظر: المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٣١٤).

(٢) الصحاح (١ / ٤٣٢). (٣) المفردات في غريب القرآن (١ / ٤٠٤).

تطوَّع بالشَّيء: تبرَّع به، وزاد علىٰ ما يجب عليه "تطوّع ببناء ملجأ للأيتام- ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ "[1]

واصطلاحًا:

قال الجرجاني: التطوع ٱسم لما شُرع زيادة على الفرض والواجب[2].

قال السرخسي: التطوع ٱسْم لما يتَبَرَّع بِهِ المَرْء من عِنْده، وَيكون محسنًا في ذلك وَلا يكون ملومًا علىٰ تَركه، فهو والنَّفْل سواء.

وحكمه شرعا: أَنه يُثاب علىٰ فعله ولا يُعاقب علىٰ تركه[3].

مفهوم العمل التطوعي باعتباره لقبًا:

عُرِّف العمل التطوعي بعدد من التعريفات منها:

كل جهد بدني أو فكري أو عقلي أو قلبي يأتي به الإنسان أو يتركه تطوعًا دون أن يكون ملزمًا به لا من جهة المشرع، ولا من غيره.

مثال ذلك: كتابة العقود، وتغسيل الموتىٰ، إماطة الأذىٰ عن الطريق، إعانة الرجل علىٰ دابته ورفع متاعه عليها، أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، أن تعين ضائعًا، إنقاذ الغرقىٰ والهدمىٰ والحرقىٰ، إعانة في مهم كموت وعُرس وسفر، كف أذاك عن الناس[4].

وعرفه اللحياني بأنه: الجهد الذي يبذله أي إنسان بلا مقابل لمجتمعه بدافع منه للإسهام في تحمل مسئولية المؤسسة التي تعمل علىٰ تقديم الرعاية الٱجتماعية[5].

و عرفه العلي بأنه: بذلٌ مالي أو عيني أو بدني أو فكري يقدمه المسلم عن

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٤٢٢).

(٢) التعريفات (ص: ٦١). (٣) أصول السرخسي (١/ ١١٥).

(٤) الأعمال التطوعية في الإسلام د. محمد بن صالح بن علي القاضي.

(٥) العمل التطوعي أهميته، آثاره، عوامل نجاحه، معوقاته.

رضا وقناعة، بدافع من دينه، بدون مقابل بقصد الإسهام في مصالح معتبرة شرعًا، يحتاج إليها قطاع من المسلمين[١].

مفهوم العمل الاجتماعي التطوعي

عرفته د. رشا أحمد عبد اللطيف بأنه: الجهد الذي يبذله أي إنسان بلا مقابل لمجتمعه بدافع منه للإسهام في تحمل مسؤولية المؤسسة التي تعمل علىٰ تقديم الرعاية الاجتماعية[٢].

وقال الأستاذ توفيق عسيران: التطوع يتضمن جهودًا إنسانية تُبذل من أفراد المجتمع بصورة فردية أو جماعية، ويقوم بصفة أساسية على الرغبة والدافع الذاتي، سواء كان هٰذا الدافع شعوريًّا أو لا شعوريًّا، ولا يهدف المتطوع إلىٰ تحقيق مقابل مادي أو ربح خاص بل اكتساب شعور الانتماء إلى المجتمع وتحمل بعض المسئوليات التي تسهم في تلبية احتياجات اجتماعية مُلحَّة[٣].

ومفهوم العمل التطوعي العالمي هو: عمل غير ربحي لا يُقدَّم نظير أجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي مهني يقوم به الأفراد من أجل مساعدة وتنمية مستوىٰ معيشة الآخرين، من جيرانهم أو المجتمعات البشرية بصفة مطلقة[٤].

---

(١) تنمية الموارد البشرية والمالية في المنظمات الخيرية العلي سليمان بن علي، وانظر: العمل التطوعي أهميته، معوقاته وعوامل نجاحه د. حميد بن خليل الشايجي.

(٢) محاضرة بعنوان: "مكانة الجهود التطوعية في العمل الاجتماعي"، ألقيت في دورة التطوع علىٰ أعمال الدفاع المدني بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في ٤/ ٥/ ١٤١٠هـ.

(٣) مؤتمر التنظيمات الأهلية العربية. موقع جمعية المبرات الخيري.

(٤) انظر تنمية الموارد البشرية والمالية في المنظمات الخيرية، العلي سليمان بن علي.

وهو أوسع بلا شك من التعريفين السابقين، ويَرِد عليه أنه لم يُدخِل العمل المؤسسي. ولا شك أن هٰذا هو نفس مفهوم العمل التطوعي في الإسلام غير أن العمل التطوعي في الإسلام يبتغي فيه المتطوع أو المؤسسة الثواب الأخروي.

ونحن هنا نقصد بالعمل التطوعي ذلكم النشاط الخيري الذي يقوم به الأفراد أو الجماعات المتمثلة في الهيئات والمؤسسات والتجمعات الأهلية ذات النفع العام، دون عائد مادي مباشر مشروط للقائمين عليه، وذلك بهدف إسعاد الآخرين بالتقليل من حجم مشكلاتهم والإسهام في حلها وكذلك ٱبتغاء الثواب الأخروي، سواء أكان ذلك بالمال أو بالجهد والعمل.

الألفاظ المرادفة للعمل التطوعي:

١- عمل البر:

البر لغة: مصدر برَّ يبرُّ وهو مأخوذ من مادّة (ب ر ر) التي تدل علىٰ معان عديدة منها: الصِّلَةُ، والجَنَّةُ، والخَيْر، والاتِّساع في الإحسان، والحج[١].

وقد ٱختلف العلماء في تفسير البرّ فقال بعضهم: البرُّ الصلاح، وقال بعضهم: البر الخير.

قال ابن منظور: ولا أعلم تفسيرًا أجمعَ منه؛ لأنّه يحيط بجميع ما قالوا، قال: وجعل لبيد البر التقىٰ حيث يقول: وما البر إلا مضمرات من التّقىٰ.

قال أبو منصور: البر خير الدّنيا والآخرة؛ فخير الدنيا ما ييسره الله تعالىٰ للعبد من الهدىٰ والنّعمة والخيرات، وخير الآخرة الفوز بالنّعيم الدّائم في الجنّة، جمع الله لنا بينهما بكرمه ورحمته[٢].

---

(١) القاموس المحيط (ص: ٣٤٨). (٢) النهاية لابن الأثير (١/ ١١٦).

والبِرُّ أيضًا: التوسع في فعل الخير[١].

والبرُّ نوعان: صلة، ومعروف.

فأمّا الصّلة: فهي التبرّع ببذل المال في الجهات المحدودة لغير عوض مطلوب، وهٰذا يبعث عليه سماحة النّفس وسخاؤها، ويمنع منه شحّها وإباؤها قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وأمّا النّوع الثّاني من البرّ فهو: المعروف: ويتنوّع أيضا نوعين: قولًا وعملًا. فأمّا القول: فهو طيب الكلام وحسن البشر، والتّودّد بجميل القول، وهٰذا يبعث عليه حسن الخلق، ورقّة الطّبع، ويجب أن يكون محدودًا كالسّخاء؛ فإنّه إن أُسرِف فيه كان مَلَقًا مذموما، وإن توسّط واقتُصِد فيه كان معروفًا وبرّا محمودًا.

وأمّا العمل: فهو بذل الجاه والمساعدة بالنّفس والمعونة في النّائبة، وهٰذا يبعث عليه حبّ الخير للنّاس وإيثار الصّلاح لهم، وليس في هٰذِه الأمور سرف ولا لغايتها حدّ بخلاف النّوع الأوّل؛ لأنّها وإن كثرت فهي أفعال خير تعود بنفعين: نفع علىٰ فاعلها في اكتساب الأجر وجميل الذّكر، ونفع على المُعان بها في التّخفيف عنه والمساعدة له[٢].

وقد وردت آيات كثيرات بمعنى الخير وفعل الطاعات منها:

- قوله تعالىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقر: ١٧٧]. وقوله تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ١١٤).

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي (١٨٤ و٢٠٠- ٢١٥).

تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

٢- فعل الإحسان:

الإحسان في اللغة: ضد الإساءة، ورجل محسن ومحسان، وأحسن به الظن: نقيض أساءه، والفرق بين الإحسان والإنعام: أن الإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره، تقول: أحسنت إلىٰ نفسي. والإنعام: لا يكون إلا لغيره. وهو يحسن الشيء: أي يعمله، ويستحسن الشيء: أي يعده حسنًا(١).

والإحسان يقال علىٰ وجهين: أحدهما الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلىٰ فلان.

والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا عمل عملًا حسنًا، وعلىٰ هٰذا قول أمير المؤمنين ﷺ: (الناس أبناء ما يحسنون) أي منسوبون إلىٰ ما يعملون، وما يعملونه من الأفعال الحسنة، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]. والإحسان أعم من الإنعام، قال تعالىٰ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧](٢).

وفي الاصطلاح:

هو ما فسره النبي ﷺ بقوله: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(٣).

وللإحسان في الاصطلاح معان أخرىٰ، مثل الإحسان للوالدين ببرهما وعدم عقوقهما، والإحسان في القتل والذبح، بالإسراع، وعدم التعذيب،

---

(١) لسان العرب (١٣/ ١٧).

(٢) المفردات للراغب الأصفهاني (ص ١١٨، ١١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٧).

والإحسان يدخل في كل شيء؛ بمعنى الإتقان، وبمعنى الرحمة والرأفة من الإنسان للمخلوقات. كما قال رسول ﷺ: إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ.. الحديث[1].

فالمحسن هو المراقب لربه جل جلاله، المخلص في عمله، المتقن لصنعته، الباذل للمعروف والخير؛ لأن الإنسان إذا عبد الله جل ثناؤه في الدنيا علىٰ وجه الحضور والمراقبة، كأنه ينظر إلىٰ الله ﷻ حال عبادته، مستحضرًا لعظمة الله تعالىٰ، ومراقبته له غرست في قلبه الخشية والهيبة والتعظيم والخوف؛ وذلك يوجب عليه النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإكمالها وإتمامها على الوجه الذي ينبغي أن تكون عليه[2].

وقد أمر الله تعالىٰ بالإحسان. قال تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

والجهاد في سبيل الله تعالىٰ، هو من الإحسان. قال رب العزة والجلال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

واتباع ما جاء به النبي العظيم محمد ﷺ هو من الإحسان قال تعالىٰ: ﴿والَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُون * لَهُمْ ما يَشاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزاءُ المُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٣، ٣٤].

والعفو من الإحسان، قال تعالىٰ: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

والصبر من الإحسان. قال تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: ١١٥].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥) عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية (٢٢/ ٢٩٣).

ورعاية حقوق الوالدين والأقربين، والجيران والأصدقاء، والفقراء، والخدم، من أعظم ضروب الإحسان، وقد قرنها الله تبارك وتعالىٰ بعبادته؛ ليلفت النظر إلىٰ هٰذِه الرعاية، وليؤكد هٰذِه الحقوق. قال الله جل جلاله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

٣- عمل الخير:

الخير لغة: هو ٱسم تفضيل علىٰ غير قياس وهو ضد الشر، والخير الحسن لذاته ولما يحققه من لذة أو نفع أو سعادة، وجمعه خيور، وخيار، وأخيار.

و(الخَيِّر) ذُو الخَيْر والكثير الخَيْر[١].

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]، أي: تجدوه خيرا لكم من متاع الدنيا.

٤- فعل المعروف:

المعروف لغة: ضِدُّ المُنْكَرِ، و(العُرْف) ضِدُّ النُّكْرِ يُقالُ: أولاه عرفًا أي: معروفًا[٢].

وأمرت بالعرف أي بالمعروف، وهو الخير والرفق والإحسان، ومنه قولهم: من كان آمرًا بالمعروف فليامر بالمعروف؛ أي من أمر بالخير فليامر برفق وَقَدْرٍ يُحتاج إليه[٣].

واصطلاحًا:

قال ابن منظور: وهو ٱسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه

---

(١) المعجم الوسيط (١/ ٢٦٤). (٢) مختار الصحاح (ص: ٢٠٦).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٤٠٤).

والإحسان إلى الناس، وكُل ما ندب إليه الشرع ونهىٰ عنه من المُحسنات والمُقبحات، وهو من الصفات الغالبة؛ أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا يُنكرونه. والمعروف: النصفة وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس(١).

قال الطبري: أصل المعروف كل ما كان معروفًا فعله، جميلًا مستحسنًا، غير مستقبح في أهل الإيمان بالله، وإنما سميت طاعة الله "معروفا؛ لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله(٢).

فالمسلم مأمور بتوقِّي البلاء والفتن التي تقع في الدين أو ما يصيب الأبدان من أمراض أو موت أو نقص من الأموال باتخاذ الأسباب المشروعة الدافعة لذلك والمانعة له، ومن هٰذِه الأسباب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي ميَّز الله تعالىٰ به هٰذِه الأمة دون غيرها من الأمم، فقال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

وذم بني إسرائيل بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٩].

وحث الله سبحانه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه من سبيل الفلاح، فما من أمة كثرت موبقاتها لقلة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر إلا كان ذلك إيذانًا من الله بقرب هلاكها، يقول تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

أي: لتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر

---

(١) لسان العرب (٩/ ٢٤٠). (٢) تفسير الطبري (٧/ ١٠٥).

بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون، وهم خاصة الصحابة وخاصة الرواة، يعنى المجاهدين العلماء[١].

٥- التبرع:

(تبرع) بالعطاء أعطىٰ من غير سُؤال، وتفضَّل بما لا يجب عليه غير طالب عوضًا[٢].

أما في الاصطلاح فهو: بذل المكلَّف مالًا أو منفعة لغيره في الحال أو المستقبل بلا عوض بقصد البر والمعروف غالبًا؛ فيشمل الهبة والوصية والوقف والعارية وغير ذلك[٣].

٦- التنفُّل:

التنفل لغة: من النفل، والنافلةُ: الزيادة. والنافلة: التطوع[٤].

وهو في الشرع: العطية يُعطيها تطوعًا بعد الفريضة من صدقة أو صلاح أو عمل خير.

أو ما يفعل الرجل مما لا يجب عليه إلا تفضلًا[٥].

أو: ٱسم لِما شُرع زيادة على الفرائض، والواجبات، وهو المسمىٰ بالمندوب، والمستحب، والتطوع.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية (٨٧/ ١٩٩). (٢) المعجم الوسيط (١/ ٥٠).

(٣) معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء (ص: ١٢٧).

(٤) معجم ديوان الأدب (١/ ٣٦٨).

(٥) العين (٨/ ٣٢٥)، جمهرة اللغة (٢/ ٩٧١)، القاموس الفقهي (ص: ٣٥٨)، الصحاح (٥/ ١٨٣٣)، مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٨٧٧).

حكم العمل التطوعي

حكم العمل التطوعي

الأصل في العمل التطوعي الاستحباب والندب، ولكن قد يدخل في باقي الأحكام التكليفية فقد يجب وقد يحرُم أو يكرَه.

فأما الوجوب: فسيأتي بيانه مفصلًا.

وأما الحرمة: فمثل ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون: ٧]. قال ابن كثير: قال عكرمة: رأس الماعون زكاة المال، وأدناه. المنخل والدلو، والإبرة.

وهٰذا الذي قاله عكرمة حسن؛ فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلىٰ شيء واحد. وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة. ولهٰذا قال محمد بن كعب: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ قال: المعروف.

ولهٰذا جاء في الحديث «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**»[١].

وقال السعدي: أي: يمنعون إعطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاؤه علىٰ وجه العارية، أو الهبة، كالإناء، والدلو، والفأس، ونحو ذلك، مما جرت العادة ببذلها والسماحة به؛ فهٰؤلاء -لشدة حرصهم- يمنعون الماعون، فكيف بما هو أكثر منه.

وفي هٰذِه السورة، الحث علىٰ إكرام اليتيم، والمساكين، والتحضيض علىٰ ذلك، ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص فيه وفي جميع الأعمال.

والحث علىٰ فعل المعروف وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإناء والدلو

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢١)، ومسلم (١٠٠٥) عن جابر وحذيفة رضي الله عنهما.

والكتاب، ونحو ذلك؛ لأن الله ذم من لم يفعل ذلك[١].

ومن ذلك أيضًا من يتطوعون بالشفاعات السيئة؛ لتولية موظف عمل لا يستحق، أو ترقيته في وظيفته، أو إسقاط عقوبة مقدرة علىٰ مَن وجب عليه العقاب، وهٰذا لا شك في حرمته ومما يدل علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ۝٨٥﴾ [النساء: ٨٥].

فالشفاعة الحسنة هي التوسط والسعي في قضاء حوائج الناس من غير الإضرار بمصالح الآخرين وحاجاتهم، وأما الشفاعة السيئة فهي السعي بتحقيق مصالح البعض علىٰ حساب الآخرين.

وكذلك كل عمل فيه إعانة على المعصية فهو داخل في الحكم، وقد يدخل هٰذا تحت الحرام والمكروه، والله تعالىٰ نهىٰ عباده عن التعاون على الحرام فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

وللمستحب مسميات عدة:

قال في مختصر التحرير: المندوب لغة: المدعو لمهم من الندب، وهو الدعاء. وشرعًا: ما أُثيب فاعله ولو قولًا وعمل قلب، ولم يُعاقب تاركه مطلقًا. ويُسمىٰ: سنة، ومستحبًا، وتطوعًا، وطاعة، ونفلًا، وقربة، ومُرَغبًا فيه، وإحسانًا، وأعلاه سنة، ثم فضيلة، ثم نافلة.

وهو تكليف، ومأمور به حقيقة فيكون للفور، ولا يلزم بشروع غير حج وعمرة، لوجوب مضي في فاسدهما ومساواة نفلهما فرضهما نية وكفارة وغيرهما[٢].

---

(١) تفسير السعدي (٩٣٥).

(٢) مختصر التحرير (١/ ٤٠٢)، وانظر أيضًا بنحو هٰذا التعريف: روضة الناظر (١/ ١٢٥).

وقال في الكوكب المنير شرح مختصر التحرير تحت تعريف المندوب:

ويسمى المندوب سنة ومستحبًّا وتطوعًا وطاعة ونفلًا وقربة ومرغَّبًا فيه وإحسانًا.

قال ابن حمدان في مقنعه:

ويسمى الندب تطوعا، وطاعة، ونفلًا، وقربة إجماعًا، لٰكن قال ابن العربي: أخبرنا الشيخ أبو تمام بمكة أنه سأل الشيخ أبا إسحاق ببغداد عن قول الفقهاء: سنة وفضيلة ونفلًا ورغيبة، فقال: هٰذا عامة في الفقهاء، ولا يقال: إلا فرض وسنة لا غير.

قال: وأما أنا فسألت أبا العباس الجرجاني بالبصرة، فقال: هٰذِه ألقاب لا أصل لها، ولا نعرفها في الشرع وأعلاه أي أعلا المندوب سنة، ثم فضيلة، ثم نافلة[١].

وقال ابن قدامة في روضة الناظر:

والندب في اللغة الدعاء إلى الفعل كما قال الشاعر:

لا يسألون أخَاهم حين يندبُهم في النائبات علىٰ ما قال برهانا

وحدّه في الشرع: مأمور لا يلحق بتركه ذم من حيث تركه من غير حاجة إلىٰ بدل[٢].

وقال الزركشي: وهو ما يمدح فاعله ولا يذم تاركه من حيث هو تارك له، فخرج بالقيد ما لو أقدم علىٰ ضد من أضداد المندوب وهو معصية في نفسه، فيلحقه الإثم إذا ترك المندوب من حيث عصيانه لا من حيث تركه المندوب. قاله في "التلخيص".

قال: وقول بعضهم ما يمدح فاعله ولا يذم تاركه باطل؛ لصدقه علىٰ فعل

---

(١) مختصر التحرير شرح الكوكب المنير (١/ ٤٠٤).

(٢) روضة الناظر وجنة المناظر (١/ ١٢٥).

الله تعالىٰ، ولا يسمىٰ ندبًا كما لا يسمىٰ مباحًا.

والندب، والمستحب، والتطوع، والسنة أسماء مترادفة عند الجمهور.

وفي "المحصول" : لفظ السنة يختص في العرف بالمندوب بدليل قولنا : هٰذا الفعل واجب أو سنة، ومنهم من قال: السنة لا تختص بالمندوب بل تتناول ما علم وجوبه أو ندبيته". ٱ هـ.

وقال القاضي حسين والبغوي: **ما عدا الفرائض ثلاثة أقسام**:

سنة: وهي ما واظب عليها النبي ﷺ .

ومستحب: وهو ما فعله مرة أو مرتين، وألحق بعضهم به ما أمر به ولم ينقل أنه فعله.

وتطوعات: وهو ما لم يرد فيه بخصوصه نقل؛ بل يفعله الإنسان ٱبتداء كالنوافل المطلقة، ورده القاضي أبو الطيب في "المنهاج" بأن النبي ﷺ حج في عمره مرة واحدة، وأفعاله فيها سنة، وإن لم تتكرر، والاستسقاء من الصلاة والخطبة لم ينقل إلا مرة، وذلك سنة مستحبة ٱ هـ.

وفي وجه ثالث: أن النفل والتطوع لفظان مترادفان وهما ما سوى الفرائض والسنن، والمستحب، ونحو ذلك أنواع لها.

وفي وجه رابع قاله الحليمي: السنة ما ٱستحب فعله وكره تركه، والتطوع ما ٱستحب فعله ولم يكره تركه.

وفي وجه خامس: حكاه في باب الوضوء من " المطلب " : السنة ما فعله ﷺ، والمستحب ما أمر به سواء فعله أو لا ، أو فعله ولم يداوم عليه، فالسنة إذا مأخوذة من الإدامة، وقيل: السنة ما ترتب كالرواتب مع الفرائض، والنفل والندب ما زاد علىٰ ذلك.

حكاه الشيخ أبو إسحاق في "اللمع" ، وقال ابن السمعاني في "القواطع" : النفل قريب من الندب إلا أنه دونه في الرتبة.

وعند المالكية ما ٱرتفعت رتبته في الأمر وبالغ الشرع في التخصيص منه

يسمىٰ سنة، وما كان في أول هٰذِه المراتب تطوعًا ونافلة، وما توسط بين هذين فضيلة ومرغبًا فيه.

وفرق أبو حامد الإسفراييني بين السنة والهيئة: بأن الهيئة ما يتهيأ بها فعل العبادة، والسنة ما كانت في أفعالها الراتبة فيها، وجعل التسمية وغسل الكفين في الوضوء من الهيئات، والمشهور أنهما سنة، والخلاف يرجع إلى العبارة[1].

متى يكون التطوع واجبا؟

والعمل التطوعي قد يتحول إلى الواجب:

وله عدة صور وهي:

أولا: الفرض الكفائي. ثانيًا: الشروع في الندب.

ثالثًا: التعيين. رابعًا: الاَلتزام

أولا: الفرض الكفائي:

الحكمة من فرض الكفاية في الإسلام:

قال العز بن عبد السلام: اَعلم أن المصالح ضربان:

أحدهما: ما يثاب علىٰ فعله لعظم المصلحة في فعله، ويعاقب علىٰ تركه لعظم المفسدة في تركه، **وهو ضربان**:

أحدهما: فرض على الكفاية كتعلم الأحكام الشرعية الزائدة علىٰ ما يتعين تعلمه على المكلفين إلىٰ نيل رتبة الفتيا، وكجهاد الطلب وجهاد الدفع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإطعام المضطرين، وكسوة العارين وإغاثة المستغيثين، والفتاوىٰ والأحكام بين ذوي الاَختصام، والإمامة العظمىٰ والشهادات، وتجهيز الأموات، وإعانة الأئمة والحكام وحفظ القرآن.

(١) البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٢٣٠).

والثاني: فرض على الأعيان كتعلم ما يتعين تعلمه من أحكام الشريعة، وقراءة الفاتحة، وأركان الصلاة، وغير ذلك من عبادات الأعيان، وكذلك الحج والعمرة والصلوات والزكاة والصيام.

واعلم أن المقصود لفرض الكفاية تحصيل المصالح ودرء المفاسد دون ٱبتلاء الأعيان بتكليفه، والمقصود بتكليف الأعيان حصول المصلحة لكل واحد من المكلفين علىٰ حدته؛ لتظهر طاعته أو معصيته، فلذلك لا يسقط فرض العين إلا بفعل المكلف به، ويسقط فرض الكفاية بفعل القائمين به دون من كلف به في ٱبتداء الأمر.

أما سقوطه عن فاعليه فلأنهم قاموا بتحصيل مصلحته، وأما سقوطه عن الباقين فلتعذر التكليف به، والتكليف تارة يسقط بالامتثال، وتارة يسقط بتعذر الأمتثال، فإذا خاض في فرض الكفاية مَن يستقل به ثم لحقه آخرون قبل تحصيل مصلحته، كان ما فعلوه فرضًا وإن حصلت الكفاية بغيرهم؛ لأن مصلحته لم تحصل بعد ذلك، ولذلك أمثلة:

أحدها: أن يخرج إلى العدو من يستقل بدفعهم ثم يلحق بهم آخرون قبل ٱنقضاء القتال، فيكتب لهم أجر الفرض، وإن تفاوتت رتبهم في الثواب بقلة العمل وكثرته.

المثال الثاني: أن يقوم بغسل الميت أو تكفينه أو الصلاة عليه أو حمله أو دفنه مَن تحصل به الكفاية، ثم يلحقهم من يشاركهم في ذلك، فيكون له أجر فرض الكفاية علىٰ قدر عمله.

المثال الثالث: أن يشتغل بعلم الشرع من تحصل به الكفاية الواجبة، ثم يلحق بهم من يشتغل به فيكون مفترضا؛ لأن المصلحة لم تكمل بعد...

الضرب الثاني من المصالح: ما يثاب علىٰ فعله ولا يعاقب علىٰ تركه وهو ضربان:

أحدهما: سنة على الكفاية كالأذان والإقامة، وتسليم بعض الجماعة علىٰ

من مرُّوا به من أهل الإسلام، وتشميت العاطس، وما يفعل بالأموات مما نُدب إليه.

والثاني: سنة على الأعيان كالرواتب، وصيام الأيام الفاضلة، وصلاة العيدين والكسوفين، والتهجد وعيادة المرضىٰ، والاعتكاف والتطوع بالنسكين، والطواف من غير نسك، والصدقات المندوبات، ومصالح هٰذا دون مصالح الواجب.

والمفاسد ضربان:

أحدهما: ما يعاقب علىٰ فعله ويؤجر علىٰ تركه إذا نوىٰ بتركه القربة كالتعرض للدماء والأبضاع والأعراض والأموال.

والثاني: ما لا يعاقب علىٰ فعله وتفوته مصلحة بتركه كالصلاة في الأوقات المكروهات، وغمس اليدين في الإناء قبل غسلهما لمن قام من المنام، وترك السنن المشروعات في الصلوات[١].

وقال الشاطبي في الموافقات:

المقاصد الشرعية ضربان: مقاصد أصلية ومقاصد تابعة.

فأما المقاصد الأصلية: فهي التي لاحظ فيها للمكلف وهى الضروريات المعتبرة في كل ملة، وإنما قلنا: إنها لا حظَّ فيها للعبد من حيث هي ضرورية؛ لأنها قيام بمصالح عامة مطلقة لا تختص بحال دون حال، ولا بصورة دون صورة، ولا بوقت دون وقت؛ لكنها تنقسم إلىٰ: ضرورية عينية وإلىٰ ضرورية كفائية.

فأما كونها عينية فعلىٰ كل مكلف في نفسه فهو مأمور بحفظ دينه ٱعتقادًا وعملًا، وبحفظ نفسه قيامًا بضرورية حياته، وبحفظ عقله حفظًا لمورد الخطاب من ربه إليه، وبحفظ نسله التفاتًا إلىٰ بقاء عوضه في عمارة هٰذِه

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ٤٦) بتصرف يسير.

الدار، ورعيًا له عن وضعه في مضيعة ٱختلاط الأنساب العاطفة بالرحمة على المخلوق من مائه، وبحفظ ماله ٱستعانة علىٰ إقامة تلك الأوجه الأربعة ويدل علىٰ ذلك أنه لو فرض ٱختيار العبد خلاف هٰذِه الأمور لحجر عليه، ولحيل بينه وبين ٱختياره؛ فمن هنا صار فيها مسلوب الحظ محكومًا عليه في نفسه، وإن صار له فيها حظ فمن جهة أخرىٰ تابعة لهٰذا المقصد الأصلي.

وأما كونها كفائية: فمن حيث كانت منوطة بالغير أن يقوم بها على العموم في جميع المكلفين؛ لتستقيم الأحوال العامة التي لا تقوم الخاصة إلا بها، إلا أن هٰذا القسم مكمِّل للأول فهو لاحق به في كونه ضروريًا؛ إذ لا يقوم العيني إلا بالكفائي وذلك أن الكفائي قيام بمصالح عامة لجميع الخلق فالمأمور به من تلك الجهة مأمور بما لا يعود عليه من جهته تخصيص؛ لأنه لم يؤمر إذ ذاك بخاصة نفسه فقط، وإلا صار عينيًّا بل بإقامة الوجود وحقيقته أنه خليفة الله فعبادته علىٰ حسب قدرته وما هُيء له من ذلك، فإن الواحد لا يقدر علىٰ إصلاح نفسه والقيام بجميع أهله فضلًا عن أن يقوم بقبيلة فضلًا عن أن يقوم بمصالح أهل الأرض فجعل الله الخلق خلائف في إقامة الضروريات العامة حتىٰ قام الملك في الأرض.

ويدلك علىٰ أن هٰذا المطلوب الكفائي مُعَرىٰ من الحظّ شرعًا أن القائمين به فيٰ ظاهر الأمر ممنوعون من ٱستجلاب الحظوظ لأنفسهم بما قاموا به من ذلك، فلا يجوز لِوالٍ أن يأخذ أجرة ممن تولاهم علىٰ ولايته عليهم، ولا لقاض أن يأخذ من المقضي عليه أو لهُ أُجرة علىٰ قضائه، ولا لحاكم علىٰ حكمه، ولا لمفت علىٰ فتواه، ولا لمحسن علىٰ إحسانه، ولا لمُقرِض علىٰ قرضه، ولا ما أشبه ذلك من الأمور العامة التي للناس فيها مصلحة عامة، ولذلك ٱمتنعت الرشا والهدايا المقصود بها نفس الولاية؛ لأن ٱستجلاب المصلحة هنا مؤد إلىٰ مفسدة عامة تضاد حكمة الشريعة في نصب هٰذِه الولايات.

وعلىٰ هٰذا المسلك يجرى العدل في جميع الأنام، ويصلح النظام، وعلىٰ خلافه يجري الجور في الأحكام، وهدم قواعد الإسلام، وبالنظر فيه يتبين أن العبادات العينية لا تصح الإجارة عليها، ولا قصد المعاوضة فيها، ولا نيل مطلوب دنيوي بها وأن تركها سبب للعقاب والأدب، وكذلك النظر في المصالح العامة موجب تركها للعقوبة؛ لأن في تركها أي مفسدة في العالم.

وأما المقاصد التابعة: فهي التي روعي فيها حظ المكلف، فمن جهتها يحصل له مقتضىٰ ما جُبِل عليه من نيل الشهوات والاستمتاع بالمباحات، وسد الخلات، وذلك أن حكمة الحكيم الخبير حكَمت أن قيام الدين والدنيا إنما يصلح ويستمر بدواع من قِبَل الإنسان تحمله على ٱكتساب ما يحتاج إليه هو وغيره، فخلق له شهوة الطعام والشراب إذا مسه الجوع والعطش؛ ليحركه ذلك الباعث إلى التسبب في سد هٰذِه الخلة بما أمكنه؛ وكذلك خلق له الشهوة إلى النساء؛ لتحركه إلى ٱكتساب الأسباب الموصلة إليها، وكذلك خلق له الٱستضرار بالحر والبرد والطوارق العارضة، فكان ذلك داعية إلى ٱكتساب اللباس والمسكن، ثم خلق الجنة والنار، وأرسل الرسل مبينة أن الٱستقرار ليس هٰهنا، وإنما هٰذِه الدار مزرعة لدار أخرىٰ، وأن السعادة الأبدية والشقاوة الأبدية هنالك، لكنها تكتسب أسبابها هنا بالرجوع إلىٰ ما حدَّه الشارع، أو بالخروج عنه، فأخذ المكلف في ٱستعمال الأمور الموصلة إلىٰ تلك الأغراض، ولم يجعل له قدرة على القيام بذلك وحده لضعفه عن مقاومة هٰذِه الأمور، فطلب التعاون بغيره فصار يسعىٰ في نفع نفسه، واستقامة حاله بنفع غيره فحصل الٱنتفاع للمجموع بالمجموع، وإن كان كل أحد إنما يسعىٰ في نفع نفسه.

فمن هٰذِه الجهة صارت المقاصد التابعة خادمة للمقاصد الأصلية ومكملة لها، ولو شاء الله لكلف بها مع الإعراض عن الحظوظ، أو لكلف بها مع سلب الدواعي المجبول عليها، لكنه ٱمتنَّ علىٰ عباده بما جعله وسيلة إلىٰ

ما أراده من عمارة الدنيا للآخرة، وجعل الاكتساب لهٰذِه الحظوظ مباحًا لا ممنوعًا، لٰكن علىٰ قوانين شرعية هي أبْلَغ في المصلحة وأجرىٰ على الدوام مما يعده العبد مصلحة ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ولو شاء لمنعنا في الاكتساب الأخروي القصد إلى الحظوظ؛ فإنه المالك وله الحجة البالغة، ولكنه رغَّبَنا في القيام بحقوقه الواجبة علينا بوعد حظي لنا، وعجَّل لنا من ذلك حظوظًا كثيرة نتمتع بها في طريق ما كلفنا به، فبهذا اللحظ قيل: إن هٰذِه المقاصد توابع، وإن تلك هي الأصول، فالقسم الأول يقتضيه محض العبودية، والثاني يقتضيه لطف المالك بالعبيد(١).

ولهذه المصالح والغايات قدم بعض العلماء الفرض الكفائي على العيني في الرتبة؛ لأن منفعته متعدية.

قال الزركشي:

قيل: القيام بفرض الكفاية أولىٰ من القيام بفرض العين؛ لأنه يسقط فيها الفرض عن نفسه وعن غيره، وفي فرض العين يسقط الفرض عن نفسه فقط حكاه الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني في "شرح كتاب الترتيب".

وجزم به الشيخ أبو محمد الجويني في كتابه "المحيط بمذهب الشافعي" وكذلك ولده إمام الحرمين في كتابه "الغياثي"، وهو ظاهر على القول بوجوب الكفاية على البعض، ووهم بعضهم فحكىٰ عن من ذكر أن فرض الكفاية أفضل من فرض العين، وهو غلط فإن كلامهم إنما هو في القيام بهٰذا الجنس أفضل من ذلك، ثم عبارة الجويني: " وللقائم به مزيَّة "، ولا يلزم من المزية الأفضلية.

علىٰ أن الشافعي نص ما ينازع في ذلك، ففي "الأم": إن قطع الطواف المفروض لصلاة الجنازة أو الرواتب مكروه، إذ لا يحسن ترك فرض العين

(١) الموافقات (٢/ ٣٠٠ - ٣٠٤).

لفرض الكفاية، وجرىٰ عليه الأصحاب، ومنهم الرافعي في بابه، وقال الغزالي في "الإحياء" في شروط الاشتغال بعلم الخلاف: أن لا يشتغل به- وهو من فروض الكفايات - مَن لم يتفرغ عن فروض الأعيان.

قال: ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض الكفاية، وزعم أن مقصوده الحق فهو كذاب.

ومثاله: من ترك الصلاة في نفسه وتبحر في تحصيل الثياب ونسجها قصدًا لستر العورات. اهـ.

وبتقدير تسليمه فكان بعض مشايخنا يخصصه بمن سبق إليه أولا.

أما من فعله ثانيًا فلا يكون في حقه أفضل من فرض العين؛ لأن السقوط حصل بالأول، وإن كنا نسمي فعل الآخرين فرضًا علىٰ رأي.

وقال الشيخ كمال الدين الزملكاني: ما ذكر من تفضيل فرض الكفاية علىٰ فرض العين محمول علىٰ ما إذا تعارضا في حق شخص واحد، ولا يكون ذلك إلا عند تعينها وحينئذ هما فرضا عين، وما يسقط الحرج عنه وعن غيره أولىٰ، وأما إذا لم يتعارضا، وكان فرض العين متعلقًا بشخص، وفرض الكفاية له من يقوم به، ففرض العين أولىٰ[١].

معنى الفرض الكفائي، والفرق بين فرض الكفاية وفرض العين:

قال الزركشي في البحر المحيط تحت فصل في فرض الكفاية:

قال الغزالي في تعريفه: كل مهم ديني يراد حصوله ولا يقصد به عين من يتولاه.

فخرج بالقيد الأخير فرض العين، ومعنىٰ هٰذا أن المقصود من فرض الكفاية وقوع الفعل من غير نظر إلىٰ فاعله، بخلاف فرض العين فإن المقصود منه الفاعل، وجعله بطريق الأصالة، لٰكن الحق: أن فرض

(١) البحر المحيط (١/ ٢٠١ - ٢٠٢).

الكفاية لا ينقطع النظر عن فاعله بدليل الثواب والعقاب.

نعم ليس الفاعل فيه مقصودًا بالذات بل بالعرَض، إذ لا بد لكل فعل من فاعل، والقصد بالذات وقوع الفعل، وقوله: "ديني" بناه علىٰ رأيه أن الحرف والصناعات وما به قوام المعاش ليس من فرض الكفاية كما صرح به في "الوسيط" تبعًا لإمامه.

لٰكن الصحيح خلافه، ولهٰذا لو تركوه أثموا، وما حرم تركه وجب فعله[١].

وقال في الكوكب المنير: ومتىٰ طُلِب أَيْ طُلب فعل العبادة من كل واحد بالذات، أو من معين، كالخصائص النبوية.

قال الإمام أحمد: خص النبي ﷺ بموجبات ومحظورات ومباحات وكرامات "ف" إن كان الطلب مع جزم كالصلوات الخمس وصيام رمضان. فالمطلوب فرض عين.

و إن كان الطلب بدونه أي بدون جزم، كالسنن الرواتب، وصوم يوم وإفطار يوم، فالمطلوب سنة عين، وإن طلب الفعل أي حصوله فقط "ف" طلبه مع جزم كالجهاد ونحوه فرض كفاية، وطلب حصوله بدونه أي بدون جزم. كابتداء السلام من جمع فهو سنة كفاية.

والفرق بين فرض العين وفرض الكفاية: أن فرض العين ما تكررت مصلحته بتكرره، كالصلوات الخمس وغيرها.

فإن مصلحتها الخضوع لله وتعظيمه ومناجاته والتذلل والمثول بين يديه.

وهٰذِه الآداب تكرر كلما كررت الصلاة.

وفرض الكفاية: ما لا تتكرر مصلحته بتكرره.

كإنجاء الغريق وغسل الميت ودفنه ونحوها، فهما متباينان تباين النوعين

---

(١) المصدر السابق.

وهما أي فرض الكفاية، وسنة الكفاية مهم أي أمر يهتم به، يقصد من قبل الشرع حصوله من غير نظر بالذات إلىٰ فاعله فدخل في ذلك نحو الحرف والصناعات، وقوله " من غير نظر .. إلخ " مخرج لفرض العين وسنة العين؛ لأن ما من فعل يتعلق به الحكم إلا وينظر فيه الفاعل، حتىٰ يثاب علىٰ واجبه ومندوبه، ويعاقب علىٰ ترك الواجب إن لم يعف عنه.

وإنما يفترقان في كون المطلوب عينًا يختبر به الفاعل ويمتحن، ليُثاب أو يعاقب.

والمطلوب على الكفاية يقصد حصوله قصدًا ذاتيًا، وقصد الفاعل فيه تبع لا ذاتي وفرض الكفاية واجب على الجميع عند الجمهور.

قال الإمام أحمد: الغزو واجب على الناس كلهم، فإذا غزا بعضهم أجزأ عنهم.

وقال الإمام الشافعي في الأم: حق على الناس غسل الميت، والصلاة عليه ودفنه، لا يسع عامتهم تركه.

وإذا قام به مَن فيه كفاية أجزأ عنهم إن شاء الله تعالىٰ، ويسقط الطلب الجازم والإثم في فرض الكفاية بفعل من يكفي رخصة وتخفيفًا؛ لحصول المقصود، ويجب عينا علىٰ مَن ظن أن غيره لا يقوم به أي بفرض الكفاية؛ لأن الظن مناط التعبد.

وإن فعله أي فعل المطلوب حصوله الجميع معًا أي غير مرتب كان فرضًا في حق الجميع لعدم ما يقتضي تمييز بعضهم، وفرض العين أفضل من فرض الكفاية؛ لأن فرض العين أهم، ولأجل ذلك وجب على الأعيان. وهٰذا قول الأكثر[1].

وقال ابن قدامة في روضة الناظر:

---

(١) شرح الكوكب المنير (١/ ٣٧٧).

الأمر لجماعة يقتضي وجوبه علىٰ كل واحد منهم، ولا يسقط الواجب عنهم بفعل واحد منهم إلا أن يدل عليه دليل أو يرِد الخطاب بلفظ لا يعم، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤] فيكون فرض كفاية.

فإن قيل: ما حقيقة فرض الكفاية أهو واجب على الجميع ويسقط بفعل البعض، أم علىٰ واحد غير معين كالواجب المخير، أم واجب علىٰ من حضر دون من غاب كحاضر الجنازة مثلا؟

قلنا: بل واجب على الجميع ويسقط بفعل البعض بحيث لو فعله الجميع نال الكل ثواب الفرض، ولو ٱمتنعوا عم الإثم الجميع، ويقاتلهم الإمام علىٰ تركه، وسقوط الفرض بدون الأداء ممكن إما بالنسخ أو بسبب آخر.

أما الإيجاب علىٰ واحد لا بعينه فمحال؛ لأن المكلف ينبغي أن يعلم أنه مكلف وإذا أبهم الوجوب لم يعلم بخلاف إيجاب خصلة من خصلتين فإن التخيير فيهما لا يوجب تعذر الأمتثال(١).

ثانيا: الشروع في الندب:

وقد ٱختلف أهل العلم في الشروع في العمل التطوعي هل يلزم المكلف إتمامه، أم هو مخير بين الإتمام والإمضاء وبين الترك؟

والأصل عدم الإلزام إلا في حالات يترتب عليها مفاسد وهلاك لآخرين، كالتقاط اللقيط، وإغاثة المنكوبين لمن قدر علىٰ إغاثتهم، وإنقاذ الغريق لمن كان ماهرًا بالسباحة، والجهاد لمن شرع فيه، والحج، والنذر وما كان علىٰ هٰذا المنوال.

قال في الكوكب المنير: ولا يلزم المندوب بشروع؛ بل هو مخير فيه بين إتمامه وقطعه.

---

(١) روضة الناظر (١/ ٢٠٨).

وذلك: لأن النبي ﷺ كان ينوي صوم التطوع، ثم يفطر. رواه مسلم وغيره[1].

وأما قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣] فيحمل على التنزيه، جمعًا بين الدليلين.

هٰذا إن لم يفسر بطلانها بالردة، بدليل الآية التي قبلها، أو أن المراد: ولا تبطلوها بالرياء، نقله ابن عبد البر عن أهل السنة.

ونقل عن المعتزلة تفسيرها بمعنىٰ لا تبطلوها بالكبائر، لٰكن الظاهر تفسيرها بما تقدم.

وقال مالك وأبو حنيفة رضي الله تعالىٰ عنهما: يلزم بالشروع، واحتجا بحديث الأعرابي: "هل علي غيرها؟ قال: لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ"[2]. أي: فيلزمك التطوع إن تطوعت، وإن كان تطوعًا في أصله.

وعندنا أن الاستثناء منقطع، بدليل أن النبي ﷺ قد أبطل تطوعه بفطره بعد نية الصوم، ومحل الخلاف غير حج وعمرة، لوجوب مضيٍّ في فاسدهما فإتمام صحيح تطوعهما أولىٰ بوجوب المضي فيه..

وعن الإمام أحمد رحمه الله رواية أخرىٰ بوجوب إتمام صوم التطوع ولزوم القضاء إن أفطر.

وعنه ثالثة: يلزم إتمام الصلاة دون الصوم؛ لأنها ذات إحرام وإحلال، كالحج.

وأما ما عدا ذلك؛ كالصدقة المتطوع بها، والقراءة والأذكار: فلا يلزم إتمامها بالشروع فيها، وفاقًا للأئمة الأربعة.

وقال ابن القيم: منها: أن الجهاد يلزم بالشروع فيه حتىٰ إن من لبس

---

(١) أخرجه مسلم (١١٥٤) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١) عن طلحة بن عبيد الله ﷺ.

لأمته، وشرع في أسبابه، وتأهَّب للخروج ليس له أن يرجع عن الخروج حتىٰ يقاتل عدوه[١].

وقال شيخ الإسلام في حديث " إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّىٰ يُقَاتِلَ" :[٢] يعنىٰ أن الجهاد يلزم بالشروع كما يلزم الحج لا يجوز ترك ما شرع فيه منه إلا عند العجز بالإحصار في الحج[٣].

وقال أيضًا: والجهاد يلزم بالشروع، كما أن الكتاب يلزم بالشروع، كما قال النبي ﷺ: "مَا مِنَ ٱمْرِئٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، ثُمَّ يَنْسَاهُ، إِلَّا لَقِيَ اللهَ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْذَمَ"[٤]، فقد قال: "مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا"، وفي رواية: "فقد عَصىٰ"، وهو في الصحيح[٥].

وإذا كانت الصلاة التي يتلىٰ فيها الكتاب يتعين وقتها بالفعل، فتلزم بالشروع، فكذلك الجهاد، فإذا صار المسلمون حذوهم أو حاصروا حصنهم لم يكن لهم الٱنصراف حتىٰ يقضى الجهاد، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥]. وقد أمر سبحانه بالأمرين في حال القتال، فقال: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] فأمر بالثبات الذي هو مقصود الجهاد[٦].

---

(١) زاد المعاد (٣/ ١٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٤٧٨٧)، والدارمي (٢١٥٩) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وصححه الألباني بشواهده، ٱنظر: الصحيحة (١١٠٠).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٤/ ٢٥١).

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٧٤)، وأحمد (٢٢٤٥٦)، والدارمي (٣٣٤٠)، وعبد الرزاق (٥٩٨٩) عن سعد بن عبادة ﷺ، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٢٦١)، وانظر: الضعيفة (١٣٥٤).

(٥) أخرجه مسلم (١٩١٩) عن عقبة بن عامر ﷺ.

(٦) جامع المسائل (٦/ ٣١٤).

وقال الحافظ علىٰ حديث: طلحة بن عُبيد الله، أن أعرابيًا جاء إلىٰ رسول الله، ثائر الرأس، فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض الله علىٰ من الصلاة؟ قال: الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ شَيْئًا[١].

قوله: (تطَّوَّع) بتشديد الطاء والواو، وأصله تتطوع بتاءين فأدغمت إحداهما، ويجوز تخفيف الطاء علىٰ حذف إحداهما، واستدل بهٰذا علىٰ أن الشروع في التطوع يوجب إتمامه تمسكًا بأن الٱستثناء فيه متصل.

قال القرطبي: لأنه نفىٰ وجوب شيء آخر إلا ما تطوع به، والاستثناء من النفي إثبات، ولا قائل بوجوب التطوع؛ فيتعين أن يكون المراد: إلا أن تشرع في تطوع فيلزمك إتمامه.

وتعقبه الطيبي بأن ما تمسك به مغالطة؛ لأن الٱستثناء هنا من غير الجنس؛ لأن التطوع لا يقال فيه: عليك، فكأنه قال: لا يجب عليك شيء إلا إن أردت أن تطوع فذلك لك، وقد علم أن التطوع ليس بواجب، فلا يجب شيء آخر أصلًا، كذا قال.

وحرف المسألة دائر على الٱستثناء فمن قال: إنه متصل تمسك بالأصل، ومن قال: إنه منقطع ٱحتاج إلىٰ دليل، والدليل عليه ما روى النسائي وغيره أن النبي ﷺ كان أحيانًا ينوي صوم التطوع ثم يفطر[٢].

وفي البخاري أنه أمر جويرية بنت الحارث أن تفطر يوم الجمعة بعد أن شرعت فيه[٣].

فدل علىٰ أن الشروع في العبادة لا يستلزم الإتمام إذا كانت نافلة بهٰذا النص في الصوم وبالقياس في الباقي .**فإن قيل**: يرد الحج؟

قلنا: لا؛ لأنه ٱمتاز عن غيره بلزوم المضي في فاسده فكيف في صحيحه!

---

(١) سبق تخريجه. (٢) سبق تخريجه، وهو في مسلم.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٨٦).

وكذلك ٱمتاز بلزوم الكفارة في نفله كفرضه والله أعلم.

علىٰ أن في ٱستدلال الحنفية نظرًا لأنهم لا يقولون بفرضية الإتمام؛ بل بوجوبه، واستثناء الواجب من الفرض منقطع لتباينهما، وأيضًا فإن الٱستثناء من النفي عندهم ليس للإثبات بل مسكوت عنه، وقوله: إلا أن تطوع ٱستثناء من قوله: لا، أي: لا فرض عليك غيرها[١].

وقال الزركشي:

فرض الكفاية يلزم بالشروع على المشهور، قاله ابن الرفعة في " المطلب " في كتاب الوديعة، وأشار في باب اللقيط إلىٰ أن عدم اللزوم إنما هو بحث للإمام، ولهٰذا قالوا: يتعين الجهاد بحضور الصف، ويلزمه إتمام الجنازة على الأصح بالشروع، وأما تجويزهم الخروج من صلاة الجماعة مع القول بأنها فرض كفاية فبعيد، ولم يرجح الرافعي والنووي في هٰذِه القاعدة شيئًا بخصوصه، وإنما صححوا في أفراد مسائلها ما يخالف الآخر، وحُكي عن القاضي الحسين: أن المتعلم إذا أنس من نفسه النجابة أنه يحرم عليه القطع، وصحَّحا خلافه؛ لأن الشروع لا يغير حكم المشروع فيه بخلاف الجهاد.

وقال القاضي البارزي في "تمييزه" : ولا يلزم فرض الكفاية بالشروع على الأصح إلا في الجهاد وصلاة الجنازة.

وأطلق الغزالي في "الوجيز" أنه لا يلزم، وقال في "الوسيط" : وذكر بعض الأصحاب أنه يتعين بالشروع[٢].

وقال ابن رجب في القواعد: من شرع في عبادة تلزم بالشروع ثم فسدت، فعليه قضاؤها علىٰ صفة التي أفسدها سواء كانت واجبة في الذمة علىٰ تلك

---

(١) فتح الباري (١/ ١٠٧).

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٢٠١).

الصفة أو دونها ويتخرج علىٰ ذلك مسائل:

منها: إذا صلى المسافر خلف مقيم وفسدت صلاته فإنه يجب عليه قضاؤها تامة.

ومنها: إذا أحرم من بلده ثم أفسد نسكه بجماع وجب قضاؤه والإحرام من موضع إحرامه أولًا نص عليه أحمد بخلاف ما إذا أحصر في نسكه ذاك ثم قضاه فإنه لا يلزمه الإحرام إلا من الميقات، نص عليه أيضًا؛ لأن المحصر فيه لم يلزمه إتمامه.

ومنها: إذا عين عما في ذمته من الهدي والأضحية ما هو أزيد صفة من الواجب ثم تلف، فإن كان تلفه بتفريطه فعليه إبداله بمثله وإن كان بغير تفريط ففيه وجهان حكاهما القاضي في شرح المذهب، وجزم صاحب المغني بأنه لا يلزمه أكثر مما كان في ذمته؛ لأن الزيادة وجبت بتعيينه وقد تلفت بغير تفريط فسقطت كما لو عين هديا تطوعا ثم تلف.

ومنها: لو نذر ٱعتكافًا في شهر رمضان ثم أفسده فهل يلزمه قضاؤه في مثل تلك الأيام؟

علىٰ وجهين، وظاهر كلام أحمد لزومه، وهو ٱختيار ابن أبي موسىٰ؛ لأن في الٱعتكاف في هٰذا الزمن فضيلة لا توجد في غيره فلا يجزئ القضاء في غيره، كما لو نذر الٱعتكاف في المسجد الحرام ثم أفسده فإنه يتعين القضاء فيه، ولأن نذر ٱعتكافه يشتمل علىٰ نذر ٱعتكاف ليلة القدر فتعين؛ لأن غيرها لا يساويها. وعلىٰ هٰذا فنقول: لو نذر ٱعتكاف عشرة أيام فشرع في ٱعتكافها في أول العشر الأواخر ثم أفسده لزمه قضاؤه في العشر مِن قابِل؛ لأن ٱعتكاف العشر لزمه بالشروع عن نذره فإذا أفسده لزمه قضاؤه علىٰ صفة ما أفسده[1].

(١) القواعد لابن رجب (ص ٤٠-٤١).

ثالثا: التعيين:

إذا ألزم الإمام شخصًا بعمل صار في حقه لازمًا.

قال الزركشي:

هل يتعين فرض الكفاية بتعيين الإمام؟

فيه خلافٌ، صنف فيه ابن التلمساني، وقد ذكر الصيدلاني: أن الإمام لو أمر شخصًا بتجهيز ميت تعين عليه، وليس له ٱستنابة غيره، ولا أجرة له[١].

وقال أيضًا: وفي "الٱستذكار" للدارمي في باب الٱعتكاف: إذا دخل في عمل تطوع، ثم نواه واجبًا فحكىٰ أبو حامد أن المروزي قال: يجب، وقال غيره: لا يجب.

وهل يجب بأمر الإمام؟ ينظر فإن كان من الشعائر الظاهرة وجب كما لو أمرهم بالاستسقاء في الجدب تجب طاعته، وإن لم يكن من الشعائر الظاهرة لا يجب كما لو أمرهم بالعتق وصدقة التطوع.

وأفتى النووي بأنه إذا أمرهم بصيام ثلاثة أيام من الٱستسقاء وجب ٱمتثال أمره، وتوقَّف فيه بعضهم؛ لأنه ليس من الشعائر الظاهرة، فهو يشبه أمره بالصدقة، وذكروا في السير: أن الإمام يأمرهم بصلاة العيد، وهل هو واجب أو مستحب؟ فيه وجهان.

قال في " الروضة ": قلت: الصحيح وجوب الأمر، وإن قلنا: صلاة العيد سنة؛ لأن الأمر بالمعروف والطاعة لا سيما ما كان شعارًا ظاهرًا.

ويجوز أن يكون بعض المندوب آكد من بعض، ولهٰذا يقولون: سنة مؤكدة، ولا يجيء فيه الخلاف السابق في الواجب كما ٱقتضاه كلام القاضي وغيره، والمراد تفاصيل الأجور والثواب، وإن تساوت في الترك.

وقسم الفقهاء السنن إلىٰ أبعاض وهيئات فخصوا ما تأكد أمره باسم

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٢٠١).

البعض كأنه لتأكده صار كالجزء، وهو ٱصطلاح خاص[١].

رابعا: الالتزام.

فقد يلزم الإنسان نفسه بأمر لم يلزمه به رب العلمين فيتعين عليه الوفاء بما التزم به.

جاء في الموسوعة الفقهية: والالتزام: إلزام الشخص نفسه ما لم يكن لازمًا له، أي ما لم يكن واجبا عليه قبل، وهو بهٰذا المعنىٰ شامل للبيع والإجارة والنكاح وسائر العقود.

وهٰذا المعنى اللغوي جرت عليه ٱستعمالات الفقهاء، حيث تدل تعبيراتهم علىٰ أن الٱلتزام عام في التصرفات الٱختيارية، وهي تشمل جميع العقود، سواء في ذلك المعاوضات والتبرعات.

وهو ما ٱعتبره الحطاب ٱستعمالًا لغويًا، فقد عرفه بأنه: إلزام الشخص نفسه شيئًا من المعروف مطلقًا، أو معلقًا علىٰ شيء، فهو بمعنى العطية، فدخل في ذلك الصدقة والهبة والحبس الوقف والعارية والعمرىٰ والعرية والمنحة والإرفاق والإخدام والإسكان والنذر.

ثم فصَّلوا أنواع الٱلتزامات التي يجب الوفاء بها فذكروا أن:

الالتزام بأحكام الإسلام أمر واجب علىٰ كل مسلم.

ومن ذلك ما أوجبه عليه من عقوبات وضمان مُتلَفات والقيام بالنفقات وأعمال الولاية. أما بالنسبة لتصرفات الإنسان الٱختيارية فالأصل فيها الإباحة. إذ لكل إنسان الحرية في أن يتصرف التصرف المشروع الذي يلتزم به أمرًا، ما دام ذلك لم يمس حقًّا لغيره.

وقد تعرِض له الأحكام التكليفية الأخرىٰ. فيكون واجبًا، كبذل المعونة بيعًا أو قرضًا أو إعارة للمضطر لذلك. وكوجوب قبول الوديعة إذا لم يكن

(١) المصدر السابق (١/ ٢٣٤).

من يصلح لذلك غيره، وخاف إن لم يقبل أن تهلك.

ويكون مندوبًا، إذا كان من باب التبرعات التي تعين الناس علىٰ مصالحهم، لأنه إرفاق بهم، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ولقول النبي ﷺ: «**كلُّ مَعرُوفٍ صَدَقَة**»[١]. ويكون حرامًا إذا كان فيه إعانة علىٰ معصية، ولذلك لا يصح إعارة الجارية لخدمة رجل غير محرم، ولا الوصية بخمر لمسلم، ولا نذر المعصية. ويكون مكروهًا، إذا أعان علىٰ مكروه، كمن يفضل بعض أولاده في العطية.

والأصل في الالتزام أنه يجب الوفاء به امتثالًا لقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، والمراد بالعقود كما يقول الفقهاء: ما عقده المرء علىٰ نفسه من بيع وشراء وإجارة وكراء ومناكحة وطلاق ومزارعة ومصالحة وتمليك وتخيير وعتق وتدبير، وكذلك العهود والذمم التي نعقدها لأهل الحرب وأهل الذمة والخوارج، وما عقده الإنسان علىٰ نفسه لله تعالىٰ من الطاعات كالحج والصيام والاعتكاف والنذر واليمين وما أشبه ذلك، فيلزم الوفاء بها.

وقول النبي ﷺ: «**المسْلِمُون عَلَىٰ شُروطِهِم**»[٢]. عام في إيجاب الوفاء بجميع ما يشرطه الإنسان علىٰ نفسه، ما لم تقم دلالة تخصصه.

لكن هٰذا الحكم ليس عامًا في كل الالتزامات، وذلك لتنوع الالتزامات بحسب اللزوم وعدمه وبيان ذلك فيما يأتي:

١- الالتزامات التي يجب الوفاء بها.

- الالتزامات التي تنشأ بسبب العقود اللازمة بين الطرفين، كالبيع والإجارة والصلح وعقود الذمة، فهٰذه الالتزامات متىٰ تمت صحيحة لازمة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢١)، ومسلم (١٠٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٩٤)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٣٠٣).

وجب الوفاء بها ما لم يحدث ما يقتضي الفسخ، كالهلاك والاستحقاق والرد بالعيب، وهٰذا شامل للأعيان الواجب تسليمها، وللديون التي تكون في الذمم كبدل القرض وثمن المبيع والأجرة في الإجارة أو التي تنشأ نتيجة إنفاذ مال الغير علىٰ خلاف وتفصيل.

- الالتزامات التي تنشأ نتيجة التعدي بالغصب أو السرقة أو الإتلاف أو التفريط.

- الأمانات التي تكون عند الملتزم، سواء أكانت بموجب عقد كالوديعة، أم لم تكن كاللقطة وكمن أطارت الريح ثوبًا إلىٰ داره.

-نذر القربات، وهو ما يلتزم به الإنسان من قربات بدنية أو مالية طاعة وتقربًا إلىٰ الله ﷻ.

- الالتزامات التكليفية الشرعية، ومنها النفقات الواجبة.

فهٰذِه الٱلتزامات لا خلاف في وجوب الوفاء بها، منجَّزة إن كانت كذلك، وبعد تحقق الشرط المشروع إن كانت معلقة، وعند دخول الوقت إن كانت مضافة، وسواء أكان الوفاء لا يجب إلا بعد الطلب أم يجب بدونه. ويتحقق الوفاء بالأداء والتسليم أو القيام بالعمل أو الإبراء أو المقاصة وهكذا.

ودليل الوجوب الآية السابقة، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١]، وقوله تعالىٰ: ﴿يُوفُوا نُذُورهُم﴾ [الحج: ٢٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

والتخلف عن الوفاء بغير عذر يستوجب العقوبة الدنيوية والأخروية، إذ العقوبة واجبة لقول النبي ﷺ: «**لَيُّ الوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ**»[1]. فعقوبته

---

(١) أخرجه النسائي (٤٦٨٩)، وأبو داود (٣٦٢٨)، وابن ماجه (٢٤٢٧)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٤٣٤).

حبسه، وعرضه أن يحل القول في عرضه بالإغلاظ.

وقال النبي ﷺ: «**مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ**»[(١)].

ولذلك يجبر الممتنع عن الوفاء بالضرب أو الحبس أو الحجر ومنع التصرف في المال، أو بيع مال الملتزم والوفاء منه.

إلا إذا كان الملتزم معسرًا فيجب إنظاره لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

٢- التزامات يستحب الوفاء بها ولا يجب:

- الالتزامات التي تنشأ من عقود التبرعات كالقرض والهبة والعارية والوصية.

- الالتزام الناشئ بالوعد، فهٰذِه الألتزامات يستحب الوفاء بها، لأنها من المعروف الذي ندب إليه الشارع، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]

ويقول النبي ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ**»[(٢)]. ويقول: «**تَهَادوا تَحَابُّوا**»[(٣)].

لكن لا يجب الوفاء بها، ففي الوصية يجوز بالاتفاق الرجوع فيها ما دام الموصي حيًّا.

وفي العارية والقرض يجوز الرجوع بطلب المستعار وبدل القرض في الحال بعد القبض، وهٰذا عند غير المالكية، بل قال الجمهور: إن المقرض إذا أجل القرض لا يلزمه التأجيل، لأنه لو لزم فيه الأجل لم يبق تبرعًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، وأبو يعلىٰ (٦١٤٨)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٦٠١).

أما المالكية فإن العارية والقرض إذا كانا مؤجلين فذلك لازم إلىٰ أن ينقضي الأجل، وإن كانا مطلقين لزم البقاء فترة ينتفع بمثله فيها، واستندوا إلىٰ ما روي عن النبي ﷺ أنه ذكر رجلًا سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فدفعها إليه إلىٰ أجل مسمىٰ[1].

وقال ابن عمر وعطاء: إذا أجله في القرض جاز.

ويجوز الرجوع في الهبة قبل القبض عند الجمهور، فإذا تم القبض فلا رجوع عند الشافعية والحنابلة إلا فيما وهب الوالد لولده، وعند الحنفية يجوز الرجوع إن كانت لأجنبي.

أما المالكية فلا رجوع عندهم في الهبة قبل القبض وبعده في الجملة، إلا فيما يهبه الوالد لولده.

٣-والوعد كذلك يستحب الوفاء به باتفاق.

يقول القرافي: من أدب العبد مع ربه إذا وعد ربه بشيء لا يخلفه إياه، لا سيما إذا التزمه وصمم عليه، فأدب العبد مع الله ﷻ بحسن الوفاء وتلَقِّي هٰذِه الألتزامات بالقبول.

لٰكن الوفاء به ليس بواجب في الجملة، ففي البدائع: الوعد لا شيء فيه وليس بلازم، وفي منتهى الإرادات: لا يلزم الوفاء بالوعد نصًّا، وفي نهاية المحتاج: لو قال: أُؤَدِّي المَال أَوْ أُحْضِرُ الشخصَ، فهو وعد لا يلزم الوفاء به، لأن الصيغة غير مشعرة بالالتزام.

إلا أنه إذا كانت هناك حاجة تستدعي الوفاء بالوعد فإنه يجب الوفاء به.

فقد نقل ابن عابدين عن جامع الفصولين: لو ذكر البيع بلا شرط، ثم ذكر الشرط علىٰ وجه العدة، جاز البيع ولزم الوفاء بالوعد، إذ المواعيد قد تكون لازمة فيجعل لازمًا لحاجة الناس.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٩١).

والمشهور عند المالكية أن الوعد يلزم ويقضىٰ به إذا دخل الموعود بسبب الوعد في شيء. قال سحنون: الذي يلزم من الوعد إذا قال: ٱهدم دارك وأنا أسلفك ما تبني به، أو ٱخرج إلى الحج أو ٱشتر سلعة أو تزوَّج وأنا أسلفك، لأنك أدخلته بوعدك في ذلك، أما مجرد الوعد فلا يلزم الوفاء به، بل الوفاء به من مكارم الأخلاق.

وقال القليوبي: قولهم الوعد لا يجب الوفاء به مشكل، لمخالفته ظاهر الآيات والسنة، ولأن خلفه كذب، وهو من خصال المنافقين.

٤- التزامات يجوز الوفاء بها ولا يجب:

- الالتزامات التي تنشأ نتيجة العقود الجائزة بين الطرفين، كالوكالة والشركة والقراض، فهٰذِه يجوز لكل من الطرفين فسخها وعدم الألتزام بمقتضاها، هٰذا مع مراعاة ما يشترطه بعض الفقهاء حين الفسخ من نضوض رأس المال في المضاربة، وكتعلق حق الغير بالوكالة.

-نذر المباح: يقول القرطبي: نذر المباح لا يلزم بإجماع من الأمة، وقال ابن قدامة: نذر المباح، كلبس الثوب وركوب الدابة وطلاق المرأة علىٰ وجه مباح، فهٰذا يتخير فيه الناذر بين فعله فيبر، وإن شاء تركه وعليه كفارة يمين، ويتخرج أن لا كفارة عليه.

٥- التزامات يحرم الوفاء بها:

- الالتزام بما لا يلزم لا يجب فيه الوفاء، بل قد يكون الوفاء حرامًا، وذلك إذا كان التزامًا بمعصية[١].

وفي موضع آخر تحت مادة تطوع تفصيل جيد حول صور وتطبيقات الألتزام في الأعمال التطوعية:

---

(١) ٱنظر: الموسوعة الفقهية الكويتية مادة التزام بتصرف.

جاء في الدر المختار: لو نذر التصدق يوم الجمعة بمكة بهٰذا الدرهم علىٰ فلان، فخالف، جاز.

قال ابن عابدين: فلو خالف في بعضها أو كلها، بأن تصدق في غير يوم الجمعة ببلد آخر بدرهم آخر علىٰ شخص آخر جاز، لأن الداخل تحت النذر ما هو قربة، وهو أصل التصدق دون التعيين، فبطل التعيين ولزمه القربة.

ثم قال ابن عابدين: وهٰذا ليس علىٰ إطلاقه لما في البدائع: لو قال: لله عليَّ أن أطعم هٰذا المسكين شيئًا سمَّاه ولم يعينه، فلا بد أن يعطيه للذي سمَّىٰ؛ لأنه إذا لم يعين المنذور صار تعيين الفقير مقصودًا، فلا يجوز أن يعطي غيره.

وفي الاختيار: لا تجب الأضحية على الفقير، لكنها تجب بالشراء، ويتعين ما اشتراه للأضحية. فإن مضت أيام الأضحية ولم يذبح، تصدق بها حيَّة؛ لأنها غير واجبة على الفقير، فإذا اشتراها بنية الأضحية تعينت للوجوب، والإراقة إنما عرفت قربة في وقت معلوم، وقد فات فيتصدق بعينها.

وإن كان المضحي غنيًّا، وفات وقت الأضحية، تصدق بثمنها، اشتراها أو لا؛ لأنها واجبة عليه، فإذا فات وقت القربة في الأضحية تصدق بالثمن إخراجًا له عن العهدة.

وجاء في نهاية المحتاج: الأضحية سنة، ولكنها تجب بالالتزام، كقوله: جعلت هٰذِه الشاة أضحية كسائر القرب.

وفي تحرير الكلام في مسائل الالتزام للحطاب: الالتزام المطلق يقضىٰ به على الملتزم، ما لم يفلس أو يمت أو يمرض.

وقال ابن رشد في نوازله فيمن عزل لمسكين معين شيئًا، وبتَله[1] له بقول

---

(١) البتل: القطع، والبتل: تمييز الشيء من الشيء. العين (٨/ ١٢٤)، تهذيب اللغة (١٤/ ٢٠٧).

أو نية، فلا يجوز له أن يصرفه إلىٰ غيره، وهو ضامن له إن فعل.

ولو نوىٰ أن يعطيه ولم يبتله له بقول ولا نية كره له أن يصرفه إلىٰ غيره.

ومعنىٰ بتله: جعله له من الآن.

وفي الفواكه الدواني: من أخرج كسرة لسائل فوجده قد ذهب لا يجوز له أكلها، ويجب عليه أن يتصدق بها علىٰ غيره، كما قاله مالك. وقال غيره: يجوز له أكلها، وقال ابن رشد: يحمل كلام غير مالك علىٰ ما إذا أخرجها لمعين، فيجوز له أكلها عند عدم وجوده أو عدم قبوله، وحمل كلام مالك علىٰ إخراجها لغير معين، فلا يجوز له أكلها بل يتصدق بها علىٰ غيره، لأنه لم يعين الذي يأخذها.

وفي القواعد الفقهية لابن رجب: الهدي والأضحية يتعينان بالتعيين بالقول بلا خلاف.

وفي تعيينه بالنية وجهان، فإذا قال: هٰذِه صدقة، تعينت وصارت في حكم المنذورة، وإذا عين بنيته أن يجعلها صدقة - وعزلها عن ماله - فهو كما لو ٱشترىٰ شاة ينوي التضحية[1].

(١) ٱنظر: الموسوعة الفقهية مادة تطوع.

أهمية العمل التطوعي

أهمية العمل التطوعي والحكمة منه

مقدمة:

لقد ٱهتمت الشريعة الإسلامية بالعمل التطوعي ٱهتمامًا بليغًا، ودعت أفراد المجتمع المسلم ومؤسساته إلى المسارعة إليه، كما بينت أنه الدعامة الأساسية في بناء المجتمع ونشر المحبة والترابط الاجتماعي بين أفراده، وهو عمل إنساني يرتبط ٱرتباطًا قويا بكل معاني الخير والإحسان، وهو ميدان عظيم للتنافس الشريف، قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وعن أنس بن مالك ﵁ أن النبي ﷺ قال: لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ[1]. وعن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا زَادَ لَهُ[2].

ولعظم أهمية العمل التطوعي فإن الإسلام دعا أفراد مجتمعه إلى التعاون عليه لِما فيه من منافع تعود على المجتمع عامة وعلى الفقراء والمحتاجين خاصة، قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وعن أبي موسى الأشعري ﵁ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٢٨).

كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ[(١)].

ولقد دعا الإسلام أصحاب الأموال إلى التنسيق والتعاون مع الجمعيات الخيرية والجهات المعنية بالضعفاء والمرضىٰ والمعوقين وذوي الحاجات الخاصةلتقديم العون لهم عملًا بقول النبي ﷺ: **«المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»**[(٢)].

يعد العمل التطوعي وحجم الانخراط فيه رمزًا من رموز تقدم الأمم وازدهارها، فالأمة كلما ازدادت في التقدم والرقي، ازداد انخراط مواطنيها في أعمال التطوع الخيري.

كما يعد الانخراط في العمل التطوعي مطلب من متطلبات الحياة المعاصرة التي أتت بالتنمية والتطور السريع في كافة المجالات.

إن تعقد الحياة الاجتماعية وتطور الظروف المعاشية والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والأمنية والتقنية المتسارعة تملي علينا أوضاعًا وظروفًا جديدة تقف الحكومات أحيانًا عاجزة عن مجاراتها؛ مما يستدعي تضافر كافة جهود المجتمع الرسمية والشعبية لمواجهة هٰذا الواقع وهٰذِه الأوضاع. ومن هنا يأتي دور العمل التطوعي الفاعل والمؤازر للجهود الرسمية[(٣)].

وترجع أهمية التطوع ليس لكونه عملًا يسد ثغرة في نشاط الدولة والهيئات الاجتماعية فقط بل أهميته الكبرىٰ تكون في تنمية الإحساس لدى المتطوع ومن تُقدَّم إليه الخدمة (المواطن) بالانتماء والولاء للمجتمع، وتقوية

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) العمل التطوعي أهميته، معوقاته، وعوامل نجاحه للدكتور/ حميد بن خليل الشايجي.

الترابط الاجتماعي بين فئات المجتمع المختلفة والذي اهتز بعوامل التغير الاجتماعي والحضاري إضافة إلىٰ إن التطوع يُكوِّن لونًا من ألوان المشاركة الإيجابية ليس في تقديم الخدمة فقط ولكن في توجيه ورسم السياسة التي تقوم عليها تلك المؤسسات الاجتماعية ومتابعة تنفيذ برامجها وتقويمها بما يعود على المجتمع ككل بالنفع العام، وكلما كثر عدد المتطوعين كلما دل ذلك علىٰ وعي المواطنين وحسن تجاوبهم مع هيئات ومنظمات المجتمع[1].

إن العمل التطوعي يجمع الطاقات المهدرة، ويسخرها لخدمة البناء والتنمية الاقتصادية من خلال المؤسسات والمنظمات والهيئات الخيرية، لذا حرصت الدول المتقدمة علىٰ ترسيخ مفهوم العمل التطوعي، والحث عليه بين جميع الفئات والشرائح الاجتماعية المختلفة، وخلق المناخ الملائم لتشجيع كل الأفراد للعطاء والإبداع.

ولقد تجلَّت أهمية العمل التطوعي في الحفاظ على القيم الإسلامية التي دعا إليها من عبادات ومعاملات وأخلاقيات، وتبصير الناس بها من خلال المحاضرات والندوات والمعاهد والمساجد، وإعداد كوادر علمية متميزة تقوم علىٰ هٰذِه الأدوار والأعمال.

ومن أهمية العمل التطوعي أنه استطاع أن يستثمر أوقات الفراغ بشكل أمثل، ويوجه الطاقات توجيها صحيحًا، وأتاح فرصًا للعمل والإنتاج، ولم يُغفل دور المرأة بل أتاح لها المجال للقيام بدورها التطوعي علىٰ وفق الضوابط الشرعية.

فالعمل الخيري مقصد عام من مقاصد الشريعة؛ وذلك بدلالة كثرة الأمر به والحضِّ عليه ومدح فاعليه، والتحذير من مناوئيه في كثير من آيات الكتاب

---

(١) العمل التطوعي، أهميته آثاره عوامل نجاحه معوقاته، للواء/ مساعد بن منشط اللحياني.

العزيز، وأحاديث النبي الكريم ﷺ. وقد ورد لفظ "الخير" ١٨٠ مرة في القرآن الكريم. وورد لفظ "أخيار"، و"خيرات"، و"خيرة" ٨ مرات في سياقات متنوعة تربط "الخير" بجوانب أساسية من الحياة المدنية التي يعيشها الناس، كما ورد في بعض الحالات ضمن سياقات (أقل عددًا) تربطه بالحياة الآخرة.

أما عن السياقات التي ورد فيها ذكر الخير، فمنها ما ورد في القرآن عند الحديث عن العلم، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥]. ومنها ما ورد عند الحديث عن العمل، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧]. وورد في سياق الحديث عن الكفاءة والمقدرة، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. وفي سياق الحديث عن العدالة جاء قوله تعالىٰ: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]. وللحض على المنافسة والسبق في الأعمال المفيدة قال تعالىٰ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]. وفي سياق الحديث عن الإنفاق قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥]. وثمة مواضع أخرىٰ كثيرة، ويشير اطراد ورود الأمر بعمل الخير فيها، والحض عليه، والثناء علىٰ من يقومون به إلىٰ أن "العمل الخيري" مقصد عام وثابت من مقاصد الشريعة الغراء[١].

★ وتبرز أهمية العمل التطوعي في المجتمع من خلال محورين وهما:

أولًا: تنمية المجتمع وهي تشتمل على عدة نقاط:

١- التنمية الاجتماعية:

العمل التطوعي له دور أساس في التنمية الاجتماعية للمجتمع، فمن خلاله يحافظ على القيم والأخلاق والفضائل، ويحافظ على الثوابت

(١) مفهوم العمل الخيري ومقاصده، إبراهيم البيومي غانم.

الدينية، وكذلك العادات والتقاليد النابعة من تعاليم الإسلام الحنيف، وتنمية المشاعر الإنسانية ومد الرعاية للمستضعفين وتقديم المساعدة والتوجيه لكل من يحتاجها.

والعمل التطوعي يحل الكثير من المشكلات المجتمعية، ويحد من الظواهر السلبية، وينمِّي في المجتمع حسن التعامل فيما بين أفراده، ورقي التعامل مع الآخرين ومعه يكون المجتمع إيجابيًّا، فالعمل التطوعي يدفع الفرد ويشجعه علىٰ أن يكون إيجابيًّا في مجتمعه يشاركه أفراحه وأحزانه، ويشاركه في حل مشكلاته، ومراقبته للسلبيات التي تؤثر في تماسكه وترابطه.

كما يدفع العمل التطوعي المجتمع لأن يكون مبادرًا ومعطاء إذا تطلَّب الأمر البذل والسخاء، فيشيع ثقافة العطاء، وإسعاد الآخرين وتخفيف آلامهم، وتضميد جراحات المنكوبين، ومعالجة مشكلة الأنانية الفردية، ومن خلاله تنتشر المحبة والألفة والتعاون في أفراد المجتمع، ويقف القوي مع الضعيف، وتعالج مشكلة الفقر وشدة الحاجة، ويقدم كل ميسور ما يستطيع من مال وجهد ومشورة؛ لينعم الجميع في المجتمع بحياة ملؤها العطف والمحبة والألفة والإيثار والرحمة بدلًا من أن يكون المجتمع ملؤه البغضاء والشحناء والحسد والحقد، وبذلك يتحقق الأمن الأجتماعي.

٢- التنمية العلمية والثقافية:

التنمية العلمية والثقافية في صلبها مبنية على العمل التطوعي، ومدارها خدمة المجتمع للمجتمع، فمن خلال العمل التطوعي تبنى المدارس والمراكز والمكتبات والجامعات ومراكز البحوث العلمية والاستشارية، وقد أثبت التاريخ والواقع أن التنمية العلمية والثقافية هي التي تصنع الحضارة، وأن التنمية لا يمكن أن تتم للعلم والثقافة من غير مساهمة المجتمع فهي تنمية منه وإليه. وشهد التاريخ أن العلماء والأدباء والفقهاء والمحدثين والأطباء والفلكيين وغيرهم من البارعين المميزين كانوا متطوعين، وأنتجوا

لأمتهم ولمجتمعاتهم إرثًا علميًّا لا يزال أثره بعد مضيٍّ أكثر من قرن من الزمان.

ودور العمل التطوعي في الإسلام في دعم التنمية الفكرية أوسع من أن ندلل عليه. فكم من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية التي حثت علىٰ طلب العلم ونشره وبذله بين الناس، وتوجيههم لما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، فجعل تعليم العلم وتعلمه ونشره من الأعمال التي تستمر بها الحسنات بعد الممات، وهو صدقة جارية يجري ثوابها في حياة المعلم وبعد مماته، فقد ساهم العمل التطوعي في نشر العلم والكتاب الإسلامي والعربي علىٰ نطاق واسع في وقت كانت فيه الطباعة والنسخ غير معروفة لبني الإنسان.

والتنمية الفكرية، كانت من خصوصيات المجتمع الإسلامي، فهو الذي تكفَّل بإيجاد الأوقاف التي خصصت للمدارس، فأنشئت المدارس، وكانت كلها أوقافًا ولم تكن للدولة سيطرة عليها، ولا تشغيل لها، فبرزت المدارس الوقفية في القدس ودمشق وبغداد وفارس والحجاز وغيرها في حواضر العالم الإسلامي، وكانت تدار وتعمل بعمل تطوعي أهلي، وتحقق بذلك للأمة مكانة عظيمة، وحضارة في شتى المجالات، ولم يكن العمل التطوعي، عملًا محصورًا في حال النكبات والأزمات، بل كان مبادرًا، وموجودًا في حال الحاجة، ومبدعًا في حالة النماء والاستقرار.

٣- التنمية الصحية والبيئية:

كان وما زال للعمل التطوعي الدور الواسع في التنمية الصحية والبيئية، فالمجتمعات التي تنشئ المراكز الصحية، وتوفر العلاج والدواء لمن يحتاجه، والرعاية لذوي الاحتياجات الخاصة، وتثقيف المجتمع بسبل التعامل معهم، ورعايتهم وحقهم علينا، هي مجتمعات متماسكة متعاطفة تشعر بآلام الآخرين.

وللعمل التطوعي دور في نشر الوعي الصحي في المجتمع من خلال مراكز تطوعية تسهم في التواصل مع أفراد المجتمع وتشاركهم اهتماماتهم وهمومهم،

وتوجههم وتتفاعل معهم لإيجاد بيئة صحية سليمة، واعية بمشكلات البيئة وسبل علاجها، وذلك لا يمكن أن يتم بشكل متكامل إلا إذا أسهم المجتمع بمؤسساته التطوعية لإبراز وكشف تلك المشكلات وأثرها على البيئة والصحة.

وبتكاتف تلك المؤسسات التطوعية الصحية منها والبيئية تتحقق نقلة نوعية في تطور المجتمع صحيًّا وبيئيًّا، ويتسلح بثقافة لا يسمح من خلالها بالعبث بسلامة البيئة وأثرها علىٰ صحة أفراد المجتمع، وفي ذلك تنمية عمرانية تحافظ على البيئة وتهتم بالصحة.

٤- التنمية الاقتصادية:

والعمل التطوعي يعد مصدرًا لنماء ٱقتصاد المجتمعات، فمن خلاله يسهم المجتمع في البذل والعطاء والإنفاق، فيتربىٰ على السخاء، ودفع المال لمن يحتاجه، وخدمة المجتمع الذي يعيش فيه، ويدفعه للمساهمات المادية والجهدية كل حسب طاقته، فتبنىٰ وتعمر المنشآت للخدمات العامة والمدارس والمستشفيات والمساجد والمراكز، وتحرك بذلك عجلة الٱقتصاد بتدوير المال وعدم ٱكتنازه، وبذلك تنشط الدورة الٱقتصادية.

والشريعة الإسلامية حثت المسلم على الصدقة والوقف والهبة حتىٰ لا يكون المال بيد الأغنياء فينقم الفقراء، والصدقة جاءت بعد الإيمان بالغيب والصلاة، قال تعالىٰ في وصفه المتقين: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: ٣]، والصدقة برهان علىٰ صدق إخلاص العبد؛ قال ﷺ: «**وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ**»[(١)]. والصدقة في الشريعة الإسلامية لا تنقص المال؛ قال ﷺ: «**مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٥) من حديث أبي كبشة الأنماري، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٤).

فعطاء المجتمع في حقيقته تنمية ٱقتصادية، والتاريخ الإسلامي خير شاهد علىٰ ذلك، والأعمال التطوعية تحقق التنمية الٱقتصادية وتوفر فرص العمل، حتىٰ بلغت في بعض العهود الإسلامية الأوقاف مبلغا وصل إلىٰ أن ٣٠- ٤٠٪ من الأيدي العاملة والقوى البشرية تعمل في الوقف ومؤسساته الخيرية والاجتماعية والاقتصادية والاستثمارية.

٥- التنمية البشرية:

التنمية البشرية هي أساس تنمية المجتمعات وتفاعلها وعطاءها، وهي من الإنسان للإنسان، فلا يمكن أن تتم التنمية البشرية إلا من خلال الإنسان، والعمل التطوعي كذلك هو أساس من أسس التنمية البشرية، فمن خلال المؤسسات التطوعية وأعمالها تصقل المهارات وتُنمَّى القدرات وتُكتَسب المعلومات و يَنْمِي في الفرد شعور الٱنتماء للمجتمع، فمن خلال العمل التطوعي يحقق الفرد ذاته ويثق بنفسه، ويفتح آفاقه ويحقق نجاحه، ويرىٰ آثار عطائه وأعماله وغاياته. ومؤسسات العمل التطوعي الفاعلة تعد مدرسة لتخريج الطاقات الشبابية الراغبة في خدمة المجتمع، ففيها تشغل أوقات الشباب بما هو نافع ومنتج، وتحافظ على الأوقات والطاقات، وتقلل المظاهر السلبية الناتجة عن تضييع الأوقات بالمهلكات.

والإنسان هو العنصر الأساسي في تحقيق الأهداف التنموية، فلا يتحقق النماء في المجتمعات إلا إذا أولينا الإنسان الٱهتمام والرعاية والنماء، وفي قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧] دافع للإنسان أن يستعمل نعم الله عليه في طاعته وحاجات خلقه، فالتنمية البشرية والعمل التطوعي حلقتان في سلسلة حفظ ورعاية ونماء القدرات البشرية(١).

(١) أهمية العمل التطوعي للمجتمعات ودوره في التنمية، لعيسى القدومي، مقال نشر بمجلة الفرقان الكويتية التابعة لجمعية إحياء التراث الإسلامي.

٦- تحرير النفس من القيود:

هو أول مقاصد العمل الخيري الإسلامي وأعلاها منزلة؛ ففي مقدمة الأهداف التي يتوجه إليها العمل الخيري أن يسهم في "تحرير" النفس الإنسانية من الأغلال التي قد تكبَّلها لسبب أو لآخر، وتعوق حركتها، وتهدر طاقاتها. بعض هٰذِه القيود معنوي ينتج عن ٱرتكاب الذنوب والآثام، وبعضها مادي ينتج عن حب المال وتمكُّن شهوة التملك من الإنسان، وبعضها سياسي ينتج عن الحروب وصراعات القوة. ونتيجة لتلك الأسباب فإن بعض بني آدم تقتضي عليهم الظروف الٱجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يعيشونها أن تكون حريتهم مقيدة معنويًّا ومنهم العصاة والمذنبون، أو مقيدة ماديًا، ومن هٰؤلاء: الرقيق، والفقراء، واليتامىٰ، والمساكين، والأسرىٰ، والجهلة، والمرضىٰ، والمدينون؛ وفي جميع هٰذِه الحالات يجب شرعًا المساعدة في تحريرهم، ورفع الإصر عنهم، وتحطيم الأغلال التي وضعت عليهم؛ كي يكونوا محلًا صحيحًا للإيمان، وكي يكونوا قادرين على ٱستقبال التكاليف الشرعية وأدائها كما يريد الله سبحانه وتعالي؛ لأن غير الحر يكون غير قادر قدرة الحر علىٰ إقامة التكاليف الشرعية. أو هو ليس مثله علي الأقل. ولهٰذا يريد الإسلام أن يكون الإنسان حرًّا أولًا، ثم يخاطبه بالأحكام الشرعية ويكلفه بها.

وكيف يسهم العمل الخيري في تحقيق هٰذا المقصد؟ ونجيب فنقول: دلَّت آيات القرآن الكريم علىٰ أن من أعظم القربات تحرير الأرقَّاء، ومن ذلك ما جاء النص عليه في سورة البلد وعبرت عنه بـ "فك الرقبة".

وقد ذهب أغلب المفسرين إلىٰ أن المقصود بفك الرقبة هو "العتق"، وإطلاق مَن يقع في أسر الرق والعبودية. والعتق عمل من الأعمال العظيمة التي لها عند الله رفعة ومنزلة؛ فمن أعتق رقبة كانت له فداء من النار، ومثله الذي يطعم الفقير في يوم عصيب ذي مجاعة، سواء أكان يتيمًا ذا

قرابة، أو مسكينًا ذا متربة؛ أي فقيرًا بائسًا قد لصق بالتراب من فقره وضره، وهو كناية عن شدة الفقر والبؤس؛ قال ابن عباس: هو المطروح علىٰ ظهر الطريق لا يقيه من التراب شيء. ومثل هٰذِه الأعمال العظيمة مطلوبة علىٰ سبيل السرعة وبلا رويَّة، وهٰذا هو ما يشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١﴾ [البلد: ١١]؛ والاقتحام في الأصل: الدخول في الشيء بسرعة وشدة من غير روية.

ونضيف إلىٰ ما سبق أن عموم دلالة "فك الرقبة" لا يقتصر علىٰ تحريرها من أسر العبودية والرق بالمعنى الٱصطلاحي الذي قصده أغلب المفسرين والفقهاء. وكان أكثر الرق قديمًا بسبب الحروب- وإنما يشمل أيضًا فك الرقبة من كل ما يقيدها؛ فكها من قيد الجهل؛ فالجهل يقيد حرية الإنسان، كما يقيد الرق حريته. وفك الرقبة يكون أيضًا من قيد المرض؛ فالمرض قيد علىٰ حرية الإنسان وحركته، وقد يقعده، أو يمنعه من الٱستمتاع بكثير من الحريات التي لا تكتمل إنسانية الإنسان إلا بها. ويكون فك الرقبة من قيد الديون؛ فالديون تقيد الحرية أيضًا وتستذل المدين[(١)].

٧- التمدين وعمارة الأرض:

يسهم العمل الخيري في تحقيق درجة أرقىٰ من التمدن الإنساني ورفع كفاءة المجتمعات في إعمار الأرض. ويأخذ إسهام العمل الخيري في تمدين المجتمعات صورًا متعددة: منها ما هو مادي في شكل تبرعات ومساعدات تعين غير القادرين علىٰ تحسين مستوىٰ معيشتهم، ولا تتركهم نهبًا للمرض أو للجهل أو للفاقة والعجز، ومنها ما هو غير مادي في شكل إسهامات معرفية وعلمية تهدف إلىٰ تنوير المجتمع ورفع قدرات أبنائه بصفة عامة، وغالبًا ما كان تمويل إنتاج العلم والمعرفة علىٰ حساب العمل

---

(١) مفهوم العمل الخيري ومقاصده، إبراهيم البيومي غانم.

الخيري تحديدًا في الاجتماع السياسي الإسلامي إلىٰ ما قبل نشوء الدولة الوطنية الحديثة.

٨- مقصد السلم الأهلي:

يعزز العمل الخيري حالة السلم الأهلي بين الفئات الاجتماعية المختلفة بطرق متعددة، لعل من أهمها أن حصيلة المبادرات الخيرية تشكِّل شبكة من العلاقات التعاونية، وتدعم روح الأخوة والتراحم والتعاطف في الاجتماع السياسي الإسلامي بصفة عامة. وإلىٰ ذلك أشار العلامة ابن عاشور؛ حيث يقول: " عقود التبرعات تقوم علىٰ أساس المواساة بين أفراد الأمة الخادمة لمعنى الأخوة. وهي تمثل مصلحة حاجيَّة جليلة بها تحصل مساعفة المعوزين، وإغناء المقترين، وإقامة الجم من مصالح المسلمين ."[(١)]

ويسهم العمل الخيري في تحقيق مقصد "السلم الأهلي" بصور أخرىٰ متعددة منها: المسارعة إلىٰ إزالة نقاط التوتر من المجتمع، ودفع الحراك الاجتماعي.

بالنسبة للمسارعة إلىٰ إزالة نقاط التوتر من المجتمع، نجد أن العمل الخيري يسهم فيها بشكل مباشر، وذلك في أوقات الأزمات التي قد يتعرض لها المجتمع، أو عند وقوع الكوارث والأوبئة التي قد تصيب فئة أو أكثر من فئات المجتمع. وهنا تظهر أهمية الأعمال الخيرية الإغاثية، التي تقدم المساعدات العاجلة من كساء وغذاء ومأوىٰ وإسعافات أولية وما شابه ذلك.

ويحدث العمل الخيري أثره الإيجابي ليس فقط في الوسط الاجتماعي الذي يقدم له الفرد مبادرته الخيرية؛ وإنما علىٰ معنويات فاعل الخير نفسه؛ إذ يكون عمل الخير سببًا من أسباب سعادته في الحياة، وتزكية نفسه، وانشراح صدره، وتقوية حبه للآخرين، والسعي في جلب النفع لهم، ودفع

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية (٢/ ٥٧١).

الأذي عنهم، إلىٰ جانب أن عمل الخير يشعر فاعله بمكانته ودوره في محيطه الذي يعيش فيه، ويدعم إحساسه بأن لديه مقدرة - حتىٰ وإن كانت محدودة- علىٰ مواجهة مشكلات مجتمعه والإسهام في إصلاحه.

٩- محاربة الفقر:

العمل الخيري بمختلف صوره هو أحد السياسات الاجتماعية التي تستهدف القضاء على الفقر، وتسعىٰ بشكل دائم ومستمر لتجفيف منابعه، وإخراج من يدخل في دائرته، وإعادة إدماجه في دورة العمل والإنتاج؛ كي يصبح معتمدًا علىٰ ذاته، مسهمًا في بناء مجتمعه وفي مساعدة غيره، خاصة أن علة الفقر تصحبها علل أخرىٰ كثيرة مثل الجهل والمرض والبطالة والجريمة، وهي علل ذات آثار سلبية، تدمر قدرات المجتمع، وتعوقه عن التطور والنمو.

ويسعى النظام الإسلامي عامة إلى اجتثاث الفقر من المجتمع بوسائل متعددة، وكلما نبتت بوادر جديدة للفقر. وهٰذا أمر يتكرر ولا يمكن تحاشيه . أسرع إلىٰ محاصرته وتجفيف منابعه. والمثل الأعلىٰ للمجتمع الإسلامي من هٰذِه الزاوية هو ألا يكون فيه فقراء.

إن أول مصرف للزكاة المفروضة هم "الفقراء والمساكين" بنص قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]. ولٰكن إلىٰ جانب الزكاة المفروضة حثت شريعة الإسلام على المبادرة بالأعمال الخيرية التطوعية للإسهام في مواجهة مشكلة الفقر، ومن أهم صور هٰذِه الأعمال الخيرية: الصدقة التطوعية، والوقف، والهبة، والانتفاع بفائض رؤوس الأموال والمنح التي تعطىٰ لغير القادرين من دون تحصيل فوائد منهم(القرض الحسن). ومن ذلك كله عرفنا أن محاربة الفقر مقصد أساسي من مقاصد العمل الخيري. وتتجلىٰ في ميدان مكافحة الفقر الجدوى الاجتماعية والاقتصادية للعمل الخيري الذي يثاب فاعله بالأجر الجزيل من

رب العالمين.

وتبلورت أربع وسائل لتنظيم إسهام العمل الخيري في محاربة الفقر، واختصت كل وسيلة بشريحة أو أكثر من الفقراء:

الوسيلة الأولىٰ هي "المساعدات النقدية" التي تقدم للفقراء موسميا، وخاصة في الأعياد والمناسبات الدينية، أو تقدم لهم في أوقات حاجتهم إليها.

والوسيلة الثانية هي "المساعدات العينية" التي تشمل: الطعام، والماء، والكساء، وبعض أدوات الإنتاج البسيطة، والدواء، والمأوىٰ أحيانًا، وهي تقدم للفقراء والمعوزين موسميًّا أيضًا أو في أوقات حاجتهم إليها؛ شأن المساعدات النقدية.

أما الوسيلة الثالثة فهي "المساعدات المؤسسية"؛ ونقصد بها تلك الإسهامات التي يقوم بها فاعلو الخير من أجل دعم أو تمويل أو إنشاء مؤسسات تقدم خدمات عامة مثل: المساجد، والمدارس، والمستشفيات ومستوصفات العلاج، ودور الرعاية الاجتماعية التي تقدم خدماتها للأيتام والعجزة والأرامل وذوي الاحتياجات الخاصة.

والوسيلة الرابعة هي "المساعدات الفنية"، وتشمل ما يتطوع به فاعلو الخير من خبرات واستشارات ومشاركات يقدمونها من دون أجر مادي، ويسهمون بها في تدريب وتأهيل الراغبين في العمل؛ ولكنهم غير قادرين علىٰ تحمل نفقات التأهيل المهني اللازم لدخولهم سوق العمل.

وجرىٰ تمويل هٰذِه المنظومة الخيرية عبر طرق متعددة منها: الزكاة، والوقف، والوصايا، والهبات الخيرية، والنذور، والكفارات، والصدقات التطوعية الأخرىٰ[1].

---

(١) مفهوم العمل الخيري ومقاصده، بتصرف، إبراهيم البيومي غانم.

ثانيًا: الأمن العام للمجتمع:

لا شك أن للعمل التطوعي دورًا عظيمًا في الحفاظ على الأمن العام الذي يضمن سلامة واستقرار المجتمعات إبان الأزمات العالمية القائمة، والتي قد تتسبب تداعياتها في تراجع أو ٱنهيار الدور الأمني الذي تقوم به المنظومة الأمنية الرسمية، والمجتمعات التي تفتقر إلى الأمن هي مجتمعات تفتقر إلىٰ كافة أدوات الحياة، وتظل على الدوام مهددة بطريقة تجعلها تتراجع إلى الخلف وسط عالم ينمو ويتطور بسرعة فائقة، ويظل ٱقتصادها هزيلًا، وتنتشر فيها الجريمة بشتىٰ أشكالها وألوانها، ومن هنا كان للعمل التطوعي دورًا في المساهمة في معالجة المشكلات الٱجتماعية، وبعض الظواهر التي تؤدي إلىٰ تهديد الأمن والاستقرار من بطالة وأميَّة ومخدرات وتهريب وتزوير وانحرافات أخلاقية وسلوكية وغير ذلك من الجرائم. ولا شك أن من أهم ٱهتمامات العمل التطوعي الوقوف بجانب الفقير والمحتاج حتىٰ لا يقع فريسة للجريمة والانحراف.

يقول الدكتور معلوي الشهراني: يتضح أن العمل التطوعي من الأعمال الخيرة التي أوصىٰ بها الدين الإسلامي الحنيف، وحيث إن المتطوع يقدم جهده وماله ووقته لخدمة مجتمعه فإن هناك ٱرتباطًا بين العمل التطوعي وأمن المجتمع حيث إنه من الأعمال الخيرية الحفاظ علىٰ أمن المجتمع من مساعدة المحتاجين والفقراء، حتىٰ لا يقعوا فريسة للجريمة والانحراف، ومساعدة المدمنين على التوبة والعلاج وعدم العودة للجريمة.

كما أن مساعدة المتسولين ومكافحة التسول من أهم الطرق لعلاج ظاهرة التشرد والانحراف. ومساعدة السلطات في التصدي للجريمة والإرهاب من أهم الأعمال التي يقدمها العمل التطوعي لوقاية المجتمع والحفاظ علىٰ أمنه[1].

---

(١) العمل التطوعي، وعلاقته بأمن المجتمع (ص٥٤) لمعلوي بن عبد الله الشهراني.

ويمكن تلخيص الحكمة من العمل التطوعي في نقاط:

١- ٱكتساب رضا الله ومحبته وذلك بتحقيق العبودية لله تبارك وتعالي فالعمل التطوعي فيه قربة إلىٰ الله تعالىٰ ويفسح المجال للأعمال التعبدية التي يتقرب العبد بها إلىٰ ربه سبحانه.

٢-تعميق مفاهيم الإسلام في الحث علىٰ أعمال الخير والبر لكافة بني البشر وإن ٱختلفت شرائعهم مما يعكس صورة حسنة عن الدين الإسلامي لرعايته وإهتمامه بكافة الخدمات الإنسانية.

٣- القضاء علىٰ أوقات الفراغ التي يعاني منها الشباب بما توفره لهم الأنشطة التطوعية من برامج تشغل وقت فراغهم وتُشعرهم بمدىٰ حاجة المجتمع إليهم.

٤- توثيق الروابط بين الناس والحث علي التكافل والتعاون والحرص علي منفعتهم ومساعدتهم بما يخفف الآلام ويوفر الحاجيات الضروريه لمن يحتاجها وبذلك تهنأ المجتمعات وتسعد.

٥- توفير خدمات قد يصعب على الإدارة الحكومية تقديمها لما تتسم به الأجهزة التطوعية من مرونة وقدرة على الحركة السريعة.

٦- تطبيق الأسلوب العلمي من قبل خبراء متطوعين، وصنع قنوات ٱتصال مع منظمات شبيهة بدول أخرىٰ من دون حساسية أو التزام رسمي والاستفادة من تجاربها الناجحة القابلة للتطبيق[1].

٧- التعرف علىٰ ذوي المهارات والقدرات المتميزة واكتشافها وتدريبها كقيادات قادرة علىٰ تحمُّل أعباء المسؤولية الٱجتماعية.

٨- تحقيق الدور الإيجابي في هٰذِه الحياة والسعي إلىٰ هداية الناس ودعوتهم إلى الإسلام ونشر العلم النافع.

---

(١) العمل التطوعي، أهميته معوقاته وعوامل نجاحه للدكتور/ حميد بن خليل الشايجي.

٩- الزيادة من قدرة الإنسان على التفاعل والتواصل مع الآخرين والحد من النزوع إلى الفردية وتنمية الحس الاجتماعي، وتهذيب الشخصية ورفع عقلية الشح وتحويلها إلىٰ عقلية الوفرة والكسب الأعظم.

١٠- إزالة التخلف وتوفير أسباب التقدم والرفاهية لأفراد المجتمع بالوسيلة الأيسر وصولا والأسلوب الأفضل أداء والأكثر نفعًا.

ثالثًا: العمل التطوعي نفعه متعد ففائدته أعظم بخلاف القاصر:

من فضائل العمل التطوعي أن نفعه متعد لشريحة كبير ةمن الأمة بخلاف العمل القاصر

ومن القواعد التي وضعها العلماء: أن العمل المتعدي نفعه أفضل من العمل القاصر

قال الزركشي: العمل المتعدي أفضل من القاصر.

ولهٰذا قال الأستاذ أبو إسحاق وإمام الحرمين وأبوه وغيرهم بتفضيل فرض الكفاية علىٰ فرض العين؛ لأنه أسقط الحرج عن الأمة،

واستنبط ابن حبان في صحيحه من قوله ﷺ: **«مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»**[1]. أن المؤذن يكون له مثل أجر من صلىٰ بأذانه.

وقال الشافعي - ﷺ - الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة[2].

وفي موسوعة القواعد الفقهية للبورنو ذكر القاعدة ومثَّل لها فقال:

من أمثلة هٰذِه القاعدة ومسائلها:

طلب العلم أفضل من صلاة النافلة؛ لأن طلب العلم يتعدىٰ نفعه إلىٰ كثير من الناس، وصلاة النافلة لا يتعدىٰ نفعها صاحبها.

(١) أخرجه مسلم (١٨٩٣)، وابن حبان (٢٨٩).

(٢) المنثور في القواعد الفقهية (٢/ ٤٢٠).

ومنها : فرض الكفاية له مزية علىٰ فرض العين؛ لأن القائم بفرض الكفاية أسقط الحرج عن الأمة.

ومنها : من حِكَم تقديم العتق أو الإطعام أو الكسوة في كفارة اليمين على الصيام أن تلك الثلاثة يتعدىٰ أثرها المكفِّر إلىٰ غيره، والصيام مختص به، ولذلك كان فعل أحدها واجبًا عند القدرة عليه، والصيام لا يجوز إلا عند العجز عن أحد الثلاثة[١].

إن الأعمال التطوعية تتميز بتعدي نفعها لكثير من الناس ولهٰذا وردت أحاديث تنبه علىٰ ثواب هٰذِه الأعمال ومنها :

١-تعليم العلم

عن أبي أمامة الباهلي، قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابدٌ والآخر عالمٌ، فقال رسول الله ﷺ: فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَىٰ أَدْنَاكُمْ[٢].

وسببه أن العلم نفعه متعدٍ والعبادة منفعتها قاصرةٌ، والعلم إما فرض عين أو كفاية، والعبادة الزائدة نافلةٌ وثواب الفرض أكثر من أجل النفل، والله أعلم[٣].

قال ابن الجوزي: ومن تلبيسه على الزهاد إعراضهم عن العلم شغلًا بالزهد فقد ٱستبدلوا الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير وبيان ذلك أن الزاهد لا يتعدىٰ نفعه عتبة بابه والعالم نفعه متعد وكم قد رد إلى الصواب من متعبد[٤].

---

(١) موسوعة القواعد الفقهية (٩/ ٤٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) وقال: هٰذا حديث حسن صحيح غريب، سمعت أبا عمار الحسين بن حريث الخزاعي، يقول: سمعت الفضيل بن عياض، يقول: "عالم عامل معلم يدعىٰ كبيرا في ملكوت السموات."

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٣٢٤).

(٤) تلبيس إبليس (ص: ١٣٥).

٢- الدعوة إلى الله

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: هو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالىٰ، وهٰذِه عامة في كل من دعا إلى الخير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولىٰ بذلك.

وذكر عن الحسن البصري رحمه الله أنه تلا هٰذِه الآية: فقال: هٰذا حبيب الله، هٰذا ولي الله، هٰذا صفوة الله، هٰذا خيرة الله، هٰذا أحب أهل الأرض إلىٰ الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلىٰ ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، فالداعي أحسن الناس كلامًا وأحسنهم عملًا، إذا صدق عمله قوله.

٣- الصدقة والإصلاح بين الناس

قال تعالىٰ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤]

قال الحافظ ابن رجب: فنفى الخير عن كثير مما يتناجىٰ به الناس إلا في الأمر بالمعروف، وخص من أفراده الصدقة والإصلاح بين الناس لعموم نفعهما، فدل ذلك علىٰ أن التناجي بذلك خير، وأما الثواب عليه من الله، فخصه بمن فعله ٱبتغاء مرضات الله. وإنما جعل الأمر بالمعروف من الصدقة والإصلاح بين الناس وغيرهما خيرًا، وإن لم يبتغ به وجه الله، لما يترتب علىٰ ذلك من النفع المتعدي. فيحصل به للناس إحسانٌ وخيرٌ، وأما بالنسبة إلى الأمر، فإن قصد به وجه الله، وابتغاء مرضاته، كان خيرًا له

وأثيب عليه، وإن لم يقصد ذلك، لم يكن خيرًا له، ولا ثواب له عليه. وهٰذا بخلاف من صام وصلىٰ وذكر الله، يقصد بذلك عرَض الدنيا، فإنه لا خير له فيه بالكلية، لأنه لا نفع في ذلك لصاحبه، لما يترتب عليه من الإثم فيه، ولا لغير؛ لأنه لا يتعدىٰ نفعه إلىٰ أحد، اللهم إلا أن يحصل لأحد به ٱقتداء في ذلك[1].

٤- قضاء الحوائج

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، قال: «**بَيْنَمَا ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَىٰ غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ واللهِ يَا هٰؤلاء، لا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَىٰ فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَىٰ ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي ٱشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: ٱعْمِدْ إِلَىٰ تِلْكَ البَقَرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ، فَقُلْتُ لَهُ: ٱعْمِدْ إِلَىٰ تِلْكَ البَقَرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الفَرَقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الجُوعِ، فَكُنْتُ لاَ أَسْقِيهِمْ حَتَّىٰ يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا، فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّىٰ طَلَعَ الفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّىٰ نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابنةُ عَمٍّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ،**

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/٣٥٨) جمع طارق عوض.

إِلّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّىٰ قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ المِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا»[1].

قال الحافظ: ويظهر ذلك من الأعمال الثلاثة فصاحب الأبوين فضيلته مقصورةٌ علىٰ نفسه لأنه أفاد أنه كان بارًّا بأبويه، وصاحب الأجير نفعه متعد وأفاد بأنه كان عظيم الأمانة، وصاحب المرأة أفضلهم لأنه أفاد أنه كان في قلبه خشية ربه وقد شهد الله لمن كان كذلك بأن له الجنة حيث قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، وقد أضاف هٰذا الرجل إلىٰ ذلك ترك الذهب الذي أعطاه للمرأة فأضاف إلى النفع القاصر النفع المتعدي ولا سيما وقد قال: إنها كانت بنت عمه، فتكون فيه صلة رحم أيضًا وقد تقدم أن ذلك كان في سنَة قحط فتكون الحاجة إلىٰ ذلك أحرىٰ[2].

٥- الجهاد في سبيل الله

عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: **«الخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، فَأَمَّا التِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَىٰ أَهْلِ الإِسْلَام، فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ، وَأَمَّا التِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي ظُهُورِهَا وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ وَأَمَّا التِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ لِأَهْلِ الإِسْلَام، فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ المَرْجِ، أَوِ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ، عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتٌ، وَلَا تَقْطَعُ**

(١) صحيح البخاري (٣٤٦٥).
(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥١١).

طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا، أَوْ شَرَفَيْنِ، إِلّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ، وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَىٰ نَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ، عَدَدَ مَا شَرِبَتْ، حَسَنَاتٍ»[١].

فيه إشارةٌ إلىٰ أن المراد به الجهاد، فإن نفعه متعد إلىٰ أهل الإسلام[٢]

وقد تضمنت فصول هٰذِه الموسوعة مجالات العمل التطوعي وقد أشرنا هنا إلىٰ بعض النماذج.

---

(١) صحيح مسلم (٩٨٧).

(٢) مشكاة المصابيح (٤/ ١٢٦٥).

فضل العمل التطوعي
في الكتاب والسنة
وأقوال السلف

تمهيد

حث الشرع في غير ما موضع سواء من الكتاب أو من السنة على العمل التطوعي، وهو جانب أصيل من جوانب الإسلام، بل هو مقصد من مقاصده الأساسية، لذلك عني به عناية بالغة، فالعمل التطوعي من أهم الأعمال التي تقدمها الأمة الإسلامية إلى الإنسانية جمعاء، وهو كل جهد بدني أو فكري أو عقلي أو قلبي يأتي به الإنسان أو يتركه تطوعًا دون أن يكون مُلزمًا به لا من جهة المشرع ولا من غيره، ويعود بالنفع المادي أو المعنوي على الغير، من دون مقابل مادي وإنما يفعله المسلم رجاء الثواب عند الله، والدخول في جنات النعيم، وهنا تتجلى المثل العليا للإسلام، ورقي حضارته الفكرية والعملية، التي حقيق بأمتنا أن تفخر به؛ لأنها تضرب أروع الأمثلة في التكافل والتضامن الاجتماعي.

ويتضح لنا من خلال العمل التطوعي أن الدين الإسلامي من أخص خصائصه الشمولية التي يساير بها متطلبات الفرد وحاجات الأمة، ويحقق العزة والكرامة للمسلمين في الدنيا والآخرة، بكل ما يحقق عُرى التواصل بين المسلمين، ويقوي التكافل بين أفراد الأمة، والتعايش بينهم جميعًا، بسلوك كل سبل الخير وجميع أنواع البر: قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

ويعد العمل التطوعي وحجم الانخراط فيه رمزًا من رموز تقدم الأمم وازدهارها، فالأمة كلما ازدادت في التقدم والرقي، ازداد انخراط مواطنيها في أعمال التطوع الخيري.

كما يعد الانخراط في العمل التطوعي مطلب من متطلبات الحياة

المعاصرة التي أتت بالتنمية والتطور السريع في كافة المجالات، لاسيما مع تعقد الحياة الاجتماعية وتطور الظروف المعاشية والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والأمنية والتقنية المتسارعة التي تملي علينا أوضاعًا وظروفًا جديدة تقف الحكومات أحيانًا عاجزة عن مجاراتها.

مما يستدعي تضافر كافة جهود المجتمع الرسمية والشعبية لمواجهة هٰذا الواقع وهٰذِه الأوضاع، ومن هنا يأتي دور العمل التطوعي الفاعل والمؤازر للجهود الرسمية، فمثلًا تزايد الطلب على الخدمات الاجتماعية أصبح يشكِّل تحديًا أمام الحكومات مما يتطلب وجود جهات مساندة للنظام الرسمي خصوصًا وأن الهيئات التطوعية مفضلة على الهيئات الرسمية نظرًا لعدم تعقدها، والمتطوع عندما يقدم وقته وخدماته تطوعًا يعتبر أداؤه أفضل من الموظفين مدفوعي الأجر، وقد أثبتت التجارب أن بعض الأجهزة الرسمية لا تستطيع وحدها تحقيق كافة غايات خطط ومشاريع التنمية دون المشاركة التطوعية الفعالة للمواطنين والجمعيات الأهلية التي يمكنها الإسهام بدور فاعل في عمليات التنمية نظرًا لمرونتها وسرعة اتخاذ القرار فيها.

ولهٰذا اعتنت الدول الحديثة بهٰذا الجانب لمعالجة مشاكل العصر والتغلب علىٰ كثير من الظروف الطارئة، في منظومة رائعة من التحالف والتكاتف بين القطاع الحكومي والقطاع الأهلي، وهٰذا يفتح باب العطاء بحرية وهو عنصر رئيسي للمجتمع الصالح، لذا فإن الفرصة أمام الجميع للمشاركة، وهٰذا لا يساعد فقط علىٰ تخطي عيوب بيروقراطية العمل الرسمي فحسب بل ويحقق متطلبات التنمية، فالتطوع بالمال والوقت والجهد والخبرة صفة إنسانية لازمت المجتمعات البشرية عبر العصور، وزكتها جميع الشرائع السماوية والأعراف الاجتماعية، ونسجت حولها قيم الإعجاب والشهامة والنبل والنقاء والإنسانية، والتطوع من حيث هو فعل وتصرف، يمنح الإنسان شعورًا عميقًا بالراحة النفسية، ويملأ جوانحه

بأجمل معاني الحب والدفء والعلاقية مع أخيه الإنسان[١].

وإن أعظم ما يحفِّز الإنسان لبذل الجهود في الأعمال التطوعية معرفة الثواب من الله المترتب على القيام بهٰذا العمل؛ لذا طرحنا في هٰذا المبحث جملة وافرة من نصوص الوحيين، ومواقف السلف وأقوالهم بما يحفز نفوسنا ويقوي عزائمنا، ويدفعنا إلىٰ مزيد من البذل والعطاء مهما كثرت الصعوبات، وتراكمت الأزمات، وتزاحمت الأوقات، وكثرت الٱنشغالات. فثواب الله وعطاؤه أسمى الأمنيات، وأعلىٰ ما يرجوه العبد بعد الممات.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم:

١- الأمر بالتعاون على الخير:

قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]. أي: وليعن بعضكم، أيها المؤمنون، بعضًا "على البر"، وهو العمل بما أمر الله بالعمل به "والتقوىٰ"، هو ٱتقاء ما أمر الله باتقائه واجتنابه من معاصيه[٢].

وقيل أيضًا: ليعن بعضكم بعضًا على البر. وهو: ٱسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق الآدميين. والتقوىٰ في هٰذا الموضع: ٱسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسوله، من الأعمال الظاهرة والباطنة. وكل خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها[٣].

---

(١) ٱنظر: الأعمال التطوعية في الإسلام، محمد بن صالح بن علي القاضي، العمل التطوعي أهميته، معوقاته وعوامل نجاحه د. حميد بن خليل الشايجي أكاديمي سعودي، العمل التطوعي في السنة، رندة محمد زينو.

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٤٩٠).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٢١٩).

٢- العمل التطوعي خير للعباد:

قال تعالىٰ: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وقال: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]. " **تطوع**" أي: فعل طاعة مخلصًا بها لله تعالىٰ، فدل هٰذا علىٰ أنه كلما ٱزداد العبد من طاعة الله، ٱزداد خيره وكماله، ودرجته عند الله، لزيادة إيمانه(١).

" فلم يخصص بعض معاني الخير دون بعض "(٢).

٣- الأمر بالمسابقة إلى أعمال الخيرات:

قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة ١٤٨]، [المائدة ٤٨].

ندبهم سبحانه إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها، فبادروا بالأعمال الصالحة، شكرًا لربكم، وتزودوا في دنياكم لآخرتكم(٣).

- وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

أي: في عمل القربات وفعل الطاعات(٤).

وقال السعدي في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: يبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها، إلا ٱنتهزوا الفرصة فيها(٥).

ولا شك أن المسارعة في أعمال الخير والبر بالتطوع فيها تكون سببًا أكيدا في ٱستجابة الدعاء.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٧). (٢) تفسير الطبري (٣/ ٤٤٣).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٩٦)، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٣٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٧٠). (٥) تفسير السعدي (١/ ٥٣٠).

- وقال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١، ٦٢].

أي: في ميدان التسارع في أفعال الخير، همهم ما يقربهم إلىٰ الله، وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذابه، فكل خير سمعوا به، أو سنحت لهم الفرصة إليه، انتهزوه وبادروه، قد نظروا إلىٰ أولياء الله وأصفيائه، أمامهم، ويَمنة، ويَسرة، يسارعون في كل خير، وينافسون في الزلفىٰ عند ربهم، فنافسوهم. ولمَّا كان السابق لغيره المسارع قد يسبق لجده وتشميره، وقد لا يسبق لتقصيره، أخبر تعالىٰ أن هٰؤلاء من القسم السابقين فقال: ﴿وَهُمۡ لَهَا﴾ أي: لخيرات ﴿سَٰبِقُونَ﴾ قد بلغوا ذروتها، وتباروا هم والرعيل الأول، ومع هٰذا، قد سبقت لهم من الله سابقة السعادة، أنهم سابقون. ولما ذكر مسارعتهم إلى الخيرات وسبقهم إليها، ربما وهِم واهم أن المطلوب منهم ومن غيرهم أمر غير مقدور أو متعسر، أخبر تعالىٰ أنه لا يكلف ﴿نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ أي: بقدر ما تسعه، ويفضل من قوتها عنه، ليس مما يستوعب قوتها، رحمة منه وحكمة، لتيسير طريق الوصول إليه، ولتعمر جادة السالكين في كل وقت إليه .﴿وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ وهو الكتاب الأول، الذي فيه كل شيء، وهو يطابق كل واقع يكون، فلذلك كان حقا، ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ أي لا ينقص من إحسانهم، ولا يزداد في عقوبتهم وعصيانهم.

- وقال تعالىٰ: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤]. أي: يبتدرون فعل الخيرات خشية أن يفوتهم ذلك قبل معاجلتهم مناياهم[(١)].

- وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠- ١٢]. فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلىٰ فعل الخيرات

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ١٣٠).

كما أمروا.

- وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

- وقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١]، فمن سابق إلىٰ هٰذِه الدنيا وسبق إلى الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان؛ ولهٰذا قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١١، ١٢][(١)].

فأخبر جل ثناؤه أن الجنة التي وصف صفتها، لمن ٱتقاه وأنفق ماله في حال الرخاء والسعة، وفي حال الضيق والشدة، في سبيله، أي: في العسر واليسر[(٢)].

وقال ابن كثير: أي في الشدة والرخاء، والمنشط والمكره والصحة والمرض، وفي جميع الأحوال، كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، والمعنىٰ أنهم لا يشغلهم أمرٌ عن طاعة الله تعالىٰ والإنفاق في مراضيه، والإحسان إلىٰ خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر[(٣)].

٤- الأمر بالإحسان إلى الخلق:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

والعدل: ٱستواء العلانية والسريرة، والإحسان: فمعناه اللغوي يرشد إلىٰ أنه التفضل بما لم يجب كصدقة التطوع، ومن الإحسان فعل ما يثاب عليه العبد مما لم يوجبه الله عليه في العبادات وغيرها[(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٥١٧). (٢) تفسير الطبري (٧/ ٢١٤).
(٣) مختصر تفسير ابن كثير (١/ ٣١٨). (٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٢٥).

٥- الأمر بتقوى الله ﷻ:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل ١٢٨]

أي: فعلوا الطاعات، فهٰؤلاء الله يحفظهم ويكلؤهم، وينصرهم ويؤيدهم، ويظفرهم علىٰ أعدائهم ومخالفيهم. فهو معهم بتأييده ونصره ومعونته وهٰذِه معية خاصة[1].

٦- قول الحسنى من أعمال الخير:

قال تعالىٰ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة٨٣].

أي: كلموهم طيبًا، ولينوا لهم جانبا، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف، ويحلم، ويعفو، ويصفح، ويقول للناس حسنًا كما قال الله، وهو كل خلق حسن رضيه الله[2]. ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أُمِر بأمر يقدر به على الإحسان إلىٰ كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول[3].

٧- الجنة لمن باع نفسه وماله لله ﷻ:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة ١١١].

يخبر تعالىٰ: أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهٰذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبِل العوض عما يملكه بما تفضل به علىٰ عباده المطيعين له؛ ولهٰذا قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم والله فأغلىٰ ثمنهم[4].

- وقال تعالىٰ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس: ٢٦]

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦١٥).
(٢) المصدر السابق (١/ ٣١٧).
(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٧).
(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٨)

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]: وقال ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠]، فكما أحسنوا العمل في الدنيا، أحسن الله مآلهم وثوابهم، فنجاهم من العذاب، وحصل لهم جزيل الثواب[١].

وقال السعدي رحمه الله: في قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ أي: للذين أحسنوا في عبادة الخالق، بأن عبدوه علىٰ وجه المراقبة والنصيحة في عبوديته، وقاموا بما قدروا عليه منها، وأحسنوا إلىٰ عباد الله بما يقدرون عليه من الإحسان القولي والفعلي، من بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة المعرضين، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان، فهٰؤلاء الذين أحسنوا، لهم "الحسنىٰ" وهي الجنة الكاملة في حسنها و"زيادة" وهي النظر إلىٰ وجه الله الكريم، وسماع كلامه، والفوز برضاه والبهجة بقربه، فبهذا حصل لهم أعلىٰ ما يتمناه المتمنون، ويسأله السائلون[٢].

٨- كتابة الديون من أعمال البر:

- قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ﴾ [البقرة ٢٨٢]. فيها: الأمر بكتابة جميع عقود المداينات إما وجوبًا وإما ٱستحبابًا لشدة الحاجة إلىٰ كتابتها[٣].

وفيها: أن الكتابة بين المتعاملين من أفضل الأعمال، ومن الإحسان إليهما، وفيها حفظ حقوقهما، وبراءة ذممهما كما أمره الله بذلك، فليحتسب الكاتب بين الناس هٰذِه الأمور، ليحظىٰ بثوابها[٤].

ومنها: أن من خصه الله بنعمة من النعم، يحتاج الناس إليها، فمن تمام شكر هٰذِه النعمة، أن يعود بها علىٰ عباد الله، وأن يقضي بها حاجتهم، لتعليل

---

(١) المصدر السابق (٥/ ٣٧٨).
(٢) تفسير السعدي (ص: ٣٦٢).
(٣) المصدر السابق (ص: ١١٨).
(٤) المصدر السابق (ص: ٩٥٩).

الله النهي عن الآمتناع عن الكتابة، بتذكير الكاتب بقوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ ومع هٰذا: فمن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته[١].

٩- وعَدَ الله القائمين على أعمال الخير بالأجر وعدم الخسران:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ١: ٦]. أي: غير مقطوع[٢].

- وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ فهٰذا عام لكل مخلوق، إلا من اتصف بالإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وحقيقة فوات الخير، الذي كان العبد بصدد تحصيله وهو تحت إمكانه[٣].

فأقسم تعالىٰ بذلك علىٰ أن الإنسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فاستثنىٰ من جنس الإنسان عن الخسران، الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي علىٰ المصائب والأقدار، وأذىٰ من يؤذي، ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر[٤].

١٠- من أعمال البر النفقة وجزاؤها عظيم:

- وقال تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢٦٥﴾ [البقرة٢٦٥].

---

(١) المصدر السابق (ص: ٩٦٠).

(٢) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٦٥٥). (٣) تفسير السعدي (ص: ٤٨).

(٤) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٦٧٤).

قال أبو جعفر الطبري: ومثل الذين ينفقون أموالهم، فيتصدقون بها، ويُسبِّلُونها في طاعة الله بغير مَنٍّ علىٰ من تصدقوا بها عليه، ولا أذىٰ منهم لهم بها، ٱبتغاء رضوان الله وتصديقًا من أنفسهم بوعده ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: وهي: البستان[١].

وقال السعدي: هٰذا مثل المنفقين أموالهم علىٰ وجه تزكو عليه نفقاتهم وتقبل به صدقاتهم فقال تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ أي: قصدهم بذلك رضىٰ ربهم والفوز بقربه ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: صدر الإنفاق علىٰ وجه منشرحة له النفس سخية به، لا علىٰ وجه التردد وضعف النفس في إخراجها وذلك أن النفقة يعرض لها آفتان إما أن يقصد الإنسان بها محمدة الناس ومدحهم وهو الرياء، أو يخرجها علىٰ خور وضعف عزيمة وتردد، فهؤلاء سلموا من هاتين الآفتين فأنفقوا ٱبتغاء مرضات الله لا لغير ذلك من المقاصد، وتثبيتًا من أنفسهم، .... فيالله لو قدر وجود بستان في هٰذِه الدار بهٰذِه الصفة لأسرعت إليه الهمم وتزاحم عليه كل أحد، ولحصل الاقتتال عنده، مع ٱنقضاء هٰذِه الدار وفنائها وكثرة آفاتها وشدة نصبها وعنائها، وهٰذا الثواب الذي ذكره الله كأن المؤمن ينظر إليه بعين بصيرة الإيمان، دائم مستمر فيه أنواع المسرَّات والفرحات، ومع هٰذا تجد النفوس عنه راقدة، والعزائم عن طلبه خامدة، أترىٰ ذلك زهدًا في الآخرة ونعيمها، أم ضعف إيمان بوعد الله ورجاء ثوابه؟! وإلا فلو تيقن العبد ذلك حق اليقين وباشر الإيمان به بشاشة قلبه لانبعثت من قلبه مزعجات الشوق إليه، وتوجهت همم عزائمه إليه، وطوعت نفسه له بكثرة النفقات رجاء المثوبات[٢]..

- وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ

(١) تفسير الطبري (٥/ ٥٣٥). (٢) تفسير السعدي (ص: ١١٤).

ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٖ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

يعني إذا أعطيت لوجه الله، فلا عليك ما كان عمله وهٰذا معنىٰ حسن، وحاصله أن المتصدق إذا تصدق ٱبتغاء وجه الله فقد وقع أجره علىٰ الله، ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب: ألِبَرٍّ أو فاجر أو مستحق أو غيره، هو مثاب علىٰ قصده، ومستند هٰذا تمام الآية المذكورة والحديث المخرج في الصحيحين، **عن أبي هريرة** ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**قال رجلٌ: لاتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فاصبحوا يتحدثون: تصدق علىٰ سارق فقال: اللهم لك الحمد، لاتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانية، فاصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة علىٰ زانية، فقال: اللهم لك الحمد، علىٰ زانية؟ لاتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يدي غني، فاصبحوا يتحدثون: تصدق علىٰ غني، فقال: اللهم لك الحمد، علىٰ سارق وعلىٰ زانية وعلىٰ غني، فاتي فقيل له: أما صدقتك علىٰ سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله**»[1].

١١- التطوع على قدر العزيمة تنال المكانة، وبقدر السعي يكون الفلاح:

- قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ﴾ [التوبة: ١٠٥].

أي: فيخبركم به، ويجزيكم عليه أتم الجزاء، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر[2].

- وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ﴾ [يس: ١٢].

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ ٱنْقَطَعَ عَنْهُ**

(١) أخرجه البخاري (١٤٢١) و مسلم (١٠٢٢)، وانظر: تفسير ابن كثير (١/ ٧٠٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٦٥).

عَمَلَهُ إِلّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[١]. هٰذِه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله، وثبت في الصحيح: " مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدىً، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا[٢]".[٣]

- وقال تعالىٰ: ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [هود: ٩٣، ١٢١] [الأنعام: ١٣٥] [الزمر: ٩] أي: علىٰ حالتكم التي أنتم عليها[٤].

- وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤] أي: منا ومنكم، وسيجزي كل عامل بعمله، فإنه لا تخفىٰ عليه خافية[٥].

- وقال تعالىٰ: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [النمل: ١٣] اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرًا له وكذا كل الخلق علىٰ ما أنعم عليكم من النعم التي خصكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له علىٰ سائر نعمه التي عمكم بها مع سائر خلقه[٦].

وقال الشوكاني: إن كل إنسان يعمل علىٰ ما يُشاكل أخلاقه التي أَلِفها، وهٰذا ذم للكافر ومدح للمؤمن فربكم أعلم بمن هو أهدىٰ سبيلًا؛ لأنه الخالق لكم العالم بما جبلتم عليه من الطبائع وما تباينتم فيه من الطرائق[٧].

- وقال تعالىٰ: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾ [آل عمران: ١٩٥] أي: قال لهم مخبرًا أنه لا يضيع عمل عامل لديه، بل يوفي كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثىٰ[٨].

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).
(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٦٥).
(٤) فتح القدير للشوكاني (٦/ ٢٩٠).
(٥) تفسير ابن كثير (٥/ ١١٣).
(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٨) بتصرف.
(٧) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٠١).
(٨) مختصر تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٨).

- وقال تعالىٰ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٩ - ٤١] أي: كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه[١].

ثم يثاب بسعيه ذلك الثواب الأوفىٰ. وإنما قال جل ثناؤه (الأوفىٰ) لأنه أوفىٰ ما وعد خلقه عليه من الجزاء[٢]، فهو علىٰ أكمل وجه في الوفاء[٣].

١٢- القائمون على عمل البر خير البرية:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾. [البينة: ٧] يخبر تعالىٰ عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية[٤].

١٣- المتطوعون بعمل الخير إنما يفعلونه حبًا لله:

قال تعالي: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: ٨ -٩] أي: لا نطلب منكم مجازاة تكافئونا بها ولا أن تشكرونا عند الناس، إنما نفعل هٰذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه، في اليوم العبوس القمطرير[٥].

١٤- لأهل البر الفلاح لأنهم وصفوا بالإيثار:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] أي: يقدمون المحاويج علىٰ حاجة أنفسهم، ويبدءون بالناس قبلهم في حال ٱحتياجهم إلىٰ ذلك، فهٰؤلاء آثروا علىٰ أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلىٰ ما أنفقوه[٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٦٥).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٤٧).
(٣) التفسير الوسيط (٩/ ١١٥٩).
(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٧).
(٥) المصدر السابق (٨/ ٢٨٩).
(٦) المصدر السابق (٨/ ٧٠).

ﭐلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[الحشر:١٠]
وقد جرت عادة جمهور هٰذِه الأمة، والسواد الأعظم من سلفها وخلفها على الترضِّي عن الصحابة، والترحُّم علىٰ مَن بعدهم، والدعاء لهم بمغفرة الله وعفوه، كما أرشدنا إلىٰ ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠][١].

١٥- أعمال البر وإن خفيت يعلمها الله:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢١٥].

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٢٧].

حثهم سبحانه علىٰ فعل الجميل، وأخبرهم أنه عالم به، وسيجزيهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة[٢].

١٦- التطوع بالنكاح وما فيه من النفع الممتد:

قال تعالىٰ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء: ٣] وهٰذِه الآية تدل على التطوع في عفة النساء، بالتعدد من الزواج بهن والإنفاق عليهن، وكثرة الولد وغرس ثمرة الأسرة الصالحة التي يرجع نفعها عليها وعلىٰ غيرها، بالسمت الصالح والتربية الحسنة فينتشر الخير والصلاح في المجتمع. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **«كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُ بِالْبَاءَةِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ التَّبَتُّلِ نَهْيًا شَدِيدًا، وَيَقُولُ: «تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ، إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأَنْبِيَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ»**[٣].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٤٧). (٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٤٧).

(٣) أخرجه أحمد (١٣٥٦٩) وغيره، وصححه الألباني في آداب الزفاف (ص٥٥)، وفي الإرواء (١٧٨٤).

١٧- التطوع بإقراض الله ﷻ قرضًا حسنًا:

قال تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: ١١- ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة ٢٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحديد: ١٨].

﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: دفعوه بنية خالصة ٱبتغاء وجه الله، لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكورًا؛ ولهٰذا قال: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ﴾ أي: يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها، ويزداد علىٰ ذلك إلىٰ سبعمائة ضعف وفوق ذلك ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: ثواب جزيل حسن، ومرجع صالح ومآب ﴿كَرِيمٌ﴾[1]. بأن قدموا من أموالهم في طرق الخيرات ما يكون مُدَّخرا لهم عند ربهم[2].

القرض الحسن: هو النفقة في سبيل الله[3].

يقول الطبري في تأويل قوله تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: يعني تعالىٰ ذكره بذلك: من هٰذا الذي ينفق في سبيل الله، ، فيعين مضعفًا، أو يقوي ذا فاقة أراد الجهاد في سبيل الله، ويعطي منهم مقترًا، وذلك هو القرض الحسن الذي يقرض العبد ربه، وإنما سماه الله تعالىٰ ذكره "قرضًا"؛ لأن معنىٰ "القرض" إعطاء الرجل غيره ماله مملكًا له، ليقضيه مثله إذا ٱقتضاه. فلما كان إعطاء من أعطىٰ أهل الحاجة والفاقة في سبيل الله، إنما يعطيهم ما يعطيهم من ذلك ٱبتغاء ما وعده الله عليه من جزيل الثواب عنده يوم

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٤٠).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٦٦٣).

القيامة، سماه "قرضًا"[١].

١٨- التطوع بالخير سبب للفلاح:

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ أي: ما هو خير، وهو أعم من الطاعة الواجبة والمندوبة، وقيل: المراد بالخير هنا المندوبات. ثم علل ذلك بقوله: لعلكم تفلحون أي: إذا فعلتم هٰذِه كلها رجوتم الفلاح[٢]. تفوزون بالمطلوب المرغوب، وتنجون من المكروه المرهوب، فلا طريق للفلاح سوى الإخلاص في عبادة الخالق، والسعي في نفع عبيده، فمن وُفِّق لذلك، فله القدح المُعلَّىٰ، من السعادة والنجاح والفلاح[٣].

١٩- الله يسخر من اللامزين المطوعين ويعدهم العذاب الأليم:

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة: ٧٩].

عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ خرج إلى الناس يوما فنادىٰ فيهم: أن أجمعوا صدقاتكم. فجمع الناس صدقاتهم، ثم جاء رجل من آخرهم بصاع من تمر، فقال: يا رسول الله، هٰذا صاع من تمر بت ليلتي أجر بالجرير الماء، حتىٰ نلت صاعين من تمر، فأمسكت أحدهما، وأتيتك بالآخر. فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره في الصدقات. فسخر منه رجال، وقالوا: إن الله ورسوله لغنيان عن هٰذا. وما يصنعان بصاعك من شيء. ثم إن عبد الرحمن بن عوف قال

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٢٨٢).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٥٦).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٤٧).

لرسول الله ﷺ: هل بقي أحد من أهل الصدقات؟ فقال "لا" فقال له عبد الرحمن بن عوف: فإن عندي مائة أوقية من ذهب في الصدقات. فقال له عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: أمجنون أنت؟ قال: ليس بي جنون. قال: فعلت ما فعلت؟ قال: نعم، مالي ثمانية آلاف، أما أربعة آلاف فأقرضها ربي، وأما أربعة آلاف فلي. فقال له رسول الله ﷺ: "بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت". ولمزه المنافقون فقالوا: والله ما أعطىٰ عبد الرحمن عطيته إلا رياء. وهم كاذبون، إنما كان به متطوعًا، فأنزل الله، عز وجل، عذره وعذر صاحبه المسكين الذي جاء بالصاع من التمر، فقال تعالىٰ في كتابه: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[1].

٢٠- الله تعالى يعدد لعباده بعض أعمال البر ويحثهم عليها:

قال تعالىٰ: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧].

آتى المال علىٰ حبه: أي: أخرجه وهو محب له راغب فيه[2].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

الصدقة: هي الإحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء، الذين لا كسب لهم ولا كاسب، يعطون من فضول الأموال طاعة لله، وإحسانا إلىٰ خلقه،

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٨٦).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٥٥).

وقد ثبت في الصحيحين: " **سَبْعَةٌ يُظِلّهُمُ اللهُ فِي ظِلَهِ، يَوْمَ لاَ ظِلّ إلاّ ظِلّهُ** " فذكر منهم: " **ورجلٌ تَصَدَّق بصدقة فأخْفَاهَا، حتىٰ لا تعْلَم شِمَالُهُ مَا صَنَعَت يَمِينُهُ**"[١]

٢١- الوعيد لمن منع نفع غيره وإن كان حقيرًا.

قال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٥- ٨].

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ أي: لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلىٰ خلقه حتىٰ ولا بإعارة ما يُنتَفع به ويستعان به، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم[٢].

قال عكرمة: رأس الماعون زكاة المال، وأدناه المنخل والدلو، والإبرة[٣].

وقال السعدي: وفي هٰذِه السورة، الحث علىٰ إكرام اليتيم، والمساكين، والتحضيض علىٰ ذلك. في جميع الأعمال والحث علىٰ فعل المعروف وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإناء والدلو والكتاب، ونحو ذلك، لأن الله ذم مَن لم يفعل ذلك، والله ﷻ أعلم بالصواب[٤].

٢٢- من أعمال الخير الشفاعة الحسنة.

قال تعالىٰ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ .[النساء: ٨٥].

قال الرازي: الشفاعة هي أن يستوهب أحد لأحد شيئًا ويطلب له حاجة، وأصلها من الشفع ضد الوتر كأن صاحب الحاجة كان فردًا فصار صاحب الشفع له شفعًا: أي صار زوجا اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٧).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٩٣٥).

والمعنىٰ: من سعىٰ في أمر، فترتب عليه خير، كان له نصيب من ذلك ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ أي: يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب علىٰ سعيه ونيته، كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: **اَشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ**.[1] قال مجاهد بن جبر: نزلت هٰذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض[2].

٢٣- القائمون على أعمال البر قلوبهم وجلة:

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠﴾. [المؤمنون: ٦٠].

أي: يعطون العطاء وهم خائفون ألا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء. وهٰذا من باب الإشفاق والاحتياط، فعن عائشة؛ أنها قالت: يَا رَسُولَ اللهِ فِي هٰذِهِ الآيَةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ الذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي وَيَشْرَبُ الخَمْرَ، وَهُوَ يَخَافُ اللهَ؟ قَالَ: " لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الذِي يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يُخَافُ اللهَ ﷻ "[3]

٢٤- ترضية الله لأصحاب الأعمال الصالحة:

قال تعالىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ .[الليل: ١٧- ٢١].

ثم فسره بقوله: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ أي: يصرف ماله في طاعة ربه؛ ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩﴾ أي: ليس بَذْله حَالَهُ في مكافأة من

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٢). (٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٢٦٣)، والترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٢).

أسدىٰ إليه معروفًا، فهو يعطي في مقابلة ذلك، وإنما دفعه ذلك ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: طمعًا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ أي: ولسوف يرضىٰ من ٱتصف بهٰذِه الصفات[1].

٢٥- التطوع أجره مضاعف، وجزاؤه يستنفر الهمم:

قال تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [القصص: ٨٤]

وقال تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل: ٨٩]. يقول السعدي رحمه الله: بيَّن تعالىٰ كيفية جزائه فقال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ ٱسم جنس يشمل كل حسنة قولية أو فعلية أو قلبية ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ هٰذا أقل التفضيل[2].

وقال تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

يقول ابن كثير: وهٰذِه الآية الكريمة مفصِّلة لما أُجمِل في الآيات الأخرىٰ، وهي قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾[3]، وقد وردت الأحاديث مطابقة لهٰذِه الآية، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، فيما يروي عن ربه ﷻ قال: قال: **«إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَٰلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»**[4].

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٢). (٢) تفسير السعدي (ص: ٦١٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٨). (٤) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

٢٦- العاملون للخير يصلون ما أمر الله به أن يوصل:

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٠ - ٢٤]

وهٰذا عام في كل ما أمر الله بوصله، من الإيمان به وبرسوله، ومحبته ومحبة رسوله، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له، ولطاعة رسوله. ويصلون آباءهم وأمهاتهم ببرهم بالقول والفعل وعدم عقوقهم، ويصلون الأقارب والأرحام، بالإحسان إليهم قولًا وفعلًا ويصلون ما بينهم وبين الأزواج والأصحاب والمماليك، بأداء حقهم كاملًا موفرًا من الحقوق الدينية والدنيوية، والسبب الذي يجعل العبد وأصلًا ما أمر الله به أن يوصل، خشية الله وخوف يوم الحساب، ولهٰذا قال: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: يخافونه(١).

٢٧- المحسنون إلى عباد الله في دار المتقين في الآخرة.

قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]

من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة(٢). وقيل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ في عبادة الله تعالىٰ، وأحسنوا إلىٰ عباد الله فلهم ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ رزق واسع، وعيشه هنية، وطمأنينة قلب، وأمن وسرور(٣).

٢٨- الأمربالتطوع في الإصلاح بين المسلمين:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤١٦). (٢) المصدر السابق (٤/ ٥٦٨).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤٣٩).

عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠] والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض، بل وفي الأديان كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة، والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله. كما أن الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله ولا يتم له مقصوده كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. فهٰذِه الأشياء حيثما فعلت فهي خير[1].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء ١١٤]

مفهومها أن هٰذِه المثبتات خير لنفعها المتعدي ولكن من يفعل ذلك ٱبتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما[2].

وقال الطبري: هو كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير، وهو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين، بما أباح الله الإصلاح بينهما، ليتراجعا إلىٰ ما فيه الألفة واجتماع الكلمة، علىٰ ما أذن الله وأمر به[3]. فهٰذِه الأشياء حيثما فعلت فهي خير، كما دل علىٰ ذلك الٱستثناء فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ من مال أو علم أو أي نفع كان[4].

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٢٠٢).
(٢) تفسير السعدي (٦٤٢).
(٣) تفسير الطبري (٩/ ٢٠١).
(٤) تفسير السعدي (٢٠٢).

ثانيًا:
أمثلة عملية لأعمال الخير والتطوع في القرآن الكريم

١- تطوع ذي القرنين لحماية الضعفاء، ببناء السد بغير أجر:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف٩٣-٩٨].

قال المفسرون: ذهب متوجهًا من المشرق، قاصدًا للشمال، فوصل إلىٰ ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان، سدًا بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قومًا، لا يكادون يفقهون قولا لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطىٰ الله ذا القرنين من الأسباب العلمية، ما فقه به ألسنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم، وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم فقالوا: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك .﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي جعلا ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ودل ذلك علىٰ عدم ٱقتدارهم بأنفسهم علىٰ بنيان السد، وعرفوا ٱقتدار ذي القرنين عليه، فبذلوا له أجرة، ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا

رغبة في الدنيا، ولا تاركًا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه علىٰ تمكينه واقتداره، فقال لهم: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: مما تبذلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أي: مانعًا من عبورهم عليكم .﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ أي: الجبلين اللذين بني بينهما السد ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ النار أي: أوقدوها إيقادًا عظيمًا، واستعملوا لها المنافيخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أي: نحاسًا مذابًا، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد ٱستحكامًا هائلًا وامتنع به من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج. ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ أي: فما لهم ٱستطاعة، ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه، ولا علىٰ نقبه لإحكامه وقوته. فلما فعل هٰذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلىٰ موليها وقال: ﴿هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ أي: من فضله وإحسانه عليّ، وهٰذِه حال الخلفاء الصالحين، إذا منَّ الله عليهم بالنعم الجليلة، ٱزداد شكرهم وإقرارهم، واعترافهم بنعمة الله كما قال سليمان ﷺ، لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم، قال: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أاشكر أم أكفر﴾ بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار، تزيدهم أشرًا وبطرًا. كما قال قارون لما آتاه الله من الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة. قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[1].

٢- تطوع مؤمن آل فرعون للدفاع عن موسى ﷺ:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ

(١) تفسير السعدي (٤٨٦).

وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٨، ٢٩].

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ المشهور أن هٰذا الرجل المؤمن كان قبطيًّا من آل فرعون، قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ أي: لأجل أن يقول ربي الله، وقوله: ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: كيف تقتلون رجلا لكونه يقول: "ربي الله"، وقد أقام لكم البرهان علىٰ صدق ما جاءكم به من الحق؟ ثم تنزَّل معهم في المخاطبة فقال: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ يعني: إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه، فلا تؤذوه، فإن يك كاذبًا فإن الله سيجازيه علىٰ كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة، وإن يك صادقًا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة، فمن الجائز عندكم أن يكون صادقًا، فينبغي علىٰ هٰذا ألا تتعرضوا له، بل اُتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه[(١)].

٣- تطوع رجل من بني إسرائيل لتحذير موسى عليه السلام:

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠] قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ وصفه بالرجولية لأنه خالف الطريق، فسلك طريقا أقرب من طريق الذين بعثوا وراءه، فسبق إلىٰ موسىٰ، فقال له: يا موسىٰ ﴿إن الملا يأتمرون﴾ أي: يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ أي: من البلد ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٠- ١٤١). (٢) تفسير ابن كثير (٦ / ٢٢٦).

٤- تطوع موسى عليه السلام في خدمة الضعفاء وذوي الحاجات:

قال تعالي: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۞ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص ٢٣-٢٤].

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ أي: ولما وصل إلىٰ مدين وورد ماءها، وكان لها بئر ترده رعاء الشاء ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: جماعة ﴿يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ أي: تكفكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يؤذيا.

فلما راهما موسىٰ، عليه السلام، رقَّ لهما ورحمهما، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: ما خبركما لا تردان مع هؤلاء؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ أي: لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أي: فهٰذا الحال الملجئ لنا إلىٰ ما ترىٰ. قال الله تعالىٰ: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾[1].

قال السعدي: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ غير طالب منهما الأجرة، ولا له قصد غير وجه الله تعالىٰ[2].

٥- تطوع موسى عليه السلام في القضاء الأوفى لحق الغير:

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص: ٢٧، ٢٨]

قال ابن كثير[3]: هٰذا وقد دل الدليل علىٰ أن موسىٰ عليه السلام، إنما فعل أكمل

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦١٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٣١).

الأجلين وأتمهما؛ قال البخاري: عن سعيد بن جبير قال: سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الحِيرَةِ أَيَّ الأَجَلَيْنِ قَضَىٰ مُوسَىٰ، قُلْتُ: لاَ أَدْرِي، حَتَّىٰ أَقْدَمَ عَلَىٰ حَبْرِ العَرَبِ فَأَسْأَلَهُ، فَقَدِمْتُ، فَسَأَلْتُ ابن عَبَّاسٍ، فَقَالَ: قَضَىٰ أَكْثَرَهُمَا، وَأَطْيَبَهُمَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا قَالَ فَعَلَ."[١]

٦- تطوع موسى عليه السلام في طلب العلم وصبره على مشاق الطلب وتطوع الخضر عليه السلام في تعليمه:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف٦٠- ٦٩]

عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: إِنَّ نَوْفًا البَكَالِيَّ يَزْعُمُ: أَنَّ مُوسَىٰ صَاحِبَ الخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَىٰ آخَرُ، فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ، حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«أَنَّ مُوسَىٰ قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: بَلَىٰ، لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ: أَيْ رَبِّ وَمَنْ لِي بِهِ؟ - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ، أَيْ رَبِّ، وَكَيْفَ لِي بِهِ؟ - قَالَ: تَأْخُذُ حُوتًا، فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، حَيْثُمَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ»**[٢].

فقال تعالىٰ حاكيًا عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٤). (٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٥).

﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ وسبب قول موسىٰ- ﷺ - لفتاه -وهو يشوع بن نون-هٰذا الكلام: أنه ذكر له أن عبدًا من عباد الله بمجمع البحرين، عنده من العلم ما لم يحط به موسىٰ، فأحب الذهاب إليه، وقال لفتاه ذلك: ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أي لا أزال سائرًا حتىٰ أبلغ هٰذا المكان الذي فيه مجمع البحرين، قال قتادة وغير واحد: وهما بحر فارس مما يلي المشرق، وبحر الروم مما يلي المغرب. وقال محمد بن كعب القرظي: مجمع البحرين عند طنجة، يعني في أقصىٰ بلاد المغرب، فالله أعلم(١).

وقوله: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي: ولو أني أسير حقبًا من الزمان. قال ابن جرير، رحمه الله: ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن الحقب في لغة قيس: سنة. ثم قد روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال: الحقب ثمانون سنة. وقال مجاهد: سبعون خريفًا. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ قال: دهرًا(٢).

وقال السعدي: يخبر تعالىٰ عن نبيه موسىٰ ﷺ، وشدة رغبته في الخير وطلب العلم، أنه قال لفتاه - أي: خادمه الذي يلازمه في حضره وسفره، وهو " يوشع بن نون " الذي نبَّأه الله بعد ذلك: ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أي: لا أزال مسافرًا وإن طالت علي الشقة، ولحقتني المشقة، حتىٰ أصل إلىٰ مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحي إليه أنك ستجد فيه عبدًا من عباد الله العالمين، عنده من العلم، ما ليس عندك، ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي: مسافة طويلة، المعنىٰ: أن الشوق والرغبة، حمل موسىٰ أن قال لفتاه هٰذِه المقالة، وهٰذا عزم منه جازم، فلذلك أمضاه(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٧٣).
(٢) المصدر السابق (٥/ ١٧٤).
(٣) تفسير السعدي (١/ ٤٨١).

٧- تطوع الخضر عليه السلام في مساعدة الناس وحفظ حقوقهم:

قال تعالىٰ: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف: ٧١ - ٨٢].

جاء في قصة موسىٰ مع الخضر التي ساقها البخاري من حديث ابن عباس أن موسىٰ قال للخضر: أَنَا مُوسَىٰ، قَالَ: مُوسَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا، قَالَ: (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا)، يَا مُوسَىٰ إِنِّي عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لاَ أَعْلَمُهُ، فَقَالَ مُوسَىٰ: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩]، فَقَالَ لَهُ الخَضِرُ: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ، فَعَرَفُوا الخضِرَ فَحَمَلُوهُمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَفْجَأْ إِلَّا وَالخَضِرُ قَدْ قَلَعَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ بِالقَدُومِ، فقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: قَوْمٌ قَدْ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَىٰ سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن

تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " وَكَانَتِ الأُولَىٰ مِنْ مُوسَىٰ نِسْيَانًا ، قَالَ: وَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَىٰ حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي البَحْرِ نَقْرَةً، فَقَالَ لَهُ الخَضِرُ: مَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هٰذا العُصْفُورُ مِنْ هٰذا البَحْرِ، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ فَبَيْنَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذْ أَبْصَرَ الخَضِرُ غُلامًا يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الخَضِرُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا). (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) قَالَ: وهٰذِهِ أَشَدُّ مِنَ الأُولَىٰ، قَالَ: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧]- قَالَ: مَائِلٌ - فَقَامَ الخَضِرُ فَأَقَامَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ مُوسَىٰ: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُضَيِّفُونَا، ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]، قَالَ: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَىٰ كَانَ صَبَرَ حَتَّىٰ يَقُصَّ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا"[1].[2].

قال ابن كثير في قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ هٰذا تفسير ما أشكل أمره علىٰ موسىٰ(، وما كان أنكر ظاهره وقد أظهر الله الخضر، (، علىٰ باطنة فقال إن: السفينة إنما خرقتها لأعيبها؛ لأنهم كانوا يمرون بها علىٰ ملك من الظلمة ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة، أي: جيدة ﴿غَصْبًا﴾ فأردت أن أعيبها لأرده عنها لعيبها، فينتفع بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها. وقد قيل: إنهم أيتام. ثم قال: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ١٧٦).

وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ وفي الحديث، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ قال: "الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرًا". ولهٰذا قال: ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾أي: يحملهما حبه علىٰ متابعته على الكفر. فقال: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ أي: ولدًا أزكىٰ من هٰذا، وهما أرحم به منه، قاله ابن جريج. وقال قتادة: أبرّ بوالديه[1].

ثم قال: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾. ومعنى الآية: أن هٰذا الجدار إنما أصلحه لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما. قال عكرمة، وقتادة، وغير واحد: كان تحته مال مدفون لهما. وهٰذا ظاهر السياق من الآية[2].

قال ابن كثير: كان ابن عباس يقرأ: "وكان أمامهم ملكٌ يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا" وكان يقرأ: "وأما الغلام فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين[3]."[4]

٨- تطوع داود في القضاء والحكم بالحق بين المتنازعين وببذل الحكمة لهما.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) المصدر السابق (٥/ ١٨٤).
(٢) المصدر السابق (٥/ ١٨٥).
(٣) أخرجه البخاري (٤٧٢٥).
(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ١٧٦).

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة ص: ١٧ - ٢٦]

يذكر تعالىٰ عن عبده ورسوله داود ﷺ: أنه كان ذا أيد والأيد: القوة في العلم والعمل. وقال قتادة: أعطي داود [ﷺ] قوة في العبادة وفقها في الإسلام، وقد ذكر لنا أنه ﷺ كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر. وهٰذا ثابت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: " أن رسول الله ﷺ قَالَ لَهُ: «**أَحَبُّ الصَّلاَةِ إِلَىٰ اللهِ صَلاَةُ دَاوُدَ ي، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَىٰ اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا**»[١] . وإنه كان أوابًا، وهو الرجّاع إلىٰ الله ﷻ في جميع أموره وشئونه[٢].

قال السعدي: ثم ذكر منّته عليه بالملك العظيم فقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ أي: قوّيناه بما أعطيناه من الأسباب وكثرة العَدَد والعُدَد التي بها قوىٰ الله ملكه، ثم ذكر منته عليه بالعلم فقال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: النبوة والعلم العظيم، ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ أي: الخصومات بين الناس، لما ذكر تعالىٰ أنه آتىٰ نبيه داود الفصل في الخطاب بين الناس، وكان معروفًا بذلك مقصودًا، ذكر تعالىٰ نبأ خصمين ٱختصما عنده في قضية جعلهما الله فتنة لداود، وموعظة لخلل ٱرتكبه، فتاب الله عليه، وغفر له، وقيض له هٰذِه القضية، فقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾ فإنه نبأ عجيب ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟﴾ علىٰ داود ﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾ أي: محل عبادته من غير إذن ولا ٱستئذان، ولم يدخلوا عليه مع باب، فلذلك لمّا دخلوا عليه بهٰذِه الصورة، فزع منهم

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣١)، و مسلم (١١٥٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٥٧).

وخاف، فقالوا له: نحن ﴿خَصْمَانِ﴾ فلا تخف ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بالظلم ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعدل، ولا تمل مع أحدنا ﴿وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾والمقصود من هٰذا، أن الخصمين قد عرف أن قصدهما الحق الواضح الصرف، وإذا كان ذلك، فسيقصَّان عليه نبأهما بالحق، فلم يشمئز نبي الله داود من وعظهما له، ولم يؤنبهما، فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ نص على الأخوة في الدين أو النسب أو الصداقة، لاقتضائها عدم البغي، وأن بغيه الصادر منه أعظم من غيره. ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ وذلك خير كثير، يوجب عليه القناعة بما آتاه الله.

﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ فطمع فيها ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي: دعها لي، وخلِّها في كفالتي، ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ أي: غلبني في القول، فلم يزل بي حتىٰ أدركها أو كاد. فقال داود - لما سمع كلامه - ومن المعلوم من السياق السابق من كلامهما، أن هٰذا هو الواقع، فلهذا لم يحتج أن يتكلم الآخر، فلا وجه للاعتراض بقول القائل: " لم حكم داود، قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر؟ " ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ وهٰذه عادة الخلطاء والقرناء الكثير منهم، فقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ لأن الظلم من صفة النفوس. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فإن ما معهم من الإيمان والعمل الصالح، يمنعهم من الظلم .﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾، ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ حين حكم بينهما ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أي: ٱختبرناه ودبرنا عليه هٰذه القضية ليتنبه ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ لما صدر منه، ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي: ساجدا ﴿وأناب﴾ لله تعالىٰ بالتوبة النصوح والعبادة .﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ الذي صدر منه، وأكرمه الله بأنواع الكرامات، فقال: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي: منزلة عالية، وقربة منا، ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ أي: مرجع، وهٰذا الذنب الذي صدر من داود ﷺ، لم يذكره الله لعدم الحاجة إلىٰ ذكره، فالتعرُّض له من باب التكلف، وإنما الفائدة ما قصه الله علينا من لطفه به

وتوبته وإنابته، وأنه ٱرتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تنفذ فيها القضايا الدينية والدنيوية، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: العدل، وهٰذا لا يتمكن منه، إلا بعلم بالواجب، وعلم بالواقع، وقدرة علىٰ تنفيذ الحق، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ فتميل مع أحد، لقرابة أو صداقة أو محبة، أو بغض للآخر ﴿فَيُضِلَّكَ﴾ الهوىٰ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ويخرجك عن الصراط المستقيم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ خصوصا المتعمدين منهم، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ فلو ذكروه ووقع خوفه في قلوبهم، لم يميلوا مع الهوى الفاتن بهم[(١)].

٩- كفالة زكريا لمريم عليهما السلام:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧].

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي: جعله كافلًا لها، وما ذاك إلا أنها كانت يتيمة. وذكر أن بني إسرائيل أصابتهم سنة جدب، فكفل زكريا مريم لذلك. ولا منافاة بين القولين. والله أعلم، وإنما قدر الله كون زكريا كافلها لسعادتها، لتقتبس منه علمًا جمًّا نافعًا وعملًا صالحًا[(٢)].

١٠- تطوع يوسف عليه السلام بما آتاه الله من علم وحكمة للدعوة لدين الله وخدمة الناس:

قال تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٧١١).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٥).

ﭐلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف: ٣٦، ٤١]

فيوسف ﷺ دعا صاحبي السجن لعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، فيحتمل أنهما ٱستجابا وانقادا، فتمت عليهما النعمة، ويحتمل أنهما لم يزالا علىٰ شركهما، فقامت عليهما -بذلك- الحجة، ثم إنه ﷺ شرع يعبر رؤياهما، بعد ما وعدهما ذلك، فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ وهو الذي رأىٰ أنه يعصر خمرًا، فإنه يخرج من السجن ﴿فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾ أي: يسقي سيده الذي كان يخدمه خمرًا، وذلك مستلزم لخروجه من السجن، ﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ﴾ وهو: الذي رأىٰ أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه. ﴿فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾ فإنه عبر عن الخبز الذي تأكله الطير، بلحم رأسه وشحمه، وما فيه من المخ، وأنه لا يقبر ويستر عن الطيور، بل يصلب ويجعل في محل، تتمكن الطيور من أكله، ثم أخبرهما بأن هٰذا التأويل الذي تأوله لهما، أنه لا بد من وقوعه فقال: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ أي: تسألان عن تعبيره وتفسيره[1].

وقال تعالىٰ: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: ٤٦ - ٤٩]

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٣٩٧).

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ أي: كثير الصدق في أقواله وأفعاله .﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فإنهم متشوقون لتعبيرها، وقد أهمتهم؛ فعبر يوسف السبع البقرات السمان والسبع السنبلات الخضر، بأنهن سبع سنين مخصبات، والسبع البقرات العجاف، والسبع السنبلات اليابسات، بأنهن سنين مجدبات، ولعل وجه ذلك - والله أعلم - أن الخصب والجدب لما كان الحرث مبنيًّا عليه، وأنه إذا حصل الخصب قويت الزروع والحروث، وحسن منظرها، وكثرت غلالها، والجدب بالعكس من ذلك. وكانت البقر هي التي تحرث عليها الأرض، وتسقىٰ عليها الحروث في الغالب، والسنبلات هي أعظم الأقوات وأفضلها، عبرها بذلك، لوجود المناسبة، فجمع لهم في تأويلها بين التعبير والإشارة لما يفعلونه، ويستعدون به من التدبير في سني الخصب، إلىٰ سني الجدب فقال: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ أي: متتابعات .﴿فَمَا حَصَدتُّمْ﴾ من تلك الزروع ﴿فَذَرُوهُ﴾ أي: ٱتركوه ﴿فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لأنه أبقىٰ له وأبْعَد من الٱلتفات إليه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ أي: دبروا أيضًا أكلكم في هٰذِه السنين الخصبة، وليكن قليلًا ليكثر ما تدخرون ويعظم نفعه ووقعه.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد تلك السنين السبع المخصبات .﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ أي: مجدبات جدًا ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: يأكلن جميع ما ٱدخرتموه ولو كان كثيرًا .﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ أي: تمنعونه من التقديم لهن، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد السبع الشداد ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ أي: فيه تكثر الأمطار والسيول، وتكثر الغلات، وتزيد علىٰ أقواتهم، حتىٰ إنهم يعصرون العنب ونحوه زيادة علىٰ أكلهم، ولعل ٱستدلاله علىٰ وجود هٰذا العام الخصب، مع أنه غير مصرح به في رؤيا الملك، لأنه فهم من التقدير بالسبع الشداد، أن العام الذي يليها يزول به شدتها، ومن المعلوم أنه لا

يزول الجدب المستمر سبع سنين متواليات، إلا بعام مخصب جدًا، وإلا لما كان للتقدير فائدة، فلما رجع الرسول إلى الملك والناس، وأخبرهم بتأويل يوسف للرؤيا، عجبوا من ذلك، وفرحوا بها أشد الفرح(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٤-٥٦].

- قال يوسف عليه السلام: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ مدح نفسه، ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره، للحاجة. وذكر أنه ﴿حَفِيظٌ﴾ أي: خازن أمين، ﴿عَلِيمٌ﴾ ذو علم وبصر بما يتولاه..

وسأل العمل لعلمه بقدرته عليه، ولما في ذلك من المصالح للناس، وإنما سأل أن يجعل علىٰ خزائن الأرض، وهي الأهرام التي يجمع فيها الغلات، لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها، ليتصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد، فأجيب إلىٰ ذلك رغبة فيه، وتكرمة له؛ ولهٰذا قال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أرض مصر، يتصرف فيها كيف يشاء(٢).

١١- تطوع غلام الأخدود ليجود بنفسه لتعليم الناس التوحيد:

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(١) تفسير السعدي (١/ ٣٩٩). (٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٥).

وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١﴾ [البروج: ١ - ١١].

فعن صهيب، أن رسول الله ﷺ قال: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَىٰ عَلَىٰ دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّىٰ يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَىٰ، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَىٰ، فَإِنِ ٱبْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ٱرْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ٱرْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ

فَوَضَعَ المِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ٱرْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ فَدَفَعَهُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: ٱذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ ٱكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِم الجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى المَلِكِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: ٱذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ البَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ ٱكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِم السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى المَلِكِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّىٰ تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَىٰ جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ القَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الغُلَامِ، ثُمَّ ٱرْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَىٰ جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ القَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ، فَأُتِيَ المَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ واللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: ٱقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّىٰ جَاءَتِ ٱمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الغُلَامُ: يَا أُمَّه ٱصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ»[١].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).

١٢- تطوع مسلم (آل يس) لهداية الخلق:

قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٠ - ٢٧].

قال ابن كثير نقلًا عن ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكعب الحبار، ووهب بن منبه: إن أهل القرية هموا بقتل رسلهم، فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعىٰ، أي: لينصرهم من قومه، قالوا: وهو حبيب، وكان يعمل الجرير -وهو الحبال- وكان رجلًا سقيمًا قد أسرع فيه الجذام، وكان كثير الصدقة، يتصدق بنصف كسبه، مستقيم الفطرة، ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: يحضُّ قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم، ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ أي: علىٰ إبلاغ الرسالة، ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ فيما يدعونكم إليه، من عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ أي: وما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم المعاد، فيجازيكم علىٰ أعمالكم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾؟ استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ أي: هـٰذه الآلهة التي تعبدونها من دونه لا يملكون من الأمر شيئًا. فإن الله لو أرادني بسوء، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [يونس: ١٠٧] وهـٰذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا ينقذونني مما أنا فيه، ﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ أي: إن اتخذتها آلهة من دون الله، وقوله: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ يقول لقومه: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الذي كفرتم به، ﴿فَٱسْمَعُونِ﴾ أي: فاسمعوا قولي، ويحتمل أن يكون خطابه للرسل بقوله: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ

﴿بِرَبِّكُمْ﴾ أي: الذي أرسلكم، ﴿فَٱسْمَعُونِ﴾ أي: فاشهدوا لي بذلك عنده.

وقد حكاه ابن جرير فقال: وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسل، وقال لهم: ٱسمعوا قولي، لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، إني قد آمنت بربكم واتبعتكم، وهٰذا القول الذي حكاه هٰؤلاء أظهر في المعنىٰ، والله أعلم، فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، ولم يكن له أحد يمنع عنه، فجعلوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: «اللهم ٱهد قومي، فإنهم لا يعلمون». فلم يزالوا به حتىٰ أقعصوه وهو يقول كذلك، فقتلوه، رحمه الله، ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

تمنىٰ علىٰ الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله له، وما هجم عليه، وقال ابن عباس: نصح قومه في حياته بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وبعد مماته في قوله: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾، ومقصوده أنهم لو ٱطلعوا علىٰ ما حصل من هٰذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم، لقادهم ذلك إلى ٱتباع الرسل، فرحمه الله ورضي عنه، فلقد كان حريصًا علىٰ هداية قومه[1].

١٣- تطوع النملة لخدمة النمل وتحذيرها لهم من الهلاك:

قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل: ١٧، ١٨].

أي: خافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها، فأمرتهم بالدخول إلىٰ مساكنها ففهم ذلك سليمان- عليه السلام - منها[2].

١٤- تطوع الهدهد للدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده:

قال تعالىٰ: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾

---

(١) تفسير ابن كثير (٦ / ٥٧٠-٥٧٢). (٢) المصدر السابق (٦/ ١٨٣).

لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: ٢٠ - ٣١].

فقال: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ أي: تملك قبيلة سبأ وهي امرأة ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يؤتاه الملوك من الأموال والسلاح والجنود والحصون والقلاع ونحو ذلك. ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ أي: كرسي ملكها الذي تجلس عليه عرش هائل، وعظم العروش تدل علىٰ عظمة المملكة وقوة السلطان وكثرة رجال الشورىٰ .﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: هم مشركون يعبدون الشمس .﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فرأوا ما عليه هو الحق، ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ لأن الذي يرىٰ أن الذي عليه حق، لا مطمع في هدايته حتىٰ تتغير عقيدته، ثم قال: ﴿أَلَّا﴾ أي: هلا ﴿يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: يعلم الخفي الخبيء في أقطار السماوات وأنحاء الأرض، من صغار المخلوقات وبذور النباتات وخفايا الصدور، ويخرج خبء الأرض والسماء بإنزال المطر وإنبات النباتات، ويخرج خبء الأرض عند النفخ في الصور وإخراج الأموات من الأرض ليجازيهم بأعمالهم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا تنبغي العبادة والإنابة والذل والحب إلا له؛ لأنه المألوه لما له من الصفات الكاملة والنعم الموجبة لذلك .﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الذي هو سقف المخلوقات ووسع الأرض والسماوات، فهٰذا

الملك عظيم السلطان كبير الشأن هو الذي يذل له ويخضع ويسجد له ويركع، فسلم الهدهد حين ألقىٰ إليه هٰذا النبأ العظيم، وتعجب سليمان كيف خفي عليه.

وقال مثبتًا لكمال عقله ورزانته ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا﴾ وسيأتي نصه ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي ٱستأخر غير بعيد ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ إليك وما يتراجعون به فذهب به فألقاه عليها فقالت لقومها ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ أي جليل المقدار من أكبر ملوك الأرض ثم بينت مضمونه فقالت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي: لا تكونوا فوقي بل ٱخضعوا تحت سلطاني، وانقادوا لأوامري وأقبلوا إلي مسلمين[1].

---

(١) تفسير السعدي (٦٠٣).

ثالثًا: فضل العمل التطوعي في السنة

١- الإخلاص في عمل التطوع رجاء ثواب الله وحده:

- عن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لامْرِئٍ مَا نَوىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ ٱمْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**"[(١)].

القائم بأعمال تطوعية من خدمات متنوعة وإعانة علىٰ مصالح الدنيا وقضاء الحوائج لا بد له من مراقبة نيته حتىٰ لا يعتريها خلل في حب الظهور وطلب المعالي من الدنيا بهٰذا البذل، لذا لابد من ٱستحضار النية الصادقة قبل كل عمل من أعمال البر.

قال النووي: في هٰذا الحديث، أجمع المسلمون علىٰ عظم موقع هٰذا الحديث وكثرة فوائده، وصحته. قال الشافعي وآخرون: هو ثلث الأسلام، وقال الشافعي: يدخل في سبعين بابًا من الفقه، وقال آخرون: هو ربع الأسلام، وقال عبد الرحمن بن مهدىٰ وغيره: ينبغي لمن صنف كتابًا أن يبدأ فيه بهٰذا الحديث؛ تنبيهًا للطالب علىٰ تصحيح النية. ونقل الخطابي هٰذا عن الأئمة مطلقًا، وقد فعل ذلك البخاري وغيره، فابتدؤا به قبل كل شيء، وذكره البخاري في سبعة مواضع من كتابه[(٢)].

وقال الحافظ السندي: إنه ليس للفاعل من عمله إلا نيته، أي الذي يرجع إليه من العمل نفعا أو ضرًا هي النية، فإن العمل بحسبها يحسب خيرًا وشرًا،

---

(١) أخرجه البخاري (١)، (٦٦٨٩)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (١٣/ ٥٣).

ويجزى المرء بحسبها على العمل ثوابًا وعقابًا، ويكون العمل تارة حسنًا وتارة قبيحًا بسببها، ويتعدد الجزاء بتعددها، ولذلك قال صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم: "**أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**"[(١)][(٢)].

- وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلاَّ أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ ٱمْرَأَتِكَ**"[(٣)].

أي: حتى اللقمة التي تطعمها ٱمرأتك تؤجر عليها إذا قصدت بها وجه الله، مع أن الإنفاق على الزوجة أمر واجب، لو لم تنفق لقالت: أنفق أو طلق، ومع هٰذا إذا أنفقت علىٰ زوجتك تريد به وجه الله آجرك الله علىٰ ذلك، وكذلك إذا أنفقت علىٰ أولادك، إذا أنفقت علىٰ أمك، علىٰ أبيك؛ بل إذا أنفقت علىٰ نفسك تبتغي بذلك وجه الله فإن الله يثيبك علىٰ هٰذا[(٤)].

- عن أبي ذر ﷺ، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: "**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرى المُؤْمِنِ**"[(٥)].

قال النووي: قال العلماء: معناه هٰذِه البشرى المعجلة له بالخير، وهي دليل علىٰ رضا الله تعالىٰ عنه ومحبته له[(٦)].

وقال القاضي عياض: في قوله: "**الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه**" : أي عنوان الخير له، ودليل علىٰ رضا الله عنه وحبه له، ودليله أيضا قوله ﷺ: "**ثم يُوضَعُ لَهُ القَبولُ في الأَرْض**"[(٧)] وهٰذا كله إذا كان حمد الناس له عليه من غير طلبه ذلك وتعرضه له، فإن هٰذا أصل الرياء وأعظم

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (٢٩٩٦).

(٢) حاشية السندي علىٰ صحيح البخاري (١/ ٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦). (٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين (ص: ٨).

(٥) أخرجه مسلم (١٦٦). (٦) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ١٨٩).

(٧) أخرجه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٤٧٧٢).

الآفات لإفساد الأعمال وهلاك العاملين لها وتزيين الشرك. وقوله: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرى المُؤْمِنِ**» أي: البشرى المعجلة، ونبَّه على المؤجلة في الآخرة بقوله: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ [الحديد: ١٢][(١)].

٢- التطوع بنفع الغير ما أمكن:

- عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: " لدغت رجلًا منا عقربٌ ونحن مع رسول الله ﷺ فقال رجلٌ يا رسول الله أرقيه؟ فقال ﷺ: "**مَنِ ٱسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**"[(٢)].

- وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "**كُلُّ سُلامَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَىٰ دابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**"[(٣)].

السُّلَامىٰ: بضم السين المهملة وتخفيف اللام وهو المفصل وجمعه سلاميات[(٤)]، ومعنىٰ كون الإماطة صدقة أنه تسبب إلىٰ سلامة من يمر به من الأذىٰ؛ فكأنه تصدق عليه بذلك فحصل له أجر الصدقة وقد جعل النبي ﷺ الإمساك عن الشر صدقة على النفس[(٥)].

- وعن عائشة ﷺ قالت: إن رسول الله ﷺ قال: "**إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَىٰ سِتِّينَ وَثَلاَثِمِائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللهَ، وَحَمِدَ اللهَ، وَهَلَّلَ اللهَ، وَسَبَّحَ اللهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا**

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ١٢٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢١٩٩).
(٣) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٦٧٧).
(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (٧/ ٩٣).
(٥) فتح الباري (٥/ ١١٤).

عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَىٰ عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِائَةِ السُّلَامَىٰ، فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ"[1].

قال السيوطي: والمفاصل هي العظام التي ينفصل بعضها من بعض وقد سمَّاها سلاميات، والعظام التي في الإنسان أصل وجوده وبها حصول منافعه، وحق المنعم عليه أن يقابل كل نعمة منها بشكر يخصها وهي أن يعطي صدقة كما أعطي[2].

٣- حث الشريعة على عمل الخير:

عن أبي ذر ﷺ قال: قلت: يَا رسُولَ اللهِ؟ دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلَ العَبْدُ بِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ قَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فقَالَ: "**يُؤْمِنُ بِاللهِ**". قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ مَعَ الإِيمَانِ عَمَلًا. قَالَ: "**يَرْضَخُ مِمَّا رَزَقَهُ اللهُ**". قُلْتُ: وَإِنْ كَانَ مُعْدَمًا لَا شَيْءَ لَهُ. قَالَ: "**يَقُولُ مَعْرُوفًا بلسانه**". قال: قلت: وإن كَانَ عَيِيًّا لَا يُبْلِغُ عَنْهُ لِسَانُهُ. قَالَ: "**فَيُعِينُ مَغْلُوبًا**". قُلْتُ: فَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا لَا قُدْرَةَ لَهُ. قَالَ: "**فَلْيَصْنَعْ لِأَخْرَقَ**". قُلْتُ: وَإِنْ كان أخرق. قال: فالتفت إليّ وقال: "**مَا تُرِيدُ أَنْ تدَعَ فِي صَاحِبِكَ شَيْئًا مِنَ الخَيْرِ فَلْيَدَعِ النَّاسَ مِنْ أَذَاهُ**". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هٰذِه كَلِمَةُ تَيْسِيرٍ. فقَالَ ﷺ: "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ عَبْدٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا يُرِيدُ بِهَا مَا عِنْدَ اللهِ إِلاَّ أَخَذَتْ بيده يوم القيامة حتىٰ تدخله الجنة**"[3].

قال ابن رجب: فاشترط في هٰذا الحديث لهٰذِه الأعمال كلها إخلاص النية[4].

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٠٧).

(٢) شرح السيوطي علىٰ مسلم (٣/ ٨٠).

(٣) أخرجه ابن حبان (٣٧٣) في صحيحه، وقال الألباني: صحيح لغيره. ٱنظر: الصحيحة (٢٦٦٨).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢ / ٨٩).

٤- التطوع لتعلم العلم وبذله:

- عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **"مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللهُ، وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هٰذِهِ الأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ: حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ"**(١).

- عن سهل بن سعد، ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **"فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ"**(٢).

قال ابن الأنباري: حمر النعم: كرامها وأعلاها منزلة(٣).

- عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ"**(٤).

- عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **"إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"**(٥).

- عن جرير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ"**(٦).

- عن ابن مسعود ﷺ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **"لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا"**(٧).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣١٢). (٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٩).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ١٦٦).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٩٣). (٥) المصدر السابق (١٦٣١).

(٦) المصدر السابق (١٠١٧).

(٧) أخرجه البخاري (١٤٠٩)، ومسلم (١٣٥١).

قوله: " **لا حسد إلا في ٱثنتين** " معناه: لا حسد محمودٌ أو ممدوح إلا هٰذا؛ لأنه حسدٌ علىٰ فعل الخير[١]، وهٰذا من الحسد الحلال، والحاسد فيه مشكور؛ لأنه إنما حسده على العمل بالقرآن والعلم، وحسد صاحب المال علىٰ نفقته له في حقه فلم يقع الحسد علىٰ شيء من أمور الدنيا، وإنما وقع علىٰ ما يرضي الله ويقرب منه، فلذلك كان تمنيه حسنًا، وكذلك تمني سائر أبواب الخير إنما يجوز منه ما كان في معنىٰ هٰذا الحديث إذا خلصت النية في ذلك لله، وخلص ذلك من البغي والحسد[٢]، فبين أنه لا شيء أرفع من هاتين الحالتين[٣].

والمراد من الحسد المذكور في الحديث هو الغبطة، فإن الغبطة هي أن يتمنىٰ أن يكون له مثل ما لأخيه من غير أن يتمنىٰ زوالها عن أخيه، والحسد المذموم أن يرى الرجل لأخيه نعمة يتمناها لنفسه وزوالها عن أخيه[٤].

- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا ٱجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**"[٥].

(ومن سلك طريقًا) حقيقيًّا حسيًّا وهو المشي بالأقدام إلىٰ مجالس العلماء، أو معنويًّا مثل حفظ العلم ومدارسته ومذاكرته ومطالعته وكتابته والتفهُّم له، ونحو ذلك من الطرق المعنوية التي يُتَوصَّل بها إلى العلم... .

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٨٤).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٢٨٩-٢٩٠).

(٣) المصدر السابق (١٠/ ١٧٢).

(٤) شرح السنة للإمام البغوي (١/ ٢٩٩).

(٥) أخرجه مسلم (٤٨٦٧).

(ومن بطأ به عمله) بتشديد الطاء، من التبطئة ضد التعجيل كالإبطاء، والباء للتعدية أي من أخره عن بلوغ درجة السعادة عملُه السيء في الآخرة، أو تفريطه في العمل الصالح[١].

- عن عثمان ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**"[٢].

٥- التطوع بعقد الندوات والمحاضرات لتعليم الناس الدين:

- عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قَالَ: "**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدىٰ، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**"[٣].

- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قالت النساء للنبي ﷺ: غَلبَنَا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: "**ما منكن ٱمرأةٌ تقدم ثلاثةً من ولَدِها، إلا كانَ لها حجابًا من النار، فقالت ٱمرأةٌ: واثنتين؟ فقال: (واثْنَتَين)**"[٤].

٦- التطوع بإحياء السنن التي أميتت:

- عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: "**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**"[٥].

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري (١/ ٣٠٨).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٧). (٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).
(٤) أخرجه البخاري (١٠١). (٥) أخرجه مسلم (١٠١٧).

٧- التطوع بالتصدق عن الوالدين بعد موتهما:

- عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، أَيَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: « **نَعَمْ** »، قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِيَ المِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا "[١].

- وعن ابن عباس أيضًا: أَنَّ ٱمْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ، أَفَأَحُجَّ عَنْهَا؟ قَالَ: « **نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَىٰ أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟** »، قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ: « **اقْضُوا اللهَ الذِي لَهُ، فَإِنَّ اللهَ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ** »[٢].

- وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: « **الصَّلَاةُ عَلَىٰ مِيقَاتِهَا** »، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: « **ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ** »، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: « **الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ** » فَسَكَتُّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَوِ ٱسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي[٣].

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاء رجلٌ إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: « **أُمُّكَ** » قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: « **ثُمَّ أُمُّكَ** » قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: « **ثُمَّ أُمُّكَ** » قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: « **ثُمَّ أَبُوكَ** »[٤].

٨- التطوع ببر أهل ودِّ الأب:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: إنىٰ سمعت رسول الله ﷺ يقول: " **إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ** "[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٦).

(٢) المصدر السابق (٧٣١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٨٢).

(٤) المصدر السابق (٥٩٧١).

(٥) المصدر السابق (٦٦٧٧).

٩- التطوع بالإنفاق في وجوه الخير:

- عن أبي ذر ﷺ، قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أَبْصَرَ - يَعْنِي أُحُدًا - قَالَ: « **مَا أُحِبُّ أَنَّهُ تَحَوَّلَ لِي ذَهَبًا، يَمْكُثُ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ فَوْقَ ثَلاَثٍ، إِلاَّ دِينَارًا أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ** » ثُمَّ قَالَ: "**إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ، إِلاَّ مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا**، - وَأَشَارَ أَبُو شِهَابٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ - **وَقَلِيلٌ مَا هُمْ**"[١].

هٰؤلاء قوم أنفقوا في سبيل الله في غير سرف ولا إملاق ولا تبذير ولا فساد[٢].

وفي هٰذا الحديث إشارة إلىٰ أن المؤمن لا ينبغي له أن يتمنىٰ كثرة المال إلا بشرط أن يسلطه الله تعالىٰ علىٰ إنفاقه في طاعته ٱقتداء بالشارع في ذلك، وفيه أن المبادرة إلى الطاعة مطلوبة، وفيه أنه كان يكون عليه دين لكثرة مواساته بقُوتِه وقُوت عياله وإيثاره علىٰ نفسه أهلَ الحاجة، وفيه الرضا بالقليل والصبر علىٰ خشونة العيش[٣].

- وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّىٰ تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**"[٤].

١٠- التطوع بأعمال صالحة تلحق الإنسان بعد موته:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنُ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلِمَهُ وَنَشَرَهُ، أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، أَوْ مَسْجِدًا**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٨٨)، ومسلم (٩٤) بنحوه.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٣٠٥)

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣٣/ ٢١٧).

(٤) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهَرًا كَرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِ"[١].

١١- التطوع بإماطة الأذى عن الطريق:

- عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**"[٢].

أي تنحيته وإبعاده، والمراد بالأذىٰ كل ما يؤذىٰ من حجر أو مدر أو شوك أو غيره[٣]، فأشار إلىٰ أن خصال الإيمان منها قول باللسان، ومنها ما هو عمل بالجوارح، ومنها ما هو قائم بالقلب[٤].

- وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَىٰ يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي**[٥] **أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي المَسْجِدِ، لاَ تُدْفَنُ**"[٦].

قوله: (**عرضت علي أعمال أمتي**) أي: حين أخذهم منه الميثاق قبل الإيجاد[٧].

وإماطة الأذىٰ: أي تنحيته، وهو ما يؤذي في الطريق كالشوك والحجر

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٤٩٠)، وابن ماجه (٢٤٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٤٨)، وقال الألباني: حسن، ٱنظر: الجامع (١/ ٤٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (٥١).

(٣) شرح النووي علىٰ مسلم (٢/ ٦).

(٤) فتح الباري، لابن رجب (١/ ٢٩).

(٥) قال النووي: الذم هنا لا يختص بصاحب النخاعة، بل يدخل فيه هو وكل من رآها ولا يزيلها بدفن أوحك ونحوه. شرح النووي علىٰ مسلم (٥/ ٤٢).

(٦) أخرجه مسلم (٨٥٩).

(٧) حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه (٢/ ٣٩٤).

والنجاسة ونحوها[١].

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ**[٢] **فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**"[٣].

وقال السيوطي: فيه فضيلة إماطة الأذىٰ عن الطريق وهو كل مؤذ، وهٰذِه الإماطة أدنىٰ شعب الأيمان[٤].

وقال ابن حجر: وفيه أن قليل الخير يحصل به كثير الأجر[٥].

- وعن أبي برزة ﷺ قال: قلت يا رسول الله، دلني علىٰ عمل أنتفع به قال: "**نَحِّ الأَذىٰ عَن طَرِيقِ المُسْلِمِينَ**"[٦].

وقد جاء في الحديث الآخر: أنه من شعب الإيمان، فكل ما أدخل نفعًا على المسلمين أو أزال عنهم ضررًا فهو منه، لكنه كله من النصيحة الواجبة على المسلمين بعضهم لبعض، التي بايع عليها النبي ﷺ أصحابه من النصح لكل مسلم، بنصحه في حضرته وغيبته بكل قول وفعل يعود عليه بمنفعة لدينه ودنياه[٧].

١٢- خير الناس من يرجى الخير منه ويؤمن شره:

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ وقف علىٰ أناس جلوس فقال: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟**» قَالَ: فَسَكَتُوا، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا، قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَىٰ**

(١) شرح السيوطي لسنن النسائي (٨/ ١١٠).
(٢) أي: نحَّاهُ في جانب الطريق حتىٰ لا يؤذي الناس في الطريق.
(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢، ٢٤٧٢)، ومسلم (١٩١٤).
(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (١٣/ ٦٢).
(٥) فتح الباري (٥/ ١١٨).
(٦) أخرجه مسلم (٢٦١٨).
(٧) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٩٧).

خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لاَ يُرْجَىٰ خَيْرُهُ وَلاَ يُؤْمَنُ شَرُّهُ»(١).

قوله: (ألا أخبركم بخيركم من شركم) أي أخبركم بخيركم مميَّزًا من شركم، (خيركم من يرجىٰ خيره ويؤمن شره) أي: من يؤمل الناس الخير من جهته ويأمنون من الشر من جهته، (وشركم من لا يرجىٰ خيره ولا يؤمن شره) أي: وشركم من لا يؤمل الناس الخير منه، ولا يأمنون شره، وبيَّن به أن عدل الإنسان مع أكفائه واجب(٢).

- وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « **عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ** » **قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ:** « **فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ** » **قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ:** « **فَيُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ** » **قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ:** « **فَيَأْمُرُ بِالخَيْرِ** » **أَوْ قَالَ:** « **بِالْمَعْرُوفِ** » **قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ:** « **فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ** »(٣).

- وعن أبي ذر ﷺ، قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺأَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ**»، قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**أَعْلاَهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا**»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «**تُعِينُ ضَايِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ**»، : قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «**تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَىٰ نَفْسِكَ**»(٤).

قال ابن بطال: إن محمل هٰذا الحديث عند الفقهاء الحض والندب على الصدقة وأفعال الخير كلها، فإن قيل: كيف يكون إمساكه عن الشر صدقة؟

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٦٣)، وأحمد (٨٨١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٠٣).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٣٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٢٢)، ومسلم (١٠٠٨).

(٤) أخرجه البخاري (٢٥١٨) ومسلم (١١٩).

قيل: إذا أمسك شره عن غيره فكأنه قد تصدق عليه بالسلامة منه، وإن كان شرًا لا يعدو نفسه، فقد تصدق علىٰ نفسه بأن منعها من الإثم[(١)].

وقال ابن حجر: والضائع: ذو الضياع من فقر أو عيال كثير، و رجل أخرق: لا صنعة له: أي غير صانع، وقوله: (فإن لم أفعل) أي: من الصناعة أو الإعانة وهو يشعر بأن قوله: إن لم أفعل؛ أي للعجز عن ذلك لا كسلًا، وقوله: (تدع الناس من الشر) فيه دليل علىٰ أن الكف عن الشر داخل في فعل الإنسان وكسبه حتىٰ يؤجر عليه ويعاقب، غير أن الثواب لا يحصل مع الكف إلا مع النية والقصد لا مع الغفلة والذهول، وفي الحديث أن الجهاد أفضل الأعمال بعد الإيمان، وفي الحديث حسن المراجعة في السؤال وصبر المفتي والمعلم على التلميذ ورفقه به، وفي الحديث إشارة إلىٰ أن إعانة الصانع أفضل من إعانة غير الصانع؛ لأن غير الصانع مظنة الإعانة فكل أحد يعينه غالبًا بخلاف الصانع فإنه لشهرته بصنعته يغفل عن إعانته فهي من جنس الصدقة على المستور[(٢)].

- وعن أبي موسىٰ ﷺ، قال: قالوا يا رسول الله، أي الإسلام أفضل؟ قال: "**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**"[(٣)].

قال ابن رجب: والمراد بذلك المسلم الكامل الإسلام، فمن لم يسلم المسلمون من لسانه ويده فإنه ينتفي عنه كمال الإسلام الواجب، فإن سلامة المسلمين من لسان العبد ويده واجبة، فإن أذى المسلم حرام باللسان وباليد، فأذى اليد: الفعل، وأذى اللسان القول، والظاهر: أن النبي ﷺ إنما وصف بهٰذا في هٰذا الحديث؛ لأن السائل كان مسلمًا قد أتىٰ بأركان

---

(١) شرح ابن بطال للبخاري (٣/ ٤٢٣).

(٢) فتح الباري (٥/ ١٤٩- ١٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (١١)، و مسلم (٤٢).

الإسلام الواجبة لله ﷻ، وإنما يجهل دخول هٰذا القدر الواجب من حقوق العباد في الإسلام، فبيَّن له النبي صلي الله عليه وسلم ما جهله[١].

وقال ابن بطال: قال المهلب: يريد المسلم المستكمل لأمور الإسلام خلاف قول المرجئة. والمراد بهٰذا الحديث الحض علىٰ ترك أذى المسلمين باللسان واليد والأذىٰ كله، ولهٰذا قال الحسن البصرى: الأبرار هم الذين لا يؤذون الذَّر والنمل[٢].

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ التَّقْوىٰ هَاهُنَا** » وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ « **بِحَسْبِ ٱمْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ** »[٣].

قوله: "بحسب ٱمرئ من الشر أن يحقر أخاه" أي يكفيه أن يكون من أهل الشر بهٰذا الخصلة وحدها وفي قوله: كل المسلم على المسلم حرامٌ إخبار بتحريم الدماء، والأموال، والأعراض، وهو معلوم من الشرع علمًا قطعيا[٤].

١٣- التطوع نجاة من عذاب القبر وأهواله:

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "**إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ**

---

(١) فتح الباري لابن رجب (١/ ٣٧).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٦٢).

(٣) أخرجه مسلم (٤٦٥٠).

(٤) سبل السلام (٢/ ٦٧١-٦٧٣).

الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَىٰ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَىٰ عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَىٰ عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَىٰ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَتَقُولُ فَعَلُ الخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُقَالُ لَهُ: ٱجْلِسْ فَيَجْلِسُ، وَقَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ أُدْنِيَتْ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هٰذا الرَّجُلَ الذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشَهَّدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّىٰ أُصَلِّيَ، فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبِرْنِي عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ، أَرَأَيْتَكَ هٰذا الرَّجُلَ الذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشَهَّدُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَىٰ ذَلِكَ حَيِيتَ وَعَلَىٰ ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هٰذا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هٰذا مَقْعَدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَهُ، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، وَيُعَادُ الجَسَدُ لِمَا بَدَأَ مِنْهُ، فَتَجْعَلُ نَسَمَتُهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ وَهِيَ طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الجَنَّةِ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ.

قَالَ: وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ يَمِينِهِ، فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ شِمَالِهِ، فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، فَيُقَالُ لَهُ: ٱجْلِسْ، فَيَجْلِسُ خَائِفًا مَرْعُوبًا، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هٰذا الرَّجُلَ الذِي كَانَ فِيكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ؟ وَمَاذَا تَشَهَّدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَجُلٍ؟ فَيُقَالُ: الذِي كَانَ فِيكُمْ، فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: مَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلاً، فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَىٰ ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ

اللهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هٰذا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهِ لَوْ أَطَعْتَهُ فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ، فَتِلْكَ المَعِيشَةُ الضَّنْكَةُ التِي قَالَ اللهُ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]"[(١)]

١٤- أعمال التطوع مكفرات للذنوب ورافعات للدرجات:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: ٱحْتُبِسَ عَنَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّىٰ كِدْنَا نَتَرَاءَىٰ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ سَرِيعًا فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ فَقَالَ لَنَا: « عَلَىٰ مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ » ثُمَّ ٱنْفَتَلَ إِلَيْنَا فَقَالَ: "أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمُ الغَدَاةَ: أَنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي فَاسْتَثْقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَىٰ؟ قُلْتُ: لاَ أَدْرِي رَبِّ، قَالَهَا ثَلَاثًا" قَالَ: "فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّىٰ وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَتَجَلَّىٰ لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَىٰ؟ قُلْتُ: فِي الكَفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ، وَالجُلُوسُ فِي المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي المَكْرُوهَاتِ، قَالَ: ثُمَّ فِيمَ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. قَالَ: سَلْ. قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣١١٣)، والحاكم في مستدركه (١٤٠٣) وقال: هٰذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم، ولم يخرجاه. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٦١).

أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَىٰ حُبِّكَ"، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا**»[١].

قال البيضاوي: ٱختصامهم إما عبارة عن تبادرهم إلىٰ كتب تلك الأعمال، أو الصعود بها إلى السماء، وإما عن تقاولهم في فضلها، وشرفها، وأناقتها علىٰ غيرها، وإما عن ٱغتباطهم الناس بتلك الفضائل؛ لاختصاصهم بها وتفضيلهم على الملائكة بسببها مع تهافتهم في الشهوات، وتماديهم في الجنايات[٢].

فأفضل أنواع إطعام الطعام: الإيثار مع الحاجة كما وصف الله تعالىٰ بذلك الأنصار ﷺ فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾ [الحشر: ٩].

وكان كثير من السلف يؤثر بفطوره وهو صائم ويصبح صائمًا، منهم: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وداود الطائي، وعبد العزيز بن سليمان، ومالك بن دينار، وأحمد بن حنبل وغيرهم. وكان ابن عمر لا يفطر إلا مع اليتامىٰ والمساكين، وربما علم أن أهله قد ردُّوهم عنه فلم يفطر في تلك الليلة.

ومنهم من كان لا يأكل إلا مع ضيف له، قال أبو السوار العدوي: كان رجال من بني عدي يصلون في هٰذا المسجد، ما أفطر أحد منهم علىٰ طعام قط وحده، إن وجد من يأكل معه أكل، وإلا أخرج طعامه إلى المسجد فأكله مع الناس، وأكل الناس معه.

وكان منهم من يطعم إخوانه الطعام وهو صائم، ويجلس يخدمهم

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٣٥) وقال: هٰذا حديث حسن صحيح. سألت محمد بن إسماعيل عن هٰذا الحديث، فقال: هٰذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح، ٱنظر صحيح الترمذي (٢٥٨٢)، والصحيحة (٣١٩٦).

(٢) قوت المغتذي علىٰ جامع الترمذي (٢/ ٧٩٧).

ويروحهم منهم: الحسن وابن المبارك، وكان ابن المبارك ربما يشتهي الشيء فلا يصنعه إلا لضيف ينزل به فيأكله مع ضيفه، وكان كثير منهم يفضل إطعام الإخوان على الصدقة على المساكين، وقد روي في هٰذا المعنىٰ مرفوعًا من حديث أنس بإسناد ضعيف، ولا سيما إن كان الإخوان لا يجدون مثل ذلك الطعام. كان بعضهم يعمل الأطعمة الفاخرة ثم يطعمها إخوانه الفقراء، ويقول: إنهم لا يجدونها. وبعضهم يصنع له طعامًا ولا يأكل، ويقول: إني لا أشتهيه، وإنما صنعته لأجلكم. وبعضهم ٱتخذ حلاوة فأطعمها المعتوه، فقال له أهله: إن هٰذا لا يدري!. فقال: لٰكن الله يدري.

واشتهى الربيع بن خثيم حلواء، فلما صنعت له دعا بالفقراء فأكلوا، فقال له أهله: أتعبتنا ولم تأكل!. فقال: ومن أكله غيري!. وقال آخر منهم وجرىٰ له نحو من ذلك: إذا أكلته كان في الحُش، وإذا أطعمته كان عند الله مذخورًا.

وروي عن علي قال: لأن أجمع أناسًا من إخواني علىٰ صاع من طعام، أحب إلي من أن أدخل سوقكم هٰذا فأبتاع نسمة فأعتقها.

وعن أبي جعفر محمد بن علي قال: لأن أدعو عشرة من أصحابي فأطعمهم طعامًا يشتهونه أحب إلي من أن أعتق عشرة من ولد إسماعيل.

أَأَصِفُ الإيثارُ لمن يبخل بأداء الحقوق الواجبة عليه؟! أأطلب الشجاعة من الجبان، وأستشهد علىٰ رؤية الهلال من هو من جملة العميان؟! كم بين من قيل فيه: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٦] وبين من قيل فيه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]؟! بيننا وبين القوم كما بين اليقظة والنوم:

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم ... ليس الصحيح إذا مشىٰ كالمقعد

فيا من يطمع في علو الدرجات من غير عمل صالح هيهات هيهات! ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١]، وإنما جمع بين إطعام الطعام،

ولين الكلام؛ ليكمل بذلك الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل، فلا يتم الإحسان بإطعام الطعام إلا بلين الكلام وإفشاء السلام، فإن أساء بالقول بطل الإحسان بالفعل من الإطعام وغيره كما قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وربما كان معاملة الناس بالقول الحسن أحب إليهم من الإحسان بإعطاء المال كما قال لقمان لابنه: يا بني! لتكن كلمتك طيبة، ووجهك منبسطًا، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة. وقد كان النبي ﷺ يلين القول لمن يشهد له بالشر فينتفي بذلك شره، وكان لا يواجه أحدا بما يكره في وجهه ولم يكن فاحشًا ولا متفحشًا.

وروي عن ابن عمر أنه كان ينشد:

بني إن البر شيءٌ هينٌ ... وجهٌ طليقٌ وكلامٌ لينٌ

ولبعضهم:

خذ العفو وأمر بعرف كما ... أمرت وأعرض عن الجاهلين

ولن في الكلام لكل الأنام ... فمستحسن من ذوي الجاه لين

وقد وصف الله ﷻ في كتابه أهل الجنة بمعاملة الخلق بالإحسان بالمال واحتمال الأذىٰ، فقال تعالىٰ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤] فالإنفاق في السراء والضراء يقتضي غاية الإحسان بالمال من الكثرة والقلة، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس يقتضي عدم المقابلة على السيئة من قول وفعل، وذلك يتضمن إلانة القول، واجتناب الفحش والإغلاظ في المقال ولو كان مباحًا، وهٰذا نهاية الإحسان، فلهذا قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. ومن هٰذا قول بعضهم وقد سئل عن حسن الخلق، فقال: بذل الندىٰ وكف الأذىٰ. وهٰذا الوصف المذكور في القرآن أكمل من هٰذا؛ لأنه وصفهم

ببذل الندىٰ، واحتمال الأذىٰ. وحسن الخلق يبلغ به العبد درجات المجتهدين في العبادة، كما قال النبي ﷺ: "**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ**"(١).

ورؤي بعض السلف في المنام فسئل عن بعض إخوانه الصالحين، فقال: وأين ذلك؟! رفع في الجنة بحسن خلقه(٢).

١٥- بذل الخلق الحسن للناس من أعظم القرب:

- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا**"(٣).

- وعن أسامة بن شريك، قال: قالوا: يا رسول الله، فَمَنْ أَحَبُّ عِبَادِ اللهِ إِلَىٰ اللهِ؟ قَالَ: «**أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»(٤).

- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ**"(٥).

- وعن أبي ذر، أن النبي ﷺ قال له: "**اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**"(٦).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٥٩٥)، والحاكم في مستدركه (١٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٩٩٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في الصحيحة (٧٩٥).

(٢) ٱختيار الأولىٰ في شرح حديث ٱختصام الملأ الأعلىٰ لابن رجب (٧٣) وما بعدها.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٥٩).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١ / ١٨١ / ٤٧١) والحاكم في المستدرك (٨٢١٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٥٢).

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٦٤)، والترمذي (٢٠٠٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٨٧٦).

(٦) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٢١٣٥٤)، والدارمي (٢٧٩١). وقال الألباني: حسن لغيره. ٱنظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٥٥).

- عن أبي هريرة: سئل رسول الله ﷺ: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الجَنَّةَ؟ قَالَ: « **تَقْوىٰ اللهِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ** »، قَالَ: وَمَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟ قَالَ: "**الْأَجْوَفَانِ: الفَمُ وَالْفَرْجُ**"[(١)].

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ للأشج؛ أشج عبد القيس: "**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ**"[(٢)].

قال ابن عثيمين: فالإنسان إذا صار يتعامل بالعنف والشدة فإنه يحرم الخير ولا ينال الخير، وإذا كان يتعامل بالرفق والحلم والأناة وسعة الصدر حصل علىٰ خير كثير؛ وعلىٰ هٰذا فينبغي للإنسان الذي يريد الخير أن يكون دائمًا رفيقًا حتىٰ ينال الخير[(٣)].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: "**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**"[(٤)].

وذلك لأن كمال الإيمان يوجب حسن الخلق والإحسان إلىٰ كافة الأنسان[(٥)].

قال ابن رسلان: وهو عبارة عن أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي منقسمة إلىٰ: محمودة ومذمومة؛ فالمحمودة منها صفات الأنبياء والأولياء والصالحين كالصبر عند المكاره، والحمل عند الجفا، وحمل الأذىٰ، والإحسان للناس، والتودد إليهم، والرحمة بهم، والشفقة عليهم،

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٤)، وأحمد (٩٠٩٦)، وابن حبان (٤٧٦)، وابن ماجه (٤٢٤٦). وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٢٦).

(٣) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٩٢).

(٤) أخرجه الترمذي (١١٦٢)، وأبو داود (٤٦٨٢)، وأحمد (٧٤٠٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٤).

(٥) تحفة الأحوذي (٤/ ٢٧٣).

واللين في القول، ومجانبة المفاسد والشرور وغير ذلك.

قال الحسن البصري: حقيقة حسن الخلق بذل المعروف، وكف الأذىٰ، وطلاقة الوجه[١].

- وعن أبي هريرة - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ**"، وفي رواية: "**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**"[٢].

وفي قوله ﷺ "**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**" تحديد يجعل من أهم أهداف الدعوة: الدعوة إلىٰ مكارم الأخلاق، وفضائل الأعمال. ولذلك لم يتلفظ النبي ﷺ لفظًا سيئًا بسباب أو شتائم طوال حياته الشريفة علىٰ أي شخص؛ كائنًا من كان، كما جاء في الحديث، فعن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله! ٱدع على المشركين. قال: "**إِنِّي لَمْ أُبعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**"[٣]. فتمثل عليه الصلاة والسلام هٰذا الهدف الكبير في حياته قولًا وعملًا، فحري بالداعية أن يقتدي به، فيجعل هٰذا الهدف من أهم أهداف دعوته[٤].

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، ولكن يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الوَجْهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ**"[٥].

---

(١) عون المعبود (١٢/ ٢٨٦).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، وأحمد (٨٩٥٢)، والحاكم في المستدرك (٤٢٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٦٠٩)، وفي السنن الكبرىٰ (٢٠٥٧٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٩).

(٤) مثل ما بعثني الله، دراسة حديثية دعوية، إعداد/ د. فالح بن محمد الصغير (ص: ٤٠).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٨٤٢)، والبزار (٨٥٤٤)، وأبو يعلىٰ (٦٥٥٠)، وقال الألباني: حسن لغيره، ٱنظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٦١).

قد تسع الدنيا كلها بمكارم أخلاقك، تلقىٰ كل واحد بوجه طلق، وتخاطبه بأسلوب حسن، وتعده خيرًا، فيكتفي منك بذلك، ولو أردت أن تعطي جميع الناس وترضيهم من مالك لعجزت عن هٰذا[(١)].

والمعنىٰ: أي لا تتسع أموالكم لعطائهم فوسعوا أخلاقكم لصحبتهم، والوسع والسعة؛ الجدة والطاقة. . .، وذلك لأن ٱستيعاب عامتهم بالإحسان بالفعل غير ممكن فأمر بجعل ذلك بالقول حسبما نطق به ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣][(٢)].

١٦- التطوع ولو بالقليل:

- عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "**يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ**"[(٣)].

هٰذا النهي عن الٱحتقار نهي للمعطية المهدية، ومعناه: لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها؛ بل تجود بما تيسر وإن كان قليلًا كفرسن شاة وهو خير من العدم[(٤)].

والمعنىٰ: تهادوا ولو بفرسن شاة فإنه ينبت المودة ويذهب الضغائن، وفي الحديث الحض على التهادي ولو باليسير؛ لأن الكثير قد لا يتيسر كل وقت، وإذا تواصل اليسير صار كثيرًا، وفيه ٱستحباب المودة وإسقاط التكلف[(٥)].

- وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "**لَوْ دُعِيتُ إِلَىٰ ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ**"[(٦)].

---

(١) شرح الأربعين النووية لعطية سالم (الحديث العشرون).

(٢) ٱنظر: فيض القدير (٢ / ٧٠٦) بتصرف يسير.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٧)، ومسلم (١٧١١).

(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (٧/ ١٢٠).

(٥) فتح الباري (٥/ ١٩٨) بتصرف. (٦) أخرجه البخاري (٢٥٦٨).

- وعن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: "**إِذَا دُعِيتُمْ إِلَىٰ كُرَاعٍ، فَأَجِيبُوا**"[١].

هٰذا حض منه لأمته على المهاداة، والصلة، والتأليف، والتحاب، وإنما أخبر أنه لا يحقر شيئًا مما يهدىٰ إليه أو يدعىٰ إليه؛ لئلا يمتنع الباعث من المهاداة لاحتقار المهدىٰ، وإنما أشار بالكراع وفرسن الشاة إلى المبالغة في قبول القليل من الهدية، لا إلىٰ إعطاء الكراع والفرسن ومهاداته؛ لأن أحدا لا يفعل ذلك[٢].

وقال ابن حجر: وفي الحديث دليل علىٰ حسن خلقه ﷺ، وتواضعه وجبره لقلوب الناس، وعلىٰ قبول الهدية، وإجابة من يدعو الرجل إلىٰ منزله ولو علم أن الذي يدعوه إليه شيء قليل، قال المهلب: لا يبعث على الدعوة إلى الطعام إلا صدق المحبة وسرور الداعي، بأكل المدعو من طعامه والتحبب إليه بالمؤاكلة وتوكيد الذمام معه بها، فلذلك حض ﷺ على الإجابة ولو نزر المدعو إليه، وفيه الحض على المواصلة والتحاب والتآلف وإجابة الدعوة لما قل أو كثر وقبول الهدية كذلك[٣].

١٧- التطوع بالإعلان عن الصلاة[٤]:

- عن معاوية ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**"[٥].

وقد بوب البخاري فقال: باب الاستهام في الأذان، ثم قال: ويذكر: أن أقوامًا اختلفوا في الأذان فأقرع بينهم سعد[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٢).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٨٧ وما بعدها).

(٣) فتح الباري (٩/ ٢٤٦).

(٤) والآذان من فروض الكفايات، ولكن نشير إلىٰ أنه ينبغي المسابقة لهٰذا العمل والحرص عليه، فإذا تخلف المعين للآذان عن الحضور سارعنا وابتدرنا الآذان

(٥) أخرجه مسلم (٣٨٧). (٦) صحيح البخاري (١/ ١٢٦).

وقال ابن بطال: قال عمر: لولا الخلاف لأذنت. أما إقراع سعد بين الذين ٱختلفوا في الأذان فإن الطبري ذكر أنه ٱفتتحت القادسية صدر النهار واتبع الناس العدو، فرجعوا وقد حانت صلاة الظهر وأصيب المؤذن؛ فتشاح الناس في الأذان حتىٰ كادوا يجتلدون بالسيوف، فأقرع بينهم سعد فخرج سهم رجل فأذن[1].

فقوله ﷺ (أطول أعناقًا يوم القيامة): ٱختلف السلف والخلف في معناه، فقيل: معناه أكثر الناس تشوفًا إلىٰ رحمة الله تعالىٰ؛ لأن المتشوف يطيل عنقه إلىٰ ما يتطلع إليه، فمعناه كثرة ما يرونه من الثواب. وقال النضر بن شميل: إذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا ينالهم ذلك الكرب والعرق.

وقيل: معناه أنهم سادة ورؤساء، والعرب تصف السادة بطول العنق.

وقيل: معناه أكثر أتباعًا. وقال ابن الأعرابي معناه: أكثر الناس أعمالًا. قال القاضي عياض وغيره: ورواه بعضهم: إعناقًا بكسر الهمزة، أي إسراعًا إلى الجنة[2].

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ [3] لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ [4]وَالصُّبْحِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا"** [5].

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ٢٤٤).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (٤/ ٩٢).

(٣) والتهجير: السير في الهاجرة، وهىٰ شدة الحر، ويدخل في معنى التهجير المسارعة إلى الصلوات كلها قبل دخول أوقاتها؛ ليحصل له فضل الأنتظار قبل الصلاة، شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٢/ ٢٨٠).

(٤) العتمة: أي صلاة العشاء الآخرة في الجماعة. ٱنظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢ / ٣٣٥).

(٥) أخرجه البخاري (٦١٥).

قال ابن رجب: يعني: لو يعلمون ما فيهما من الفضل والثواب، ثم لم يجدوا الوصول إليهما إلا بالاستهام عليهما - ومعناه: الإقراع - لاستهموا عليهما تنافسًا فيهما ومشاحة في تحصيل فضلهما وأجرهما[١].

وقال السيوطي: النداء هو الأذان، والاستهام الاقتراع، ومعناه أنهم لو علموا فضيلة الأذان وقدرها وعظيم جزائه ثم لم يجدوا طريقًا يحصلونه به لضيق الوقت عن أذان بعد أذان أو لكونه لا يؤذن للمسجد إلا واحد لاقترعوا في تحصيله[٢].

- وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، أن أبا سعيد الخدري قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلاَةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ: لاَ يَسْمَعُ مَدىٰ صَوْتِ المُؤَذِّنِ، جِنٌّ وَلاَ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ من رسول الله ﷺ[٣].

قال ابن عثيمين: وهٰذا أيضًا من فضائل الأذان أن صاحبه يشهد له يوم القيامة بأنه من المؤذنين تنويها لفضله وبيانًا لثوابه، فالحاصل أن الأذان له فضل عظيم، وأنه ينبغي للإنسان أن يكون مؤذنًا، إلا أنه إذا كان هناك مؤذن راتب فإنه لا يحل لأحد أن يتجاوزه ويؤذن عنه إلا إذا كان قد وكله أو ما أشبه ذلك[٤].

١٨- التطوع بقضاء الحوائج وتنفيس الكرب وتيسير الحال وستر المسلم وعونه:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً**

---

(١) فتح الباري لابن رجب (٣ / ٤٨٠).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (٤/ ١٥٧- ١٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧٥٤٨).

(٤) شرح رياض الصالحين للعثيمين (ص: ١١٨٨).

مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، واللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"[١].

ومعنىٰ نفس الكربة أزالها، وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك، وفضل الستر على المسلمين وقد سبق تفصيله، وفضل إنظار المعسر، وفضل المشي في طلب العلم ويلزم من ذلك الاشتغال بالعلم الشرعي بشرط أن يقصد به وجه الله تعالىٰ، وإن كان هٰذا شرطا في كل عبادة لٰكن عادة العلماء يقيدون هٰذِه المسألة به لكونه قد يتساهل فيه بعض الناس ويغفل عنه بعض المبتدئين[٢].

- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **"المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ"**[٣].

قوله "المسلم أخو المسلم" ليس المراد بهٰذِه الأخوة إلا أخوة الإسلام[٤].

وإذا كان المسلم أخا المسلم فإن هٰذا يقتضي ألا يظلمه، ولا يلصق الظلم به، وكذلك لا يسلمه، أي: لا يتركه عندما يظلم وهو يقدر علىٰ تخليصه من الظلم، وذلك بأن يسلمه، وألا يساعده ولا يعينه، بل عليه أن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (١٧/ ٢١)

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، وأخرجه مسلم (٢٥٨٠).

(٤) نيل الأوطار (٨/ ٢٥٠).

يساعده ويعينه[١].

وقال ابن بطال: قوله: (لا يسلمه) مثل قوله ﷺ: انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا[٢]. وباقي الحديث حض على التعاون، وحسن التعاشر، والألفة، والستر على المؤمن، وترك التسميع به، والإشهار لذنوبه، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢][٣].

١٩- التطوع بنصرة المظلوم ونهي الظالم:

– عن جابر ﷺ، قال: اقْتَتَلَ غُلَامَانِ غُلَامٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَغُلَامٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَنَادى المُهَاجِرُ أَوِ المُهَاجِرُونَ، يَا لَلْمُهَاجِرِينَ وَنَادى الأَنْصَارِيُّ يَا لَلأَنْصَارِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: « **مَا هٰذا دَعْوىٰ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ** » قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا أَنَّ غُلَامَيْنِ اقْتَتَلَا فَكَسَعَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، قَالَ: « **فَلَا بَأْسَ وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ، فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ** »[٤].

قال ابن بطال: والنصرة عند العرب: الإعانة والتأييد، وقد فسره رسول الله ﷺ أن نصرة الظالم منعه من الظلم؛ لأنه إذا تركته علىٰ ظلم ولم تكفه عنه أداه ذلك إلىٰ أن يقتص منه، فمنعك له مما يوجب عليه القصاص نصره، وهٰذا يدل: من باب الحكم للشيء وتسميته بما يئول إليه، وهو من عجيب الفصاحة، ووجيز البلاغة[٥].

والمراد بإخوة المسلم للمسلم: توثق العلاقة بينهما كتوثقها بين إخوة

---

(١) شرح سنن أبي داود، عبد المحسن العباد (٢٨/ ١٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٥٢).

(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٦/ ٥٧١).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٨٤).

(٥) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٦/ ٤٧٠).

النسب توثقا يترتب عليه المحبة والمودة، والمواساة والنصر، وجلب كل خير ودفع كل ضر، ومن مقتضى الأخوة أنه لا يظلمه ولا يسلمه، وظلمه ٱنتقاص حقه في نفسه أو ماله أو عرضه، طيبًا أو فاسقًا، فالظلم بإطلاقه محرم، وقد نهىٰ عنه القرآن في مواضع كثيرة، وفيه يقول الرسول ﷺ: "**الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**"[١].

وإسلامه: خذلانه وتركه لعدوه ينكل به، أو يقضي عليه؛ وإذا كان الإنسان يحمي أعضاءه مما يضرها فليحم أخاه المسلم الذي ٱعتبره الشارع كعضو منه، فلينصره ظالمًا أو مظلومًا؛ ونصره ظالمًا منعه من ظلمه.

وقوله: (ومن كان في حاجة أخيه إلخ) حث على السعي في مصالح الناس سواء كانت مصالح مالية؛ أو علمية، أو أدبية؛ وقد دلت هٰذِه العبارة علىٰ أن الوقت الذي ينفقه الإنسان في قضاء مصالح لغيره لا يضيع عليه، بل القدير العليم الذي بيده خزائن السموات والأرض يسعىٰ في قضاء حاجاته، فهو إن بذل للإنسان قليلًا نال به من الله خيرًا كثيرًا، فليستعن المرء علىٰ قضاء حاجته بقضاء حاجات الناس، وهٰذا المعنىٰ يدخل في عموم قوله تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وكذلك ما بعده.

وقوله: ومن فرج عن مسلم كربة إلخ، حض على السعي في دفع البلايا التي تحل بالمسلمين في الحياة الدنيا، فمن أصابته مسغبة بذلت له من مالك أو حثثت الأغنياء علىٰ معونته، ومن بلي بالعطلة سعيت له في عمل، ومن حاق به ظلم ظالم رفعت عنه الظلم ما وجدت لذلك سبيلا، ومن ٱنتابه مرض داويته، أو أحضرت له طبيبا، وعلى الجملة تسعىٰ لإخوانك في إزالة النوائب أو تخفيفها، وقد ضمن الله لفاعل ذلك رفع الكرب عنه يوم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٤٦٧٦).

القيامة، وكرب يوم القيامة شديدة لا تماثل كرب الدنيا، فليس لدرئها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا معونة تقدمها في الدنيا لذوي الحاجة[١].

٢٠- الأمر بالترابط والتآلف وحمل هموم الآخرين:

- عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: **"تَرى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا ٱشْتَكَىٰ عُضْوًا تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّىٰ"**[٢].

فأما التراحم فالمراد أن يرحم بعضهم بعضًا بأخوة الإيمان لا لسبب شيء آخر، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضا كما يعطف الثوب عليه ليقويه[٣].

وقال النووي: في قوله: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم إلىٰ آخره)، هٰذِه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم علىٰ بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه، وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام.

قوله ﷺ: (تداعىٰ لها سائر الجسد) أي دعا بعضه بعضًا إلى المشاركة في ذلك، ومنه قوله: تداعت الحيطان أي تساقطت أو قربت من التساقط[٤].

- وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"**[٥].

قال القاضي عياض: فيه الحض علىٰ تعاون المسلمين، وتناصرهم، وتآلفهم، وتوادهم، وتراحمهم، وتمثيله - عليه الصلاة والسلام - في

---

(١) الأدب النبوي، محمد الخَوْلي (ص: ٥٥ وما بعدها).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ لمسلم.

(٣) ٱنظر فتح الباري (١٠ / ٤٣٩).

(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٣٩).

(٥) أخرجه البخاري (٦٠٢٦)، و مسلم (٤٦٨٤).

ذلك بالبنيان، وفي الحديث الآخر: بالجسد إذا ٱشتكىٰ بعضه شكا سائره كله تمثيل صحيح، وتقريب للأفهام في إظهار المعاني في الصور المرتبة، فيجب على المسلمين ٱمتثال ما حض - ﷺ - عليه من ذلك والتخلق به[١].

٢١- التطوع بتفقد أحوال المسلمين من المرضى والمساكين:

- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: « **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليَوْمَ صَائِمًا؟** » قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: « **فَمَنْ تبعَ مِنْكُمُ اليَوْمَ جَنَازَةً؟** » قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: « **فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مِسْكِينًا؟** » قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: « **فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مَرِيضًا؟** » قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَا ٱجْتَمَعْنَ فِي ٱمْرِئٍ، إِلاَّ دَخَلَ الجَنَّةَ**"[٢].

قال النووي: ما ٱجتمعن في ٱمرئ إلا دخل الجنة، قال القاضي: معناه دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة علىٰ قبيح الأعمال، وإلا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالىٰ[٣].

وقال القرطبي: ظاهره: أن من ٱجتمع له فعل هٰذِه الأبواب في يوم واحد دخل الجنة؛ فإنه قال فيها كلها: اليوم، اليوم، ولما أخبره أبو بكر - رضىٰ الله عنه - أنه فعل تلك الأمور كلها في ذلك اليوم بشره بأنه من أهل الجنة لأجل تلك الأمور، والمرجو من كرم الله تعالىٰ أن من ٱجتمعت له تلك الأعمال في عمره، وإن لم تجتمع في يوم واحد أن يدخله الله الجنة بفضله، ووعده الصادق[٤].

٢٢- المتطوعون بالعمل الصالح يجدون الله عند بذلهم:

- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ**

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٢٨).

(٣) شرح النووي علىٰ مسلم (١٥/ ١٥٦).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦ / ٢٤٥).

القِيَامَةِ: يَا ابن آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابن آدَمَ ٱسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ ٱسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابن آدَمَ ٱسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ، قَالَ: ٱسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي"(١).

قال القاضي: قد فسر في هٰذا الحديث معنى المرض، وأن المراد به مرض العبد المخلوق، وإضافة الباري سبحانه ذلك إلىٰ نفسه تشريفًا للعبد، وتقريبا له، والعرب إذا أرادت تشريف أحد حلته محلها، وعبرت عنه كما تعبر عن نفسها(٢).

٢٣- الدعاء للمتطوعين مكافأة لهم:

- عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**مَنِ ٱسْتَعَاذَكُمْ باللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ باللهِ فَأَعْطُوهُ**» وَقَالَ سَهْلٌ: وَعُثْمَانُ «**وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ**» - ثُمَّ ٱتَّفَقُوا - «**وَمَنْ آتَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ**» قَالَ مُسَدَّدٌ، وَعُثْمَانُ « **فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا اللهَ لَهُ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»(٣).

أي: من لجأ إليكم مستعيذًا بالله فألجئوه وأجيروه، ومن سأل شيئًا لله تعالىٰ فأعطوه، ومن طلبكم فأجيبوا دعوته، ومن صنع إليكم معروفًا " يعني: خيرًا وإحسانًا، والمعروف: هو ٱسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، ونهىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٦). (٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٣٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٠٩)، والنسائي (٢٥٦١)، وأحمد (٥٣٦٥)، وابن حبان في صحيحه (٣٤٠٨). وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٤).

عنه من المحسنات والمقبحات، وقوله: " فكافئوه" من المكافأة يقال: كافأته ورجوت مكافأتك، أي: كفايتك، وأصله: من كفىٰ يكفي من الناقص، وليس من مهموز اللام، وإنما ذكره من باب المفاضلة ليدل على الاشتراك لأن أحدهما يصنع معروفًا والآخر يقابله بمعروف مثله، واسمها في صورة الدعاء فأحدهما يصنع معروفًا والآخر يقابله بالدعاء، وقوله: " أن قد كافأتموه " في تأويل المصدر، ومحله النصب على المفعولية، والتقدير: حتىٰ تروا المكافأة، وهٰذا الحديث جامع لأنواع الخير من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب[(١)].

٢٤- أعمال التطوع من الصدقات سبب لتأليف القلوب وإسلام المعرضين:

- عن جابر ﷺ قال: مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ: لا[(٢)].

قال ابن حجر: معناه ما طلب منه شيء من أمر الدنيا فمنعه[(٣)].

وقال القسطلاني: ما طلب منه شيء، قال الكرماني: من أقوال الدنيا فقال: "لا".

قال الفرزدق:

ما قال لا قط إلا في تشهده   و لولا التشهد لكانت لاءَه نعمُ[(٤)]

وقوله: "ما سئل" أي ما طلب من رسول الله شيئًا قط فقال: " لا " أي: لا أعطيه؛ بل إما أعطىٰ أو اعتذر ودعا أو وعد له فيما تمنىٰ عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإسراء: ٢٨][(٥)].

---

(١) شرح سنن أبي داود، للعيني (٦/ ٤٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٤).   (٣) فتح الباري (١٠/ ٤٥٧).

(٤) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني (٩/ ٣٢).

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٦ / ٤٧٩).

– وعن أنس ﷺ أن رجلًا سأل النبي ﷺ غنمًا بين جبلين فأعطاه إياه فأتىٰ قومه فقال: " **أي قوم أسلموا فوالله إن محمدا ليعطي عطاء ما يخاف الفقر** " فقال أنسٌ: "**إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتىٰ يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها**"[(١)].

٢٥- الخيرية لمن تطوع ببذل السلام وإطعام الطعام:

– عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: **تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**[(٢)].

معناه: أي خصال الإسلام خير؟، وهٰذا حضٌّ منه ﷺ علىٰ تأليف قلوب المؤمنين، وأن أفضل خلقهم الإسلامية ألفة بعضهم بعضًا، وتحببهم وتوادهم، واستجلاب ما يؤكد ذلك بينهم بالقول والفعل، وقد حضَّ ﷺ على التحابب والتودد وعلىٰ أسبابهما من التهادي، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، ونهىٰ عن أضدادها من التقاطع، والتدابر، والتجسس، والتحسس، والنميمة، وذي الوجهين.

والألفة أحد فرائض الدين وأركان الشريعة ونظام شمل الإسلام؛ وفىٰ بذل السلام لمن عرفت ولمن لم تعرف إخلاص العمل فيه لله تعالىٰ لا مصانعة ولا ملقًا، لمن تعرف دون من لا تعرف، وفيه مع ذلك ٱستعمال خلق التواضع وإفشاء شعار هٰذِه الأمة، من لفظ السلام ومن قوله: أفشُوا السَّلامَ بَيْنَكُم[(٣)(٤)].

وقال ابن رجب: وجمع في الحديث بين إطعام الطعام وإفشاء السلام؛ لأنه به يجتمع الإحسان بالقول والفعل وهو أكمل الإحسان، وإنما كان هٰذا

---

(١) أخرجه مسلم (٤٢٧٦). (٢) أخرجه البخاري (١٢).

(٣) أخرجه مسلم (٨١). (٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٢٧٦).

خير الإسلام بعد الإتيان بفرائض الإسلام وواجباته، فمن أتىٰ بفرائض الإسلام ثم ٱرتقىٰ إلىٰ درجة الإحسان إلى الناس كان خيرًا ممن لم يرتق إلىٰ هٰذِه الدرجة وأفضل - أيضًا -، وليس المراد أن من ٱقتصر علىٰ هٰذِه الدرجة فهو خير من غيره مطلقًا ولا أن إطعام الطعام ولين الكلام خير من أركان الإسلام ومبانيه الخمس، فإن إطعام الطعام والسلام لا يكونان من الإسلام إلا بالنسبة إلىٰ من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر[١].

قال ابن حجر: إطعام الطعام الذي هو أمارة على الجود والسخاء ومكارم الأخلاق وفيه نفع للمحتاجين وسد للجوع الذي ٱستعاذ منه النبي ﷺ[٢].

وفيه أيضًا الحث علىٰ كل ما يؤلف القلوب وجمع الكلمة ويغرس المودة ويزيد المحبة[٣].

- وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لاَ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ"**[٤].

قال القاضي عياض: ... وفيه حض علىٰ ما تقدم من إفشاء السلام علىٰ من عرف ومن لم يعرف، والسلام أول درجات البر، وأول خصال التآلف، ومفتاح ٱستجلاب المودة، وفىٰ إفشائه يمكن ألفة المسلمين بعضهم ببعض، وإظهار شعارهم المميز لهم بينهم، وإلقاء الأمن والطمأنينة بينهم، وهو معنى السلام، واستدراج محبة كافتهم، كما قال ﷺ، ودليل التواضع والتواصل بسبب الإسلام، لا لغرض الدنيا، خلاف ما أنذر به ﷺ، آخر الزمان من كون السلام للمعرفة فيقطع سبب التواصل[٥].

---

(١) فتح الباري، لابن رجب (١/ ٣٩).

(٢) فتح الباري (١/ ٨١).

(٣) فتح المنعم (١/ ١٥١).

(٤) أخرجه مسلم (٥٤).

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٣٠٤).

- وعن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، تَدْخُلُوا الجِنَانَ"**[(١)].

- وعن البراء رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: **"أَفْشُوا السَّلاَمَ تَسْلَمُوا"**[(٢)].

٢٦- تمام الإيمان إنما يكون بحب الخير للناس:

- عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[(٣)].

لما نفى النبي ﷺ الإيمان عمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه دل علىٰ أن ذلك من خصال الإيمان، بل من واجباته، فإن الإيمان لا ينفىٰ إلا بانتفاء بعض واجباته، كما قال: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[(٤)]، وإنما يحب الرجل لأخيه ما يحب لنفسه إذا سلم من الحسد والغل والغش والحقد، وذلك واجب كما قال النبي ﷺ: «**لاَ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا**»، فالمؤمن أخو المؤمن يحب له ما يحب لنفسه ويحزنه ما يحزنه، فإذا أحب المؤمن لنفسه فضيلة من دين أو غيره أحب أن يكون لأخيه نظيرها من غير أن تزول عنه، كما قال ابن عباس: إني لأمر بالآية من القرآن فأفهمها فأود أن الناس كلهم فهموا منها ما أفهم. وقال الشافعي: وددت أن الناس كلهم تعلموا هٰذا العلم ولم ينسب إلي منه

---

(١) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٩٨١)، وأحمد (٦٥٨٧)، والترمذي (١٨٥٥)، وابن ماجه (٣٦٩٤) مختصراً، وغيرهم. وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٧١).

(٢) أخرجه البخاري في " الأدب المفرد " (٩٧٩)، وابن حبان في صحيحه (٤٩١)، والبيهقي في " شعب الإيمان " (٨٣٨٢). وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٩٣)، والأرواء (٧٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٧٦).

شيء. فأما حب التفرد عن الناس بفعل ديني أو دنيوي: فهو مذموم، قال الله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣](١).

٢٧- التطوع بنفع الغير بما زاد عن الحاجة:

- عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجلٌ علىٰ راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالًا، فقال رسول الله ﷺ: **"مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لاَ زَادَ لَهُ، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّىٰ رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ"**(٢).

قال النووي: في هٰذا الحديث الحث على الصدقة والجود والمواساة، والإحسان إلى الرفقة والأصحاب، والاعتناء بمصالح الأصحاب، وأمر كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج، وأنه يكتفي في حاجة المحتاج بتعرضه للعطاء وتعريضه من غير سؤال، وهٰذا معنىٰ قوله: "فجعل يصرف بصره" أي متعرضًا لشيء يدفع به حاجته، وفيه مواساة ابن السبيل، والصدقة عليه إذا كان محتاجًا، وإن كان له راحلة وعليه ثياب أو كان موسرًا في وطنه ولهٰذا يعطىٰ من الزكاة في هٰذه الحال والله أعلم(٣).

- وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لَيسَ الْمُؤْمِنُ الذِي يَشْبَعُ، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَىٰ جَنْبِهِ"**(٤).

قال الألباني في الصحيحة: وفي الحديث دليل واضح علىٰ أنه يحرم على

---

(١) فتح الباري، لابن رجب (١/ ٤١).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٢٨). (٣) شرح النووي علىٰ مسلم (١٢/ ٣٣).

(٤) أخرجه البخاري في " الأدب المفرد " (١١٢)، وأبو يعلىٰ في " مسنده " (٢٦٩٩)، والبيهقي في " الكبرىٰ " (١٩٤٥٢). وصححه الألباني في الصحيحة (١٤٩).

الجار الغني أن يدع جيرانه جائعين، فيجب عليه أن يقدم إليهم ما يدفعون به الجوع، وكذلك ما يكتسون به إن كانوا عراة، ونحو ذلك من الضروريات، ففي الحديث إشارة إلىٰ أن في المال حقًا سوى الزكاة، فلا يظنن الأغنياء أنهم قد برئت ذمتهم بإخراجهم زكاة أموالهم سنويًا، بل عليهم حقوق أخرىٰ لظروف وحالات طارئة، من الواجب عليهم القيام بها، وإلا دخلوا في وعيد قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

٢٨- التطوع بمراعاة حق الجار وإكرامه والإحسان إلى الأضياف:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ**»[(١)].

- عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ العَدَوِيِّ، قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ، حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ** » قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّام، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِك فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[(٢)].

معنىٰ ذلك: أن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام جاره وبره، وأمر أهل الإيمان بذلك، وكل هٰذا تعريف بحق الجار وحض علىٰ حفظه؛ وقد أوصىٰ الله بالإحسان إليه في كتابه، وقال - عليه السلام -: "**ما زال يوصيني جبريل بالجار، حتىٰ ظننت أنه سيورثه**"[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٨٥). (٢) أخرجه البخاري (٦٠١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

... وعامة الفقهاء علىٰ أنها من مكارم الأخلاق، وحجتهم قوله ﷺ: "**جائزته يوم وليلة**"، والجائزة العطية والمنحة والصلة، وذلك لا يكون إلا مع الٱختيار، وقوله: "**فليكرم وليحسن**" تدل عليه، إذ ليس يستعمل مثله في الواجب، مع أنه جمعه مع إكرام الجار والإحسان إليه، وذلك غير واجب، فهو مثله[(١)].

وقال الشيخ عطية سالم: في قوله عليه الصلاة والسلام: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**) يقولون في علم اللغة: (مَن) من أدوات الشرط، وفعل الشرط هنا: (**كان يؤمن بالله اليوم الآخر**)، وجواب الشرط: (**فليقل خيرًا أو ليصمت**)، ثم مرة أخرىٰ: (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**) ثم أعاد الشرط مرة ثالثة: (**فليكرم جاره**)، ولو تأملنا في نصوص الشريعة لوجدنا أن الإيمان بالله واليوم الآخر قاعدة الٱنطلاق في العمل الإسلامي من فعل أو ترك، فما صلىٰ إنسان، ولا صام، ولا زكىٰ، ولا حج، ولا جاهد، ولا فعل فعلا من أفعال الخير، ولا عف عن زنا، ولا كف عن سرقة، ولا صان دمًا؛ إلا ٱنطلاقًا من إيمانه باليوم الآخر، لماذا؟ لأنه في اليوم الآخر يجازىٰ علىٰ فعل الخير، ويعاقب علىٰ فعل الشر، ولولا إيماننا بالبعث والجزاء والحساب، لصرنا أشبه ما نكون في غابة، فمنطلق أي عمل هو الإيمان باليوم الآخر[(٢)].

- وعن عائشة ﵂، عن النبي ﷺ قال: «**مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ، حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[(٣)].

- وعن أبي شريح ﵁، أن النبي ﷺ قال: «**والله لاَ يُؤْمِنُ، والله لاَ يُؤْمِنُ،**

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٢٨٤)

(٢) شرح الأربعين النووية لعطية سالم (الحديث الخامس عشر).

(٣) ٱخرجه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٦٨٥٤).

والله لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الّذِي لاَ يَأمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ»[١].

٢٩- التطوع ببذل النصح لكل مسلم:

- عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلاَقَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ يَوْمَ مَاتَ المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، قَامَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَالوَقَارِ، وَالسَّكِينَةِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ، فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمُ الآنَ. ثُمَّ قَالَ: ٱسْتَعْفُوا لِأَمِيرِكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ العَفْوَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ: أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلاَمِ فَشَرَطَ عَلَيَّ: « **وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ** » فَبَايَعْتُهُ عَلَىٰ هٰذا، وَرَبِّ هٰذا المَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ، ثُمَّ ٱسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ[٢].

- عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[٣].

قال الخطابي: النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر هٰذا المعنىٰ بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها، وأصل النصح في اللغة الخلوص يقال نصحت العسل إذا خلصته من الشمع[٤].

٣٠- التطوع بمساعدة الأهل:

عن الأسود بن يزيد، سألت عائشة ﵂، مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، يَصْنَعُ فِي البَيْتِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا سَمِعَ الأَذَانَ خَرَجَ[٥].

- وعن أبي هريرة ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: "**خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**"[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٦). (٢) أخرجه البخاري (٥٨).
(٣) أخرجه مسلم (٥٥). (٤) معالم السنن "٤/١٢٣-١٢٤"
(٥) أخرجه البخاري (٥٣٦٣). (٦) أخرجه البخاري (٥٣٥٦).

٣١- الأمر بالتطوع بالشفاعة الحسنة:

عن أبي موسىٰ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ ﷺ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: ٱشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ .[١]

قال ابن حجر: وفي الحديث الحض على الخير بالفعل وبالتسبب إليه بكل وجه، والشفاعة إلى الكبير في كشف الكربة، ومعونة ضعيف؛ إذ ليس كل أحد يقدر على الوصول إلى الرئيس ولا التمكن منه ليلج عليه أو يوضح له مراده ليعرف حاله علىٰ وجهه، وإلا فقد كان النبي ﷺ لا يحتجب[٢].

قال النووي: "من فوائد الحديث: تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على البعض وحثهم على التراحم والتعاضد "[٣].

ونقل ابن حجر عن عياض، قوله: ولا يستثنىٰ من وجوه التي تستحب الشفاعة إلا الحدود، وإلا فما لأحد فيه تجوز الشفاعة فيه ولاسيما ممن ووقعت منه الهفوة أو من أهل الستر والعفاف قال: وأما المصرون علىٰ فسادهم المشتهرون في باطلهم فلا يشفع فيهم ليزجروا عن ذلك[٤].

٣٢- التطوع بالإحسان إلى الخادم:

- عَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَىٰ غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: « **يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ ٱمْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ** »[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٢، ٦٠٢٧)، ومسلم (٢٦٢٧).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٦٦).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ١٣٩).

(٤) فتح الباري (١٢/ ٦٤).

(٥) البخارىٰ (٣٠)، مسلم (١٦٦١).

قال ابن بطال: قال المهلب: فيه الحض علىٰ كسوة المملوك وإطعامه بالسواء مثل طعام المالك وكسوته، وليس ذلك على الإيجاب عند العلماء، وإنما على المالك أن يكسوا ما يستر العورة ويدفع الحر والبرد، ويطعم ما يسد الجوعة ما لم يكن فيه ضرر على المملوك... فإن زاد علىٰ ما فرض عليه من قوته وكسوته بالمعروف كان متفضلًا متطوعًا. وقال ربيعة بن أبىٰ عبد الرحمن: لو أن رجلًا عمل لنفسه خبيصًا فأكله دون خادمه، ما كان بذلك بأس. وكان يرىٰ أنه إذا أطعم خادمه من الخبز الذىٰ أكل منه، فقد أطعمه مما يأكل منه؛ لأن مَن عند العرب للتبعيض، ولو قال: أطعموهم من كل ما تأكلون، لوجب حينئذ إطعامهم من الخبيص ومن كل شىء، وكذلك فى اللباس[١].

٣٣- التطوع ببناء المساجد:

- عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، يَقُولُ عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ حِينَ بَنَىٰ مَسْجِدَ الرَّسُولِ ﷺ: إِنَّكُمْ أَكْثَرْتُمْ، وَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **"مَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا - قَالَ بُكَيْرٌ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ - بَنَىٰ اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الجَنَّةِ"**[٢].

قال ابن حجر: أي يطلب به رضا الله والمعنىٰ بذلك الإخلاص[٣].

ووضح النووي قوله: "بنىٰ الله له مثله في الجنة" فقال: يحتمل في القدر والمساحة، ولكنه أنفس منه بزيادات كثيرة ويحتمل مثله في مسمى البيت وإن كان أكبر مساحة وأشرف[٤].

وقال ابن بطال: المساجد بيوت الله، وقد أضافها لنفسه بقوله: ﴿إِنَّمَا

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال "٧/ ٦٤

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣).

(٣) فتح الباري (٢/ ١١٦).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ١١٣).

﴿يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ١٨] حسبك بهٰذا شرفًا لها(١).

٣٤- التطوع في خدمة المسنين وإعانتهم وإجلالهم:

- عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ**"(٢).

أي تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام بتوقيره في المجالس، والرفق به، والشفقة عليه، ونحو ذلك، كل هٰذا من كمال تعظيم الله لحرمته عند الله(٣).

- وعن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء شيخٌ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ: "**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**"(٤).

قال المناوي مبينًا بعض أسباب توقير الكبير: لما خص به السبق في الوجود وتجربة الأمور(٥).

٣٥- التطوع بالسعي على الأرملة والمسكين نوع من الجهاد في سبيل الله:

- عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: "**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ**"(٦).

قال ابن بطال: من عجز عن الجهاد فىٰ سبيل الله وعن قيام الليل وصيام

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ١٠١)

(٢) أخرجه أبوداود (٤٨٤٣). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٨).

(٣) عون المعبود (١٠ / ٣٦٥).

(٤) أخرجه الترمذي (١٩١٩)، وأبو يعلىٰ في "مسنده" (٤٢٤١)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (١٠٩٨٢). وصححه الألباني في الصحيحة (٢١٩٦).

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣٣١)

(٦) أخرجه البخاري (٥٣٥٣)، ومسلم (٥٢٩٥).

النهار، فليعمل بهٰذا الحديث وليسع على الأرامل والمساكين ليحشر يوم القيامة فىٰ جملة المجاهدين فىٰ سبيل الله دون أن يخطو فىٰ ذلك خطوة، أو ينفق درهمًا، أو يلقىٰ عدوًا يرتاع بلقائه، أو ليحشر فىٰ زمرة الصائمين والقائمين وينال درجتهم وهو طاعمٌ نهارَه نائمٌ ليلَه أيام حياته، فينبغىٰ لكل مؤمن أن يحرص علىٰ هٰذِه التجارة التىٰ لاتبور، ويسعىٰ علىٰ أرملة أو مسكين لوجه الله تعالىٰ فيربح فىٰ تجارته درجات المجاهدين والصائمين والقائمين من غير تعب ولانصب، ذلك فضل الله يوتيه من يشاء[١].

٣٦- المتطوع بكفالة الأيتام رفيق النبي ﷺ في الجنة:

- عن سهل بن سعد ﷺ، قال: رسول الله ﷺ: "**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**" وأشار بالسبابة والوسطىٰ، وفرج بينهما شيئًا[٢].

- وعن أبىٰ هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ، أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ**"[٣].

قال الحافظ ابن حجر: قال ابن بطال: حق علىٰ من سمع هٰذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك، قلت: قد تقدم الحديث في كتاب اللعان وفيه وفرَّج بينهما أي بين السبابة والوسطىٰ وفيه إشارة إلىٰ أن بين درجة النبي ﷺ وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطىٰ وهو نظير الحديث الآخر بعثت أنا والساعة كهاتين الحديث[٤].

٣٧- التطوع بالإصلاح بين الناس:

- عن أبي الدرداء ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ**

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢١٨)

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٠٤). (٣) أخرجه مسلم (٧٦٦٠).

(٤) فتح الباري (١٠ / ٤٣٦)

دَرَجَةِ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالصَّدَقَةِ؟ " قَالُوا: بَلَىٰ قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ قَالَ: وَفَسَادُ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ "[١].

قال المناوي: أي إصلاح أحوال البين حتىٰ تكون أحوالكم أحوال صحبة وألفة أو هو إصلاح الفساد والفتنة التي بين القوم[٢].

- وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ، وهو يقول: **"لَيسَ الكَذَّابُ الذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا"**. قال ابن شهاب: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذبٌ إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل ٱمرأته وحديث المرأة زوجها[٣].

٣٨- التطوع بالدعاء للمؤمنين:

عن أبي الدَّرْدَاءِ، قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ، إِلاَّ قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ"**[٤].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"مَنِ ٱسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً"**[٥].

٣٩- التطوع بالغرس:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ**

---

(١) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٣٩١)، والترمذي (٢٥٠٩)، وأبو داود (٤٩١٩)، وأحمد (٢٧٥٠٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٩٥).

(٢) فيض القدير (٣/ ١٠٦)

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٠٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣٢).

(٥) أخرجه الطبراني في " مسند الشاميين " (٢١٥٥). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٢٦).

صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ"[١].

قال المازري: فيه الحض على الغرس واقتناء الضياع، كما فعله كثير من السلف، خلافًا لمن منع ذلك. واختصاص الثواب على الأعمال بالمسلمين دون الكفار. وفيه أن المسبب للخير أجرٌ بما تنفع به، كان من أعمال البر أو مصالح الدين[٢].

٤٠- التطوع بندب الناس إلى الصدقة:

عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأَىٰ بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّىٰ ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١] إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨] « تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّىٰ قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ** »[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٥٢) وأخرجه البخاري عن أنس بنحوه (٢٣٢٠).

(٢) إكمال المعلم (٥/ ٢١٤)   (٣) أخرجه مسلم (١٠١٧).

قال النووي: وأما سبب سروره ﷺ ففرحًا بمبادرة المسلمين إلىٰ طاعة الله تعالىٰ وبذل أموالهم لله وامتثال أمر رسول الله ﷺ ولدفع حاجة هٰؤلاء المحتاجين وشفقة المسلمين بعضهم علىٰ بعض وتعاونهم على البر والتقوىٰ وينبغي للإنسان إذا رأىٰ شيئًا من هٰذا القبيل أن يفرح ويظهر سروره ويكون فرحه لما ذكرناه قوله ﷺ . . . . فيه الحث على الأبتداء بالخيرات وسن السنن الحسنات والتحذير من ٱختراع الأباطيل والمستقبحات وسبب هٰذا الكلام في هٰذا الحديث أنه قال في أوله فجاء رجل بصرة كادت كفه تعجز عنها فتتابع الناس وكان الفضل العظيم للبادي بهٰذا الخير والفاتح لباب هٰذا الإحسان(١).

٤١- التطوع بعيادة المريض:

– عن ثوبان، مولىٰ رسول الله ﷺ، عن رسول الله ﷺ، قال: "**مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الجَنَّةِ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: جَنَاهَا**"(٢).

قال المازري: قال الأصمعي: واحد المخارف مخرف. وهو جناء النخل، سمىٰ بذلك لأنه يخترف، أىٰ يجنىٰ. قال شمر: المخرفة: سكة بين صفين من نخل يخترف من أيهما شاء. وقال غيره: المخرفة: الطريق، فمعنى الحديث: أنه علىٰ طريق تؤديه إلى الجنة، ... وعيادة المريض من الطاعات المرغب فيها، العظيمة الأجر. وقد جاء فيها هٰذا الحديث وغيره. وقد يكون من فروض الكفاية، لا سيما المرضىٰ من الغرباء ومن لا قائم عليهم ولا كافل لهم، فلو تركت عيادتهم لهلكوا، وماتوا ضرًا وعطشًا وجوعًا، فعيادتهم تطلع علىٰ أحوالهم ويتذرع بها إلىٰ معونتهم، وإعانتهم، وهىٰ كإغاثة الملهوف، وإنجاء الهالك، وتخليص الغريق. من حضرها

---

(١) شرح النووي (٧/ ١٠٣-١٠٤). (٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٨).

لزمته، فمتىٰ لم يعادوا لم يعلم حالهم فىٰ ذلك[١].

٤٢- التطوع بالتزاور والتواصل:

- عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، **"أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرىٰ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هٰذِهِ القَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ** ﷻ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ "[٢].

قال النووي: معنىٰ أرصده أقعده يرقبه والمدرجة بفتح الميم والراء هي الطريق سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها أي يمضون ويمشون قوله (لك عليه من نعمة تربها) أي تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك... في هٰذا الحديث فضل المحبة في الله تعالىٰ وأنها سبب لحب الله تعالى العبد، وفيه فضيلة زيارة الصالحين والأصحاب[٣].

٤٣- التطوع في سقي البهائم والحيوانات:

- عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: **"بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرىٰ مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هٰذا مِثْلُ الذِي بَلَغَ بِي، فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ " ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ "**[٤].

قال ابن بطال: سقى الماء من أعظم القربات إلىٰ الله تعالىٰ وقد قال بعض التابعين: من كثرت ذنوبه فعليه بسقي الماء، وإذا غفرت ذنوب الذىٰ

---

(١) إكمال المعلم (٨/ ٣٧)   (٢) أخرجه مسلم (٦٧١٤).

(٣) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٢٤).

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).

سقى الكلب فما ظنكم بمن سقىٰ رجلا مؤمنًا موحدًا أو أحياه بذلك.

وقد ٱستدل بهٰذا الحديث من أجاز صدقة التطوع على المشركين، لعموم قوله ﷺ: (في كل كبد رطبة أجر) وفيه أن المجازاة على الخير والشر قد تكون يوم القيامة من جنس الأعمال، كما قال ﷺ: **(من قتل نفسه بحديدة عذب بها فىٰ نار جهنم)**[1].

٤٤- التطوع بإحياء الأرض الموات:

- عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً، فَلَهُ فِيهَا أَجْرٌ، وَمَا أَكَلَتِ العَافِيَةُ مِنْهَا، فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ"**[2].

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ ٱسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ"**[3].

قال العيني: فيه فضل الغرس والزرع، واستدل به بعضهم علىٰ أن الزراعة أفضل المكاسب، واختلف في أفضل المكاسب، فقال النووي: أفضلها الزراعة، وقيل: أفضلها الكسب باليد، وهي الصنعة، وقيل: أفضلها التجارة، وأكثر الأحاديث تدل علىٰ أفضلية الكسب باليد... وفيه: حصول الأجر للغارس والزارع، وإن لم يقصدا ذلك، حتىٰ لو غرس وباعه أو زرع وباعه كان له بذلك صدقة لتوسعته على الناس في أقواتهم، كما ورد الأجر للجالب، وإن كان يفعله للتجارة والاكتساب[4].

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٥٠٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٤٥٠٠)، والدارمي (٢٨٠٩)، وابن حبان في صحيحه (٥٢٠٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٢٨٢٣). وصححه الألباني في الإرواء (١٥٥٠).

(٣) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٤٧٩)، وأحمد (١٢٩٨١)، وعبد بن حميد في "المنتخب" (١٢١٦)، والبزار في " مسنده " (٧٤٠٨). وصححه الألباني في الصحيحة (٩).

(٤) عمدة القاري (١٢/ ١٥٥).

٤٥- التطوع بإعانة الغازي:

- عن خالد بن الوليد ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: "**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا**"[(١)]، وعند مسلم: "**ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا**"[(٢)].

قال ابن بطال: قال الطبرىٰ: وفيه من الفقه أن كل من أعان مؤمنًا علىٰ عمل بر فللمعين عليه أجر مثل العامل، وإذا أخبر الرسول أن من جهز غازيًا فقد غزا، فكذلك من فطر صائمًا أو قواه علىٰ صومه، وكذلك من أعان حاجًّا أو معتمرًا بما يتقوىٰ به علىٰ حجه أو عمرته حتىٰ يأتىٰ ذلك علىٰ تمامه فله مثل أجره. ومن أعان فإنما يجيء من حقوق الله بنفسه أو بماله حتىٰ يغلبه على الباطل بمعونة فله مثل أجر القائم، ثم كذلك سائر أعمال البر، وإذا كان ذلك بحكم المعونة علىٰ أعمال البر فمثله المعونة علىٰ معاصىٰ الله وما يكرهه الله، للمعين عليها من الوزر والإثم مثل ما لعاملها، ولذلك نهى الرسول عن بيع السيوف فى الفتنة ولعن عاصر الخمر ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه، وكذلك سائر أعمال الفجور[(٣)].

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ إِلَىٰ بَنِي لَحْيَانَ: «**لِيَخْرُجْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ**»، ثُمَّ قَالَ لِلْقَاعِدِ: «**أَيُّكُمْ خَلَفَ الخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ، كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الخَارِجِ**»[(٤)].

٤٦- التطوع بتغسيل الموتـى:

عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (٥٠١١).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ٥٠)

(٤) أخرجه مسلم (١٨٩٦).

طَهَّرَهُ اللهُ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَإِنْ هُوَ كَفَّنَهُ، كَسَاهُ اللهُ مِنَ السُّنْدُسِ"[١].

قال المناوي: يحتمل أن المراد ستر عورته ويحتمل أن المراد ستر ما يبدو له من علامة ردية كظلمة ويحتمل الأمرين وهو أظهر (ومن كفنه كساه الله من السندس) قال النووي: فيه أنه يسن إذا رأى الغاسل ما يعجبه أن يذكره وإذا رأىٰ ما يكره لا يحدث به[٢].

٤٧- التطوع بالمواساة والعزاء:

- عن عبد الله بن جعفر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ شَغَلَهُمْ**"[٣].

قال المباركفوري: قال الطيبي دل علىٰ أنه يستحب للأقارب والجيران تهيئة طعام لأهل الميت.

وقال ابن الهمام: ويستحب لجيران أهل الميت والأقرباء الأباعد تهيئة طعام يشبعهم يومهم وليلتهم لقوله ﷺ ٱصنعوا لآل جعفر طعامًا وقال: يكره ٱتخاذ الضيافة من أهل الميت لأنه شرع في السرور لا في الشرور وهي بدعةٌ مستقبحةٌ[٤].

- وعن عمرو بن حزم ﷺ، عن النبي ﷺ، أنه قال: "**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ، إِلاَّ كَسَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حُلَلِ الكَرَامَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ**"[٥].

---

(١) أخرجه الطبراني (٨/ ٢٨١، رقم ٨٠٧٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٢٦٧). وقال الألباني: حسن، ٱنظر الصحيحة (٢٣٥٣).

(٢) فيض القدير (٦/ ١٨٥)

(٣) أخرجه الترمذي (٩٩٨)، وأبو داود (٣١٣٢)، وابن ماجه (١٦١٠)، وأحمد (١٧٥١). وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (ص ١٦٨)، وصحيح الجامع (١٠١٥).

(٤) تحفة الأحوذي (٤/ ٦٧)

(٥) أخرجه ابن ماجه (١٦٠١)، وعبد بن حميد في المنتخب (٢٨٧). وقال الألباني: حسن لغيره. ٱنظر: الإرواء (٧٦٤) وصحيح الترغيب (٣٥٠٨).

٤٨- التطوع ببذل الوقت في سبيل الله:

- عن عبد الله بن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "**لاَ تَزُولُ قَدَمُ ابن آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ ٱكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**"(١).

- وعن ابن عباس ﷺ قال: قال النبي ﷺ لرجل وهو يعظه: "**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**"(٢).

قال ابن رجب: يعني: ٱغتنم الأعمال الصالحة في الصحة قبل أن يحول بينك وبينها السقم، وفي الحياة قبل أن يحول بينك وبينها الموت(٣).

وقال الحافظ ابن حجر: ٱعمل ما تلقىٰ نفعه بعد موتك وبادر أيام صحتك بالعمل الصالح فإن المرض قد يطرأ فيمتنع من العمل فيخشىٰ علىٰ من فرط في ذلك أن يصل إلى المعاد بغير زاد(٤).

٤٩- كل معروف صدقة:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**» قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ «**يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ**» قَالَ قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «**يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ**» قَالَ قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «**يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الخَيْرِ**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «**يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ**»(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٦٤٧). وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٤٦)، وصحيح الجامع (٧٢٩٩).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٧٨٤٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٢٤٨). وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٣٥٥)، وصحيح الجامع (١٠٧٧).

(٣) جامع العلوم والحكم الحديث الأربعون.

(٤) فتح الباري (١١/ ٢٣٥).

(٥) أخرجه البخاري (٦٠٢٢)، ومسلم (١٠٠٨).

علىٰ كل مسلم صدقة أي في مكارم الأخلاق وليس ذلك بفرض إجماعًا، قال ابن بطال: وأصل الصدقة ما يخرجه المرء من ماله متطوعًا به، وقد يطلق على الواجب لتحري صاحبه الصدق بفعله، ويقال لكل ما يحابي به المرء من حقه صدقة لأنه تصدق بذلك علىٰ نفسه.

قوله: فإن لم يجد أي ما يتصدق به قال فيعمل بيديه، قال ابن بطال: فيه التنبيه على العمل والتكسب ليجد المرء ما ينفق علىٰ نفسه ويتصدق به ويغنيه علىٰ ذل السؤال، وفيه الحث علىٰ فعل الخير مهما أمكن وأن من قصد شيئًا منها فتعسر فلينتقل إلىٰ غيره.

قوله: فإن لم يستطع أو لم يفعل هو شك من الراوي، قوله: فيعين ذا الحاجة الملهوف أي بالفعل أو بالقول أبو بهما[١].

ومقصود الباب أن أعمال الخير إذا حسنت النيات فيها تنزلت منزلة الصدقات في الأجور، ولا سيما في حق من لا يقدر على الصدقة. ويفهم منه أن الصدقة في حق القادر عليها أفضل من سائر الأعمال القاصرة علىٰ فاعلها. ولا شك أن ثواب الفرض أفضل من ثواب النفل، ولن يتقرب المتقربون بأفضل بما ٱفترضه عليهم كما أخبر به الرب جل جلاله[٢].

---

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١٠/ ٤٤٨).

(٢) التوضيح لابن الملقن (١٠/ ٢٥٤)

رابعًا:
نماذج عملية من السنة للأعمال التطوعية

١- مشاركته عليه الصلاة والسلام في حلف الفضول:

عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ المُطَيِّبِينَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ**"[(١)].

وحلف الفضول كما قال محمد بن إسحاق: أن قبائل من قريش تداعت إلىٰ حلف، فاجتمعوا له في دار عبدالله بن جدعان لشرفه وسنه، وكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو عبدالمطلب، وبنو أسد بن عبدالعزي، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة؛ فتعاهدوا وتعاقدوا علىٰ أن لا يجدوا مظلومًا من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه، وكانوا علىٰ من ظلمه حتىٰ يردوا عليه مظلمته، فسمت قريشًا ذلك الحلف حلف الفضول.

٢- تطوعه ﷺ لبناء الكعبة:

عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: "كَانَتِ الكَعْبَةُ فِي الجَاهِلِيَّةِ مَبْنِيَّةً بِالرَّضْمِ لَيْسَ فِيهَا مَدَرٌ، وَكَانَتْ قَدْرَ مَا يَقْتَحِمُهَا العَنَاقُ، وَكَانَتْ غَيْرَ مَسْقُوفَةٍ، وَإِنَّمَا تُوضَعُ ثِيَابُهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ يُسْدَلُ سَدْلًا عَلَيْهَا، وَكَانَ الرُّكْنُ الأَسْوَدُ مَوْضُوعًا عَلَىٰ سُورِهَا بَادِيًا، وَكَانَتْ ذَاتَ رُكْنَيْنِ كَهَيْئَةِ هٰذِهِ الحَلْقَةِ، فَأَقْبَلَتْ سَفِينَةٌ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا قَرِيبًا مِنْ جُدَّةَ ٱنْكَسَرَتِ السَّفِينَةُ، فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ لِيَأْخُذُوا خَشَبَهَا، فَوَجَدُوا رُومِيًّا عِنْدَهَا فَأَخَذُوا الخَشَبَ، أَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا، وَكَانَتِ السَّفِينَةُ تُرِيدُ الحَبَشَةَ، وَكَانَ الرُّومِيُّ الذِي فِي السَّفِينَةِ نَجَّارًا، فَقَدِمُوا

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٦٧)، وابن حبان في صحيحه (٤٣٧٣)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٨٤٥). وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٠٠).

بِالْخَشَبِ، وَقَدِمُوا بِالرُّومِيِّ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: نَبْنِي بِهٰذَا الخَشَبِ بَيْتَ رَبِّنَا، فَلَمَّا أَنْ أَرَادُوا هَدْمَهُ إِذَا هُمْ بِحَيَّةٍ عَلَىٰ سُورِ البَيْتِ مِثْلِ قِطْعَةِ الجَائِزِ سَوْدَاءِ الظَّهْرِ، بَيْضَاءِ البَطْنِ، فَجَعَلَتْ كُلَّمَا دَنَا أَحَدٌ مِنَ البَيْتِ لِيَهْدِمَهُ أَوْ يَأْخُذَ مِنْ حِجَارَتِهِ، سَعَتْ إِلَيْهِ فَاتِحَةً فَاهَا، فَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ عِنْدَ الحَرَمِ، فَعَجُّوا إِلَىٰ اللهِ وَقَالُوا: رَبَّنَا لَمْ نُرَعْ، أَرَدْنَا تَشْرِيفَ بَيْتِكَ وَتَرْتِيبَهُ، فَإِنْ كُنْتَ تَرْضَىٰ بِذَلِكَ، وَإِلَّا فَمَا بَدَا لَكَ فَافْعَلْ، فَسَمِعُوا خُوَارًا فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُمْ بِطَائِرٍ أَعْظَمَ مِنَ النِّسْرِ، أَسْوَدِ الظَّهْرِ، وَأَبْيَضِ البَطْنِ وَالرِّجْلَيْنِ، فَغَرَزَ مَخَالِبَهُ فِي قَفَا الحَيَّةِ، ثُمَّ ٱنْطَلَقَ بِهَا يَجُرُّهَا، وَذَنَبُهَا أَعْظَمُ مِنْ كَذَا وَكَذَا سَاقِطٍ حَتَّى ٱنْطَلَقَ بِهَا نَحْوَ أَجْيَادٍ، فَهَدَمَتْهَا قُرَيْشٌ، وَجَعَلُوا يَبْنُونَهَا بِحِجَارَةِ الوَادِي، تَحْمِلُهَا قُرَيْشٌ عَلَىٰ رِقَابِهَا، فَرَفَعُوهَا فِي السَّمَاءِ عِشْرِينَ ذِرَاعًا، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَحْمِلُ حِجَارَةً مِنْ أَجْيَادٍ وَعَلَيْهِ نَمِرَةٍ، إِذْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ النَّمِرَةُ، فَذَهَبَ يَضَعُ النَّمِرَةَ عَلَىٰ عَاتِقِهِ، فَبَدَتْ عَوْرَتُهُ مِنْ صِغَرِ النَّمِرَةِ، فَنُودِيَ يَا مُحَمَّدُ، خَمِّرْ عَوْرَتَكَ، فَلَمْ يُرَ عُرْيَانًا بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَانَ بَيْنَ الكَعْبَةِ وَبَيْنَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ خَمْسُ سِنِينَ، وَبَيْنَ مَخْرَجِهِ وَبِنَائِهَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً"[(١)].

٣- تطوع النبي ﷺ برفع النزاع بين أهل مكة في وضع الحجر الأسود:

عن علي بن أبي طالب ﷺ، في بناء الكعبة قال: لما رأوا النبي ﷺ قد دَخَلَ مِن البَابِ، قَالُوا: "**قَدْ جَاءَ الأَمِينُ**"[(٢)].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٩١٠٦)، وأحمد (٢٣٨٠٠) مختصرا، وقال الألباني في الثمر المستطاب (٢٥٠): وهٰذا سند صحيح رجاله كلهم رجال مسلم.
وقد أورده الحافظ في (الفتح) مطولا وقال: أخرجه عبد الرزاق. ومن طريقه الحاكم والطبراني. وهو في (المستدرك) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٤٤٢). وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٤٢٠): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير حفص بن عمر الضرير وخالد بن عرعرة وكلاهما ثقة.

وفي رواية " أنه لما أرادوا أن يرفعوا الحجر (يعني قريشًا) آختصموا فيه، فقالوا: يحكم بيننا أول رجل يخرج من هٰذِه السكة قال: وكان رسول الله ﷺ أول من خرج عليهم، فجعلوه (أي: الحجر) في مرط ثم رفعه جميع القبائل كلها، ورسول الله يومئذ رجل شاب يعني قبل البعثة[١].

٤- تطوعه بالعمل في بناء المسجد النبوي:

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ فَنَزَلَ أَعْلَى المَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَىٰ بَنِي النَّجَّارِ، فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ وَمَلأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حَتَّىٰ أَلْقَىٰ بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ [ص: ٩٤]، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ، وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الغَنَمِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ مَلَإٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالَ: « يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هٰذا »، قَالُوا: لاَ واللهِ لاَ نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَىٰ اللهِ، فَقَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورُ المُشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرِبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ المُشْرِكِينَ، فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المَسْجِدِ وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ: **«اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ»**[٢].

٥- التطوع بالاعتناء بالمساجد:

عن أبي هريرة ﷺ: أن رجلًا أسود أو آمرأة سوداء كان يقم المسجد[٣] فمات، فسأل النبي ﷺ عنه، فقالوا: مات، قال: **"أفلاَ كُنْتُمْ آذَنْتُمُوني[٤] بِهِ**

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٦٩٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٨)، ومسلم (٥٢٤).

(٣) يَقُمُّ المَسْجِدَ: يجمع القمامة وهي الكناسة. فتح الباري، لابن حجر (١/ ٥٥٣).

(٤) آذنتموني: بالمد أي أعلمتموني. فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٥٣).

دُلوني عَلَىٰ قَبْرِهِ - أَوْ قَال قَبْرِهَا - فَأَتَىٰ قَبْرَهَا فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا"[١].

٦- تطوعه ﷺ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

عن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ آخَىٰ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ[٢].

٧- التطوع في تأمين الناس عند الفزع وكشف أخبار العدو:

- عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قالَ: كانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النّاسِ، وأَجْوَدَ النّاسِ، وأَشْجَعَ النّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ ذاتَ لَيْلَةٍ، فانْطَلَقَ النّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ، فاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ سَبَقَ النّاسَ إلى الصَّوْتِ، وَهُوَ يَقُولُ: "**لَنْ تُراعُوا، لَنْ تُراعُوا**" وَهُوَ عَلَىٰ فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ ما عَلَيْهِ سَرْجٌ، فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ، فَقالَ: "**لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا**[٣]، **أَوْ: إِنَّهُ لَبَحْرٌ**"[٤].

قوله: "فزع أهل المدينة": أي سمعوا صوتًا في الليل فخافوا أن يهجم عليهم عدو، وقوله فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت؛ أي أنه سبق فاستكشف الخبر فلم يجد ما يخاف منه فرجع يسكنهم، وقوله "لم تراعوا " هي كلمة تقال عند تسكين الروع تأنيسًا وإظهارًا للرفق بالمخاطب[٥].

وفيه جواز سبق الإنسان وحده في كشف أخبار العدو ما لم يتحقق الهلاك، وجواز العارية، وجواز الغزو على الفرس المستعار، واستحباب تقلد السيف في العنق، وتبشير الناس بعدم الخوف إذا ذهب[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٤٠)، ومسلم (٢٥٢٩) بلفظ: " حالف النبي ﷺ بين الأنصار وقريش في داري التي بالمدينة ".

(٣) لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا: أي الفرس بحرا أي جوادا وسيع الجري. مرقاة المفاتيح (١٦/ ٤٩٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٣٣)، ومسلم (٤٢٦٦).

(٥) فتح الباري (١٠/ ٤٥٧).

(٦) شرح النووي علىٰ مسلم (١٥/ ٦٨).

٨- شهادة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بأعماله لخدمة الناس:

عن عائشةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: أَوَّلُ ما بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيا الصّالِحَةُ في النَّوْمِ، فَكانَ لاَ يَرىٰ رُؤْيا إِلّا جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاءُ، وَكانَ يَخْلُو بِغارِ حِراءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيالِيَ ذَواتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلىٰ أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِها، حَتَّىٰ جاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ في غارِ حِراءٍ، فَجاءَهُ المَلَكُ فَقالَ: ٱقْرأ، قالَ: "**ما أَنا بِقارِئٍ**"، قالَ: "**فاخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقالَ: ٱقْرأ، قُلْتُ: ما أَنا بِقارِئٍ، فأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقالَ: ٱقْرأ، فَقُلْتُ: ما أَنا بِقارِئٍ، فأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقالَ:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ [العلق: ٢] " فَرَجَعَ بِها رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤادُهُ، فَدَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، فَقالَ: "**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**" فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فقال لِخَدِيجَةَ وأَخْبَرَها الخَبَرَ: "**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي**" فَقالَتْ خَدِيجَةُ: كَلّا واللهِ ما يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوائِبِ الحَقِّ،..."[(١)].

٩- التطوع بقبول الهدايا والإثابة عليها:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا[(٢)].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ البادِيَةِ كانَ ٱسْمُهُ زاهِرًا، وَكانَ يُهْدِي إِلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ الهَدِيَّةَ مِنَ البادِيَةِ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذا أَرادَ أَنْ يَخْرُجَ، فقال النَّبِيُّ ﷺ: "**إِنَّ زاهِرًا بادِيَتُنا، وَنَحْنُ حاضِرُوهُ**". وَكانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ، وَكانَ رَجُلًا دَمِيمًا، فأتاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتاعَهُ، فاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٨٥).

وَلا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ، فَقالَ: أَرْسِلْنِي، مَنْ هٰذا؟، فالتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَعَلَ لا يألُو ما ألصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: مَنْ يَشْتَرِي العَبْدَ؟ فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، إِذًا واللهِ تَجِدُنِي كاسِدًا، فقال النَّبِيُّ ﷺ: "**لكن عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكاسِدٍ** أَوْ قالَ: "**لكن عِنْدَ اللهِ أَنْتَ غالٍ**"[1].

١٠- التطوع بالدفاع عن عرض المسلمين:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ، عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَدِمْتُ المَدِينَةَ، فَلَقِيتُ عِتْبَانَ، فَقُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ، قَالَ: أَصَابَنِي فِي بَصَرِي بَعْضُ الشَّيْءِ، فَبَعَثْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّيَ فِي مَنْزِلِي، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ، وَمَنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَدَخَلَ وَهُوَ يُصَلِّي فِي مَنْزِلِي وَأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ أَسْنَدُوا عُظْمَ ذَلِكَ وَكُبْرَهُ إِلَىٰ مَالِكِ بْنِ دُخْشُمٍ، قَالُوا: وَدُّوا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ، وَدُّوا أَنَّهُ أَصَابَهُ شَرٌّ، فَقَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّلاَةَ، وَقَالَ: «**أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰه إِلاَّ اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟**» قَالُوا: إِنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ، وَمَا هُوَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ: «**لا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لا إِلٰه إِلاَّ اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَيَدْخُلَ النَّارَ، أَوْ تَطْعَمَهُ**»[2].

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُمَرَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَقِيلَ: مَنَعَ ابن جَمِيلٍ، وَخالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، والعَبّاسُ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**ما يَنْقِمُ ابن جَمِيلٍ إِلاّ أَنَّهُ كانَ فَقِيرًا فأَغْناهُ اللهُ، وأَمّا خالِدٌ فإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خالِدًا، قَدِ ٱحْتَبَسَ أَدْراعَهُ واعْتادَهُ في سَبِيلِ اللهِ، وأَمّا**

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٩٦٨٨)، وأحمد (١٢٦٤٨)، وصححه الألباني في مختصر الشمائل (٢٠٤).

(٢) صحيح مسلم (٨٥).

العَبّاسُ فَهِيَ عَلَيَّ، وَمِثْلُها مَعَها"، ثُمَّ قالَ: "يا عُمَرُ، أما شَعَرْتَ أنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ؟"[(١)].

قال ابن حجر: وفي الحديث تحمل الإمام عن بعض رعيته ما يجب عليه، والاعتذار عن بعض الرعية بما يسوغ الاعتذار به[(٢)].

١١- مواساته ﷺ للأرامل:

- عَنْ أَنَسٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ بَيْتًا بِالمَدِينَةِ غَيْرَ بَيْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ إِلّا عَلَىٰ أَزْواجِهِ، فَقِيلَ لَهُ، فَقالَ: إِنِّي أَرْحَمُها قُتِلَ أَخُوها مَعِي[(٣)].

قال النووي: قد قدمنا في كتاب الجهاد عند ذكر أم حرام أخت أم سليم أنهما كانتا خالتين لرسول الله ﷺ محرمين إما من الرضاع وإما من النسب فتحل له الخلوة بهما وكان يدخل عليهما خاصة لا يدخل علىٰ غيرهما من النساء إلا أزواجه قال العلماء ففيه جواز دخول المحرم علىٰ محرمه وفيه إشارة إلىٰ منع دخول الرجل إلى الأجنبية وإن كان صالحًا وقد تقدمت الأحاديث الصحيحة المشهورة في تحريم الخلوة بالأجنبية[(٤)].

---

(١) البخاري (١٤٦٨)، ومسلم (٩٨٣).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٤٤) ومسلم (٢٤٥٥).

(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٠).

خامسًا: نماذج عن السلف الصالح في العمل التطوعي

١- التطوع بالصدقات:

- عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطّابِ، قال: أَمَرَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مالًا، فَقُلْتُ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مالِي، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"ما أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟"** قُلْتُ: مِثْلَهُ، وأَتَىٰ أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ ما عِنْدَهُ، فَقالَ: **"يا أَبا بَكْرٍ ما أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟"** قالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لا أَسْبِقُهُ إِلَىٰ شَيْءٍ أَبَدًا[١].

- وعَنْ مالِكٍ الدّارِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطّابِ ﷺ أَخَذَ أَرْبَعَمِائَةِ دِينارٍ فَجَعَلَها في صُرَّةٍ، فقال لِلْغُلامِ: ٱذْهَبْ بِها إِلَىٰ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرّاحِ ثُمَّ تَلَبَّثْ ساعَةً في البَيْتِ حَتَّىٰ تَنْظُرَ ما يَصْنَعُ، فَذَهَبَ الغُلامُ إِلَيْهِ وَقالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ: ٱجْعَلْ هٰذا في بَعْضِ حاجَتِكَ. قالَ: وَصَلَهُ اللهُ وَرَحِمَهُ، ثُمَّ قالَ: تَعالَيْ يا جارِيَةُ! ٱذْهَبِي بهٰذِه السَّبْعَةِ وَبِهَذِهِ الخَمْسَةِ إِلَىٰ فُلانٍ، وَبِهَذِهِ الخَمْسَةِ إِلَىٰ فُلانٍ حَتَّىٰ أَنْفَذَها، فَرَجَعَ الغُلامُ إِلَىٰ عُمَرَ فاخْبَرَهُ، فَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ مِثْلَها لِمُعاذِ بْنِ جَبَلٍ، فَقالَ: ٱذْهَبْ بِها إِلَىٰ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ وَتَلَبَّثْ في البَيْتِ حَتَّىٰ تَنْظُرَ ما يَصْنَعُ، فَذَهَبَ بِها إِلَىٰ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ، فَقالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ: ٱجْعَلْ هٰذِه في بَعْضِ حاجَتِكَ فَقالَ: رَحِمَهُ اللهُ وَوَصَلَهُ، تَعالَيْ يا جارِيَةُ! ٱذْهَبِي إِلَىٰ بَيْتِ فُلانٍ بِكَذا، فاطَّلَعَت ٱمْرَأَةُ مُعاذٍ فَقالَتْ: واللهِ نَحْنُ مَساكِينُ فَأَعْطِنا وَلَمْ يَبْقَ في الخِرْقَةِ إِلّا دِينارانِ فَرَمَىٰ بِهِما إِلَيْها وَرَجَعَ الغُلامُ إِلَىٰ عُمَرَ ﷺ فَأَخْبَرَهُ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٧٥)، وأبو داود (١٦٧٨)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٧٣).

فَسُرَّ بِذَلِكَ وَقالَ: إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ رضي الله عنهم[١].

- وعن حَسّان بْن عَطِيَّةَ، قالَ: لَمّا عَزَلَ عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ مُعاوِيَةَ عَنِ الشّامِ، وَبَعَثَ سَعِيدَ بْنَ عامِرِ بْنِ حِذْيَم الجُمَحِيَّ، فَخَرَجَ مَعَهُ بِجارِيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَضِيرَةِ الوَجْهِ، فَما لَبِثَ إِلّا يَسِيرًا حَتَّىٰ أَصابَتْهُ حاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِألفِ دِينارٍ، فَدَخَلَ بِها عَلَى ٱمْراتِهِ، فَقالَ: إِنَّ عُمَرَ بَعَثَ بِهٰذِه، فَما تَرَيْنَ؟ قالَتْ: لَوْ أَنَّكَ ٱشْتَرَيْتَ مِنْها إِدامًا وَطَعامًا. فقال لَها: أَوَ لا أَدُلُّكِ عَلَىٰ خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ نُعْطِي هٰذا المالَ مَنْ يَتَّجِرُ لَنا فِيهِ فَنأكُلُ مِنْ رِبْحِها، وَضَمانُها عَلَيْهِ. قالَتْ: فَنِعْمَ إِذًا. فَخَرَجَ فاشْتَرىٰ طَعامًا وإدامًا واشْتَرىٰ بَعِيرَيْنِ وَغُلامًا وَعَمَدَ إِلىٰ سائِرِها فَفَرَّقَها في المَساكِينِ وأَهْلِ الحاجَةِ، فَما لَبِثَ إِلّا يَسِيرًا حَتَّىٰ قالَتْ لَهُ ٱمْرأَتُهُ: إِنَّهُ نَفَذَ كَذا وَكَذا، فَلَوْ أَتَيْتَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فأَخَذْتَ لَنا مِنَ الرِّبْحِ فاشْتَرَيْتَ لَنا مَكانَهُ فَسَكَتَ عَنْها، ثُمَّ عاوَدَتْهُ فَسَكَتَ عَنْها، وَكانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَدْخُلُ بِدُخُولِهِ، فقال لَها: ما تَصْنَعِينَ، إِنَّكِ قَدْ آذَيْتِيهِ وإنهُ تَصَدَّقَ بِالمالِ، فَبَكَتْ، فَقالَ: عَلَىٰ رِسْلِكِ، كانَ لِي أَصْحابٌ فارَقُونِي قَرِيبًا، ما أُحِبُّ أَنِّي ٱحْتَبَسْتُ عَنْهُمْ وأَنَّ لِي الدُّنْيا وَما فِيها، وَلَوْ أَنَّ خَيْرَةً مِنْ خَيْراتِ حِسانٍ ٱطَّلَعَتْ مِنَ السَّماءِ إلى الأَرْضِ لأضاءتْ لَها الأَرْضُ، وَلَفَلَقَ ضَوْءُ وَجْهِها الشَّمْسَ والقَمَرَ، وَلَنَصِيفٌ تُكْساهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَما فِيها، وَلأَنْتِ في نَفْسِي أَحْرىٰ أَنْ أَدَعَكِ لَهُنَّ مِنْ أَنْ أَدْعَهُنْ لَكِ، قالَ: فَرَضِيَتْ[٢].

- وعَنِ الحَسَنِ: أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ باعَ أَرْضًا لَهُ بِسَبْعِمِائَةِ ألفٍ، فَباتَ لَيْلَةً عِنْدَهُ ذَلِكَ المالُ، فَباتَ أَرِقًا مِنْ مَخافَةِ ذَلِكَ المالِ حَتَّىٰ أَصْبَحَ فَفَرَّقَهُ[٣].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠ / ٣٣)، وابن المبارك في الزهد (٥١١).

(٢) أخرجه أبو داود في الزهد (٣٥٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٤٤).

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة (١٢٩٣)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٥٨٥).

- وعَنِ الزُّهْرِيِّ قالَ: تَصَدَّقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشَطْرِ مالِهِ أَرْبَعَةِ آلافٍ، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِأَرْبَعِينَ ألفًا، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِأَرْبَعِينَ ألفًا، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِأَرْبَعِينَ ألفَ دِينارٍ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَىٰ خَمْسِمِائَةِ فَرَسٍ في سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ عَلَىٰ ألفٍ وَخَمْسِ مِائَةِ راحِلَةٍ في سَبِيلِ اللهِ، وَكانَ عامَّةُ مالِهِ مِنَ التِّجارَةِ(١).

- وعَنْ سُعْدىٰ بِنْتِ عَوْفٍ المُرِّيَّةِ: "وَكانَتْ مَحِلَّ إِزارِ طَلْحَةَ، قالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ طَلْحَةُ ذاتَ يَوْمٍ وَهُوَ خائِرُ النَّفْسِ، فَقُلْتُ: ما لِي أَراكَ كالِحَ الوَجْهِ؟ وَقُلْتُ: ما شأنُكَ، أَرابَكَ مِنِّي شَيْءٌ فأعِينُكَ؟ قالَ: لا، وَلَنِعْمَ خَلِيلَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ أَنْتِ، قُلْتُ: فَما شأنُكَ؟ قالَ: المالُ الذِي عِنْدِي قَدْ كَثُرَ وأكْرَبَنِي قُلْتُ: وَما عَلَيْكَ؟ اقْسِمْهُ، قالَتْ: فَقَسَمَهُ حَتَّىٰ ما بَقِيَ مِنْهُ دِرْهَمٌ واحِدٌ". قال طَلْحَةُ بْنُ يَحْيَىٰ: فَسألتُ خازِنَ طَلْحَةَ: كَمْ كانَ المالُ؟ قالَ: أَرْبَعَمِائَةِ ألفٍ..).

- وقالَتْ أيضا: لَقَدْ تَصَدَّقَ طَلْحَةُ يَوْمًا بِمِائَةِ ألفِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ حَبَسَهُ عَنِ الرَّواحِ إلى المَسْجِدِ أَنْ جَمَعْتُ لَهُ بَيْنَ طَرَفَيْ ثَوْبِهِ(٢).

- وعن سَعِيد بْن عَبْدِ العَزِيزِ، قال: "كانَ لِلزُّبَيْرِ بْنِ العَوّامِ - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ - ألفُ مَمْلُوكٍ يُؤَدُّونَ إِلَيْهِ الخَراجَ، وَكانَ يُقَسِّمُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ ثُمَّ يَقُومُ إلىٰ مَنْزِلِهِ لَيْسَ مَعَهُ مِنْهُ شَيْءٌ"(٣).

- وعَنْ نافِعٍ، عَنِ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّهُ كانَ لا يُعْجِبُهُ شَيْءٌ مِنْ مالِهِ إِلّا أَخرَجَ مِنْهُ لله عز وجل، قالَ: وَكانَ رُبَّما تَصَدَّقَ في المَجْلِسِ الواحِدِ بِثَلاثِينَ ألفًا، قالَ: وأعْطاهُ ابن عامِرٍ مَرَّتَيْنِ ثَلاثِينَ ألفًا، فَقالَ: يا نافِعُ إِنِّي أَخافُ أَنْ تَفْتِنِّي دَراهِمُ ابن عامِرٍ، اذْهَبْ فأنْتَ حُرٌّ، وَكانَ لا يُدْمِنُ اللَّحْمَ شَهْرًا إِلّا مُسافِرًا

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١ / ١٢٩ / ٢٦٥)، وابن المبارك في الزهد (٥٢٠).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١ / ٨٨).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٦٢٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (١ / ٩٠).

أَوْ في رَمَضانَ، قالَ: وَكانَ يَمْكُثُ الشَّهْرَ لا يَذُوقُ فِيهِ مُزْعَةَ لَحْمٍ.

- وعَنْ نافِعٍ، قالَ: إِنْ كانَ ابن عُمَرَ لَيُقَسِّمُ في المَجْلِسِ الواحِدِ ثَلاثِينَ ألفًا، ثُمَّ يأتِي عَلَيْهِ شَهْرٌ ما يأكُلُ فِيهِ مُزْعَةَ لَحْمٍ[1].

- وعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرانَ، قالَ: أَتَتِ ابن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعالَىٰ عَنْهُ ٱثْنانِ وَعِشْرُونَ ألفَ دِينارٍ في مَجْلِسٍ، فَلَمْ يَقُمْ حَتَّىٰ فَرَّقَها.

- وعَنْ نافِعٍ: أَنَّ مُعاوِيَةَ بَعَثَ إلى ابن عُمَرَ مِائَةَ ألفٍ، فَما حالَ الحَوْلُ وَعِنْدَهُ مِنْها شَيْءٌ.

- وعن أَيُّوب بْن وائِلٍ الرّاسِبِيِّ، قالَ: قَدِمْتُ المَدِينَةَ فأَخْبَرَنِي رَجُلٌ - جارٌ لِابْنِ عُمَرَ - أَنَّهُ أَتَى ابن عُمَرَ أَرْبَعَةُ آلافٍ مِنْ قِبَلِ مُعاوِيَةَ، وأَرْبَعَةُ آلافٍ مِنْ قِبَلِ إِنْسانٍ آخَرَ، وألفانِ مِنْ قِبَلِ آخَرَ، وَقَطِيفَةٌ فَجاءَ إلى السُّوقِ يُرِيدُ عَلَفًا لِراحِلَتِهِ بِدِرْهَم نَسِيئَةً، فَقَدْ عَرَفْتُ الذِي جاءَهُ، فأَتَيْتُ سُرِّيَّتَهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ شَيْءٍ وأحِبُّ أَنْ تَصْدُقِينِي؟ قُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ أَتَتْ أَبا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَرْبَعَةُ آلافٍ مِنْ قِبَلِ مُعاوِيَةَ، وأَرْبَعَةُ آلافٍ مِنْ قِبَلِ إِنْسانٍ آخَرَ، وألفانِ مِنْ قِبَلِ آخَرَ، وَقَطِيفَةٌ؟ قالَتْ: بَلَىٰ، قُلْتُ: فإِنِّي رأَيْتُهُ يَطْلُبُ عَلَفًا بِدِرْهَم نَسِيئَةً، قالَتْ: ما باتَ حَتَّىٰ فَرَّقَها، فأَخَذَ القَطِيفَةَ فألقاها عَلَىٰ ظَهْرِهِ ثُمَّ ذَهَبَ فَوَجَّهَها ثُمَّ جاءَ، فَقُلْتُ: يا مَعْشَرَ التُّجّارِ ما تَصْنَعُونَ بِالدُّنْيا، وابْنُ عُمَرَ أَتَتْهُ البارِحَةَ عَشَرَةُ آلافِ دِرْهَمٍ وَضَحٍ، فأَصْبَحَ اليَوْمَ يَطْلُبُ لِراحِلَتِهِ عَلَفًا بِدِرْهَمٍ نَسِيئَةً.

- وعَنْ نافِعٍ: أَنَّ ابن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعالَىٰ عَنْهُ ٱشْتَكَىٰ، فاشْتُرِي لَهُ عُنْقُودُ عِنَبٍ بِدِرْهَم، فَجاءَ مِسْكِينٌ، فَقالَ: أَعْطُوهُ إِيّاهُ، فَخالَفَ إِلَيْهِ إِنْسانٌ فاشْتَراهُ مِنْهُ بِدِرْهَم، ثُمَّ جاءَ بِهِ إِلَيْهِ فَجاءَهُ المِسْكِينُ فَسأَلَ، فَقالَ: أَعْطُوهُ إِيّاهُ، فَخالَفَ إِلَيْهِ إِنْسانٌ فاشْتَراهُ مِنْهُ بِدِرْهَمٍ، ثُمَّ جاءَ بِهِ إِلَيْهِ فَجاءَهُ المِسْكِينُ يَسْأَلُ، فَقالَ: أَعْطُوهُ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣ / ١٧١٠)، وفي الحلية (١ / ٢٩٥).

إِيّاهُ، ثُمَّ خالَفَ إِلَيْهِ إِنْسانٌ فاشْتَراهُ مِنْهُ بِدِرْهَمٍ، فأرادَ أَنْ يَرْجِعَ فَمُنِعَ، وَلَوْ عَلِمَ ابن عُمَرَ بِذَلِكَ العُنْقُودِ ما ذاقَهُ(١).

- عَن ابن المُنْكَدِرِ، عَنْ أُمِّ ذَرَّةَ، وَكانَتْ تَغْشَىٰ عائِشَةَ قالَتْ: بُعِثَ إِلَيْها بِمالٍ في غِرارَتَيْنِ قالَتْ: أُراهُ ثَمانِينَ أَوْ مِائَةَ أَلفٍ فَدَعَتْ بِطَبَقٍ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صائِمَةٌ، فَجَلَسَتْ تُقْسِمُ بَيْنَ النّاسِ، فأَمْسَتْ وَما عِنْدَها مِنْ ذَلِكَ دِرْهَمٌ فَلَمّا أَمْسَتْ قالَتْ: يا جارِيَةُ هَلُمِّي فِطْرِي فَجاءَتْها بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَقالَتْ لَها أُمُّ ذَرَّةَ: أَما ٱسْتَطَعْتِ مِمّا قَسَمْتِ اليَوْمَ أَنْ تَشْتَرِيَ لَنا لَحْمًا بِدِرْهَمٍ نُفْطِرُ عَلَيْهِ، قالَتْ: لا تُعَنِّفِينِي لَوْ كُنْتِ ذَكَّرْتِينِي لَفَعَلْتُ(٢).

- وعَنْ عُرْوَةَ، قالَ: لَقَدْ رأَيْتُ عائِشَةَ رضي الله عنها تَقْسِمُ سَبْعِينَ أَلفًا وإِنَّها لَتُرَقِّعُ جَيْبَ دِرْعِها(٣).

- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ القاسِمِ، أَنَّهُ قالَ: أَهْدىٰ مُعاوِيَةُ لِعائِشَةَ ثِيابًا وَوَرِقًا وأَشْياءَ تُوضَعُ في أُسْطُوانِها فَلَمّا خَرَجَتْ عائِشَةُ نَظَرَتْ إِلَيْهِ فَبَكَتْ ثُمَّ قالَتْ: لٰكن رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَجِدُ هٰذا ثُمَّ فَرَّقَتْهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ وَعِنْدَها ضَيْفٌ فَلَمّا أَفْطَرَتْ وَكانَتْ تَصُومُ مِنْ بَعْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَفْطَرَتْ عَلَىٰ خُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَقالَتِ المَرْأَةُ: يا أُمَّ المُؤْمِنِينَ لَوْ أَمَرْتِ بِدِرْهَمٍ مِنَ الذِي أُهْدِيَ لَكِ فاشْتُرِيَ لَنا بِهِ لَحْمٌ فأَكَلْناهُ فَقالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَىٰ عَنْها: كُلِي فَواللهِ ما بَقِيَ عِنْدَنا مِنْهُ شَيْءٌ(٤).

- قال أبو زرعة: لو كان لي صحة بدن علىٰ ما أريد كنت أتصدق بمالي كله، وأخرج إلىٰ طرسوس، أو إلىٰ ثغر من الثغور، وآكل من المباحات وألزمها. ثم قال: إني لألبس الثياب؛ لكي إذا نظر إلى الناس لا يقولون: قد

---

(١) ٱنظر هٰذه الآثار أبو نعيم في الحلية (١ / ٢٩٦، ٢٩٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢ / ٤٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٨٨٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢ / ٤٧).

(٤) أخرج هٰذه الآثار كلها أبو نعيم في الحلية (٢ / ٤٧، ٤٨).

ترك أبو زرعة الدنيا ولبس الثياب الدون، وإني لآكل ما يقدم إليٰ من الطيبات والحلواء؛ لكي لا يقول الناس: إن أبا زرعة لا يأكل الطيبات لزهده، وإني لآكل الشيء الطيب وما مجراه عندي ومجرىٰ غيره من الأدم إلا واحد، وألبس الثياب الجياد، ودونه من الثياب عندي واحد؛ لأن جميعًا يعملان عملًا واحدًا، ومن أحب أن يسلم من لبسه الثياب؛ يلبسه لستر عورته، فإنه إذا نوىٰ هٰذا ولم ينو غيره سلم[١].

- قال أبو النضر: كان شعبة إذا ركب مع قوم في زورق دفع كرى الزورق عن كلهم[٢].

- وعن جابر ين زيد قال: لأن أتصدق بدرهم علىٰ يتيم أو مسكين، أحب إلي من حجة بعد حجة الإسلام[٣].

- وعن أصبغ بن زيد قال: كان أويس القرني إذا أمسىٰ يقول: هٰذِه ليلة الركوع، فيركع حتىٰ يصبح؛ وكان يقول إذا أمسىٰ: هٰذِه ليلة السجود، فيسجد حتىٰ يصبح؛ وكان إذا أمسىٰ: تصدق بما في بيته، من الفضل من الطعام والثياب؛ ثم يقول: اللهم، من مات جوعًا، فلا تؤاخذني به[٤].

٢- التطوع بالنفقة على طلبة العلم:

كان يحيىٰ بن خالد يجري علىٰ سفيان بن عيينة كل شهر ألف درهم، وكان سفيان يدعو له في سجوده يقول: اللهم إنه قد كفاني المؤنة وفرغني للعبادة فاكفه أمر آخرته. فلما مات يحيىٰ رآه بعض أصحابه في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بدعاء سفيان[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١/ ٣٤٨).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٧٣). (٣) المصدر السابق (٣/ ٩٠).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٨٧).

(٥) البداية والنهاية (١٠/ ٢٠٥)، وانظر: إكمال تهذيب الكمال (٥/ ٣٩٠)

- قال الحاكم: دعلج الفقيه شيخ أهل الحديث في عصره، له صدقات جارية علىٰ أهل الحديث بمكة وببغداد وسجستان،. . . قال الخطيب: كان دعلج من ذوي اليسار، له وقوف علىٰ أهل الحديث(١).

- عن يحيىٰ بن بكير قال: وصل الليث بن سعد ثلاثة أنفس، بثلاثة آلاف دينار: ٱحترقت دار ابن لهيعة، فبعث إليه بألف دينار. وحج، فأهدىٰ إليه مالك بن أنس رطبًا علىٰ طبق، فرد إليه على الطبق ألف دينار. ووصل منصور بن عمار القاضي بألف دينار، وقال: لا تسمع بهٰذا ابني، فتهون عليه؛ فبلغ ذلك شعيب بن الليث، فوصله بألف دينار إلا دينارًا، وقال: إنما نقصتك هٰذا الدينار، لئلا أساوي الشيخ في عطيته(٢).

٣- تطوعهم بالنفقة لنصرة الإسلام والمسلمين:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**ما نَفَعَنِي مالٌ قَطُّ، ما نَفَعَنِي مالُ أَبِي بَكْرٍ**" فَبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ، وَقالَ: هَلْ أَنا وَمالِي إِلّا لَكَ يا رَسُولَ اللهِ؟(٣).

ذكر أهل العلم بالتواريخ والسير أن أبا بكر... كان يملك يوم أسلم أربعين ألف درهم، فكان يعتق منها ويقوي المسلمين(٤).

* عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ أَوْصَىٰ بِخَمْسِيْنَ ألفَ دِيْنارٍ في سَبِيْلِ اللهِ، فَكانَ الرَّجُلُ يُعْطَىٰ مِنْها ألفُ دِيْنارٍ..

* وَعَنِ الزُّهْرِيِّ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَوْصَىٰ لِلْبَدْرِيِّيْنَ، فَوُجِدُوا مائَةً، فأَعْطَىٰ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُم أَرْبَعَ مائَةِ دِيْنارٍ، فَكانَ مِنْهُم عُثْمانُ فأَخَذَها.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣١).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧ / ٣٢٢).

(٣) أخرجه أحمد (٧٤٤٦) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٥٩٠) والترمذي (٣٦٦١)، والنسائي في الكبرىٰ (٨٠٥٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧١٨).

(٤) صفة الصفوة (١/ ٩٢).

* وعَنِ الزُّهْرِيِّ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَوْصَىٰ بِألفِ فَرَسٍ في سَبِيْلِ اللهِ[1].

* أوصى البراء بن معرور بثلثه للنبي ﷺ وكان أَوْصَىٰ بِثُلُثٍ في سَبِيْلِ اللهِ، وأَوْصَىٰ بِثُلُثٍ لِوَلَدِهِ، فَقِيْلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَرَدَّهُ عَلَى الوَرَثَةِ[2].

٤- تطوعهم بمواساة المساكين واليتامى:

* عن مَيْمُونِ بْنِ مِهْرانَ: أَنَّ ٱمْرأَةَ ابن عُمَرَ عُوتِبَتْ فِيهِ، فَقِيلَ لَها: أَما تَلْطُفِينَ بهٰذا الشَّيْخِ؟ فَقالَتْ: فَما أَصْنَعُ بِهِ، لا نَصْنَعُ لَهُ طَعامًا إِلّا دَعا عَلَيْهِ مَنْ يأكُلُهُ، فأَرْسَلَتْ إلىٰ قَوْمٍ مِنَ المَساكِينِ كانُوا يَجْلِسُونَ بِطَرِيقِهِ إذا خَرَجَ مِنَ المَسْجِدِ فأَطْعَمَتْهُمْ، وَقالَتْ لَهُمْ: لا تَجْلِسُوا بِطَرِيقِهِ، ثُمَّ جاءَ إلىٰ بَيْتِهِ، فَقالَ: أَرْسِلُوا إلىٰ فُلانٍ وإِلَىٰ فُلانٍ، وَكانَتِ ٱمْرأَتُهُ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ بِطَعامٍ، وَقالَتْ: إِنْ دَعاكُمْ فَلا تأْتُوهُ، فقال ابن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعالَىٰ عَنْهُ: إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ لا أَتَعَشَّى اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَتَعَشَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ.

* عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَفْصٍ: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ كانَ لا يأكُلُ طَعامًا إِلّا وَعَلَىٰ خِوانِهِ يَتِيمٌ.

وكانَ إذا تَغَدىٰ أَوْ تَعَشَّىٰ دَعا مَنْ حَوْلَهُ مِنَ اليَتامَىٰ، فَتَغَدىٰ ذاتَ يَوْمٍ فأَرْسَلَ إلىٰ يَتِيمٍ فَلَمْ يَجِدْهُ، وَكانَتْ لَهُ سَوِيقَةٌ مُحَلّاةٌ يَشْرَبُها بَعْدَ غَدائِهِ، فَجاءَ اليَتِيمُ وَقَدْ فَرَغُوا مِنَ الغَداءِ وَبِيَدِهِ السَّوِيقَةُ لِيَشْرَبَها، فَناوَلَها إِيّاهُ، وَقالَ: خُذْها فَما أَراكَ غُبِنْتَ[3].

٥- تطوعهم بإطعام الناس:

* عَنِ ابن سِيْرِيْنَ: كانَ سَعْدُ بنُ عُبادَةَ يَرْجِعُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلىٰ أَهْلِهِ بِثَمانِيْنَ مِنْ

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٩٠)

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٣ / ٢٤١ / ٣٢٩٧)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٦٨١٤)، وانظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٦٨).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٩٩).

أَهْلِ الصُّفَّةِ يُعَشِّيْهِم[(١)].

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قالَ: كُنّا نُسَمِّي جَعْفَرًا أَبا المَساكِيْنِ، كانَ يَذْهَبُ بِنا إلىٰ بَيْتِهِ، فإذا لَمْ يَجِدْ لَنا شَيْئًا، أَخْرَجَ إِلَيْنا عُكَّةً أَثَرُها عَسَلٌ، فَنشُقُّها، وَنَلْعَقُها[(٢)].

٦- تطوعهم بالقضاء بلا أجر:

* عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، عن مسروق: "أَنَّهُ كانَ لا يأخُذُ عَلَى القَضاءِ أَجْرًا وَيَتأَوَّلُ هٰذِه الآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]" الآيَةَ[(٣)].

* وعن حُوَيْطِب بن عبد العزىٰ، أخبر أن عبد الله بن السعدي، أخبره أنه قدِم علىٰ عمر في خلافته، فقال له عمر: أَلَمْ أُحدَّثْ أَنَّكَ تَلِي مِنْ أَعْمالِ النّاسِ أَعْمالًا، فإذا أُعْطِيتَ العُمالَةَ كَرِهْتَها؟ فَقُلْتُ: بَلَىٰ، فقال عُمَرُ: فَما تُرِيدُ إلىٰ ذَلِكَ؟، قُلْتُ: إِنَّ لِي أَفْراسًا وأَعْبُدًا وأَنا بِخَيْرٍ، وأرِيدُ أَنْ تَكُونَ عُمالَتِي صَدَقَةً عَلَى المُسْلِمِينَ، قال عُمَرُ: لاَ تَفْعَلْ، فإِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الذِي أَرَدْتَ، فَكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِينِي العَطاءَ، فأَقُولُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، حَتَّىٰ أَعْطانِي مَرَّةً مالًا، فَقُلْتُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «**خُذْهُ، فَتَمَوَّلْهُ، وَتَصَدَّقْ بِهِ، فَما جاءَكَ مِنْ هٰذا المالِ وأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سائِلٍ فَخُذْهُ، وإِلاّ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**»[(٤)].

* وعَن أبي سلمة؛ قال: أرسل عدي بن أرطاة إلى الحَسَن بمائتي درهم، فردها فزاده، فقال الحَسَن: إني لم أردها ٱستقلالًا لها، ولكني لا آخذ على القضاء أجرًا[(٥)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢١٧).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٢٢٢٩).
(٤) أخرجه البخاري (٧١٦٣).
(٥) أخبار القضاة (٢/ ٨).

٧- تطوعهم بخدمة ضعفاء وعجائز المسلمين:

* عن الأوزاعي: أن عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل، فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتًا، ثم دخل بيتًا آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلىٰ ذلك البيت؛ فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هٰذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذىٰ. قال طلحة: ثكلتك أمك طلحة أعثرات عمر تتبع؟[1].

* عن سفيان، عن زُبَيْدٍ، قالُوا لَهُ: مَنْ ذَكَرْتَ يا أَبا سُفْيانَ؟ قالَ: ذَكَرْتُ زُبَيْدًا بن الحارث اليامي، أَتَدْرُونَ مَنْ كانَ زُبَيْدٌ؟ كانَ رَجُلًا مِنْ أَيّامٍ، وَكانَتْ لَهُ شاةٌ داجِنٌ في البَيْتِ لَها بَعْرٌ كَثِيرٌ فَقالَ: ما أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِّ بَعْرَةٍ مِنْها دِرْهَمًا، وَكانَ زُبَيْدٌ إِذا كانَتْ لَيْلَةٌ مَطِيرَةٌ أَضاءَ شُعْلَةً مِنْ نارٍ فَطافَ عَلَىٰ عَجائِزِ الحَيِّ فَقالَ: أُوكِفُ عَلَيْكُمُ البَيْتَ، أَتُرِيدُونَ نارًا؟، فإذا أَصْبَحَ طاف عَلَىٰ عَجائِزِ الحَيِّ وَيَقُولُ: أَلَكُمْ في السُّوقِ حاجَةٌ، أَتُرِيدُونَ شَيْئًا؟[2].

٨- تطوعهم بسداد ديون المعسرين من المسلمين:

* عن أَحْمَد بن الحُسَيْنِ الواعِظِ، قالَ: أُودِعَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بنُ أَبِي مُوْسَى الهاشِمِيُّ عَشْرَةَ آلافِ دِيْنارٍ لِيَتِيْمٍ، فَضاقَتْ يَدُهُ، فأَنْفَقَها، وَكَبِرَ الصَّبِيُّ، وأذِنَ لَهُ في قَبْضِ مالِهِ.

قالَ ابن أَبِي مُوْسَىٰ: فَضاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ، وَتَحَيَّرْتُ، فَبَكَّرْتُ عَلَىٰ بَغْلَتِي، وَقَصَدتُ الكَرْخَ، فانْتَهَتْ بِي البَغْلَةُ إِلىٰ دَرْبِ السَّلُولِيِّ، وَوَقَفَتْ بِي عَلَىٰ بابِ مَسْجِدِ دَعْلَجٍ، فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ الفَجْرَ، فَلَمّا ٱنْفَتَلَ رَحَّبَ بِي، وَقُمْنا فَدَخَلْنا دارَهُ، فَقُدِّمَتْ لَنا هَرِيْسَةٌ، فأَكَلْتُ وَقَصَرْتُ، فَقالَ: أَراكَ مُنْقَبِضًا؛ فأَخْبَرْتُهُ، فَقالَ: كُلْ فإنَّ حاجَتَكَ تُقْضَىٰ، فَلَمّا فَرَغْنا، ٱسْتَدْعَىٰ

---

(١) صفة الصفوة (١/ ١٠٥-١٠٦)

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥ / ٣١).

بِالذَّهَبِ والمِيزانِ، فَوَزَنَ لِي عَشْرَةَ آلافِ دِيْنارٍ.

وَقُمْتُ أَطِيْرُ فَرَحًا، فَوَضَعْتُ المالَ عَلَى القَرَبُوْسِ، وَغَطَّيْتُهُ بِطَيْلَسانِي، ثُمَّ سَلَّمْتُ المالَ إلى الصَّبِيِّ بِحَضْرَةِ قاضِي القُضاةِ،..»[١].

٩- تطوعهم بصلات جزيلة لإخوانهم ولو كانوا أغنياء:

عن طلحة بن عبيد الله: أَنَّهُ أَتاهُ مالٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ سَبْعُ مائَةِ ألفٍ، فَباتَ لَيْلَتَهُ يَتَمَلْمَلُ.

فَقالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: ما لَكَ؟.

قالَ: تَفَكَّرْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ، فَقُلْتُ: ما ظَنُّ رَجُلٍ بِرَبِّهِ يَبِيْتُ وهٰذا المالُ في بَيْتِهِ؟.

قالَتْ: فايْنَ أَنْتَ عَنْ بَعْضِ أَخِلاَّئِكَ؟ فإذا أَصْبَحْتَ، فادْعُ بِجِفانٍ وَقِصاعٍ، فَقَسِّمْهُ.

فقال لَها: رَحِمَكِ اللهُ، إِنَّكِ مُوَفَّقَةٌ بِنْتُ مُوَفَّقٍ، وَهِيَ أُمُّ كُلْثُوْم بِنْتُ الصِّدِّيْقِ..

فلما أصبح، دعا بجفان، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلىٰ عليٍّ منها بجفنة.

فَقالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: أَبا مُحَمَّدٍ! أَما كانَ لَنا في هٰذا المالِ مِنْ نَصِيْبٍ؟

قالَ: فأَيْنَ كُنْتِ مُنْذُ اليَوْمِ؟ فَشأنُكِ بِما بَقِيَ.

قالَتْ: فَكانَتْ صُرَّةً فِيْها نَحْوُ ألفِ دِرْهَمٍ[٢].

* وعن جَعْفَر، قالَ: حدثنا بَعْضُ أَصْحابِنا قالَ: كانَ مُوَرِّقٌ يَتَّجِرُ فَيُصِيبُ المالَ فَلا تأتِي عَلَيْهِ جُمُعَةٌ وَعِنْدَهُ مِنْهُ شَيْءٌ، يَلْقَى الأخَ فَيُعْطِيهُ أَرْبَعَمِائَةٍ، خَمْسَمِائَةٍ، ثَلاثَمِائَةٍ فَيَقُولُ: ضَعْها عِنْدَكَ حَتَّىٰ تَحْتاجَ إِلَيْها، ثُمَّ يَلْقاهُ بَعْدَ

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٣).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٠-٣١).

ذَلِكَ فَيَقُولُ: شأنُكَ بِها، فَيَقُولُ الأخُ: لا حاجَةَ لِي فِيها، فَيَقُولُ: إِنّا واللهِ ما نَحْنُ بِآخِذِيها أَبَدًا فَشأْنُكَ بِها.

رَواهُ حَمّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ جَمِيلٍ، عَنْ مُوَرِّقٍ مِثْلَهُ، وَقالَ: كَرِهَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ عَلَىٰ وَجْهِ الصَّدَقَةِ[(١)].

١٠- تطوعهم بإقراض إخوانهم المسلمين:

* عَنْ طَلْحَةَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَوْفٍ، قالَ: كانَ أَهْلُ المَدِيْنَةِ عِيالًا عَلَىٰ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ: ثُلُثٌ يُقْرِضُهُمْ مالَهُ، وَثُلُثٌ يَقْضِي دَيْنَهُمْ، وَيَصِلُ ثُلُثًا[(٢)].

١١- تطوعهم بقضاء ديون أقاربهم وكفاية الفقراء منهم:

* عن مُوْسَىٰ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِبْراهِيْمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيْهِ، قالَ: كانَ طَلْحَةُ يُغِلُّ بِالعِراقِ أَرْبَعَ مائَةِ أَلفٍ، وَيُغِلُّ بِالسَّراةِ عَشْرَةُ آلافِ دِيْنارٍ، أَوْ أَقَلَّ، أَوْ أَكْثَر، وَبِالأعْراضِ لَهُ غلاَّتٍ، وَكانَ لاَ يَدَعُ أَحَدًا مِنْ بَنِي تَيْم عائِلًا إلا كَفاهُ، وَقَضَىٰ دَيْنَهُ، وَلَقَدْ كانَ يُرْسِلُ إِلىٰ عائِشَةَ إِذا جاءتْ غَلَّتُهُ كُلَّ سَنَةٍ بِعَشْرَةِ آلافٍ، وَلَقَدْ قَضَىٰ عَنْ فُلاَن التَّيْمِيِّ ثَلاَثِيْنَ أَلفًا.

* عن عُثْمان بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ طَلْحَةَ بنَ عُبَيْدِ اللهِ قَضَىٰ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ ابنِ مَعْمَرٍ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ عامِرِ بنِ كُرَيْزٍ ثَمانِيْنَ أَلفَ دِرْهَمٍ[(٣)].

١٢- تطوعهم بما يحبون من أموالهم:

* عَنْ نافِعٍ، قالَ: كانَ ابن عُمَرَ إِذا ٱشْتَدَّ عَجَبُهُ بِشَيْءٍ مِنْ مالِهِ قَرَّبَهُ لِرَبِّهِ ﷻ، قال نافِعٌ: وَكانَ رَقِيقُهُ قَدْ عَرَفُوا ذَلِكَ مِنْهُ، فَرُبَّما شَمَّرَ أَحَدُهُمْ فَيَلْزَمُ المَسْجِدَ، فإذا رآهُ ابن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعالَىٰ عَنْهُ عَلَىٰ تِلْكَ الحالَةِ الحَسَنَةِ أَعْتَقَهُ، فَيَقُولُ لَهُ أَصْحابُهُ: يا أَبا عَبْدِ الرَّحْمَنِ والله ما بِهِمْ إِلّا أَنْ يَخْدَعُوكَ،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٣٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٨٨).

(٣) المصدر السابق (١/ ٣٢-٣٣).

فَيَقُولُ ابن عُمَرَ: فَمَنْ خَدَعَنا باللهِ ﷻ تَخَدَّعْنا لَهُ، قال نافِعٌ: فَلَقَدْ رأَيْتُنا ذاتَ عَشِيَّةٍ وَراحَ ابن عُمَرَ عَلَىٰ نَجِيبٍ لَهُ قَدْ أَخَذَهُ بِمالٍ عَظِيمٍ، فَلَمّا أَعْجَبَهُ سَيْرُهُ أَناخَهُ مَكانَهُ، ثُمَّ نَزَلَ عَنْهُ، فَقالَ: يا نافِعُ ٱنْزِعُوا زِمامَهُ وَرَحْلَهُ وَجَلِّلُوهُ وأَشْعِرُوهُ، وأَدْخِلُوهُ في البُدْنِ.

* عَنْ نافِعٍ، قالَ: بَيْنا هُوَ يَسِيرُ عَلَىٰ ناقَتِهِ - يَعْنِي ابن عُمَرَ - إِذْ أَعْجَبَتْهُ، فَقالَ: إِخْ إِخْ، فَأَناخَها ثُمَّ قالَ: يا نافِعُ حُطَّ عَنْها الرَّحْلَ، فَكُنْتُ أَرىٰ أَنَّهُ لِشَيْءٍ يُرِيدُهُ - أَوْ لِشَيْءٍ رابَهُ مِنْها - فَحَطَطْتُ الرَّحْلَ، فقال لِي: ٱنْظُرْ هَلْ تَرىٰ عَلَيْها مِثْلَ رأسِها؟ فَقُلْتُ: أَنْشُدُكَ إِنَّكَ إِنْ شِئْتَ بِعْتَها واشْتَرَيْتَ بِثَمَنِها، قالَ: فَحَلَّلَها وَقَلَّدَها، وَجَعَلَها في بُدْنِهِ، وَما أَعْجَبَهُ مِنْ مالِهِ شَيْءٌ قَطُّ إِلّا قَدَّمَهُ.

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي عُثْمانَ، قالَ: كانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ أَعْتَقَ جارِيَتَهُ التِي يُقالُ لَها رميثة، وَقالَ: إِنِّي سَمِعْتُ اللهَ ﷻ يَقُولُ في كِتابِهِ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وإِنِّي واللهِ إِنْ كُنْتُ لاحِبُّكِ في الدُّنْيا، ٱذْهَبِي فأَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللهِ ﷻ.

* عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلالٍ: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعالَىٰ عَنْهُ نَزَلَ الجُحْفَةَ - وَهُوَ شاكٍ - فَقالَ: إِنِّي لأَشْتَهِي حِيتانًا، فالتَمَسُوا لَهُ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلّا حُوتًا واحِدًا، فأَخَذَتْهُ ٱمْرأَتُهُ صفية بنت أبي عبيد فَصَنَعَتْهُ، ثُمَّ قَرَّبَتْهُ إِلَيْهِ، فأَتَىٰ مِسْكِينٌ حَتَّىٰ وَقَفَ عَلَيْهِ، فقال لَهُ ابن عُمَرَ: خُذْهُ، فقال أَهْلُهُ: سُبْحانَ اللهِ، قَدْ عَنَّيْتَنا وَمَعَنا زادٌ نُعْطِيهِ، فَقالَ: إِنَّ عَبْدَ اللهِ يُحِبُّهُ(١).

١٣- تطوعهم ببناء المساجد وتوسيعها وحفر الآبار:

* عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ، وَلاَ أَنْشُدُ إِلّا أَصْحابَ النَّبِيِّ ﷺ، أَلَسْتُم تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ

(١) أخرج هٰذِه الآثار أبو نعيم في الحلية (١ / ٢٩٤ - ٢٩٧).

ﷺ قَالَ: « **مَنْ حفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ** »؟ فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُم تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: « **مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ** »؟ فَجَهَّزْتُهُمْ، قَالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ[(١)].

* عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: أَشْرَفَ عُثْمَانُ مِنَ القَصْرِ، وَهُوَ مَحْصُورٌ، فَقَالَ: أَنْشُدُ بالله مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ حِرَاءٍ، إِذِ ٱهْتَزَّ الجَبَلُ، فَرَكَلَهُ بِقَدَمِهِ، ثُمَّ قَالَ: ٱسْكُنْ حِرَاءُ، لَيْسَ عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ، وَأَنَا مَعَهُ؟ فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ، قَالَ: أَنْشُدُ بالله مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، إِذْ بَعَثَنِي إِلَى المُشْرِكِينَ، إِلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ: هٰذِه يَدِي، وهٰذِه يَدُ عُثْمَانَ، فَبَايَعَ لِي؟ فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ، قَالَ: أَنْشُدُ بالله مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: مَنْ يُوَسِّعُ لَنَا بهٰذا البَيْتِ فِي المَسْجِدِ بِبَيْتٍ لَهُ فِي الجَنَّةِ؟ فَابْتَعْتُهُ مِنْ مَالِي، فَوَسَّعْتُ بِهِ المَسْجِدَ؟ فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ، قَالَ: وَأَنْشُدُ بالله مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ جَيْشِ العُسْرَةِ، قَالَ: مَنْ يُنْفِقُ اليَوْمَ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً؟ فَجَهَّزْتُ نِصْفَ الجَيْشِ مِنْ مَالِي؟ قَالَ: فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ، وَأَنْشُدُ بالله مَنْ شَهِدَ رُومَةَ يُبَاعُ مَاؤُهَا ابن السَّبِيلِ، فَابْتَعْتُهَا مِنْ مَالِي، فَأَبَحْتُهَا ابن السَّبِيلِ؟ قَالَ: فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ[(٢)].

١٤- تطوعهم في سبيل الله:

* عَنْ عائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ تَعالَىٰ عَنْها قالَتْ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَزْواجِهِ: "**أَوَّلُكُنَّ تَتْبَعُنِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**"، فَكُنّا إِذا ٱجْتَمَعْنا بَعْدَ وَفاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَمُدُّ أَيْدِينا في الحائِطِ نَتَطاوَلُ فَلَمْ نَزَلْ نَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّىٰ تُوُفِّيَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَكانَتِ ٱمْرأَةً قَصِيرَةً وَلَمْ تَكُنْ أَطْوَلَنا، فَعَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرادَ بِطُولِ اليَدِ الصَّدَقَةَ وَكانَتِ ٱمْرأَةً صَناعًا كانَتْ تَعْمَلُ بِيَدَيْها وَتَتَصَدَّقُ بِهِ في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا (٢٧٧٨) ووصله الحافظ في تغليق التعليق وذكر من وصله هناك (٣/ ٤٢٨).

(٢) أخرجه أحمد (٤٢٠)، والنسائي (٣٦٠٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٨٧٥).

سَبِيلِ اللهِ ﷻ[١].

* قالَ جُوَيْرِيَةُ بنُ أَسْماءَ: باعَ الزُّبَيْرُ دارًا لَهُ بِستِّ مائَةِ أَلفٍ، فَقِيْلَ لَهُ: يا أَبا عَبْدِ اللهِ! غُبِنْتَ. قالَ: كَلاَّ، هِيَ في سَبِيْلِ اللهِ[٢].

* عَنْ نافِعٍ، قالَ: باعَ ابن عُمَرَ أَرْضًا لَهُ بِمِائَتَيْ ناقَةٍ، فَحَمَلَ عَلَىٰ مِائَةٍ مِنْها في سَبِيلِ اللهِ ﷻ، واشْتَرَطَ عَلَىٰ أَصْحابِها أَنْ لا يَبِيعُوا حَتَّىٰ يُجاوِزُوا بِها وادِيَ القُرى[٣].

١٥- تطوعهم بالنفقة على الفقراء والصالحين:

* عَنْ أُمِّ بَكْرٍ بِنْتِ المِسْوَرِ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، باعَ أَرْضًا لَهُ مِنْ عُثْمانَ بْنِ عَفّانَ بِأَرْبَعِينَ أَلفَ دِينارٍ، فَقَسَمَهُ في فُقَراءِ بَنِي زُهْرَةَ، وَفِي المُهاجِرِينَ، وأَمَّهاتِ المُؤْمِنِينَ، قال المِسْوَرُ: فأَتَيْتُ عائِشَةَ بِنَصِيبِها، فَقالَتْ: مَنْ أَرْسَلَ بهٰذا؟ فَقُلْتُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قالَتْ: أَما إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "**لا يَحْنُو عَلَيْكُنَّ بَعْدِي، إلاّ الصّابِرُونَ**"، سَقَىٰ اللهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ مِنْ سَلْسَبِيلِ الجَنَّةِ[٤].

١٦- تطوعهم لحراسة تجار المسلمين من اللصوص:

* عن ابن عمر قال: قَدِمَتْ رِفقَةٌ من التُّجار، فنزلوا المُصلَّىٰ، فقال عمرُ لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نَحرُسَهم الليلةَ؟ فبَاتَا يَحرسانهم، ويُصلِّيانِ ما كَتَبَ اللهُ لهما. فسَمِعَ عمرُ بكاءَ صبيٍّ، فتَوَجَّه نحوه، فقال لأُمِّه: اتَّقِّ اللهَ،

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٠)، ومسلم (٢٤٥٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٥٧)

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٩٦).

(٤) أخرجه أحمد (٢٤٧٢٤) والطبراني في الأوسط (٩١١٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٥٦): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ. وانظر الصحيحة للألباني (٣٣١٨)

وأَحْسِنِي إلىٰ صَبيِّكِ. ثم عاد إلىٰ بكائِهِ، فسَمِعَ بكاءَهُ، فعاد إلىٰ أُمِّهِ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ، كلُّ ذلك يقول: ٱتَّقِّ اللهَ، وأَحسِنِي إلىٰ صَبيِّكِ. ثم قال لها: إنِّي لأراكِ أُمَّ سَوْءٍ، مالي أرى ابنكِ لا يَقِرُّ؟! قالت: يا عبد الله، قد أَبرَمْتَنِي منذُ الليلةَ، إنِّي أُرِيغُهُ عن الفِطام فيأبَىٰ. قال: ولِمَ؟ قالت: لأنَّ عمرَ لا يَفرضُ إلا للفُطُم. قال: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهرًا. قال: وَيْحكِ لا تُعجِليهِ! فصلَّى الفجرَ، فلمَّا سلَّم قال: بُؤسًا لعمر، كم قَتَلَ من أولادِ المسلمينَ! ثم أمر مناديًا فنَادىٰ: لا تُعجِلُوا صبيانَكم عن الفطامِ، فإنَّا نَفرِضُ لكلِّ مولودٍ. وكَتَبَ بذلك إلى الآفاقِ[1].

١٧- تطوعهم بتذكيرهم السلاطين حقوق الرعية عليهم:

* قال أحمد بن حنبل: دخل سفيان بن عيينة علىٰ معن بن زائدة وهو باليمن، ولم يكن سفيان تلطخ بشئ من أمر السلطان بعد، فجعل سفيان يعظه ويذكر له أمر المسلمين، فجعل معن يقول له: أبوهم أنت؟ أخوهم أنت؟[2].

* قال عبد الرزاق: قدمنا مكة، وقدمها الذي يقال له: المهدي، فحضرت الثوري وقد خرج من عنده وهو مغضب فقال: أدخلت آنفا على ابن أبي جعفر، فقال لي: يا أبا عبد الله طلبناك فأعجزتنا، فأمكننا الله منك في أحب المواضع إليه، فارفع إلينا حوائجك؟ قال: فقلت: وأي حاجة تكون لي إليك وأولاد المهاجرين وأولاد الأنصار يموتون خلف بابك جوعًا؟.

فقال لي أبو عبيد الله: يا أبا عبد الله لا تكثر الفضول واطلب حوائجك من أمير المؤمنين، فقلت: مالي إليه من حاجة، لقد أخبرني إسماعيل بن أبي خالد

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤ / ٣٥٥)، وصفة الصفوة (١/ ١٠٦)، و مسند الفاروق لابن كثير (٢/ ٤٧٩).

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٥٣).

أن عمر بن الخطاب حج، فقال لصاحب نفقته كم أنفقنا في حجنا هٰذا؟ قال: ٱثنا عشر دينارًا، قال: أكثرنا، أكثرنا، أو قال: أسرفنا أسرفنا، وعلىٰ أبوابكم أمور لا تقوم لها الجبال الراسيات.

قال فقال لي ابن أبي جعفر: يا أبا عبد الله أفرأيت إن لم أقدر أن أوصل إلىٰ كل ذي حق حقه فما أصنع؟ قال: تفر بدينك، وتلزم بيتك، وتترك الأمر ومن يقدر أن يوصل إلىٰ كل ذي حق حقه، قال فسكت، وقال لي أبو عبيد الله: أراك تكثر الفضول إن كانت لك حاجه فاطلبها وإلا فانصرف، قال فانصرفت[١].

* عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي نعيم: إن الفريابي ذكر أن سفيان دخل علىٰ أبي جعفر بمنىٰ فقال: ٱتق الله فإنك إنما أنزلت هٰذِه المنزلة بأسياف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعًا وهزلًا، حج عمر بن الخطاب فبلغت نفقته ستة عشر دينارًا وأنت فيما أنت، قال فتأمر أن أكون مثلك؟ قال لا، تكون دون ما أنت فيه وفوق ما أنا فيه، قال فأخرجت[٢].

١٨- تطوعهم بالشفاعة لقضاء الحاجة:

* عن الوليد بن مزيد، عن الأوزاعي أنه كتب إلىٰ أبي عبيد الله وزير الخليفة:

أما بعد، قسم الله لك ولما أنت فيه عاصمًا من سخطه، ونية تعمل عليها، وتؤدىٰ بها حق من يلزمك فيما وجدت السبيل إليه طلب الفرج عنه إذا ٱستغاث بك، وكنت رجاءه في نفسه بإذن الله، وأنه لا يزال من أولئك متوسل بي إليك فلا آلوك فيه نصحًا، وعند العقاب ومعاينة الحساب لا تستكثر عملًا، ولا تستقل ذنبًا فألهمك الله ذكره وطلب الوسيلة عنده.

ثم إن يزيد بن يحيى الخشني في حبس أمير المؤمنين أصلحه الله، وكان

(١) المصدر السابق (١/ ١١٠).
(٢) المصدر السابق (١/ ١١٣).

من أعوان بن الأزرق ولم يبلغني عنه سوء قرف به، وقد طالت إقامته فيه، فإن رأيت رحمك الله أن يكون من المهدي كتاب إلىٰ أمير المؤمنين أصلحه الله فيه يذكر من أمره ما نرجو تخلصه به مما هو فيه من ضرر الحبس فعلت. أعانك الله على الخير وجعله أغلب الأمور عليك، وآثرها عندك، والسلام عليك ورحمة الله[(١)].

رسالة الأوزاعي إلى المهدي ابن أمير المؤمنين في شفاعة لأهل مكة في تقويتهم:

عن الوليد بن مزيد عن الأوزاعي أنه كتب إلى المهدي: أما بعد فإن الله ﷻ جعل رسول الله ﷺ لمن بعده من ولاة المؤمنين إمامًا وقدوة وأسوة حسنة في رحمته بأمته والرافة عليهم وخفض جناحه لهم في عفوه عنهم، قال الله ﷻ في صفة رسوله: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾، فأسأل الله أن يعزم لأمير المؤمنين والأمير على الصبر بالتشبه بنبيه ﷺ، والاعتصام بسنته ومنافسة الأخيار أعمال البر، ويجعل ثوابهما في يوم البعث الآمن والإفضاء إلىٰ رضوان الله عزوجل.

وقد أصبح الأمير حفظه الله من خليفة المسلمين بحال الأمين المصدق، إن شكا لمن مسَّه الضر من أمته لم يتهم نصحه ولم يجبه قوله، وإن دافع عنهم رهقًا أو طلب لهم عفوًا أخذ بقلب الخليفة توفيقه، وأحدث له بما ألقىٰ إليه من الفضل سرورًا إن شاء الله، فجعل الله الأمير لأمته أمنة ومألفًا ورضاهم به وأخذ بأفئدتهم إليه.

ثم إنه أتاني من رجل من مقانع أهل مكة كتابٌ يذكر الذي هم فيه من غلاء أسعارهم، وقلة ما بأيديهم منذ حبس عنهم بحرهم وأجدب برهم، وهلكت

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ١٨٧).

مواشيهم هزلًا، فالحنطة فيهم مُدَّان بدرهم، والذرة مدان ونصفٌ بدرهم، والزيت مُد بدرهم، ثم هو يزداد كل يوم غلاء، وإنه إن لم يأتهم الله بفرج عاجلًا لم يصل كتابي حتىٰ يهلك عامتهم أو بعضهم جوعًا، وهم رعية أمير المؤمنين أصلحه الله والمسئول عنهم.

وقد حدثني من سمع الزهري يقول: إن عمر بن الخطاب في عام الرمادة وكانت سنة شديدة مُلِحَّةً من بعد ما ٱجتهد في إمداد الأعراب بالإبل والقمح والزيت من الأرياف كلها حتىٰ بُلِحَت مما أجهدها، قام يدعو الله ﷻ فقال: اللهم ٱجعل أرزاقهم علىٰ رءوس الظراب، فاستجاب الله ﷻ له وللمسلمين فأغاث عباده، فقال عمر: والله لو أن الله ﷻ لم يفرجها ما تركت أهل بيت لهم سعةٌ إلا أدخلت عليهم أعدادهم من الفقراء؛ فإنه لم يكن ٱثنان يهلكان من الطعام علىٰ ما يقيم الواحد، فبلغنا أنه حمل إلىٰ عمر من مصر وحدها ألف ألف إردب.

وبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: هل عسىٰ أحدكم أن تبيت فِصَاله رَوَاءٌ وجاره طاوٍ إلىٰ جنبه؟ فإن رأى الأمير أصلحه الله أن يُلِحَّ علىٰ أمير المؤمنين في إغاثة أهل مكة ومن حولهم من المسلمين في برِّه وبحره بحمل الطعام والزيت إليهم قبل أن يبتلىٰ بهلاك أحد منهم جوعًا فعل.

وقد حدثني داود بن علي أن عمر بن الخطاب قال: لو هلكت شاة علىٰ شاطئ الفرات ضياعًا ظننت أن الله ﷻ سيسألني عنها.

وإنما الأمر واحد، وكل من العدل في الحكم عليه يوم القيامة مشفق إلا أن يعفو الله ﷻ ويرحم، وهي أمتكم وأحق من خلفتم فيها بالعفو والرأفة رسول الله ﷺ، ألحقكم الله به مصلحين وأوردكم عليه بإحسان والسلام[١].

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ١٩٢).

رسالة الأوزاعي إلىٰ أمير المؤمنين شفاعة في زيادة أرزاق أهل الساحل:

عن الوليد بن مزيد عن الأوزاعي أنه كتب: أما بعد، ولي الله لأمير المؤمنين أموره بما ولي به أمور مَن هدىٰ واجتبىٰ، وجعله بهم مقتديًا؛ فإن أمير المؤمنين أصلحه الله كتب إليَّ ألا أدع إعلامه كلَّما فيه صلاحُ عامة وخاصة، فإن الله ﷻ يأجر علىٰ مَن عمل به، ويُحسن عليه الثواب، وأنا أسأل الله ﷻ أن يلهم أمير المؤمنين من أعمال البر ما يُبَلِّغُهُ به عفوَه ورضوانه في دار الخلود.

وقد كان أمير المؤمنين حفظه الله قَصُرَ بأهل الساحل علىٰ عشرة دنانير في كل عام سَلَفًا من عَطِيّاتِهِمْ، وأمير المؤمنين أصلحه الله إن نظر في ذلك عرف أنه ليس في عشرة دنانير لا مرئ ذي عيال عشرةٍ أو أدنىٰ من ذلك أو أكثر كفافٌ وإن قوَّت عشرة وقتر علىٰ عياله، فربما جمع الرجل عشرته في غلاء السعر في شراء طعام لعياله ما يجد منه بدًّا ثم يُدَان بعد ذلك في إدَامِهم وكسوتهم وما سوىٰ ذلك من النفقة عليهم في عشرة لقَابِل، ولو أجْرىٰ عليهم أمير المؤمنين أصلحه الله في أعطياتهم سلفًا في كل عام خمسة عشر دينارًا ما كان فيها عن مُصْلِحٍ ذي عيال فضلٌ ولا قدر كفاف، وأهل الساحل بمنزل عظيمٌ غناؤه عن المسلمين فإنه لا يستمر لبعوث أمير المؤمنين فصول إلىٰ ثغوره ولا سياحةٌ في بلاد عدوهم حتىٰ يكون من وراء بيضتهم وأهل ذمتهم بسواحل الشام مَن يدفع عنهم عدوًّا إن هجَم عليهم، وإنهم إذا كان القَيْظُ تناوبوا الحرس علىٰ ساحل البحر رجالًا وركبانًا، واذا كان الشتاء قاسوا طول الليل وقَرَّه ووحْشَتَه حرسًا في البروج، والناس خلفهم في أجْنَادهم في البيوت والأدْفَاء، فإن رأىٰ أمير المؤمنين حفظه الله أن يأمر لهم في أُعْطِياتهم قدر الكفاف ويجريه عليهم في كل عام فعل، وقد تصرَّمت السنة التي كانت تأتيهم فيها عشراتهم ودخلوا في غيرها حتى

ٱشتدت حاجتهم، وظهر عليهم ضرّها، وهم رعية أمير المؤمنين والمسئول عنهم فإنه راع وكل راع مسئولٌ عن رعيته. وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: "**إِنَّهُ لَحَبِيبٌ إِلَيَّ أَنْ أُفارِقَ الدُّنْيا وَلَيْسَ مِنْكُمْ أَحَدٌ يَطْلُبُنِي بِمَظْلَمَةٍ في نفسه ولا ماله. أَتَمَّ الله على الأمير نعمَتَه وأحسَن بلاءَه في رعيته**".

وقد قدِم علينا رسولُ أمير المؤمنين أصلحه الله بالعطيَّة من النفقة والكُسْوة التي أمرَ أميرُ المؤمنين عافاه الله بقَسْمِها في أهل الساحل فقسَمْنَاها فيهم من دينار لكل رجل ودينارين، وقلَّ المال عن اليتامىٰ والأرامل فلم يُقْسم فيهم منه شئٌ ولليتامىٰ والأرامل وهم مِن المساكين في الوجوه الثلاثة في كتاب الله ﷻ من الصدقات ومن خمس المغانم وما أفاء الله علىٰ رسوله والمؤمنين من أهل القرىٰ، فإن رأىٰ أمير المؤمنين أصلحه الله أن يبعث بما يُقْسَم فيهم فعل، جعل الله أمير المؤمنين برسوله ﷺ متشبِّهًا في رأفته ورحمته بالمؤمنين وأتمَّ عليه نعمتَه ومعافاتَه، والسلام عليك ورحمة الله[1].

رسالة الأوزاعي إلىٰ سليمان بن مجالد في التعطف بالمكتوب عند الخليفة في التماس الفداء لأهل قاليقلا:

عن الوليد بن مزيد عن الأوزاعي أنه كتب إلىٰ سليمان بن مجالد: أما بعد، فإنا وإن لم يكن جمعنا وإياك تلاقٍ ولا بدء كتاب كنَّا علىٰ تواصل منه، لم يبطئ منا عنك ما يجد المسلم من البِشر لإخوانه، وإن كانت الآفاق بهم مفترقة فإن الألفة بحمد الله جامعة، وروح الله يجرىٰ بين عباده، فنسأل الله أن يجعلك وإيانا من نعمته في ذات بيننا علىٰ توفيق يدخلنا به برحمته في عباده الصالحين. ثم إنه ينبغي لمن نعشه[2] الله من الجهل وأفضل عليه بمعرفة ما نفع من الأمور وما ضر منها أن يتوقَّىٰ إهمال نفسه ورفض السعي بالنصيحة لله ﷻ في عباده.

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ١٩٣).

(٢) نعَشَه الله: رفعه الله. الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٨٣)

وإنك من الحق بسبب معرفة به وبنعمة من حجة الله عندك وبمكان ممن إليه جماع أمر أمة محمد ﷺ فلا تدافع ما أنت مسئول عنه، إن رأيت أن دونه قرابة أو لطف بطانة إذا كان بموقع من الحجاب عنه موضوع، وممن إن قال لم يتهم، وإن خولف لم يستغش فإن عذر عليه أمر في موطن أدرك غيره في سواه.

وقد رأيت أن أكتب إليك في أمر رأيتك له موضعًا، وأرجو أن تكون بما عليك فيه من الحق عالمًا إن شاء الله، إن ترك لن يؤمن سوء تبعته وتعجيل الغير إلا أن يعفو الله ويلهم المخرج والتوبة إليه، وذلك فيما أصاب المشركون من عذارى المسلمين ونسائهم بقاليقلا، وترك مفاداتهم؛ فإن بكاءهم إلىٰ الله ﷻ بمرأىٰ، وأصواتهم منه بمسمع، حين يكشف المشركون عوارتهن، وحين ينظرن من أولادهن إلىٰ صبغة الكفر بعد الإيمان، فاللهَ اللهَ فيهن فإنك من أمرهن بسَقَب، وبحيث إن قلت فيهن بخير سمع منك أو كان معذرة إلىٰ الله ﷻ، فأدِّ رحمك الله حصتَك فيهنَّ إلىٰ الله، وحصص من لا يستطيع أن يقع موقعك من ولي أمورهم، واشترِ نفسك بذلك من الله وبمالك فإنك تقرض كريمًا شاكرًا عسىٰ الله إن مسَّ عباده بعقاب نجاك منه أو برحمة يخصك بها، وقد كتبتُ إلىٰ أمير المؤمنين فيهن بكتاب بعثت به إليك لتدفعه إليه، ولكن بما أحببت من تقديم القول فيهن سببًا أسأل الله أن يجعلك فيما يحب أن يقيم به في عباده معاونًا، وبالحق فيه قائمًا وأن يؤتيك عليه من لدنه أجرًا عظيمًا والسلام عليك ورحمة الله[١].

١٩- تطوعهم بالنصيحة للغير:

* عن إبراهيم بن شيبان قال: سمعت إسماعيل بن عبيد يقول: لما حضرت أبي الوفاة، جمع بنيه، وقال: يا بني عليكم بتقوىٰ الله، وعليكم بالقرآن فتعاهدوه، وعليكم بالصدق، حتىٰ لو قتل أحدكم قتيلًا، ثم سئل

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٩٨).

عنه، أقر به، والله ما كذبت كذبة منذ قرأت القرآن؛ يا بني، وعليكم بسلامة الصدور لعامة المسلمين، فوالله، لقد رأيتني وأنا لا أخرج من بابي، وما ألقىٰ مسلمًا، إلا والذي في نفسي له كالذي في نفسي لنفسي؛ أفترون أني لا أحب لنفسي إلا خيرًا[١].

٢٠- تطوعهم بتعاهد إخوانهم:

* عن ابن عطاء عن أبيه قال: تعاهدوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن كانوا مرضىٰ، فعودوهم؛ وإن كانوا مشاغيل، فأعينوهم؛ وإن كانوا نسوا، فذكروهم؛ وكان يقال: ٱمشِ ميلًا، وعُد مريضًا؛ وامشِ ميلين، وأصلح بين ٱثنين؛ وامشِ ثلاثًا، وزر أخًا في الله[٢].

٢١- تطوعهم بصنائع المعروف:

* عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهرًا، أو جمعة، أو ما شاء الله، أحبُّ إليَّ من حجة بعد حجة؛ ولطبق بدانق، أهديه إلىٰ أخ لي في الله عز وجل، أحب إلي من دينار، أنفقه في سبيل الله عز وجل[٣].

* عن الزهري قال: ٱستكثروا من شيء لا تمسه النار؛ قيل: وما هو؟ قال: المعروف[٤]

* عن الحسن بن أبي الحسن قال: والله، لقد أدركت أقوامًا: كان أحدهم يخلف أخاه في أهله أربعين عامًا، ينفق عليهم[٥].

* عن بشر بن منصور، أنه ما قام في المسجد سائل قط، فلم يعط شيئًا، إلا أعطاه[٦].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٨٥ - ٨٦).
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٩٨).
(٣) المصدر السابق (١/ ٣٢٨).
(٤) المصدر السابق (٣/ ٣٧١).
(٥) المصدر السابق (٦/ ٢٧٠).
(٦) المصدر السابق (٦/ ٢٤٠).

* عن سفيان بن عيينة قال: نزل محمد بن المنكدر علىٰ محمد بن سوقة بالكوفة، فحمله علىٰ حمار؛ فسألوه، فقالوا: يا أبا عبد الله، أي العمل أحب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن؛ قالوا: فما بقي مما يُستَلذ؟ قال: الإفضَال على الإخوان[1].

* كان إبراهيم بن أدهم: إذا بقي من الدقيق في الغرارة قليل، تركه لهم، ويعمل في القطاير -يعني: الرهص-.

* وعن أبي الوليد قال: قال رفقاء إبراهيم: تعالوا نأكل كلَّ خبز في الجونة، حتىٰ إذا جاء، لم يجد شيئًا، عجل ليلة أخرىٰ -يعني: يرجع قبل أن يفنى الخبز- وكان يبطئ بعد العشاء الآخرة؛ قال: فأكلوا كل شيء في الجونة، وأطفئوا السراج، ورقدوا؛ قال: فجاء إبراهيم، فنظر في الجونة، فلم يجد فيها خبزًا؛ فقال: إنا لله، رقدوا بلا عشاء؛ قال: فقدح، وأسرج، فعجن، وخبز لهم سلة؛ قال: ثم نبههم، فقال: ٱجلسوا ٱجلسوا، ما كنتم تعملون لكم عشاء قبل أن ترقدوا؟ قال: فنظر بعضهم إلىٰ بعض، فقالوا: ٱنظروا: أي شيء أردنا به، وأي شيء عمل هو؟[2].

* عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ذهب السخاء، والكرم، والجود، والمواساة؛ فمن لم يواس الناس بماله، وطعامه، وشرابه؛ فليواسهم: ببسط الوجه، والخلق الحسن؛ لا تكونون في كثرة أموالكم تتكبرون علىٰ فقرائكم، ولا تميلون إلىٰ ضعفائكم، ولا تنبسطون إلىٰ مساكينكم[3].

* عن يزيد بن ميسرة قال: كان إبراهيم يطعم الناس والمساكين أسمن ما

---

(١) المصدر السابق (٥/ ٦).

(٢) المصدر السابق (٧/ ٣٨٤ - ٣٨٥).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٣٨٩).

يكون من غنمه، ويذبح لأهله: المهزول، والرديء منها؛ فكان أهله يقولون له: أتذبح للناس والمساكين: السمين من غنمك، وتطعمنا المهزول؟ فقال إبراهيم عليه السلام: بئس مالي أن ألتمس خير ما عند ربي، بشر مالي[1].

* عن عمرو بن عثمان قال: قال لي الربيع: سأل رجل الشافعي، فقال: إني رجل من أمري كيت وكيت، تأمر لي بشيء؟ وما كان معه يومئذ إلا دينارًا، فأعطاه إياه؛ فقال له بعض جلسائه: هٰذا، لو أعطيته درهمًا، أو درهمين، كان كثيرًا؛ فقال: إني أستحي أن يطلب مني رجل، بيني وبينه معذرة، فلا أعطيه[2].

٢٢- تطوعهم بقضاء الحوائج:

* عن ابن عباس قال: كان عمر رضي الله عنه إذا صلىٰ صلاة جلس، فمن كانت له حاجةٌ كلمه، ومن لم تكن له دخل، فصلىٰ ذات يوم فلم يجلس، قال: فجئت فقلت: يا يَرْفَأ، بأمير المؤمنين شكوىٰ؟ قال: " لا، والحمد لله "، قال: فجاء عثمان رضي الله عنه فجلس، فلم يلبث أن جاء يَرْفَأ فقال: قم يا ابن عفان، قم يا ابن عباس، فدخلنا علىٰ عمر رضي الله عنه، وعنده صَبْرَة من المال، علىٰ كل صبرة منها كَتْفٌ، فقال: " إني نظرت في أهل المدينة فوجدتكما أكثر أهل المدينة عشيرة، فخذا هٰذا المال فاقتسماه، فإن بقي شيءٌ فردَّاه ". فأما عثمان رضي الله عنه فحثا، وأما أنا فقلت: وإن نقص شيءٌ أتممته لنا؟ قال: " شنشنةٌ من أخزم، أما ترىٰ هٰذا كان عند الله، ومحمدٌ وأصحابه يأكلون القدَّ؟ " قال: قلت: بلىٰ والله لقد كان هٰذا عند الله ومحمدٌ صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون القدَّ، ولو فتح هٰذا علىٰ محمد صلى الله عليه وسلم صنع غير الذي تصنع، قال: فكأنه فزع منه، فقال: " وما كان يصنع؟ " قلت: لأكل وأطعمنا، قال:

---

(١) المصدر السابق (٥/ ٢٣٨).

(٢) المصدر السابق (٩/ ١٣٠).

فنَشج حتى آختلفت أضلاعه وقال: " لوددت أني خرجت منها كفافًا، لا علي ولا لي "[(١)].

* عن الأوزاعي، أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه خرج في سواد الليل، فرآه طلحة، فذهب عمر، فدخل بيتًا، ثم دخل بيتا آخر؛ فلما أصبح طلحة، ذهب إلىٰ ذلك البيت؛ فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هٰذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذىٰ؛ فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع[(٢)].

* أخرج ابن سعد عن ابن عمر وعائشة وابن المسيب وغيرهم ﷺ دخل حديث بعضهم في حديث بعض وكان مما جاء في الحديث " وكان يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لا تحلب لنا منائح دارنا!، فسمعها أبو بكر ﷺ فقال: "بلىٰ والله لأحلبنَّها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه"، فكان يحلب لهم فربما قال للجارية من الحي: يا جارية أتحبين أن أرغي لك (من الإرغاء: الحلب بحيث يأتي عليه الزبد) أو أصرح (من التصريح: الحلب بدون الزبد) فربما قالت: أَرْغ وربما قالت: صرح فأي ذلك قالت فعل"[(٣)].

* عن عامر بن عبيدة قال: أول ما أنكر من عمر بن عبد العزيز: أنه خرج في جنازة، فأتىٰ ببرد كان يلقىٰ للخلفاء، يقعدون عليه إذا خرجوا إلىٰ جنازة؛ فألقي له، فضربه برجله، ثم قعد على الأرض؛ فقالوا: ما هٰذا؟ فجاء رجل، فقام بين يديه؛ فقال: يا أمير المؤمنين، آشتدت بي الحاجة، وانتهت بي

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ (٦/ ٥٨٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الطبقات لابن سعد (٣ / ١٨٦).

الفاقة، والله سائلك عن مقامي غدًا بين يديك. وفي يده قضيب قد ٱتكأ عليه بِسِنَانِهِ؛ فقال: أعد عليَّ ما قلت؛ فأعاد عليه؛ قال: يا أمير المؤمنين، ٱشتدت بي الحاجة، وانتهت بي الفاقة، والله سائلك عن مقامي هٰذا بين يديك؛ فبكىٰ، حتىٰ جرت دموعه على القضيب؛ ثم قال: ما عيالك؟ قال: خمسة، أنا، وامرأتي، وثلاثة أولادي؛ قال: فإن الفرض لك ولعيالك عشرة دنانير، ونأمر لك بخمسمائة: مائتين من مالي، وثلاثمائة من مال الله؛ تَبَلَّغ بها، حتىٰ يخرج عطاؤك[1].

* عن شعبة قال: لولا حوائج لي إليكم، ما جلست معكم؛ وكانت حوائجه: أن يسأل لجيرانه الفقراء[2].

* عن شقيق بن إبراهيم قال: بينا نحن ذات يوم عند إبراهيم، إذ مر به رجل من الصناع؛ فقال إبراهيم: أليس هٰذا فلانًا؟ قيل: نعم؛ فقال لرجل: أدركه، فقل له: قال لك إبراهيم: مالك لم تسلم؟ قال: لا والله، إن ٱمرأتي وضعت، وليس عندي شيء، فخرجت شبه المجنون؛ فرجعت إلىٰ إبراهيم، وقلت له: فقال: إنا لله، كيف غَفَلْنَا عن صاحبنا حتىٰ نزل به الأمر؛ فقال: يا فلان، ٱئت صاحب البستان، فاستسلف منه دينارين، وادخل السوق، فاشترِ له ما يصلحه بدينار، وادفع الدينار الآخر إليه؛ فدخلت السوق، وأوقرت بدينار من كل شيء، وتوجهت إليه، فدققت الباب؛ فقالت ٱمرأته: من هٰذا؟ قلت: أنا، أردت فلانًا؛ قالت: ليس هو هنا؛ قلت: فمُرِي بفتح الباب، وتنحي؛ قال: ففتحت الباب، فأدخلت ما على البعير، وألقيته في صحن الدار، وناولتها الدينار؛ فقالت: علىٰ يدي من هٰذا؟ قلت: قولي: علىٰ يد أخيك: إبراهيم بن أدهم؛ فقالت: اللهم، لا تنس هٰذا اليوم لإبراهيم[3].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٨٩).

(٢) المصدر السابق (٧/ ١٤٥).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٣٨٣،٣٨٢).

* عن مطرِّف بن عبد الله بن الشخير، أنه قال لبعض إخوانه: يا أبا فلان، إذا كانت لك إلي حاجة، فلا تكلمني فيها، ولكن: ٱكتبها إلي في رقعة، ثم ٱرفعها إلي، فإني أكره أن أرىٰ في وجهك ذل السؤال؛ وقد قال الشاعر:

لا تحسبن الموت موت البلىٰ وإنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا أشد من ذاك لذل السؤال

وقال الشاعر أيضًا:

ما ٱعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضًا وإن نال الغنىٰ بسؤال

وإذا السؤال مع النوال وزنته رجح السؤال وخف كل نوال

فإذا ٱبتليت ببذل وجهك سائلا فابذله للمتكرم المفضال[1]

* قال ابن أبي الدنيا: قيل لمعاوية بن عبد الله بن جعفر: ما بلغ من كرم عبد الله بن جعفر؟ قال: كان ليس له مالٌ دون الناس هو والناس في ماله شركاء، من سأله شيئًا أعطاه، ومن ٱستمنحه شيئًا منحه إياه، لا يرىٰ أنه يفتقر فيقتصر، ولا يرىٰ أنه يحتاج فيدخر[2].

* وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا شعيب بن صفوان، أن حمزة بن بيض، دخل على ابن يزيد بن المهلب، يعني مخلد بن يزيد، وهو في السجن فانشده:

أَتَيْنَاكَ فِي حَاجَةٍ فَاقْضِهَا وَقُلْ مَرْحَبًا يجب المرحب

فقال: مرحبًا، فقال:

وَلا تَكِلْنَا إلىٰ مَعْشَرٍ مَتَىٰ يَعِدُوا عِدَةً يَكْذِبُوا

فَإِنَّكَ الفَرْعُ مِنْ أُسْرَةٍ لَهُمْ خَضَعَ الشَّرْقُ والمَغْرِبُ

وَفِي أَدَبٍ مِنْهُمْ ما نَشَأْتَ فَنِعْمَ لَعَمْرُكَ مَنْ أَدَّبُوا

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢١٠).

(٢) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا (ص: ٦٠).

بَلَغْتَ لِعَشْرٍ مَضَتْ مِنْ سِنِيكَ ... كَما يَبْلُغُ السَّيِّدُ الأشْيَبُ
فَمَعَكَ فِيها جِسامُ الأُمُورِ ... وَهُمْ لِذاتِكَ أَنْ يَلْعَبُوا
وَجُدْتَ فَقُلْتَ أَلا سائِلٌ ... فَيَسْأَلُ أَوْ راغِبٍ يَرْغَبُ
فَمِنْكَ العَطِيَّةُ لِلسّائِلِينَ ... وَمَنْ يَنُوبُكَ أَنْ يَطْلُبُوا

فقال له: هات حاجتك، فقضاها قال أبو الحسن: ولا أحسبه إلا قال: وأمر له بمائة ألف[١].

* وكان مسلمة بن عبد الملك إذا كثر عليه أصحاب الحوائج، وخاف أن يضجر قال لآذنه: ٱئذن لجلسائي، فيأذن لهم، فيفتن ويفتنون في محاسن الناس ومروءاتهم، فيطرب لها ويهتاج عليها، ويصيبه ما يصيب صاحب الشراب، فيقول لحاجبه: ٱئذن لأصحاب الحوائج فلا يبقىٰ أحدٌ إلا قضيت حاجته[٢].

* جاء رجلٌ إلى الحسين بن علي، فسأله أن يذهب معه في حاجة، فقال: إني معتكفٌ، فأتى الحسن فأخبره، فقال الحسن: لو مشىٰ معه لكان خيرًا من ٱعتكافه، والله لأن أمشي معك في حاجتك أحب إلي من ٱعتكاف شهر[٣].

* قال محمد بن واسع: ما رددت أحدًا عن حاجة أقدر علىٰ قضائها، ولو كان فيها ذهاب مالي[٤].

٢٣- تطوعهم بنصرة الضعفاء وفك الرقاب:

* عن عروة بن الزبير، عن أبيه قال: كان ورقة بن نوفل يمر ببلال وهو يُعذَّب، وهو يقول: أحد، أحد، فيقول: أحد أحد الله يا بلال، ثم يُقبِل ورقة

---

(١) المصدر السابق (ص: ٦١).
(٢) المصدر السابق (ص: ٦٢).
(٣) المصدر السابق (ص: ٦٣).
(٤) المصدر السابق (ص: ٦٤).

علىٰ أمية بن خلف ومن يصنع ذلك ببلال من بني جُمَح، فيقول: أحلف بالله إن قتلتموه علىٰ هٰذا لأتخذنه حَنَانًا، حتىٰ مر به أبو بكر الصديق بن أبي قحافة يومًا، وهم يصنعون به ذلك، وكانت دار أبي بكر في بني جُمَح، فقال لأمية: ألا تتقي الله في هٰذا المسكين، حتىٰ متىٰ؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترىٰ، قال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلَد منه وأقوىٰ علىٰ دينك، أعطيكه به، قال: قد قبلت، قال: هو لك. فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك، وأخذ بلالًا فأعتقه، ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر من مكة ست رقاب - بلال سابعهم - عامر بن فهيرة، شهد بدرًا وأحدًا وقتل يوم بئر معونة شهيدًا، وَأُمَّ عُبَيْس، وزِنِّيْرَةَ، فأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزىٰ، فقالت: حُرِقُوا، وبيت الله ما يضر اللات والعزىٰ وما ينفعان، فرد الله إليها بصرها، وأعتق النهدية وابنتها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما تطحنان لها، وهي تقول: والله لا أعتقكما أبدًا، فقال أبو بكر: حِلًّا يا أم فلان، قالت: حلا، أنت أفسدتهما فأعتقهما، قال: فبِكم هما؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها، قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر، ثم نرده عليها؟ قال: أو ذاك إن شئتما. ومر أبو بكر بجارية بني مؤمل، حي من بني عدي بن كعب، وكانت مُسلمة وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك، وهو يضربها حتىٰ إذا ملّ قال: إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلا ملالة، فعل الله بك، فتقول كذلك فعل الله بك، فابتاعها أبو بكر فأعتقها، فقال عمار بن ياسر، وهو يذكر بلالًا وأصحابه وما كانوا فيه من البلاء، وإعتاق أبي بكر إياهم، وكان ٱسم أبي بكر عتيقا:

جَزىٰ اللهُ خَيْرًا عَنْ بِلالٍ وَصَحْبِهِ ... عَتِيقًا وأخْزىٰ فاكِهًا وأبا جَهْلِ

عَشِيَّةَ هُما في بِلالٍ بِسَوْءَةٍ ... وَلَمْ يَحْذَرا ما يَحْذَرُ المَرْءُ ذُو العَقْلِ

بِتَوْحِيدِهِ رَبَّ الأنامِ وَقَوْلِهِ ... شَهِدْتُ بِأَنَّ اللهَ رَبِّي عَلَىٰ مَهْلِ

فإنْ يَقْتُلُونِي يَقْتُلُونِي وَلَمْ أَكُنْ ... لِأُشْرِكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ خِيفَةِ القَتْلِ
فَيا رَبَّ إِبْراهِيمَ والعَبْدِ يُونُسَ ... وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ نَجِّنِي ثُمَّ لا تُمْلِ
لِمَنْ ظَلَّ يَهْوى الغَيَّ مِنْ آلِ غالِبٍ ... عَلَىٰ غَيْرِ بِرٍّ كانَ مِنْهُ وَلا عَدْلِ[1]

---

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ١٢٠).

أشكال العمل التطوعي

أشكال العمل التطوعي

بما سبق من بيان فضل العمل التطوعي من كلام الله وكلام نبيه ﷺ وأقوال السلف، فقد ينشط ويستجيب لهٰذا الترغيب أفراد، وقد يشترك مجموعة من الناس لهدف تطوعي نبيل، لذا تظهر صور وأشكال للعمل التطوعي فقد يكون العمل فرديًّا لكل واحد رؤيته وطريقته في القيام بما يوافق قناعته، وقد يكون جماعيًّا يشارك فيه مجموعات ذات هدف واحد، ولكل نوع مجالاته ومزاياه وبعض سلبياته.

ولتفصيل هٰذا الأمر يأتي هٰذا المبحث بذكر تأصيل العمل الفردي والعمل المؤسسي ما له، وما عليه.

أولًا: العمل الفردي التطوعي:

وهو عمل أو سلوك ٱجتماعي يمارسه الفرد من تلقاء نفسه وبرغبة منه وإرادة ولا يبغي منه أي مردود مادي، ويقوم على ٱعتبارات أخلاقية أو ٱجتماعية أو إنسانية أو دينية كمساعدة محتاج أو تعليم أمي، أو تفريج كربة، أو إصلاح ذات البين[(١)].

الأدلة على مشروعية العمل الفردي التطوعي:

نستطيع أن نقول: إن كل النصوص الواردة في الكتاب والسنة حاثة على العمل الصالح المتعدي النفع تدل دلالة واضحة علىٰ ذلك. والأدلة في هٰذا كثيرة جدًا، **ومنها**:

حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "**السّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ**

---

(١) معالم العمل التطوعي لجمال القرش.

والمِسْكِينِ، كالمُجاهِدِ في سَبِيلِ اللهِ، أوِ القائِمِ اللّيْلَ الصّائِمِ النَّهارَ "(١).

قال النووي رحمه الله: المراد بالساعي: الكاسب لهما العمل لمؤنتهما(٢).

ومن التطبيق الفعلي من النبي ﷺ: قول خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ: كَلاَّ والله ما يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوائِبِ الحَقِّ(٣).

ومن الصحابة رضي الله عنهم: حديث المُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قالَ: كُنّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في صَدْرِ النَّهارِ، قالَ: فَجاءَهُ قَوْمٌ حُفاةٌ عُراةٌ مُجْتابِي النِّمارِ أَوِ العَباءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِما رأىٰ بِهِمْ مِنَ الفاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فأَمَرَ بِلالًا فأَذَّنَ وأقامَ، فَصَلَّىٰ ثُمَّ خَطَبَ فَقالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١] إلىٰ آخِرِ الآيَةِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] والآيَةَ التِي في الحَشْرِ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [الحشر: ١٨] تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صاعِ بُرِّهِ، مِنْ صاعِ تَمْرِهِ - حَتَّىٰ قال - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ" قالَ: فَجاءَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ بِصُرَّةٍ كادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْها، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قالَ: ثُمَّ تَتابَعَ النّاسُ، حَتَّىٰ رأيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعامٍ وَثِيابٍ، حَتَّىٰ رأيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كأنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"مَنْ سَنَّ في الإسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُها، وأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِها بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ في الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كانَ عَلَيْهِ وِزْرُها وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِها مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزارِهِمْ شَيْء "**(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٥٣)، ومسلم (٢٩٨٢).
(٢) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٨/ ٣١٣).
(٣) أخرجه البخاري ومسلم (١٦٠). (٤) أخرجه مسلم (١٠١٧).

والأمثلة والنماذج عل ذلك كثيرة مبسوطة في غير هٰذا الموضع من الكتاب.

ثانيًا: العمل المؤسسي التطوعي (الجماعي):

تعريف العمل المؤسسي التطوعي الخيري:

- هو عبارة عن هيئات منظمة رسمية أو غير رسمية تقوم بالدعوة إلىٰ الله، وإحياء التكافل الاجتماعي بين المسلمين وفق الوسائل والأساليب المشروعة نيابة عن المحسنين الذين يدعمونها ماديًّا ومعنويًّا؛ طمعًا في رضا الله ﷻ، ثم رغبة في دلالة الناس إلى الدين الحق وتمسكهم به[1].

- أو هو عبارة عن: كل تجمع منظم يهدف إلىٰ تحسين الأداء وفعالية العمل، لبلوغ أهداف محددة، ويقوم بتوزيع العمل علىٰ لجان كبرىٰ وفرق عمل وإدارات متخصصة: علمية، ودعوية، واجتماعية؛ بحيث تكون لها المرجعية وحرية اتخاذ القرار في دائرة اختصاصها[2].

أهمية العمل المؤسسي الخيري ومشروعيته:

العمل التطوعي المؤسسي ما هو إلا صورة من صور العمل الجماعي الذي هو أحد ركائز قوة الأمة التي حفلت النصوص الكريمة آمرة به وحاثة عليه.

قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ وَيامُرُونَ بِالمَعْرُوفِ

---

(١) العمل الخيري المؤسسي للمطوع (ص١٢٠).

(٢) مجلة البيان (١٤٣/ ص٤٦)

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وأوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وعن أبي موسىٰ ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "**إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كالبُنْيانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصابِعَهُ**"[١].

وعن عرفجة بن شريح الأشجعي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "**إِنَّهُ سَتَكُونُ هَناتٌ وَهَناتٌ، فَمَنْ أَرادَ أَنْ يُفَرِّق أَمْرَ هٰذِه الأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كائِنًا مَنْ كانَ**"[٢].

قال النووي: الهنات جمع هنة، وتطلق علىٰ كل شيء والمراد بها هنا الفتن والأمور الحادثة[٣].

وعن أبى الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**ما مِنْ ثَلاثَةٍ فِىٰ قَرْيَةٍ وَلا بَدْوٍ لاَ تُقامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إلا قَدِ اَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ، فَعَلَيْكَ بِالجَماعَةِ فإنَّما يأكُلُ الذِّئْبُ القاصِيَةَ**"[٤].

وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وَتَراحُمِهِمْ، وَتَعاطُفِهِمْ؛ مَثَلُ الجَسَدِ إِذا اَشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تداعَىٰ لَهُ سائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّىٰ**"[٥].

ولا غرو؛ فالعمل المؤسسي يستثمر الجهود ويوحدها، وهو أكثر ثباتًا ونضجًا واستقرارًا وقابلية للنجاح، ولا نزاع حول أهميته وأولويته[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٣) شرح النووي علىٰ مسلم (١٢/ ٢٤١).

(٤) أخرجه أبوداود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٧)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٥٥٦).

(٥) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦)واللفظ له.

(٦) مجلة البيان (٦/٢٢٥).

ومن الأدلة على مشروعية العمل الجماعي:

- أمر الله ﷻ إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة، فقام إبراهيم عليه السلام ٱستجابة لأمر الله، وطلب من ابنه إسماعيل أن يساعده علىٰ تنفيذ هٰذا الأمر الإلهي، ويعينه في بناء الكعبة، فقال له: " يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلىٰ أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَىٰ مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّىٰ إِذَا ٱرْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاءَ بِهٰذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، قَالَ: فَجَعَلاَ يَبْنِيَانِ حَتَّىٰ يَدُورَا حَوْلَ البَيْتِ وَهُمَا يَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧][(١)].

- ذو القرنين وأصحاب السد: لقد مكَّن الله ﷻ لذي القرنين في الأرض، وآتاه من كل شيء سببًا، فتوفرت القدرة والسلطة، وتهيأت أمامه أسباب القوة والنفوذ التي لم تتوفر لكثير غيره ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٣ - ٨٤]، ومع ذلك لم يستغن ذو القرنين عن معونة الآخرين حينما أراد أن يقوم بعمل كبير، وإنجاز عظيم: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٣ - ٩٤]، فصارحهم ذو القرنين بأن مثل هٰذا العمل الضخم يحتاج إلى التعاون، ولا يتم دونه؛ فقال: ﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥].. الآيات، فماذا كانت نتيجة هٰذا التعاون العظيم؟

---

(١) البخاري (٣٣٦٤).

كانت نتيجته إتمام عمل عظيم، سد منيع، لا يستطيع مهاجموه أن يعلو ظهره، ولا أن يحدثوا فيه خرقًا. فحبسوا بهٰذا السد أمة عظيمة، وهي يأجوج ومأجوج، وإلى اليوم يحاولون إحداث خرق فيه لٰكن هيهات هيهات إلىٰ أن يأذن الله، إن ذا القرنين ومن معه أحسنوا العمل فعجز العدو عن خرقه.

- تعاون الصحابة في حفر الخندق: عن أنس بن مالك ﵁ قال: "جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب علىٰ متونهم، ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمدا   على الإسلام ما بقينا أبدا

والنبي ﷺ يجيبهم ويقول:

"اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة . . . فبارك في الأنصار والمهاجرة"[(١)].

- ومنه تعاون أبي بكر وأهل بيته مع النبي ﷺ في هجرته: حيث جهز أبو بكر راحلتين عندما أعلمه النبي ﷺ بالهجرة، وخاطر بنفسه وهاجر مع النبي ﷺ، وعندما وصلا غار ثور دخل أبو بكر أولًا ليستبرأ الغار للنبي ﷺ كي لا يصيبه أذىٰ، وأعدت أسماء بنت أبي بكر لهما جهاز السفر، وكان عبد الله بن أبي بكر يأتي لهما بأخبار قريش، وعامر بن فهيرة مولىٰ أبي بكر يريح الغنم عليهما وهما في الغار ليشربا من لبنها[(٢)].

- ومنه تعاون الصحابة ﵃ في بناء مسجد النبي ﷺ: عندما قال النبي ﷺ لبني النجار: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هٰذا، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلىٰ الله، فقال أنسٌ: فكان فيه ما أقول لكم قبور المشركين، وفيه خربٌ وفيه نخلٌ، فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين، فنبشت، ثم بالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة، وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبي ﷺ معهم، وهو

---

(١) البخاري (٢٨٣٥).   (٢) البخاري (٣٩٠٥).

يقول: اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة[(١)].

- ومنه تعاون الأنصار مع المهاجرين بعد الهجرة:

قال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ لَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ آخَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فقال سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ، تَزَوَّجْتَهَا، قَالَ: فقال لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لاَ حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سُوقُ قَيْنُقَاعٍ، قَالَ: فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَأَتَىٰ بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الغُدُوَّ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "تَزَوَّجْتَ؟"، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "وَمَنْ؟"، قَالَ: ٱمْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: "كَمْ سُقْتَ؟"، قَالَ: زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ - أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ -، فقال لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاة**"[(٢)].

- ومن تعاون الصحابة أيضًا: موقفهم في قصة سلمان عندما كاتب سيده، وكان فقيرًا لا يملك ما كاتب عليه، فقال النبي ﷺ للصحابة: "أعينوا أخاكم"[(٣)] فأعانوه، حتىٰ تحرر من رقه وأصبح حرًا.

وترجع أهمية القوة والانسجام في العمل الجماعي إلى الأسباب الآتية[(٤)]:

١- تحقيق التعاون بين أفراد العمل: حيث إن جزءًا كبيرا من أي عمل يتم في ظل مجموعة من الأفراد، وكلما كان التعاون والتفاهم بين هٰذِه المجموعة أكبر كلما كانت الإنتاجية في العمل أكبر والأداء أكثر كفاءة، والعكس صحيح.

٢- يحب العاملون أن يعملوا في ظل جماعات لأنها تشبع ٱحتياجاتهم

---

(١) البخاري (٤٢٨). (٢) البخاري (٢٠٤٨).

(٣) مسند أحمد (٢٣٧٣٧).

(٤) ٱنظر: العمل الجماعي لإبراهيم الفقي، والعوامل الخمسة لخلل العمل الجماعي لباتريك لينسيوني

الآجتماعية، وتحميهم من أي أخطار خارجية، وتقوي التفاهم والمشاركة الوجدانية وبذلك يتم تحقيق التوازن بين إنتاجية الفرد وإشباع حاجاته.

٣- تساعد علىٰ حل المشكلات بطريقة أكثر فاعلية عن طريق الآستفادة من المواهب المختلفة للأفراد، كما تخلق في الأفراد المشاركين في آتخاذ القرار الحافز القوي لتنفيذ هٰذا القرار الذي أجمعوا عليه ويشعرون بالمسئولية تجاهه.

٤- تزيد من سهولة الآتصال بين الأعضاء والمشرفين في تنفيذ العمل، وتتدفق المعلومات بسهولة من أسفل إلىٰ أعلىٰ من الأعضاء إلى المشرفين، ومن أعلىٰ إلىٰ أسفل ومن المشرفين إلى الأعضاء؛ مما يؤدي إلىٰ عمل بطريقة أكثر فاعلية.

٥- رفع الجودة، حيث يوجد الآهتمام بتحقيق الجودة والدقة؛ لأن العاملين يشعرون أنهم جزء من نشاط الفريق، ويرغبون في أن يظهر فريقهم بصورة جيدة قدر الإمكان، إضافة إلىٰ ذلك يطمئن أعضاء الفريق إلىٰ حصول كل واحد منهم علىٰ حاجته من الفريق لإنجاز أفضل عمل ممكن، وذلك نتيجة تعاون الأعضاء مع بعضهم البعض.

الفرد وأهمية دوره في العمل المؤسسي التطوعي (الجماعي):

إن الفرد هو العنصر الأساس في بناء الأمة، ولكن شرط قيامه بدوره الأكمل هو تعاونه مع بقية أفراد الأمة، والأمة التي يتعاون أفرادها هي أمة الريادة؛ لأن تعاونهم يضيف كل فرد إلى الآخر إضافة كيفية لا كمية، ومن ثم تتوحد الأفكار والممارسات من أجل تحقيق رسالة الأمة.

وقد كان النبي ﷺ يربي صحابته على الروح الجماعية، روح الأمة، كما ضرب مثلًا - للمجتمع - بقوم أقلتهم سفينة، إن أراد أحدهم خرقها وجب على الجميع الأخذ علىٰ يده، وإلا غرقوا جميعًا؛ كما جاء في حديث النُّعْمان بْنِ

بَشِيرٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: **"مَثَلُ القائِمِ عَلَىٰ حُدُودِ اللهِ والواقِعِ فِيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ ٱسْتَهَمُوا عَلَىٰ سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَها وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَها، فَكانَ الذِينَ فِي أَسْفَلِها إِذا ٱسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا عَلَىٰ مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقالُوا: لَوْ أَنّا خَرَقْنا فِي نَصِيبِنا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَما أَرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وإِنْ أَخَذُوا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا"**[١].

فالمسؤولية في بلوغ الريادة تقع على الأمة جميعًا في مقابل أمة الكفر[٢].

حكم العمل الجماعي:

لقد تباينت آراء أطياف العمل الإسلامي إزاء هٰذِه القضية على النحو التالي:

القول الأول: بدعية العمل الجماعي:

يرىٰ هٰذا الفريق أنه لا شرعية لقيام هٰذِه التجمعات ٱبتداء في مرحلة الٱستضعاف، وأن الجماعة والبيعة لا تكون إلا بعد التمكين ونصب الإمام، ومجمل ما عولوا عليه في هٰذِه المسألة ما يأتي:

١- إن الأحاديث الواردة في لزوم الجماعة ووجوب البيعة لا تنصرف إلىٰ شيء من هٰذِه التجمعات، وإنما يقصد بها الجماعة التي هي الأمة، والبيعة التي تعقد للإمام الذي يجتمع عليه الناس كلهم، أو جمهورهم وأهل الشوكة منهم على الأقل، ويكون له من الغلبة ما يمكنه من حراسة الدين وسياسة الدنيا به.

٢- ما أدت إليه هٰذِه التجمعات من ٱنقسام الصف الإسلامي وتهارج أتباعه، وتكريس الفرقة بين العاملين للإسلام، وإضعاف الولاء للجماعة بمفهومها العام والشامل.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣).

(٢) مجلة البيان (١٤٣/ ص٤٦).

٣- ما أثر عن السلف من أنه إذا تفرق الناس فلا يتبع أحد في الفرقة، فإما جماعة المسلمين بمفهومها العام وإما الاعتزال، وقد جاء في حديث حذيفة: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: « **فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ** »[1].

٤- الاعتبارات الأمنية وما يترتب علىٰ هٰذِه التجمعات من التعجيل بضرب العمل الإسلامي، واستعداء خصومه عليه، ومع ما يترتب علىٰ ذلك من الفتن، وانكسار الدعوة، وصد الناس عن سبيل الله.

يقول الدكتور بكر أبو زيد: "والخلاصة أن البيعة في الإسلام واحدة من ذوي الشوكة: أهل الحل والعقد لولي المسلمين وسلطانهم وأن ما دون ذلك من البيعات الطرقية والحزبية في بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة كلها بيعات لا أصل لها في الشرع، لا من كتاب الله ولا سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ولا عمل صحابي ولا تابعي، فهي بيعات مبتدعة، وكل بدعة ضلالة وكل بيعة لا أصل لها في الشرع فهي غير لازمة العهد، فلا حرج ولا إثم في تركها ونكثها، بل الإثم في عقدها؛ لأن التعبد بها أمر محدث لا أصل له، ناهيك عما يترتب عليها من تشقيق الأمة وتفرقها شيعًا وإثارة الفتن بينها، واستعداء بعضها علىٰ بعض فهي خارجة عن حد الشرع سواء سميت بيعة أو عهدا أو عقدا "[2].

القول الثاني: وجوب العمل الجماعي:

وجمهور هٰذا الاتجاه علىٰ أن إقامة الجماعات الدعوية، والانتظام في سلكها علىٰ أساس الطاعة لأمير، واجب من الواجبات الشرعية في هٰذا الزمان، فمن تخلف عنه فهو آثم.

---

(١) البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (٤٨١٢).

(٢) حكم الانتماء للأحزاب والجماعات الإسلامية، الشيخ بكر أبو زيد، ص١٢٨

ومجمل ما عولوا عليه:

١- أنه ما لا يتم الواجب به إلا فهو واجب، و أمور الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلىٰ الله هي من أهم الواجبات التي على الأمة السعي نحو تحقيقها كسبيل إلىٰ تحكيم الشريعة، وهي لا تتم إلا باجتماع وإمام مطاع.

٢- أن إقامة جماعة المسلمين من أهم الواجبات المفروضة على الأمة، والجماعات الدعوية هي السبيل نحو هٰذِه الجماعة.

القول الثالث: مشروعية العمل الجماعي:

ويرىٰ أصحاب هٰذا الرأي أنه لا منازعة في مشروعية الاجتماع على الخير والتعاقد عليه، والتزام الطاعة للقائم عليه في غير معصية، وذلك بالشروط الآتية:

١- ألا يتضمن تحزبًا علىٰ أصل بدعي يخالف أصول أهل السنة والجماعة، فإن مثل هٰذا التحزب هو أساس نشأة الفرق الضالة.

قال الشاطبي رحمه الله: هٰذِه الفرق إنما تصير فرقًا بخلافها للفرقة الناجية في معنىٰ كلي في الدين وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات؛ إذ الجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعًا، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية؛ لأن الكليات نص من الجزئيات غير قليل، وشاذها في الغالب ألا يختص بمحل دون محل، ولا بباب دون باب، واعتبر ذلك بمسألة التحسين العقلي، فإن المخالفة فيها أنشأت بين المخالفين خلافًا في فروع لا تنحصر، ما بين فروع عقائد وفروع أعمال.

ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة، عاد ذلك علىٰ كثير من الشرعية بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضًا، وأما الجزئي فبخلاف ذلك، بل يعد

وقوع ذلك من المبتدع له كالزلة والفلتة[١].

٢- ألا يقصد به منازعة السلطان المسلم - إن وجد- والسعي في نقض بيعته وحل عقدة إمامته؛ وذلك للأدلة التي تحرم النكث وتلزم بالأئمة وتوجب الطاعة لهم في غير معصية، وتنهىٰ عن منابذتهم إلا بالكفر البواح الذي عندنا فيه من الله برهان.

٣- ألا يعقد الولاء والبراء علىٰ أساس الٱنتساب إلىٰ هٰذا الٱجتماع؛ لأن معقد الولاء والبراء هو الكتاب والسنة علىٰ رسم منهاج النبوة لا غير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وأما لفظ " الزعيم " فإنه مثل لفظ الكفيل والقبيل والضمين قال تعالىٰ: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾ فمن تكفل بأمر طائفة فإنه يقال هو زعيمٌ؛ فإن كان قد تكفل بخير كان محمودًا علىٰ ذلك وإن كان شرًا كان مذمومًا علىٰ ذلك. وأما " رأس الحزب " فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزبًا فإن كانوا مجتمعين علىٰ ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم. وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواءٌ كان على الحق والباطل فهٰذا من التفرق الذي ذمه الله تعالىٰ ورسوله فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف وأمرا بالتعاون على البر والتقوىٰ ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان[٢].

كلام بعض العلماء في مشروعية إنشاء الجمعيات للعمل التطوعي:

هٰذِه نقولات عن أهل العلم في مشروعية الجمعيات الخيرية والدعوية،

---

(١) الٱعتصام، الإمام الشاطبي، (٢/ ٧١١-٧١٢)

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٩٢- ٩٣).

ومشروعية الانتماء إليها والعمل من خلالها، بالضوابط التي جاءت في ثنايا كلامهم.

١ . اللجنة الدائمة للإفتاء:

سئلت اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ ابن باز وعضوية المشايخ: عبد الله بن قعود وعبد الله بن غديان وعبد الرزاق عفيفي:

هل يجوز جمع الأموال للمشاريع الخيرية وبيع الكتب الإسلامية في المساجد بفرنسا؟

فأجابت:

"يجوز جمع التبرعات المالية في المسجد للجمعيات الخيرية؛ لما في ذلك من التعاون على البر والخير، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾.

٢- فتوىٰ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في الفرق والجماعات والجمعيات.

السؤال: ما واجب علماء المسلمين حيال كثرة الجمعيات والجماعات في كثير من الدول الإسلامية وغيرها، واختلافها فيما بينها حتىٰ إن كل جماعة تضلل الأخرىٰ، ألا ترون من المناسب التدخل في مثل هٰذِه المسألة بإيضاح وجه الحق في هٰذِه الخلافات، خشية تفاقمها وعواقبها الوخيمة على المسلمين هناك؟

الجواب: "إن نبينا محمدًا ﷺ بين لنا دربًا واحدًا يجب على المسلمين أن يسلكوه وهو صراط الله المستقيم ومنهج دينه القويم، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

كما نهىٰ رب العزة والجلال أمة محمد ﷺ عن التفرق واختلاف الكلمة؛

لأن ذلك من أعظم أسباب الفشل وتسلط العدو كما في قوله جل وعلا: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾.

فهٰذِه دعوة إلهية إلى ٱتحاد الكلمة وتآلف القلوب، والجمعيات إذا كثرت في أي بلد إسلامي من أجل الخير والمساعدات والتعاون على البر والتقوىٰ بين المسلمين دون أن تختلف أهواء أصحابها فهي خير وبركة وفوائدها عظيمة.

أما إن كانت كل واحدة تضلل الأخرىٰ وتنتقد أعمالها، فإن الضرر بها حينئذ عظيم والعواقب وخيمة، فالواجب على المسلمين توضيح الحقيقة ومناقشة كل جماعة أو جمعية ونصح الجميع بأن يسيروا في الخط الذي رسمه الله لعباده ودعا إليه نبينا محمد، ﷺ ومن تجاوز هٰذا أو ٱستمر في عناده لمصالح شخصية، أو لمقاصد لا يعلمها إلا الله، فإن الواجب التشهير به والتحذير منه ممن عرف الحقيقة، حتىٰ يتجنب الناس طريقهم وحتىٰ لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فيضلوه ويصرفوه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه في قوله جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

ومما لا شك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في المجتمع الإسلامي مما يحرص عليه الشيطان أولًا وأعداء الإسلام من الإنس ثانيًا؛ لأن ٱتفاق كلمة المسلمين ووحدتهم وإدراكهم الخطر الذي يهددهم ويستهدف عقيدتهم يجعلهم ينشطون لمكافحة ذلك، والعمل في صف واحد من أجل مصلحة المسلمين ودرء الخطر عن دينهم وبلادهم وإخوانهم، وهٰذا مسلك لا يرضاه الأعداء من الإنس والجن، فلذا هم يحرصون علىٰ تفريق كلمة المسلمين وتشتيت شملهم وبذر أسباب العداوة بينهم، نسأل الله أن يجمع

كلمة المسلمين على الحق وأن يزيل من مجتمعهم كل فتنة وضلالة، إنه ولي ذلك والقادر عليه"[١].

وقال أيضا: "والجمعيات إذا كثرت في أي بلد إسلامي من أجل الخير والمساعدات والتعاون على البر والتقوىٰ بين المسلمين دون أن تختلف أهواء أصحابها؛ فهي خير وبركة وفوائدها عظيمة، أما إن كانت كل واحدة تضلل الأخرىٰ وتنقد أعمالها؛ فإن الضرر بها حينئذ عظيم، والعواقب وخيمة"[٢].

٣ . الشيخ الإمام محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالىٰ:

سئل الشيخ الألباني رحمه الله -كما في (سلسلة الهدىٰ والنور) (شريط رقم: ٥٩٠)- عن جمعية الحكمة اليمانية الخيرية، فأجاب:

"أي جمعية تقام علىٰ أساس من الإسلام الصحيح، المستنبطة أحكامها من كتاب الله، ومن سنة رسول الله، ومما كان عليه سلفنا الصالح، فأي جمعية تقوم علىٰ هٰذا الأساس؛ فلا مجال لإنكارها واتهامها بالحزبية؛ لأن ذلك كله يدخل في عموم قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، والتعاون أمرٌ مقصود شرعًا، وقد تختلف وسائله من زمن إلىٰ زمن، ومن مكان إلىٰ مكان، ومن بلدة إلىٰ أخرىٰ، ولذلك فاتهام جمعية تقوم علىٰ هٰذا الأساس بالحزبية أو بالبدعية؛ فهٰذا لا مجال إلى القول به؛ لأنه يخالف ما هو مقرر عند العلماء من التفريق بين البدعة الموصوفة - بعامة- بالضلالة، وبين السنة الحسنة.

السنة الحسنة: هي الطريقة تحدث وتوجد لتوصل المسلمين إلىٰ أمر مقصود ومشروع نصًا، فهٰذه الجمعيات في هٰذا الزمن لا تختلف من حيث

---

(١) مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة تحت عنوان: "واجب العلماء تجاه الأزمات الكثيرة والنكبات التي حلت بالعالم الإسلامي".

(٢) مجموعة فتاوىٰ ومقالات ابن باز ضمن الجواب عن السؤال السادس (٥/ ٢٠٢-٢٠٤).

وسائلها عن الوسائل التي جدت في هٰذا العصر لتسهل للمسلمين الوصول إلىٰ غايات مشروعة؛ فما نحن الآن في هٰذِه الجلسة من ٱستعمال المسجلات - علىٰ أشكالها وألوانها- إلا من هٰذا القبيل، إنها وسائل أحدثت، فإذا ٱستعملت فيما يحقق هدفا وغرضا شرعيًّا؛ فهي وسيلة مشروعة، وإلا فلا، كذلك وسائل الركوب الكثيرة والمختلفة اليوم، من السيارات والطيارات ونحو ذلك؛ هي أيضا وسائل، فإذا ٱستعملت في تحقيق مقاصد شرعية؛ فهي شرعية، وإلا فلا".

وسئل أيضًا -كما في (سلسلة الهدىٰ والنور) (شريط رقم: ٣٥٨)- عن حكم الجمعيات الخيرية التي تقوم بمساعدة الفقراء والمحتاجين وتقوم بأعمال خيرية؟

فأجاب: إذا كانت الجمعية - الخيرية كما تقول-، وهٰذا يعود بنا إلىٰ أن نقول: إن القضية واحدة في كل بلاد إسلامية، فإذا كان عندكم جمعية خيرية، وعندنا أيضا يمكن أكثر من جمعية خيرية، في سوريا أيضا وهكذا، والجواب يشمل كل هٰذِه الجمعيات في كل بلاد الدنيا، وبخاصة الذين يعيشون في بلاد الكفر، في أوروبا في أمريكا إلىٰ أخره، إذا كانت هٰذِه الجمعيات قائمة على الأحكام الشرعية، فهي جائزة، وهي داخلة في عموم قوله تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾، وفيها بعدُ: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾، وهٰذِه الآية دائما نقرأها، إذن الحض علىٰ طعام المسكين هٰذِه أمر مشروع".

وقال الشيخ رحمه الله في الهدىٰ والنور (ش/ ٧٩٢) جوابا على السؤال التالي:

"السائل: هل هناك تلازم بين التحزب المذموم، والعمل الجماعي المنظم في الدعوة إلىٰ الله؟

الشيخ: العمل الجماعي المنظم في الدعوة إلىٰ الله قد يكون حزبًا، وقد لا يكون حزبًا، أنا شخصيا ومعي بلا شك ناس أفاضل لا يرون مانعًا من

تقسيم الأعمال بين أفراد المسلمين بين وجماعاتهم؛ فكل جماعة تقوم بواجب على النحو الذي ذكرته آنفا بالنسبة للمجددين، ولكن كما أننا لا نتصور تعاديًا بين أولئك المجددين؛ وإنما تجمعهم دائرة الإسلام الواسعة علىٰ ما قد يكون في كل فرد من هٰؤلاء الأفراد من نقص كما ألمحت إليه آنفًا، كذلك أقول في الجماعات التي تنظم أمرها للقيام بالدعوة إلى الإسلام؛ إذا كانت هٰذِه الجماعات ليس بينها تباغض وتدابر وتعادي يصل الأمر إلىٰ أن يتحزب الفرد في هٰذِه الجماعة على الجماعة الأخرىٰ بالباطل، هٰذِه الجماعات لا بد من وجودها، لكن لا بد أن تكون مرتبطة بمنهج وبمبدأ موحد لا بد من هٰذا تمامًا".

٤ . الشيخ الإمام محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالىٰ:

سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله كما في "مجموع فتاواه ورسائله":

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد؛ فإن خلافًا يدور بين الشباب في بلدنا حول جواز إقامة جمعيات خيرية تقوم برعاية المساكين والأيتام، وتنشئة الشباب على القرآن، بتوفير الجو المناسب لهم؛ للقيام بحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية.

فبعض الشباب يرىٰ أن ذلك بدعة لا تجوز؛ لأنها لم تكن موجودة في عهد النبي ﷺ، ولا في عهد الصحابة الكرام ﷺ، ويصل الخلاف إلىٰ حد الشتائم والسباب والتوتر، الذي يظهر لمن عنده أدنىٰ بصيرة أنه يخالف روح الإسلام، الذي ينهىٰ عن الاختلاف والتدابر والتنابز بالألقاب.

فنرجوا يا فضيلة الشيخ أن توجه نصيحة لهٰؤلاء الشباب مصحوبة بالفتوى الشرعية، فإنه ظهر لي أن الجميع يحبونكم ويثقون بعلمكم، جزاكم الله خيرًا ورعاكم.

فأجاب الشيخ رحمه الله:

"بسم الله الرحمن الرحيم، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، لا بأس بتكوين لجنة لقبول الصدقات والزكوات وغيرها من النفقات الشرعية؛ لأن ذلك من الوسائل إلىٰ ضبط هٰذِه الأمور تحصيلًا وتوزيعًا، وهٰذا مقصود شرعي لا يقصد به إلا ضبط هٰذِه الأشياء، وما كان وسيلة لمقصود شرعي فلا بأس به، ما لم يقصد التعبد بنفس الوسيلة".

وجاء في مجموع الفتاوىٰ والرسائل (١٦/ ٣٩):

"من محمد الصالح العثيمين إلى الأخ المكرم. . . . . . . -حفظه الله-

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتابكم الكريم المؤرخ **٣٢** رمضان **١٣٩٧**هـ وصل، سرني صحتكم الحمد لله علىٰ ذلك، وأسأله أن يتم نعمته على الجميع ويرزقنا شكرها، كما سرني نبأ وصول جوابي علىٰ كتاب الأخ. . . . حول تأخير صلاة العيد، وأشكر جمعيتكم علىٰ عنايتها بذلك، وأسأل الله أن يرزقنا جميعًا البصيرة في دينه والثبات عليه.

كما أفيدكم بأني أحب مواصلة الكتابة والتعرف علىٰ أحوال الجمعية لأن هٰذا يهم الجميع.

وقد تضمن كتابكم المذكور أربع مسائل بل خمسا:

المسألة الأولىٰ: تأسيس مركز إسلامي في مدينة ... وأنا أؤيد فكرة تأسيسه للأسباب التي ذكرها مؤيدوا الفكرة، ولما فيه من ظهور شأن الإسلام، وبيان اعتزاز أهله به وعنايتهم بشؤونه، ثم إنه لابد أن يلفت نظر أهل المدينة فيجتمع إليه من يمكن دعوته إلى الإسلام فيسلم إذا خلصت نية الداعي، وسلك طريق الحكمة في دعوته، ففكرة تأسيسه فكرة جيدة نبيلة نافعة للإسلام والمسلمين إن شاء الله.

والأسباب التي ذكرها المعارضون مدفوعة بكون بعضها غير وارد إطلاقًا وبعضها غير مؤثر".

وقال أيضا ـ رحمه الله ـ في مجموع الفتاوىٰ والرسائل (١٦/ ٢٢٥):

"من محمد الصالح العثيمين إلى الأخ المكرم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

كتابكم الكريم المؤرخ ٢٧ من الشهر الماضي وصلني قبل أمس أي يوم الأربعاء ١٠ من الشهر الحالي، سرنا صحتكم الحمد لله علىٰ ذلك، ونسأل أن يديم علينا وعليكم نعمته، ويرزقنا شكرها.

كما سرنا كثيرًا تكوين جمعية إسلامية من الطلبة والعمال المسلمين في المدينة التي أنتم فيها في . . . .، تهتم هٰذِه الجمعية بأمر الإسلام والمسلمين، فنسأل الله أن يثبتهم علىٰ ذلك، وأن يرزقهم البصيرة في دين الله، والحكمة في الدعوة إليه".

ما يمتاز به العمل المؤسسي (الجماعي) عن العمل الفردي:

١ - تحقيق مبدأ التعاون والجماعية الذي هو من أسمىٰ مقاصد الشريعة.

٢ - تضييق الفجوة بين عمل الدعاة، وردم الهوة بينهم بتحقيق ذلك المبدأ، وتأسيس الأعمال المشتركة بينهم؛ فإن ذلك يقلل التصادم والنزاع، وهي الطريقة المتبعة بين الدول في تأسيس اللجان والمجالس المشتركة، وهو ما لم يشعر بعض الدعاة بأهميته وضرورته بعد.

٣ - تحقيق التكامل في العمل، وذلك في عمل الفرد عزيز، فكثيرًا مما يحصل من القصور في عمل الفرد يتلاشىٰ في عمل المؤسسة؛ إذ المفترض حدوث التكامل باجتماع الجهود، والمواهب، والخبرات، والتجارب، والعلوم، مع التزام الشورىٰ، والتجرد للحق.

وأيضا: فإن العمل الفردي يصطبغ بصبغة الفرد، بينما المفترض أن يخلو العمل المؤسسي من ذلك.

٤ - الٱستقرار النسبي للعمل، بينما يخضع العمل الفردي للتغير كثيرًا قوة وضعفًا أو مضمونًا واتجاهًا بتغير الأفراد، أو ٱختلاف قناعاتهم.

٥ - القرب من الموضوعية في الآراء أكثر من الذاتية؛ حيث يسود الحوار الذي يفرض قيامه وضع معايير محددة وموضوعية للقرارات تنمو مع نمو الحوار، في حين ينبني العمل الفردي علىٰ قناعة صاحبه.

٦ - دفع العمل نحو الوسطية والتوازن؛ إذ ٱجتماع الأفراد المختلفين في الأفكار والاتجاهات والقدرات يدفع عجلة العمل نحو الوسط، أما الفرد فلو توسط في أمر فلربما تطرف - إفراطًا أو تفريطًا - في آخر.

٧ - توظيف كافة الجهود البشرية، والاستفادة من شتى القدرات الإنتاجية؛ وذلك لأن العمل المؤسسي يوفر لها جو الٱبتكار والعمل والإسهام في صنع القرار، بينما هي في العمل الفردي أدوات تنفيذية رهن إشارة القائم بالعمل، ويوم أن أعرض المسلمون عن هٰذا العمل خسروا كثيرًا من الطاقات العلمية والعملية، فانفرد أصحابها بالعمل، أو فتروا عنه.

٨- ضمان ٱستمرارية العمل بإذن الله تعالىٰ لعدم توقفه علىٰ فرد يعتريه الضعف والنقص والفتور، ويوحشه طول الطريق وشدة العنت وكثرة الأذىٰ.

وللمثال: فقد كان من أقوىٰ أسباب ٱستمرار التعليم قويًا في الدولة الإسلامية حتىٰ في عصور الضعف السياسي: قيامه على المؤسسات العلمية القوية التي تمدها الأوقاف، كما تمد سائر الجهود الدعوية والإغاثية التي لم يتجرأ عليها إلا في العصر الحديث واليوم نرى ٱستمرار المؤسسات الغربية قوية تساندها جمعيات كثيرة.

٩- عموم نفعه للمسلمين؛ لعدم ٱرتباطه بشخصية مؤسسه، وهٰذا بدوره ينمي الروح الجماعية الفاعلة، ويحيي الٱنتماء الحقيقي للأمة، وهٰذا مكمن قوتها.

١٠- مواجهة تحديات الواقع بما يناسبها؛ فإن الأمة اليوم يواجهها تحد

من داخلها، في كيفية تطبيق منهج أهل السنة مع الاستفادة من منجزات العصر، دون التنازل عن المبادئ، كما يواجهها تحد من خارجها مؤسسي منظم؛ والقيام لهذا وذاك فرض كفاية لا ينهض به مجرد أفراد لا ينظمهم عمل مؤسسي، كما لا ينهض أفراد الناس لتحدي العمل المؤسسي في مجالات الحياة الاقتصادية، أو السياسية، أو الإعلامية، أو غيرها.

١١- الاستفادة من الجهود السابقة والخبرات التراكمية، بعد دراستها وتقويمها بدقة وإنصاف وحيادية، وبذلك يتجنب العمل تكرار البدايات من الصفر الذي يعني تبديد الجهود والعبث بالثروات[١].

الضوابط الرئيسة لنجاح العمل المؤسسي الخيري (الجماعي):

لكي يحقق العمل المؤسسي الخيري النجاح المعقود عليه بعد توفيق الله لا بد من مراعاة بعض الضوابط التي تسهل له الوصول إلىٰ هٰذا النجاح المنشود:

ومن أبرز هٰذه الضوابط:

١- استشعار القائمين بهٰذا العمل المؤسسي الخيري لأهميته في نشر الدعوة: فقناعة هٰؤلاء الأفراد بهٰذا الأمر لها دور أكيد في نجاح الجهود الدعوية المتنوعة التي يقوم بها العمل المؤسسي الخيري.

٢- الالتزام بالشورىٰ: بحيث تصدر القرارات فيه من مجالس الإدارة أو اللجان المخولة لا أن يكون الرئيس أو الفرد هو مصدر القرار فوجود مجلس إدارة لا ينقل العمل من كونه عملًا فرديًّا إلىٰ عمل مؤسسي فقد توجد بعض المنظمات أو الجمعيات التي لها لوائح وأنظمة ومجالس إدارة ومع ذلك فهي تمارس العمل الفردي لكون القائم عليها يتفرد بإصدار القرارات والآراء فلا بد إذن أن يستمد صلاحياته من المجلس لا العكس وأن تملك هٰذه

---

(١) مجلة البيان (١١٧/ ص٣٨)، (١٤٣/ ص٤٦).

اللجان مراجعة القرارات ونقضها تحقيقًا للصالح العام، وفي هٰذا عمل بمبدأ الشورى الإسلامي الذي أكد علىٰ تداول الآراء ومناقشتها قبل العمل بها، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورىٰ: ٣٨].

قال القرطبي: كانت الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ إليهم إذا أرادوا أمرا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالىٰ به[(١)].

٣- الالتزام بقيام العمل المؤسسي الخيري على الأسس الإدارية الرئيسة والتي تتكون من أربع وظائف رئيسة وهي:

الوظيفة الأولى: التخطيط والدراسة قبل تنفيذ البرامج والنشاطات:

ولضبط الخطط، وإتقان تنفيذها، وبلوغ الأهداف، يراعى الآتي:

أ - الأناة في التخطيط، والحماسة في التنفيذ:

فالأول: لمراعاة القدرات والإمكانات، ومعرفة التحديات وحسن تقدير العواقب، وتحاشي مخاطر السرعة، والثاني: لاستباق الخيرات، وكسب الزمان، واغتنام الهمة، ومبادرة العزيمة.

ب - أهمية قيام المؤسسات بأداء أعمالها بأساليب علمية حكيمة تكفل ٱستمرارها وأداءها لعملها على الوجه المطلوب، وحتىٰ لا تتعرض لكيد الكائدين وأساليب المغرضين، ولا ينبغي أن يكون أهل النفاق أكثر حنكة منا؛ فكم نالوا أهدافهم من جمعياتهم وأعمالهم حتىٰ بلغوا مناهم[(٢)].

الوظيفة الثانية: تنظيم العمل المؤسسي الخيري وترتيب أعماله.

الوظيفة الثالثة: التوجيه.

الوظيفة الرابعة: الرقابة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٣٥)

(٢) مجلة البيان (١٤٣/ ص٤٦).

٤- الاهتمام باستقطاب العنصر البشري وتنميته في العمل المؤسسي الخيري حتىٰ يتمكن العمل المؤسسي الخيري من تحقيق النجاح المنشود فلا بد من الٱعتناء بالعاملين والاهتمام بكفاءتهم لكونهم واجهته الحقيقية.

٥- الاهتمام بالعاملين والقياديين ذوي الملكة الإدارية المميزة وأصحاب التخصص في العلوم المختلفة، لأن كسب أولئك يعود بالنفع على العمل المؤسسي الخيري الذي هو بحاجة لمختلف التخصصات والإفادة منها في مشاريعه وبرامجه المتعددة.

٦- الاهتمام بتنمية الموارد المالية للعمل المؤسسي الخيري فهي عماد مهم يعينها علىٰ أداء رسالتها وتفعيل برامجها وتوسعها في نشر الدعوة.

٧- العمل على التجديد المناسب والتبديل الموضوعي في الطاقات البشرية وما يسمىٰ بالدوران الوظيفي حتىٰ يتم الجمع بين خبرة الكبار وحيوية الشباب، ويسمح للشخص باكتساب مزيد من الخبرة في مواقع متعددة من العمل؛ مما يعين علىٰ رفع مستوىٰ كفاءة العمل وأدائه، مع مراعاة أن بعض الأعمال لا يقوم بها إلا متخصصين فلا يتم هٰذا التجديد إن لم يكن في صالح العمل.

٨- الاهتمام بالكيف لا بالكم.

٩- عدم المبالغة التي قد تصل للغلو في النظرة إلى الأفراد وتضخيم أدوارهم علىٰ حساب الباقين مما يترك أثرًا سلبيًّا يؤثر في العمل المؤسسي الخيري وقد فطن لذلك عمر بن الخطاب ﷺ حين عزل خالد بن الوليد خشية تعلق الناس به وربطهم النصر بقيادته لذلك فلا بد من الٱعتدال في النظرة للمسؤلين.

١٠- على المسئولين في العمل المؤسسي أن يلتزموا بواجباتهم ليكونوا قدوة حسنة لمن يعمل معهم يجسدون في أعمالهم الأخلاق الإسلامية والمثل الإدارية؛ لكون أدائهم سينعكس سلبًا أو إيجابًا على العاملين معهم.

١١- تسامي العاملين في العمل المؤسسي الخيري عن الخلافات وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الشخصية ولن يتم ذلك إلا بالتعاون والإخلاص والحذر من الحسد والعدل والإنصاف وتقوية الشعور بهموم المسلمين والحرص علىٰ وحدة الصف ليقوي بعضهم بعضا.

١٢- التدريب المستمر للعاملين لرفع مستوياتهم وإكسابهم المهارات المناسبة لهم من أجل زيادة الإنتاج والتطوير.

١٣- العمل على الدراسة الدورية لأنظمة عمل المؤسسة وأهدافها وتغيير ما يحتاج إلىٰ تغيير منها لتتناسب مع ظروف العمل وواقعه.

١٤- العمل الدؤوب بصبر وثبات وحكمة علىٰ إزالة العوائق والعقبات التي قد تعترض تنفيذ بعض البرامج بعد دراستها وإيجاد الحلول المناسبة لها.

١٥- الاجتهاد في ٱستمرار العطاء وفعل الخير ونشره وذلك مطلب شرعي جاء الحث عليه في النصوص الكثيرة.

١٦- الاستفادة التامة من الأخطاء والملحوظات التي قد يقع فيها العمل الخيري والاجتهاد في تلافيها في المستقبل.

١٧- مراقبة الله تعالىٰ في جميع التصرفات وأن يجعل كل عامل ومسئول نصب عينيه قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١][1].

---

(١) العمل الخيري المؤسسي للمطوع (ص١٢٦- ١٤٣) بتصرف.

الصفات الشخصية وأثرها في تحقيق العمل الجماعي[1]:

لا يتصور الحديث عن العمل الجماعي في ميدان الدعوة بدون التركيز في الحديث عن علاقة رجل الدعوة بغيره من الناس وطبيعة هٰذِه العلاقة.

يجب أن يعي رجل الدعوة، وهو وارث النبوة، والآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، والموجه والمربي، يجب أن يعي أن تكون علاقته بالناس -كل الناس- وثيقة عميقة دقيقة. علاقة يحكمها الحب لهم، والحرص علىٰ إرشادهم وتوجيههم، وبذل النصح لهم، ورسم سبل الهداية لهم، والغيرة عليهم.

وإذا كان الأمر كذلك فإن من تمام الوعي للمسؤولية وحب التعاون والمعاونة أن يدرك أن الناس فئات وطبقات؛ فيتعامل مع كل فئة حسب طبيعتها ووظيفتها، والناس ينقسمون إلىٰ عامة وغير عامة. فالعامة هم من ليسوا في موقع السلطة والمسئولية، من الأهل والأقارب والجيران وأهل الحي والقرية والبلدة وألوان المعارف والارتباطات والصداقات. وغير العامة كل ذي مسئولية مخاطب حسب مسؤوليته - صغيرة كانت أو كبيرة - من ولاة الأمر والمربين والعلماء والمعلمين وأصحاب الوظائف العامة والخاصة والمواقع الٱجتماعية المؤثرة. وإذا كان الأمر كذلك فعلىٰ رجل الدعوة قبل أن ينتظر معاونة الناس واستجابتهم أن ينظر في نفسه وأخلاقه ومؤهلاته.

وهٰذا ٱستعراض لأهم الصفات التي يؤثر تحقيقها واستجلاؤها في العمل الجماعي تحقيقا واستمرارًا:

١- عقد الأخوة الإيمانية:

إن من أهم صفات رجل الدعوة ٱستشعار عقد الأخوة في الله، الأخوة

---

(١) بتصرف من التعاون بين الدعاة مبادئه وثمراته، للشيخ د: صالح بن عبد الله بن حميد. مجلة البحوث الإسلامية (٥١/ ١٩٥).

الحقة، أخوة من أجل نصرة دين الله، إنه العقد الذي يشعر فيه المسلم بعامة ورجل الدعوة بخاصة أنه ليس وحيدًا ولا فردًا.

وعليه فإن من أولىٰ واجبات الداعية تجنب ما يعكر هٰذا الصفو، من هنات وهزات تورث نفرة القلوب ووحشة النفوس، يتجنب في هٰذا الباب كثرة العتاب والمراء والجدل، وبخاصة إذا شابه رائحة ٱستعلاء وحب تميز وظهور. والتعريض في العتاب مقدم على التصريح مع حفظ الغيبة والثبات على الوفاء وترك الكلف بعيدًا عن الأنانية وضيق الأفق والتعلق بصغائر الأمور والانشغال بها.

وللسلف رحمهم الله في هٰذا أقوال محفوظة وعبارات مسبوكة تنتصب دلائل ومنائر علىٰ ما نحن بصدده.

يقول الحسن رحمه الله: "المؤمن مرآة أخيه إن رأىٰ فيه ما لا يعجبه سدده وقومه وحاطه وحفظه في السر والعلانية، فثقوا بالأصحاب والإخوان والمجالس "[1]. ويقول عمر بن الخطاب ﷺ: " ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه. وكفىٰ بالمرء عيبًا أن يجد على الناس فيما يأتي أو يبدو لهم منه ما يخفىٰ عليه من نفسه وأن يؤذيه في المجلس بما لا يعنيه "[2].

ومن أقوال بعض الحكماء: " من جاد لك بمودته فقد جعلك عديل نفسه، فأول حقوقه ٱعتقاد مودته، ثم إيناسه والانبساط إليه في غير محرم، ثم نصحه في السر والعلانية، ثم تخفيف الأثقال عنه، ثم معاونته فيما ينوبه من حادثة أو يناله من نكبة، فإن مراقبته في الظاهر نفاق، وتركه في الشدة لؤم"[3].

ويقول عطاء بن أبي رباح رحمه الله: " تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن

(١) الإخوان لابن أبي الدنيا ص (١٣١). (٢) الجامع لأبي زيد القيرواني ص (١٩٩).
(٣) أدب الدنيا والدين، ص (٢١٦).

كانوا مرضىٰ فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم، أو نسوا فذكروهم "[١].

ويقول أبو جعفر بن صهبان رحمه الله: " كان يقال: أول المودة طلاقة الوجه، والثانية: المودة، والثالثة: قضاء حوائج الناس "[٢].

وهي كما ترىٰ إشارات عابرة لما ينبغي أن يكون عليه رجل الدعوة من مبادرات ومحاسبة للنفس قبل محاسبة الآخرين أو ٱنتظار عونهم.

بل مهما تأملت وتعمقت فلن تجد في عقد الأخوة وصدق المودة كما صار بين موسىٰ وأخيه في ميدان الدعوة والنبوة.

قال بعض السلف: ليس لأحد أعظم منة علىٰ أخيه من موسىٰ عليه السلام علىٰ أخيه هارون عليهما السلام، فإنه شفع فيه حتىٰ جعله الله نبيًّا ورسولًا معه إلىٰ فرعون وملئه، ولهٰذا قال ربه في حقه: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وقال في مقام آخر: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم: ٥٣].

٢- الإخلاص:

الحديث عن الإخلاص كثير وواسع، وكتب العلماء رحمهم الله المتقدمين منهم والمتأخرين قد ملئت وشحنت بذكر فضله وعظم أثره والحث عليه ومراقبة النفس فيه.

وخلاصة القول فيه أن الحديث عنه كثير، والدعوة إليه بين الناس عامتهم وعلمائهم ودعاتهم كثيرة ومستمرة، ولٰكن العمل والتطبيق عزيز وعزيز جدًا.

والذي ينصب فيه الحديث هنا أثر الإخلاص في تحقيق التعاون، وعليه فليعلم رجل الدعوة أنه إن كان يضيق ذرعًا بمساعدة إخوانه ومبادراتهم ومناصحتهم وتوجيههم وفتح الميادين الواسعة أمامهم إن كان يضيق بذلك فليتهم نفسه وليراجع إخلاصه.

---

(١) إحياء علوم الدين، ٢/ ١٧٦.

(٢) الإخوان لابن أبي الدنيا، ١٩٤.

إن عليه - إن كان مخلصًا - أن يبادر بفسح المجال للكفء الأمين بالإسهام في ميادين الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن هناك علاقة بينة بل تنازع جلي بين بذل التعاون والرغبات الشخصية. فالصدق في التعاون وبذله يستلزم تنازلًا عن الرغبات الشخصية والأهواء الذاتية.

ومن قام بالتعاون علىٰ وجهه، ووفىٰ أعباءه ومتطلباته، إنما يغلب هواه، ويتجرد في إخلاصه؛ بل إنما يقدم المصالح العليا، والحاجات الكبرىٰ، على المصالح الخاصة.

ومنه يدرك الناظر أثر التعاون الحقيقي في بناء الوحدة وكبح شر التشرذم، ومن هنا تتجلى التراجحات بين التعاون والمنافع الذاتية. إنها قضية أساسية يجب أن تحتل مكانة أرفع لدى الدعاة والمفكرين في ميادين الدعوة.

٣- البعد عن التعصب والحزبية:

ليس أضر على الدعوة بعامة والعمل الجماعي بخاصة من الحزبية المنغلقة والمذهبية الضيقة، بل لا يكدر صفو الأخوة الإيمانية، ولا يضعف الرابطة الإسلامية أعظم من التحزب المقيت والتعنصر البغيض.

كيف يرجى التعاون، بل كيف تبنى الروابط، والوجه الطليق والابتسامة الرقيقة والتحية الحارة حكر على الحزب والجماعة والطائفة، أما غيرهم فنصيبه العبوس والوجه الكاشح أو اللقاء البارد والابتسامة الباهتة؟!.

كيف تمد جسور التعاون وأخطاء الأصحاب يهون من شأنها، ويغض الطرف عنها، وتدخل في دائرة الاجتهاد المأجور. أما غيرهم فيبسط اللسان في التشهير به، ويرفع الصوت في تكبير أخطائه. أخطاء الجماعة وأغلاطها يستجلب لها المسوغات، ويستغفر لأصحابها، فهي عندهم لا تخدش في أصل المنهج، ولا تعيق المسيرة. أما غيرهم فأخطاؤهم غير مسوغة ولا مبررة؟!. بل كيف يرجى التقارب - فضلًا عن التعاون - إذا كان المنتمي

عندهم محصورًا ومحاصرًا، فلا يقرأ إلا كتب الجماعة، ولا يتتلمذ أو يتلقىٰ إلا عن شيوخ الحزب والمذهب؟!.

إذن كيف يبنى التعاون من هٰذا التلميذ، ضيق الأفق، مذبذب الشخصية، لا ينظر إلا من زاوية واحدة، ولا يدور إلا في فكر منغلق.

ما الذي يدفع إلىٰ مثل هٰذا؟ هل هو حب التعاون؟ أم حب التجمع واستكثار الأتباع.

إن الطريق الأصوب والهدي الأقوم بإذن الله أن يفتح الباب واسعًا أمام الدعاة، وبخاصة المتبدئون منهم؛ ليجلسوا إلى العلماء، ويستفيدوا من كل ذي خبرة؛ فيتربون على الأدب وحسن السمت، يتلقون من علماء ربانيين، فقهاء عاملين، لا يقصدون إلى ٱستكثار الأتباع ولا منافسة ذوي الرئاسات، أو مزاحمة أصحاب الزعامات، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم.

٤- فقه الٱختلاط:

من أهم أسباب تحقيق التعاون إحسان الٱختلاط بالناس؛ لكسب مودتهم، وتوثيق الروابط بهم، بل إنهم مادته وميدانه.

اختلاط يخبر به أحوال الناس، ويميز طبقاتهم، من أجل حسن التعامل معهم، ومعالجة أخطائهم، وتقدير ظروفهم، من غير تجريح أو تقريع. ٱختلاط ينبئ عن ٱهتمام بهم، ومراعاة لمشاعرهم وأحاسيسهم، أدب في الخطاب والنداء، ودعوة بأحب الأسماء، مصحوبا بتبسم وتخير للكلمات الطيبات، طلب الدعاء بظهر الغيب، حسن المنظر والهيئة، المبادرة بتقديم المعونة، الإيجابية في المشاركات، والوفاء بالالتزامات، حفظ الأسرار، التواضع والحلم والأناة، والبعد عن التكلف، وتجنب التصرفات المزرية.

٥- التناوب في العمل وتقاسم الحمل:

في التعاون الصحيح يكون التفرغ الأكثر لأداء رسالة الدعوة ونشرها،

وتوزيع أعباء الحياة ومشاغلها. فالمتعاونان يمكن أن يوزعا الوقت بينهما ليقوم كل واحد بالضروري في حياته، ومن ثم تتوفر الأوقات لعمل الدعوة والإصلاح.

ومن خبر التعاون هٰذا قصة عمر ﷺ والتي أوردها البخاري رحمه الله في صحيحه وغيره، حيث قال عمر ﷺ: "كنت أنا وجار لي من الأنصار من بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول علىٰ رسول الله ﷺ ينزل يومًا وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك[1]". . . إلخ القصة في خبر هجر النبي ﷺ نساءه. .

وقد بوب لذلك البخاري رحمه الله بقوله: "باب التناوب في العلم".

قال الحافظ في الفتح: "إن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه، ليستعين علىٰ طلب العلم وغيره، مع أخذه بالحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته، لما علم من حال عمر أنه كان يتعانى التجارة إذ ذاك"[2].

خطوات إنشاء عمل جماعي فعَّال:

أولًا: خطط للعمل الجماعي:

١- حدد أهداف الجماعة خلال الفترة القادمة شهر - سنة - أكثر مثل:

كمية العمل، جودة العمل، نمو القسم، طريقة أداء العمل، اللوائح التي يقدمها القسم.

٢- حدد كيف تريد أن ينظر الآخرون إلىٰ جماعة عملك، وما الصفات الأساسية التي تود أن تميز جماعة عملك.

٣- حدد نقاط القوة والصفات التي تميز عملك؛ هل هي التكلفة القليلة،

---

(١) البخاري (٨٩)، مسلم (١٤٧٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١ /٢٢٣، ٢٢٤). والجار هو عتبان بن مالك الأنصاري الخزرجي ﷺ.

أم الجودة، أم خدمة العميل، أم الوقت، أم ماذا؟! !

٤- حدد القيم التي تؤمن بها الجماعة والتصرفات السلوكية التي تعتقد أنها أهم لعمل الفريق "مثل الأمانة، الالتزام، الثقة، الإتقان، الشورى، التعاون. . . وغيرها من القيم".

٥- حدد طبيعة علاقة الجماعة بغيرها من جماعات العمل الأخرىٰ، وحدد طبيعة التعاون، والتنسيق، وتبادل الرأي والمنفعة بين الجماعات.

مكونات العمل الجماعي:

١- حدد مسئولياتك وأدوارك باعتبارك قائدًا للفريق، وحدد مسئولية الجماعة فيما يتبقىٰ من الأعمال، وهنا تنبيه مهم لخطأ يقع فيه كثير من القادة؛ حيث ينشغلون بأداء أدوار يستطيع غيرهم أداءها بينما لا يجدون الوقت الكافي لأداء دورهم الأساسي؛ ما يؤدي إلى انخفاض كفاءة العمل بصورة كبيرة؛ ولذا فحتىٰ لا تنجرف في تيار الأدوار الجزئية التي يستطيع غيرك أداءها حدد من البداية ما هي أدوارك، وما هي أدوار بقية الفريق؛ ومن أهم الأدوار التي عليك أداؤها كمسؤول:

- تخطيط العمل وتحديد الأهداف.
- تنظيم العمل وتقسيم الوظائف، وتحديد دور كل وظيفة.
- توجيه الفريق ودفعه للعمل وتحفيزه.
- الرقابة علىٰ أداء الفريق، والتأكد أن الخطة تسير في طريقها دون تعطل، وإصلاح الأخطاء.
- التفكير الدائم في كيفية تطوير العمل وتطوير الفريق، وعدم الوقوف على المستوى الحالي.
- حل المشكلات الإدارية التي تظهر في العمل، واتخاذ القرارات المناسبة لحلها مثل انخفاض الإنتاجية، وارتفاع نسبة غياب بعض العاملين، وعدم الوصول إلىٰ مستوى الجودة المطلوب.

٢- حدد مسئولية ودور كل شخص في الجماعة.

٣- حدد التدريب والتطوير اللازم لك ولكل عضو في الفريق.

٤- تأكد من أن كل فرد لديه الاتجاهات النفسية السليمة تجاه الجماعة وتجاه النجاح في العمل، ويتم ذلك من خلال توضيح مزايا العمل في الجماعة، والمزايا الشخصية التي ستعود على كل فرد، وضوابط وأخلاقيات العمل الجماعي، وكيفية علاج مشكلات العمل الجماعي.

٥- ضع إجراءات وسياسات العمل حتى يمكن للجماعة أن تحقق أهدافها مثل:

* إجراءات تقييم أداء أعضاء الجماعة.

إجراءات الحضور والانصراف.

* إجراءات تعيين موظفين جدد.

* أنظمة الإجازات ووضع جداولها.

* إجراءات الثواب والعقاب.

* صلاحيات تمثيل القسم.

* صلاحيات التعامل مع العملاء.

تصميم العمل الجماعي:

١- حدد خطوات العمل وتدفقها في الجماعة، ويشمل ذلك بداية العمل وإجراءاته ونهايته ونواتجه، وذلك حتى يتم العمل بالكامل.

٢- وضع خرائط تدفق تشرح بالتفصيل إجراءات وخطوات العمل بالتفصيل من بدايته إلى نهايته.

٣- حدد أساليب التفاعل بين أفراد الجماعة، وذلك من خلال تحديد دور الاجتماعات والمقابلات، كما يتحدد في هذا المجال أيضًا أخلاقيات العمل اليومية بين الأعضاء وأساليب التعامل مثل:

* ضرورة مساعدة كل فرد لزميله.

* يتحلى الأفراد بالتفتح الذهني.

* عدم إخفاء أية معلومة.

* لا يهاجم أي فرد زميله.

تنفيذ العمل الجماعي:

١- ضع الخطط التنفيذية التفصيلية لعمل كل عضو من أعضاء فريق العمل. فعلىٰ سبيل المثال وضعت الخطة التالية لأحد الأعضاء: صرف قائمة المواد من المخزن ثم الاتصال بالعميل والاتفاق مع العميل على المواصفات المطلوبة وإعداد الأفلام والصور ثم تحميضها وطباعتها وإعداد الصور الصغيرة والكبيرة والبروفات، ثم إعداد الطلبية في شكلها النهائي ثم تسليمها للعميل.

٢- تأكد من أن الأدوار تؤدىٰ بالشكل المطلوب مع تقييم أداء العمل الفردي والجماعي.

٣- حل مشاكل النزاع والخلاف بين أطراف الجماعة.

٤- قم بعمل تقييم للتفاعل بين الأفراد في العمل الجماعي، وذلك من خلال النظر في مدىٰ تنفيذهم للموضوعات التالية:

* التزام أعضاء الجماعة بأخلاق العمل الجماعي.

* التنسيق بين أعضاء الجماعة.

* مساعدة وتدريب أعضاء الجماعة بعضهم لبعض.

* مناقشة أعضاء الجماعة مشاكلهم معا بوضوح، وإيجاد حل مشترك لها[١].

---

(١) انظر: العمل الجماعي لإبراهيم الفقي، والعوامل الخمسة لخلل العمل الجماعي - باتريك لينسيوني.

من ميادين العمل الجماعي:

لقد أقام الإسلام التعاون بين المسلمين علىٰ أساس محكم، ومد له في كل ناحية من نواحي الحياة بسبب. فالتمثيل القرآني لأهل الإيمان أنهم كالبنيان المرصوص، وفي التمثيل النبوي كالجسد الواحد. فأمور الإسلام ومطلوباته لا تتحقق علىٰ وجهها إلا بالتعاون. ودين الله بنيان شامخ لا يقوم ولا يثبت إلا حين تتراص لبناته وتتضامن مبانيه لتسد كل لبنة ثغرتها.

وإذا كان الله سبحانه قد خلق الخلق لعبادته وطاعته فإن هٰذِه العبادات والطاعات أنواع: قلبية عقلية كالإيمان، وبدنية كالصلاة، ومالية كالزكاة، ومركبة من البدن والمال كالحج والجهاد.

وكل هٰذِه العبادات بأنواعها لا تقام ولا تشاد إلا بوسائلها: من صحة الفكر، وسلامة البدن، وسعة ذات اليد. ولهذه الوسائل وسائل: من التفقه في الدين، والإحسان في الأعمال؛ من زراعة وصناعة وحرف، وإتقان في العلوم والمعارف؛ من الطب والحساب والهندسة والمعامل والمختبرات. ومن المقطوع به - كما سبق - أن الإنسان بمفرده بل حتى الرهط من الناس والجماعة المحدودة من القوم لا تستطيع بهٰذِه الوسائل الأنفراد بتحقيق هٰذِه المقاصد. ومنه يتبين حاجة الناس إلى الأجتماع والتآزر، فذلك ما تقتضيه الفطرة، ويتطلبه الدين، وتنتظم به الشؤون، وتستقيم به العلوم.

وهٰذا بعض البسط لصور من العمل الجماعي في أحكام الإسلام وآدابه، وإذا ٱستجلاها رجل الدعوة عرف ضرورة ذلك في ميدانه ومجاله.

فالصلوات الخمس جماعة وجمعة، وصلاة العيدين وآدابهما، والحج بشعائره، وعقد النكاح بوليمته وآدابه، وعقيقة المولود، وإجابة الدعوىٰ حتىٰ للصائم، كلها مناشط عبادية ٱجتماعية تعاونية، ولا تكون صورتها الشرعية إلا كذلك.

وينضم إلى ٱجتماع الأعياد ٱجتماع الشدائد والكرب في صلوات الٱستسقاء والكسوف والجنازة.

إنه ٱنتظام عجيب بين أهل الإسلام في مواطن السرور والحزن، ناهيك بصورة الأخوة، ومبدأ الشورىٰ، وحقوق المسلمين فيما بينهم؛ في القربىٰ والجوار والضيف وابن السبيل واليتامىٰ والمساكين، مع ما يحيط بذلك من سياج الآداب الٱجتماعية؛ من إفشاء السلام، وفسح المجالس، ودمح الزلة، مما بسطه قانون الأخلاق في الإسلام، مما سيأتي إشارة منه في الصفات الشخصية المؤثرة في التعاون.

أما أنواع المعاملات والتعاملات فذلك جلي في عقود المضاربة والعارية والهبة والمهاداة وفرض الدية على العاقلة.

وثمة صور من المعاونات في كف الظلم، ونصرة المظلوم، ودفع الصائل بسلاح أو مال. بل هل يقوم الجهاد، وتقام الحدود، وتستوفى الحقوق، ويقوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالعمل الجماعي والتآزر[١].

ومن هنا قال القرطبي رحمه الله: " فواجب على الناس التعاون، فالعالم يعين بعلمه، والغني بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة، فالمؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعىٰ بذمتهم أدناهم، وهم يد علىٰ من سواهم "[٢].

فإذا وضع المسلمون أيديهم علىٰ هٰذِه الأسباب الوثيقة، يتقدمهم أولو الأمر والعلماء والدعاة بلغوا المكانة المحفوفة بالعزة المشار إليها بقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨][٣]

---

(١) تفسير القاسمي ٦/ ٢٥.

(٢) تفسير القرطبي ٦ /٤٧.

(٣) التعاون بين الدعاة مبادئه وثمراته، للشيخ د: صالح بن عبد الله بن حميد. مجلة البحوث الإسلامية (٥١/ ١٩٥).

أسباب الإحجام عن العمل المؤسسي الخيري:

ولسائل أن يقول: عملٌ بهٰذِه المزايا ما الذي حدا بالأمة اليوم إلىٰ أن يحجم البعض عنه؟

ويجاب: بأن للأمر خلفيات وأسبابا، منها:

١ - طبيعة المجتمعات الإسلامية المعاصرة عامة، وعدم ترسخ العمل المؤسسي في حياتها؛ لما ٱعتراها من بعد عن الدين أدىٰ إلىٰ تأصل الفردية، وضعف الروح الجماعية، والحوار والمناقشة والمشاركة، ولما حل بها من تخلف حضاري أقعدها عن الأخذ بأسباب الفاعلية والنجاح، فأصابها التأخر وتبدد الطاقات.

٢ - ضعف الملكة الإدارية لدىٰ كثير من العاملين في الحقل الإسلامي، بسبب إهمال العلوم الإنسانية التي أفاد منها الغرب، وهٰذا مما ورثه العاملون عن مجتمعاتهم. وقد أدىٰ هٰذا الضعف إلى الجهل بالعمل المؤسسي ومقوماته وأسباب نجاحه فتلاشت الخطط، وأغلقت دراسة الأهداف وإقامة المشاريع، وصار العمل مجرد ردود أفعال غير مدروسة أو عواطف غير موجهة.

٣ - حاجة الدعوة إلى الأنتشار، مع قلة الطاقات الدعوية المؤهلة؛ مما حدا بكثير من الدعاة إلى التركيز على الكم لا الكيف، والغفلة عن قدرة العمل المؤسسي على الموازنة بين الكم والكيف، وتحقيق أكبر قدر منهما.

٤ - الخلط بين العمل الجماعي والمؤسسي، والظن بأن مجرد قيام الجماعة يعني عملًا مؤسسيا، في حين أن كثيرًا من التجمعات والمؤسسات لا يصدق عليها حقيقة هٰذا الوصف؛ لانعدام الشورىٰ، والمركزية في ٱتخاذ القرار.

٥ - الشبهات العارضة التي يتذرع بها المانعون من العمل الجماعي، بحجة بدعيته؛ فأحجموا بذلك عن العمل المؤسسي ٱنطلاقًا من هٰذِه الشبهة.

٦ - حداثة العمل الإسلامي المعاصر، فإنه إذا ما قورن عمره بعمر

المؤسسات الغربية بان قصيرًا جدًّا. يقال هٰذا لئلا تهضم الحقوق، ولكي نقترب بالحديث من الإنصاف لهٰذِه الصحوة المباركة؛ حيث نرىٰ بوادر الاهتمام بالمجالات الإدارية أكثر من ذي قبل[١].

(١) مجلة البيان (١٤٣/ ص٤٦).

آليات تفعيل العمل التطوعي

آليات تفعيل العمل التطوعي

أولًا: التخطيط الجيد[1]:

تمهيد:

إن من أولىٰ وظائف الإدارة التخطيط الذي له عدة مفاهيم ناقشها عدد كبير من الكتاب والباحثين، وما يهم في هٰذا الفصل هو التعرف على المفهوم الإسلامي للتخطيط الإداري، ونبدأ بتعريفه من ناحية اللغة.

تعريف التخطيط لغة:

قال ابن فارس: (خط) الخاء والطاء أصلٌ واحدٌ؛ وهو أثرٌ يمتد ٱمتدادًا. فمن ذلك الخط الذي يخطه الكاتب. ومنه الخط الذي يخطه الزاجر. قال الله تعالىٰ: ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤]، قالوا: هو الخط. ومن الباب الخطة: الأرض يختطها المرء لنفسه؛ لأنه يكون هناك أثرٌ ممدودٌ[2].

وفي المعجم الوسيط: (التخطيط) وضع خطة مدروسة للنواحي الٱقتصادية والتعليمية والإنتاجية وغيرها للدولة[3].

تعريف التخطيط اصطلاحًا:

هو أسلوب عمل جماعي في منظمة يأخذ بالأسباب لمواجهة توقعات مستقبلية، ويعتمد علىٰ منهج فكري عقدي - يؤمن بالقدر ويتوكل علىٰ الله - ويسعىٰ لتحقيق هدف شرعي: هو عبادة الله وتعمير الكون[4].

---

(١) يليه (التدريب) ص ٣٠١.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢/ ١٥٤). (٣) المعجم الوسيط (١/ ٢٤٤).

(٤) التخطيط: دراسة في مجال الإدارة الإسلامية وعلم الإدارة العامة، فرناس البنا (٨٥)

وهناك تعريف آخر للتخطيط وهو: " عملية ٱستفراغ الوسع من قِبَل الفرد أو الجماعة في الأخذ بالأسباب الشرعية والاستفادة من دروس الماضي والحاضر لوضع التدابير اللازمة لمواجهة المستقبل، مع التوكل علىٰ الله فيما قدر من نتائج لتحقيق أهداف تتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية أو لا تتعارض معها "[1].

وهناك تعريف ثالث للتخطيط وهو: " الإعداد لمواجهة تحديات إنجاز العمل في المستقبل، ولا يترك تحت رحمة المفاجآت، بل يؤخذ في الاْعتبار توقعات المستقبل والإمكانيات المتاحة حالًا ومستقبلًا، وهو ما يتجلىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]"[2].

ويمكن تعريفه أيضا بأنه: هو النشاط الذي ينقلك مما أنت عليه الآن إلىٰ ما تطمح بالوصول إليه[3].

إن الهدف من عملية التخطيط الاْستراتيجي هو تحديد شكل المستقبل المؤمل إنجازه، ذلك المستقبل الذي يتناسب مع عناصر القوة في البيئة الداخلية ومع الفرص المتاحة في البيئة الخارجية في نفس الوقت الذي يؤدي إلىٰ تقليل وتحييد عناصر الضعف في البيئة الداخلية والمخاطر الكامنة في البيئة الخارجية.

تتكون هٰذِه المرحلة من أربعة أنشطة متسلسلة يتم ٱتباعها بالترتيب. وتتصف هٰذِه النشاطات بكونها متتابعة أي أن وظيفة النشاط اللاحق إنجاز النشاط السابق له، وهكذا. وتتألف هٰذِه المرحلة من النشاطات التالية:

نقلاً من: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٥١ للسنة السابعة عشر، بحث بعنوان: التخطيط الإداري بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الوضعي، تأليف: د/ فيصل بن أحمد شعيبي (٢٥٢).

(١) مجلة الشريعة، المصدر السابق (٢٥٢).

(٢) الفكر الإداري الإسلامي والمقارن (١٦١). (٣) التخطيط د/ سامي سلمان.

أولًا: تحديد رسالة المنظمة:

ثانيًا: صياغة الأهداف الاستراتيجية.

ويجب أن تتصف الأهداف بمجموعة من الصفات المهمة:

- الأهداف قصيرة المدىٰ.
- الأهداف متوسطة المدىٰ.
- الأهداف بعيدة المدىٰ.

ثالثًا: وضع الخطط الاستراتيجية.

رابعًا: وضع السياسات[١].

أهمية التخطيط في الإسلام:

أولًا: في القرآن الكريم:

لقد ورد في القرآن الكريم آيات تشير إلى الاهتمام بالتخطيط، وهي بذلك تعلن سبق الإسلام للنظريات الحديثة حول الاهتمام بالتخطيط، فمنها:

١- فيما يتعلق بالتخطيط بصفة عامة والتخطيط العسكري بصفة خاصة، يقول الحق تبارك وتعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

يقول السعدي رحمه الله: أي ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم .﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين علىٰ قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي:

---

(١) التخطيط د/ سامي سلمان.

والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتعلم الرمي، والشجاعة والتدبير.

ولهٰذا قال النبي ﷺ: «**ألا إنَّ القوَّةَ الرَّمْيُ**» ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهٰذا قال تعالىٰ: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ وهٰذِه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته.

فإذا كان شيء موجودٌ أكثر إرهابًا منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورًا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتىٰ إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة، وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب[(١)].

٢- قال تعالىٰ: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]

ففي هٰذِه الآية توجيه رباني لجميع البشر بأن يخططوا تخطيطًا قد يتجاوز الفترة الزمنية للتخطيط طويل الأجل المعروف لدى الفكر الإداري الوضعي. أي أن علىٰ كل فرد أو جماعة أو منظمة أو دولة التخطيط والأخذ بالأسباب ليس فقط فيما يخص الحياة الأخروية، وإنما أيضا فيما يخص الحياة الدنيا.

٣- توجد إشارة واضحة في القرآن الكريم إلى استعمال نبي الله يوسف عليه السلام لخطة طويلة المدىٰ للتصدي لكارثة اقتصادية زراعية كانت ستحدق بمصر وسيعاني منها المصريون العناء الكبير. . إذ يقول المولىٰ جلا وعلا عن يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ

(١) تفسير السعدي (٣٢٤).

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: ٤٧ - ٤٩].

وهٰذا ما يسمىٰ بالتخطيط طويل المدىٰ، ومدته الزمنية خمس عشرة سنة، ويمكن تقسيم هٰذِه الخطة إلىٰ ثلاث مراحل:

المرحلة الأولىٰ: خطة إنتاجية.

المرحلة الثانية: خطة ترشيد للاستهلاك.

المرحلة الثالثة: خطة ٱدخار.

فالمرحلة الأولىٰ والثانية تدعوان إلىٰ مضاعفة الإنتاج الزراعي وذلك في قوله ﴿دَأَبًا﴾ بنشاط متواصل، وفترات متعاقبة لمدة سبع سنوات، ثم تحثان علىٰ ترشيد الٱستهلاك في الأكل والاستعمال علىٰ أن يتم ترك الجزء الأكبر من المحصول في سنابله، وهٰذِه هي مرحلة الٱدخار، فهو أبقىٰ وأحفظ من التلف والفساد نظرا لعناصر الحفظ التي أودعها الله تعالىٰ فيها لسلامة المحصول، ثم مواجهة السبع سنين العجاف والضنك الٱقتصادي الشديد بالاحتياطي من المحصول الذي أعدته المرحلة الثالثة من الخطة، فتمر هٰذِه الأزمة بسنواتها السبع بسلام. ثم يأتي من بعد ذلك الٱنفراج الٱقتصادي وتزدهر المزارع، وتعظم المحاصيل، ويغيث الله تعالى البلاد والعباد بالخيرات حتىٰ يكثر فيه العصير وهو علامة الرخاء والخير الذي يعم المجتمع.

وهكذا تمكن نبي الله يوسف ﷺ، بتوفيق ربه ﷻ له، وبما آتاه الله تعالىٰ من علم وحكمة وبصيرة وأمانة من ٱستشفاف المستقبل من خلال رؤيا عزيز مصر ثم عرض الحلول المرحلية للكارثة الٱقتصادية لمواجهتها والخروج منها بسلام[1].

---

(١) مقدمة في الإدارة الإسلامية أحمد المزجاجي (١٥٨ وما بعدها).

٤- ومع صورة أخرىٰ من صور التخطيط الذي ورد في القرآن الكريم ولكنه من نوع آخر؛ ففي سورة الكهف آيات تشير إلىٰ قوم عانوا الكثير من ٱضطهاد يأجوج ومأجوج وطغيانهم مما دفعهم إلى اللجوء إلىٰ ذي القرنين، فيقول المولىٰ ﷻ علىٰ لسان هٰؤلاء المستضعفين: ﴿قالُوا يا ذا القَرْنَيْنِ إِنَّ ياجُوجَ وَماجُوجَ مُفْسِدُونَ في الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤].

قال المفسرون: إن ذا القرنين ذهب متوجهًا من المشرق، قاصدًا للشمال، فوصل إلىٰ ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان، سدّا بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قومًا، لا يكادون يفقهون قولا لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطىٰ الله ذا القرنين من الأسباب العلمية، ما فقه به ألسنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم، وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم فقالوا: ﴿إِنَّ ياجُوجَ وَماجُوجَ مُفْسِدُونَ في الأَرْضِ﴾ بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك. ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي جُعلًا ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ودل ذلك علىٰ عدم ٱقتدارهم بأنفسهم علىٰ بنيان السد، وعرفوا ٱقتدار ذي القرنين عليه، فبذلوا له أجرة، ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركًا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه علىٰ تمكينه واقتداره، فقال لهم: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: مما تبذلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أي: مانعًا من عبورهم عليكم.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ أي: الجبلين اللذين بني بينهما السد ﴿قَالَ ٱنفُخُواْۖ﴾ النار أي: أوقدوها إيقادًا عظيمًا، واستعملوا لها المنافيخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ أي: نحاسًا مذابًا، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد ٱستحكامًا هائلًا وامتنع به من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج.

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ۝٩٧﴾ أي: فما لهم ٱستطاعة، ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه، ولا علىٰ نقبه لإحكامه وقوته[1].

ومن الملاحظ أن ذا القرنين دعاهم إلى العمل الجماعي المخطط والمنظم كما يلي:

١- قوة بشرية (عمالة). ٢- قوة مالية. ٣ - قوة آلية. ٤- قوة مواد خام[2].

ثانيًا: التخطيط في عهد الرسول ﷺ:

لقد عمل الرسول ﷺ وأصحابه بالتخطيط الإداري، ووضع خططًا سليمة وعملية منذ بداية فترة نبوته حتىٰ نهايتها، ويمكن تقسيم هٰذِه الخطط إلى الآتي:

١- التخطيط للدعوة. ٢- التخطيط للهجرة.

٣ - التخطيط العسكري. ٤- التخطيط العمراني.

٥ - التخطيط الٱجتماعي. ٦- التخطيط الٱقتصادي.

٧- التخطيط السياسي والإداري.

أولا: التخطيط للدعوة:

عندما تحمل النبي ﷺ مسؤولية الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ أعد خططًا عملية

---

(١) تفسير السعدي (٤٨٦).

(٢) مقدمة في الإدارة الإسلامية (١٥٩ وما بعدها).

ومرحلية وذلك من أجل تنفيذ الخطة الرئيسية للدعوة، وتحقيق الهدف الرئيسي لها.

وهٰذِه الخطط المرحلية مرتبة ترتيبًا حكيمًا وفقًا لأهميتها، وهي كالتالي:

١- الدعوة السرية لهٰذا الدين:

لما كان دين الإسلام - الدين الجديد آنذاك - بدعة مرفوضة مجهولة من قبل قريش فإن رفضها له أمر وارد، ولذا كان من الحكمة البالغة عدم مفاجأتهم بما يكرهون، فبدأ النبي ﷺ دعوته سرًّا، واستمر في هٰذا العمل الخفي لفترة ثلاث سنوات بعزيمة وإصرار ونشاط دؤوب.

٢- أول من بدأ النبي ﷺ بدعوته إلى الإسلام هم أهله وعشيرته وأقرب الناس إليه من أصحابه، ثم دعا كل من توسم فيه الخير وعرف فيه حب الصدق والعدل؛ إذ إنه كان هناك نفر من قريش من هم على الملة الحنيفية - ملة إبراهيم - وهٰؤلاء هم أصفىٰ نفوسًا وأسرع ٱستجابة للدعوة.. فدعىٰ زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وابن عمه علي بن أبي طالب وأبا بكر ﷺ جميعا، ثم أسلم آخرون سرا بعدهم.

٣- كان النبي ﷺ يستخدم الأسلوب الهاديء، والموعظة الحسنة.

٤- كان يحاول بقدر الإمكان رد الٱعتداء مكتفيًا بحماية نفسه من الأذىٰ ولا يعتدي علىٰ أحد قط تنفيذًا لأمره تعالىٰ: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٨].

٥- بدأت بعد ذلك الدعوة الجهرية، والإعلان عنها ٱستجابة لأمر الله تعالىٰ بذلك: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ [الحجر: ٩٤].

ومن هنا بدأ النبي ﷺ ينادي بأعلىٰ صوته من علىٰ جبل الصفا، وفي كل مكان قائلًا: "**يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَها - ٱشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يا عَبّاسُ ابْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لاَ**

أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيا فاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي ما شِئْتِ مِنْ مالِي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا"[1].

واستخدم النبي ﷺ في هٰذِه المرحلة عدة نماذج للدعوة إلىٰ الله فمنها:

١- دعوته الناس إلى الاجتماع من أجل أن يبلغهم.

٢- ذهابه إلىٰ أماكن تجمع الناس وتبليغهم دعوته.

٣- رحلته من أجل التبليغ.

٤- تكليفه من أسلم تبليغ من لم يسلم.

٥- تكليف من تعلم أن يبلغ من لم يتعلم.

٦- إرساله الرسل والرسائل لتبليغ الملوك والأمراء.

ثانيًا: التخطيط للهجرة:

وقد تضمنت عملية التخطيط للهجرة ثلاث مراحل وهي كالآتي:

المرحلة الأولى: الهجرة الأولىٰ إلى الحبشة: وقد تمت هٰذِه الهجرة في شهر رجب من السنة الخامسة من النبوة، وكانت بإذن من الله تعالىٰ وأمر من النبي ﷺ إذ طلب من بعض أوائل المسلمين الهجرة إلى الحبشة لأنه علىٰ علم بملكها أصحمة النجاشي بأنه ملك عادل لا يظلم عنده أحدٌ.

المرحلة الثانية: الهجرة الثانية إلى الحبشة: وتمت في نفس السنة، وذلك بعد التأكد من مدىٰ توافر الأمن والأمان والحماية للمهاجرين الأول، وكان عددهم في المرة الثانية ثلاثة وثمانين رجلا وتسع نسوة، وفي مقدمتهم جعفر ابن أبي طالب ﷺ.

المرحلة الثالثة: الهجرة إلى المدينة النبوية، ونتج عن هٰذِه المرحلة ٱستراتيجيتان أساسيتان هما:

١- بيعة العقبة الأولىٰ: وفيها بويع النبي ﷺ في موسم الحج من مجموعة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦) عن أبي هريرة ﷺ.

قوامها آثنا عشر رجلًا قادمون من المدينة، وأرسل معهم الصحابي الجليل مصعب بن عمير ﷺ؛ ليعلمهم القرآن ويشرح لهم دين الإسلام ويفقههم فيه.

٢- بيعة العقبة الثانية: وتمت هٰذِه البيعة بعد آتصالات سرية جرت بين رسول الله ﷺ وبين وفد من المدينة النبوية قدم للحج وكان عددهم هٰذِه المرة بضعًا وسبعين.

ومن أهم الخطط التي أعدها النبي ﷺ، وقام بتنفيذها من أجل الوصول إلىٰ دار الهجرة الآتي:

١- تدبير آحتياجات الهجرة: أي تحديد الآحتياجات الأساسية والضرورية للرحلة الطويلة كالمال ووسائل النقل ومؤونة الطريق والأعوان.

٢- السماح لأبي بكر بمرافقته في الهجرة.

٣- اختيار وقت الظهيرة كوقت مناسب لإعلام أبي بكر الصديق بأمر الهجرة وذلك لسببين:

الأول: ليخالف عادته في المجيء إلىٰ أبي بكر، فربما يتم رصده إذا جاء في ميعاده المعتاد، وهو أحد طرفي النهار بكرة أو عشية.

الثاني: لأنه وقت القيلولة، ويندر أن ترىٰ أحدًا في مكة في هٰذا الوقت خارج بيته خصوصًا أن ذلك كان في أحد أشهر الصيف[١].

٤- الخروج من بيته بحفظ الله تعالىٰ وحمايته رغما عن أنف محاصريه من كفار قريش، والتمويه بمبيت علي بن أبي طالب ﷺ في فراش النبي ﷺ؛ حتىٰ يتمكن ﷺ من مغادرة مكة في حين أن الكفار واقفون أمام بيته ﷺ يرصدون عليا علىٰ أنه هو النبي ﷺ.

٥- اتباعه خط سير مخالف لما كان يتوقعه الأعداء الذين جدوا في طلبه في الطريق الشمالي، بينما هو سلك الطريق الجنوبي المتجه إلى اليمن حتىٰ

(١) الهجرة النبوية المباركة (دراسة تحليلية موثقة)، تأليف: عبد الرحمن البر (٦٨).

بلغ جبل ثور ثم بعد ذلك اتجه إلى الشمال.

٦- لجأ إلىٰ غار في هٰذا الجبل للاستراحة من متاعب المشي الطويل وحماية نفسه وصاحبه.

٧- بقاؤه في الغار لمدة ثلاث ليال.

٨- خصص عبد الله بن أبي بكر ليكون وسط قريش بمكة في النهار، وليوافيه مساء بالمعلومات المهمة.

٩- خصص أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها بإحضار الطعام إليهما.

١٠- كلف عامر بن أبي فهيرة أن يرعىٰ غنمه علىٰ آثار سير عبد الله وأسماء بعد ذهابهما إلىٰ مكة ليطمس أي علامة تدل علىٰ تحركهما.

١١- اتفق مع عبد الله بن أريقط الليثي لإحضار راحلتين، وليكون دليلًا لهما في رحلتهما حتىٰ يصلا إلى المدينة[١].

١٢- بيان أن الرسول ﷺ يأخذ بالأسباب الشرعية - أي التخطيط للهجرة - مع الاعتماد علىٰ الله ﷻ، فبعد أن أخذ كل الأسباب التي يملكها البشر ووقعت المحنة في شيء خارج عن طاقته وقدرته «وصول المشركين إلىٰ باب الغار» كانت ثقته بالله تعالىٰ لا تحد، حيث قال ﷺ: «**ما ظَنُّكَ يا أَبا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثالِثُهُما**»[٢].

ثالثًا: التخطيط العسكري:

يتمثل هٰذا النوع من التخطيط في الغزوات والسرايا التي قام بها المسلمون بدءا من: غزوة الأبواء، وبواط، والعشيرة، وبدر، والحديبية،

---

(١) انظر في ذلك: الروض الأنف للسهيلي (٣ / ٧ وما بعدها)، وسبل الهدىٰ والرشاد للصالحي (٢ / ٣٠٠ وما بعدها)، والسيرة النبوية الصحيحة للعمري (١ / ١٣٢، ١٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وفتح مكة، وسرية عبيدة بن الحارث وحمزة، وفق مخطط الرسول ﷺ.

لقد كان الرسول ﷺ يعد خططًا عسكرية يبين فيها كيفية ٱتخاذ الموقع للجيش المسلم أثناء المعركة.

وكان ﷺ يقسم وحداته إلىٰ مقدمة ومؤخرة وميمنة وميسرة وقلب.

ومن أهم المضامين الأساسية التي كانت تحملها خطط رسول الله ﷺ للمعارك، ما يأتي:

١- زرع الخوف في قلوب مشركي مكة والقبائل الموالية لهم.

٢- تهديد طريق تجارة قريش إلى الشام، أي تهديد ٱقتصاد مكة.

٣- عقد المحالفات والموادعات مع القبائل لضمان تعاونها أو حيادها، لتأمين الوجود الإسلامي في المدينة.

٤- إبراز قوة المسلمين أمام اليهود والمشركين داخل المدينة والقبائل العربية خارجها.

٥- تدريب قوات الجهاد على التحمل والطاعة وتنفيذ الأوامر وحسن التصرف في حالة حصول مفاجآت.

٦- تأمين حدود الدولة الناشئة والتي أعلنتها وثيقة المدينة، حتىٰ لا يجرؤ أحد علىٰ مباغتتها أو التعدي عليها.

٧- تأصيل عظمة الجهاد في نفس كل مسلم بالحث عليه، وإبراز منزلة المجاهدين في سبيل الله تعالىٰ في الدنيا والآخرة.

٨- توخي الحذر الشديد أدىٰ إلىٰ عملية ٱستطلاع مستمرة عن تحركات الأعداء مما دفع المسلمين إلىٰ مباغتة العدو بقوة وحزم لإثبات وجودهم على الساحة العسكرية.

٩- إفهام الأعداء بأن فترة المهادنة والاستسلام قد ولت إلىٰ غير رجعة، وأن أي ٱعتداء سوف يواجه ردا أعنف مما يتوقعونه.

١٠- إعطاء الصلاة وضعًا خاصًا في الخطط العسكرية نظرًا لأهميتها

القصوىٰ، ولكن لا ينصرف المسلمون بكاملهم إلى الصلاة فيغدر بهم العدو ويميل عليهم ميلة واحدة، ولا ينصرفون عنها تمامًا، ولذلك نزلت آيات صلاة الخوف[1].

رابعًا: التخطيط العمراني:

ظهر التخطيط العمراني في الإسلام منذ وجود الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة وذلك من خلال البناء الحسي والمعنوي للمساجد والدول والمساكن. فالجانب الحسي للتخطيط العمراني تضمن بناء مسجد قباء والمسجد النبوي، وبيوت زوجات الرسول ﷺ، ومنازل المهاجرين من الصحابة ﷺ.

وأما الجانب المعنوي فقد بادر الرسول ﷺ فور وصوله إلى المدينة لإقامة المسجد لتحقيق معان سامية، منها ما يلي:

١- تحقيق عبادة الله وحده، وهو الهدف الذي دعا الرسول ﷺ والمسلمين معه إلى الهجرة وبناء هٰذا المجتمع الجديد.

٢- نشر الأخوة والمحبة بين المسلمين، حيث يلتقون خمس مرات يوميًّا يتآلفون، ويتفقدون أحوال بعضهم بعضًا، ويتبلغون برعاية القائد وأوامر الله تعالىٰ. وأي تنظيم سياسي في العالم لم يستطع أن يضبط أتباعه بهٰذِه المواعيد ويجعلهم يسلمون أنفسهم للقيادة خمس مرات يوميًّا.

٣- نشر روح المساواة والعدل بين المسلمين، وذلك لوقوفهم علىٰ صعيد مشترك من العبودية.

٤- تكوين نواة للمدينة الحديثة، حيث نمت حول المسجد مشروعات تعمير المدينة، وأصبح المحور الذي يضبط ٱتجاهات نموها وامتدادات

---

(١) ٱنظر: مجلة الشريعة (العدد ٥١ / ٢٦٩)، مقدمة في الإدارة الإسلامية (١٥٠ وما بعدها).

شوارعها منذ ذلك الحين حتى العصر الحاضر[١].

وننتقل إلىٰ نموذج آخر للتخطيط في هندسة المدن في صدر الإسلام وذلك عندما كتب الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ إلىٰ قائد الجيش الإسلامي في الكوفة بأرض العراق سعد بن أبي وقاص يأمره بدراسة وضع المدينة مع كبير المهندسين (بأن يخطط لهم المدينة، ووضع له القواعد التي يتعين عليه ٱتباعها بأن يجعل عرض شوارعها الرئيسية أربعين ذراعًا، وما يليها ثلاثين، والصغيرة عشرين. وأن يجعل فيها أزقة: الزقاق سبعة أذرع، ليس دون ذلك شيء)[٢].

خامسًا: التخطيط الٱجتماعي:

أدىٰ تدفق المهاجرين من الصحابة ﷺ إلى المدينة إلىٰ حصول العديد من المشكلات الٱقتصادية والاجتماعية والصحية، ذلك أنهم تركوا أهليهم ومعظم أموالهم في مكة، مما أدىٰ إلىٰ عدم قدرتهم علىٰ ممارسة التجارة، وشعورهم بالوحشة، وحنينهم إلىٰ مكة وتعرضوا للإصابة ببعض الأمراض، مثل الحمىٰ.

ومن أجل التخفيف عن المهاجرين شرع الرسول ﷺ نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وحل الإسلام محل قرابة الدم والنسب في شؤون الحياة.

فكانت فكرة الإخاء بداية تنظيم العلاقات الٱجتماعية بين الفئتين الأساسيتين اللتين تشكلان المجتمع الجديد في المدينة ريثما يستعيد المهاجرون مقدراتهم المالية والاجتماعية.

وإن أي دولة لا يمكن أن تنهض وتقوم إلا علىٰ أساس من وحدة الأمة

---

(١) ٱنظر: المدينة في صدر الإسلام: الحياة الٱجتماعية والسياسية والثقافية، تأليف: محمد العيد الخطراوي (٥٥)، مجلة الشريعة الكويتية (العدد ٥١ / ٢٦٤، ٢٦٥).

(٢) عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة (٣٢٠) نقلاً عن: مقدمة في الإدارة الإسلامية (١٦١).

وتساندها، ولا يمكن لكل من الوحدة والتساند أن يتم بغير عامل التآخي والمحبة المتبادلة.

واتخذ الرسول ﷺ من حقيقة التآخي أساسا لمباديء العدالة الاجتماعية والتي تدرجت فيما بعد بشكل أحكام وقوانين شرعية ملزمة، ولكنها كلها إنما تأسست وقامت علىٰ تلك الأرضية الأولىٰ، ألا وهي الأخوة الإسلامية، ولولا هٰذِه الأخوة العظيمة، لما كان لتلك المباديء أي أثر تطبيقي في شد أزر المجتمع الإسلامي ودعم كيانه(١).

سادسًا: التخطيط الاقتصادي:

وأما ما يتعلق بالجانب الاقتصادي فقد وضع الإسلام أصولًا وقواعد ثابتة لاقتصاد الأمة؛ إذ يجب علىٰ أي خطة اقتصادية لأي مجتمع مسلم أن تقوم علىٰ ركائز رئيسية أهمها:

١- تحريم الربا وكل ما يؤدي إليه ولعب القمار بكل أنواعه.

٢- التصدي للغش والتدليس واستغلال الناس بالباطل في البيع والشراء.

٣- منع الاحتكار لكل أنواع السلع وخاصة الضرورية منها.

٤- حصر الموارد المالية للدولة الإسلامية وأهمها الآتي:

أ - إيرادات الزكاة والصدقات والهبات.

ب- خمس الغنائم والمعادن والركاز، والمستخرج من البحار.

ج - الفيء وأنواعه كما أشار الفقهاء: كالخراج والجزية.

٥- حصر النفقات للدولة الإسلامية وأهمها الآتي:

أ - مصاريف الزكاة الثمانية التي وردت في آية الصدقات.

---

(١) انظر: مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ، تأليف: محمد لقمان الندوي (٧٩)، الأمة والدولة في سياسة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، تأليف: نزار عبد اللطيف الحديثي (١٤٣)، فقه السيرة للبوطي (١٤٨)، مجلة الشريعة (العدد ٥١/٢٦٦).

ب- المصاريف العسكرية وهي نوعان: مدنية لحماية الأمن والنظام في داخل البلاد، وحربية للدفاع عن الأمة من أي ٱعتداء خارجي.

ج - نفقات الخدمات العامة: كالتعليم والصحة والطرق ونحوها،. . . . الخ[(١)].

سابعًا: التخطيط السياسي والإداري:

ٱستكمالا للوحدة السياسية التي كان يهدف إليها الرسول ﷺ بعد أن وحد بين الأوس والخزرج، وبعد أن آخىٰ بين المهاجرين والأنصار، أراد أن يحمي المسلمين من اليهود كأخطر فئة كانت في المدينة حينذاك، إضافة إلىٰ إدخال الأمن والطمأنينة علىٰ نفوس غير المسلمين من أهل المدينة، فرأىٰ عليه الصلاة والسلام أن ينظم علاقة المسلمين مع اليهود ليأمن شرهم وغدرهم، وكتب بينه وبينهم كتابا ينظم تلك العلاقة. وأطلق علىٰ هٰذا الكتاب ٱسم وثيقة أو موادعة المدينة، وهو يتألف من عدة بنود[(٢)].

---

(١) مقدمة في الإدارة الإسلامية، أحمد بن داود المزجاجي (١٥٥ وما بعدها).

(٢) ذكر هٰذِه الوثيقة ابن إسحاق في السيرة النبوية وقال: وكتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم علىٰ دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم "بسم الله الرحمن الرحيم هٰذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش علىٰ ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عوف علىٰ ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولىٰ، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو ساعدة علىٰ ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولىٰ، ... وذكرها كاملة. ٱنظر الروض الأنف (٤/ ١٧١) وقد حقق الدكتور أكرم ضياء العمري هٰذِه الوثيقة في كتابه السيرة النبوية الصحيحة (١/ ٢٧٤) وبين أن طرقها ضعيفة لكن لها شواهد وفقرات في أحاديث صحيحة وقال: وإذا كانت الوثيقة بمجموعها لا تصلح للاحتجاج بها في أحكام الشريعة سوىٰ ما ورد منها في كتب الحديث الصحيحة فإنها تصلح أساسا للدراسة التاريخية..

والمطالع لهٰذِه الوثيقة يلاحظ تضمينها لعدة مبادىء تهدف إلىٰ حماية المجتمع الجديد، سواء من الناحية السياسية أو الإدارية أو الاَجتماعية[١].

وأهم ما يمكن ملاحظته فيها:

١- أنه لم يثبت من قبل أن أي دولة قامت منذ أول أمرها علىٰ أساس وثيقة مكتوبة غير هٰذِه الدولة الإسلامية، فإنما تقوم الدول أولا ثم يتطور أمرها إلىٰ وضع هٰذِه الوثيقة[٢].

٢- وضع وثيقة الدولة الإسلامية الجديدة القواعد الأساسية ورسم الخطوط العريضة لمنهاج الحكم والسلطة وعلاقات الأفراد والجماعات في الدولة الناشئة، فكانت الوثيقة السياسية الأولىٰ، وتضمنت سبعة وأربعين بندا[٣].

٣- حددت الوثيقة ثلاثة معالم رئيسية وهي:

- حقوق وواجبات المسلمين في الدولة الإسلامية.
- حقوق وواجبات غير المسلمين في الدولة الإسلامية.
- أحكام عامة لجميع المواطنين[٤].

أساليب التخطيط:

للعملية التخطيطية أساليب ومداخل متعددة تم اَستخدامها واقعيا في كثير من المنظمات، وعلىٰ مراحل تاريخية متعددة، وهٰذِه الأساليب لا تخرج عن:

١- أسلوب التجربة والخطأ.

٢- أسلوب التقليد.

---

(١) الإدارة الإسلامية: المنهج والممارسة، تأليف: حزام ماطر المطيري (٩٦).

(٢) اَنظر: مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، تأليف: أحمد إبراهيم الشريف (٣٨٧) بتصرف.

(٣) اَنظر: الحكم والإدارة في الإسلام، تأليف: أكرم رسلان ديرانية (٥٩).

(٤) اَنظر: فقه السيرة النبوية، تأليف: منير محمد غضبان (٣٧٢).

٣- الأسلوب العلمي.

ولنأخذ كل أسلوب منها بشيء من التفصيل:

أولًا: أسلوب التجربة والخطأ:

يعتمد هٰذا الأسلوب علىٰ محاولة تجربة أي قرار تخطيطي يتم التوصل إليه مع الاستمرار في تجربة قرارات أخرىٰ إلىٰ أن يتم التوصل إلىٰ حلول للمشكلة موضع القرار التخطيطي.

إن استخدام هٰذا الأسلوب ممكن في حالة واحدة هي ثبات واستقرار كل العوامل الداخلية والخارجية التي تؤثر علىٰ أداء المنظمة، وإن كنا نؤكد على استحالة توافر هٰذِه الحالة، ومما يؤخذ علىٰ هٰذا الأسلوب أيضًا ارتفاع تكلفته، وأيضًا يخلق مواجهة مستمرة مع الأفراد العاملين لكثرة تغيير وتعديل الخطط.

ثانيًا: أسلوب التقليد:

يعتمد هٰذا الأسلوب علىٰ تطبيق السياسات والبرامج والاجراءات للمشاكل المشابهة.

إن استخدام هٰذا الأسلوب لا يأخذ في اعتباره اختلاف بيئة المواقف، وبالتالي فإن الحل لا يمكن تطبيقه بالمطلق، إنما يمكن لمتخذ القرار التخطيطي الاسترشاد بالإطار العام للكيفية التي تم التوصل من خلالها للقرار، ولابد أن نشير أيضًا أن هٰذا الأسلوب يحتاج إلىٰ كثير من الوقت والتكاليف إذا ثبت عدم الملاءمة للحل أو للقرار مع البيئة المطبقة فيه مرة ثانية.

ثالثًا: الأسلوب العلمي:

يعتبر هٰذا الأسلوب من أكثر الأساليب تطبيقًا في منظمات الأعمال، ويعتمد على التعمق في دراسة وتحليل المعلومات للتوصل إلىٰ حقائق يمكن السيطرة عليها، ومن ثم ينتقل إلىٰ تحديد البدائل، ومن ثم اختيار البديل الأكثر قبولا لتنتهي مراحل هٰذا الأسلوب باتخاذ القرار التخطيطي

أو قرار حل المشكلة المتعلقة بالتخطيط[١].

مراحل التخطيط:

ويقصد بمراحل التخطيط الأطوار التي تمر بها الخطة من بدايتها حتىٰ نهايتها، **وهي ثلاث مراحل أساسية:**

١- مرحلة الإعداد.

٢- مرحلة التنفيذ.

٣- مرحلة المتابعة والتقييم.

ولنذكر نبذة مختصرة عن كل مرحلة من هٰذِه المراحل، ليستعين بها العاملون في المجال التطوعي.

١- مرحلة الإعداد:

ويقصد بها فترة تكوين الخطة، وتعتمد علىٰ ثلاثة عناصر رئيسية يمكن إيجازها على النحو التالي:

العنصر الأول: التعرف على الحالة أو المشكلة، والاعتراف بأهميتها وضرورة التصدي لها، والنظر إليها بواقعية من العاملين في هٰذا المجال.

العنصر الثاني: جمع المعلومات الضرورية عن الحالة أو المشكلة سواء أكانت شفوية من مصادر موثوقة أم مكتوبة بدقة للمساعدة في إعداد الخطة الإعداد السليم.

العنصر الثالث: الدراسة والتحليل لإقرار الخطة ويتم ذلك حسب الخطوات الآتية:

١- فحص الحالة والتعرف علىٰ مسبباتها وقدمها أو حداثتها ومدىٰ علاقتها بعوامل أخرىٰ محيطة بها.

---

(١) الإدارة عملية ونظام (٦١، ٦٢).

٢- الاطلاع على التقارير المقدمة بصددها من ذوي الاختصاص.

٣- العمل على دراستها بدقة وبصورة موضوعية بعيدة عن أي مؤثرات عاطفية أو شخصية.

٤- الأخذ بالشواهد والسوابق: أي الاستفادة القصوى من الأحداث الجارية والتجارب السابقة التي حدثت لقضايا مشابهة حتى يمكن معرفة الطرق والأساليب التي اتبعت في تكوين الخطة الصحيحة لمواجهة تلك الحالة.

٥- إقرار الخطة بعد حصول المدير على المشورة السليمة من المحيطين به، وينبغي ألا يستقل بنفسه في وضع خطته.

إن هٰذِه العناصر الثلاثة تؤكد على أن القرار - أيا كان نوعه - في الإدارة الإسلامية هو أبعد ما يكون عن العشوائية والارتجال، وأن اهتمام القائد الإداري بعملية القرار تدفعه إلى الفحص الدقيق للحالة، والدراسة العميقة للمعلومات الخاصة، وطلب المشورة لاتخاذ موقف معين صحيح. وهٰذا ما قام به المصطفى ﷺ في جميع قراراته المدنية والعسكرية، وسار على نهجه صحابته الأبرار ﷺ مثل الخليفة أبي بكر في قرار التصدي للمرتدين ومانعي الزكاة وتأديبهم. وكذلك الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي اعتاد أن يحصي الناس عددًا، ويعلم عن أوضاعهم وأعمارهم قبل قرار توزيع العطاءات عليهم. . . وهكذا دواليك.

٢- مرحلة التنفيذ:

ويقصد بها الجانب التطبيقي للخطة، وذلك من خلال الأحكام التي توصل إليها القائد عندما كانت الخطة مشروعًا. ومرحلة التنفيذ هٰذِه لا تقف عند حد العمل بموجب الخطة إنما تتضمنها مجموعة من التعليمات والنصائح التي يوجهها القائد باستمرار إلى فريق العمل في الجهاز الإداري وذلك من أجل ضمان التنفيذ الجيد بأعلى قدر ممكن من النجاح.

وهكذا خرج خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ؓ خلف القائد العسكري أسامة بن زيد ؓ ليس لتوديعه فحسب، بل لتزويده أيضا بكل النصائح والإرشادات والتوجيهات التي حثه على التقيد بها من أجل إنجاح الخطة. . وفي هٰذا قال: ". .. لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا، ولا شيخًا كبيرًا ولا ٱمرأة، ولا تعزقوا نخلًا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة، ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.

وسوف تقدمون علىٰ أقوام يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئًا بعد شيء فاذكروا ٱسم الله عليها"[1].

وكذلك فعل مع خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان ؓ، وغيرهم من القادة العسكريين، وما ينطبق على الجانب العسكري ينطبق على الجوانب الأخرى الإدارية والمالية والاجتماعية وغيرها.

٣- مرحلة التقييم:

ويقصد بها فحص العملية الإدارية لمعرفة ما إذا تمت بطريقة صحيحة أو غير صحيحة.

وهي لا تظهر إلا بعد متابعة القائد ومعاونيه لجميع الممارسات الإدارية التي قام بها الجهاز الإداري والمعتمدة في الخطة وذلك للتأكد من أنها تسير وفقا لما رسم لها.

وفي هٰذِه المرحلة بالذات تتم مقارنة الأهداف التي تحققت بالأهداف الموضوعة سلفًا في الخطة من أجل التأكد من الوصول إلى الأغراض

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١ / ١٧٢).

المتفق عليها[١].

العوامل والاعتبارات التي يجب مراعاتها عند وضع الخطة:

هناك عدة عوامل يجب مراعاتها عند وضع الخطة ينبغي ملاحظتها، منها:

١- الوضوح.

٢- المرونة.

٣- المشاورة في وضع الخطة:

مشاورة العاملين في المنظمة شيء ضروري وأساسي لضمان درجة عالية من النجاح عند التنفيذ.

وهٰذا الأمر لا ينبغي أن تخلو منه المنظمات التطوعية، فكم من النجاح ستحققه المنظمة من وراء هٰذا الأمر، وكم من الخسارة التي تصيب الأعمال التطوعية من فقد هٰذا الأمر، ومن هنا جاء الأمر الإلهي لنبيه محمد ﷺ بمشاورة أصحابه، وألا يستقل برأيه، مع أنه المؤيد بالوحي الإلهي فقال تعالىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولقد طبق النبي ﷺ مبدأ الشورىٰ مع أصحابه ﷺ في أمور كثيرة منها:

١- قبوله لرأي الحُباب بن المنذر ﷺ حينما أشار عليه بمكان الحرب.

٢- مشاورته ﷺ أصحابه في أسرىٰ بدر.

٣- مشاورته لأصحابه ﷺ قبل غزوة أحد.

٤- قبوله لرأي سلمان الفارسي ﷺ بحفر الخندق في غزوة الأحزاب[٢].

٤- مراعاة الجانب الإنساني:

يجب على المخطط وهو يضع الخطة أن يتذكر دائمًا أنه يتعامل مع عنصر

---

(١) اُنظر: مقدمة في الإدارة الإسلامية، أحمد بن داود المزجاجي (١٦٠ وما بعدها).

(٢) اُنظر تحت هٰذا المبحث فصل عن الشورىٰ في هٰذِه الموسوعة.

بشري، ذلك أن التنفيذ يتم بواسطة أفراد لهم مجموعة من العواطف والمشاعر، والاستعدادات ولهم دور بارز في إتمام العمل.

٥- دقة المعلومات والبيانات:

إن البيانات الصحيحة والمعلومات الدقيقة هي الأساس الذي تبنىٰ عليه الخطة، وعلىٰ أساسها يتم تحديد الإمكانات المادية والبشرية اللازمة، للخطة والوقت المناسب لتنفيذها والصورة التي سيكون عليها الوضع عند التنفيذ من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كآفة.

٦- الإعلان عن الخطة:

والهدف من إعلان الخطة هو وضع العاملين أو المواطنين في الصورة الحقيقية للأسس التي قامت عليها الخطة والأهداف التي تتوخىٰ تحقيقها[١].

٧- التوكل علىٰ الله تعالى:

المخطط المسلم يعلم ويعتقد أن الله تعالىٰ هو المدبر والمصرف لهٰذا الكون، وما التخطيط الإسلامي إلا من باب الأخذ بالأسباب الشرعية، وليس من باب التدخل في علم الغيب والادعاء بالمعرفة التامة بمستقبل الفكر والأداء والإنجاز.

وأما عنصر التوكل والاعتماد علىٰ الله تعالىٰ في تلقي النتائج مع الأخذ بالأسباب الشرعية، فقد قال الرسول ﷺ في معنى التوكل لما قال له رجلٌ: يا رَسُولَ اللهِ أَعْقِلُها وأتَوَكَّلُ، أَوْ أُطْلِقُها وأتَوَكَّلُ؟ قالَ: "اعْقِلْها وَتَوَكَّلْ"[٢].

فوائد التخطيط:

١- التخطيط يساعد علىٰ تحديد الاتجاه، وذلك لأن التخطيط في الأصل

---

(١) عناصر التخطيط الاداري الفعال د/ محمد العامري.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٦٨)، وفي تخريج مشكلة الفقر (٢٢).

مبني علىٰ أهداف سبق للإنسان تحديدها.

فالعامل في المجال التطوعي لكي يؤتي العمل ثماره لابد له من تحديد أهدافه التي يصبو إلىٰ تحقيقها، وإلا سيتشتت جهده ويتبدد في كل ٱتجاه.

٢- التخطيط يساعد علىٰ تنسيق جهود العاملين وجعلها متناغمة مع بعضها البعض.

فكل العاملين في المجال التطوعي يخدم بعضهم بعضًا، ويبني بعضهم علىٰ عمل الآخرين؛ وبذلك تتحقق الأهداف المحددة التي ٱتفق عليها.

٣- التخطيط يقدم معايير واضحة ومقاييس محددة للتقدم لتحقيق الأهداف؛ ذلك أن الخطوات التي يتم تنفيذها والإجراءات التي يتم ٱتخاذها تعطيك فكرة عن مدى التقدم لتحقيق الهدف، وهٰذِه الأهداف والإجراءات متتابعة وتنجز حسب الأولوية والأهمية، ومن ثم فهي بالفعل معايير واضحة ومقاييس محددة للتقدم.

٤- التخطيط يجعل العاملين في العمل التطوعي مستعدين للخطوات القادمة، فالخطوات والإجراءات المنفذة هي جزء من المنظومة المراد تحقيق الهدف بها. ولذلك عندما تقوم بخطوة فإن هٰذِه الخطوة تقود طبيعيًّا إلىٰ خطوة أخرىٰ، يكون هٰذِه الخطوات محسوبة أصلًا، وهي أمور سبق لك التفكير فيها وتأملت نتائجها، وبطبيعة الحال ستكون مستعدًّا لعمل الخطوة وتحمل نتائجها.

وبدون التخطيط كيف يتصور المتطوع وجود خطوات؟ وإذا وجدت فلا شك أنها ستكون عشوائية وغير مدروسة.

٥- التخطيط يكشف لك عن الحقائق ويوضح لك الأمور. فوجود برنامج زمني، وأولويات مرتبة، وخطوات محددة بتواريخ معينة. يكشف لك كامل الحقائق عن أهدافك والخطوات التي حددت للوصول إليها. هل الأهداف ملائمة؟ هل الخطوات تقود إلى الأهداف؟ هل هناك صعوبة في بعض

الخطوات ويمكن ٱستبدالها بخطوات أخرىٰ؟ هل يعني ذلك تعديل في الأهداف؟ أم في الخطوات والإجراءات. . ؟ هل تحتاج وقتًا أطول لبعض الأهداف؟

فعملية التخطيط لابد أن تتسم بالمرونة حتىٰ لو أدىٰ ذلك إلىٰ تغيير في الأهداف أو جزء منها.

٦- التخطيط يقدم الحوافز ويعزز من الثقة بالنفس، فتحديد الأهداف والشعور بإنجازها واحدًا بعد الآخر يحفز على المزيد من الإنجاز والعمل والتخطيط، كما يعزز الثقة بالنفس ويغمر الفرد المتطوع بمشاعر الأنجاز والفرح والنجاح.

هٰذا وقد أشارت الدراسات النفسية إلىٰ أن شعور الإنسان بأنه يسير في ٱتجاه هدفه، أو أنه قريب منه يشحنه بروح قوية من الحماس والنشاط، ويجعله يتذوق طعم النجاح وينتقل من نجاح إلىٰ آخر[١].

٧- يساعد التخطيط علىٰ ممارسة الوظيفة الرقابية بدرجة عالية من الفاعلية[٢].

---

(١) العادات العشر للشخصية الناجحة، د. إبراهيم بن حمد القعيد (٢٠٧ : ٢١٠).

(٢) الإدارة عملية ونظام، كامل بربر (٦٠).

ثانيًا: التدريب

تعريف التدريب لغة:

التدريب في اللغة: التدريب علىٰ وزن تفعيل من درب بالأمر دربًا ودربة، وتدرب: ضرِي ودربه به وعليه وفيه: ضرَّاه. والمدرب من الرجال: المجرب.. والمدرب: الذي قد أصابته البلايا ودربته الشدائد حتىٰ قوي ومرن عليها ... وقد درب بالشيء يدرب ودرب به إذا ٱعتاده وضري به، تقول: ما زلت أعفو عن فلان حتى ٱتخذها دربة.. والدارب: الحاذق بصناعته[١].

ومن هٰذِه المعاني والمرادفات اللغوية يتبين أن التدريب يكون بمعنى التعويد والحذق والتمرين، بحيث يتأهل المتدرب ويتعرف علىٰ ما هو بصدده؛ ليكون فيما يتدرب فيه حاذقًا متقنًا متمرسًا خبيرًا، بحيث يعرف دقائق صناعته وأسرارها، ويعرف مع ذلك كيف يستفيد من ملكاته وقدراته بدقة وإحكام[٢].

التدريب ٱصطلاحًا:

يكاد يجمع المتخصصون في التدريب والموارد البشرية بأن التدريب هو:

"نشاط منظم مستمر مخطط له، يهدف لزيادة معارف الفرد وتغيير ٱتجاهاته، وتطوير مهاراته؛ بهدف الوصول إلىٰ أداء أكثر فعالية، يجعله قادرًا علىٰ مزاولة عمل ما بكفاءة وفعالية"[٣].

أو هو: "عملية إدارية تسعىٰ إلىٰ زيادة مهارات الموظف ومعلوماته كمًّا

---

(١) لسان العرب (١ / ٣٧٤). بتصرف

(٢) تدريب الدعاة على الأساليب البيانية، تأليف: د. عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب.

(٣) برنامج المدرب المعتمد (٢٧) تأليف: سامح أبو لبن، شركة كفاءة الدولية للتنمية والتدريب، ٢٠١١.

ونوعًا؛ من أجل رفع كفاءته، وزيادة إنتاجيته، وتوسيع مداركه في مجال عمله"[١].

أو يمكن تعريف التدريب بشكل مختصر بأنه " نقل معرفة ومهارات محددة وقابلة للقياس"[٢].

التدريب في الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح:

تمهيد:

إن الإسلام قد حرص علىٰ طلب العلم، واعتبره فريضة علىٰ كل مسلم ومسلمة، والعلم هو البداية الرئيسية لأي نوع من أنواع التدريب في حياة المسلم.

ويكتسب العامل في المجال التطوعي قوته وكفاءته من خلال البرامج التدريبية الضرورية المناسبة والمعدة إعدادا جيدًا.

ولهٰذا يصبح معيار الأفضلية بين العاملين واضحًا ومعلنًا؛ إذ إن المؤمن القوي خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف، واليد العليا خير من اليد السفلىٰ وفي كل خير.

هٰذا "وإن الجمع بين التعليم الديني والتعليم الدنيوي فقط هو الذي سيهيئ أرضية سليمة للأشخاص؛ لمعرفة قيم مجتمعاتهم، ورفع كفاءتهم وقدراتهم للتمكن من كسب عيشهم علىٰ نحو حلال، واكتساب القدرة على المشاركة الكاملة في تطوير العلوم والتكنولوجيا وتحقيق المقاصد. وقد اْهتمت الأدبيات الفقهية بتركيز القرآن الكريم والسنة المطهرة على العلم، وفي هٰذا يقول الإمام أبو زهرة" تدريب الشخص ليكون مصدر منفعة وليس

---

(١) مقدمة في الإدارة الإسلامية (٤١٥).

(٢) اْنظر: تأصيل نشاط التدريب من منظور إسلامي وطبيعة المعرفة في الصناعة المالية الإسلامية، تأليف: أحمد محمد محمود نصار.

مصدر ضرر لمجتمعه"[١].

يمكن إدراك مفهوم التدريب من خلال عدة مفاهيم وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والتي من خلالها أيضًا نستطيع إدراك أهمية التدريب في الإسلام وهي كما يلي:

أولًا: تأصيل التدريب من كتاب الله تعالى:

١- قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وتشير الآية الكريمة إلىٰ أهمية الإعداد السابق والذي لا يتأتىٰ إلا من خلال التدريب[٢].

لذلك نرىٰ أن بعض علماء الإدارة في العصر الحديث يعرفون التدريب بأنه "حالة من التأهب" يمارسها العاملون بالمنظمات لمواكبة التغيرات التي تحدث في بيئة العمل، والتعامل معها بأعلىٰ درجة من الإدراك والمهنية.

٢-صنيع الله تعالىٰ مع أنبيائه ورسله:

إن الله تبارك وتعالىٰ أرسل رسلًا إلىٰ أقوامهم، وأمرهم بالإنذار والتبشير، وعلم سبحانه أن هؤلاء الرسل سيواجهون شدائد ومصاعب، وسيقف الطغاة في وجوههم، وأنهم سيكونون في حاجة ماسة إلىٰ معونة من لدنه تبارك وتعالىٰ تساعدهم في مهمتهم الشاقة الجسمية.

والمتأمل لصنيع الله تعالىٰ مع أنبيائه - مما نقرأه في كتاب الله تعالىٰ أو

---

(١) انظر: الرؤية الإسلامية للتنمية في ضوء مقاصد الشريعة (٣٧) بتصرف يسير، تأليف: د. محمد عمر شابرا، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، البنك الإسلامي للتنمية، ط أولىٰ ٢٠١١.

(٢) انظر: تنمية القوى العاملة في الفكر الإداري الإسلامي والمعاصر (٥٤٢) تأليف: محمد حسين خليل، وقائع ندوة الإدارة في الإسلام رقم ٣١، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، البنك الإسلامي للتنمية، ط١، ١٩٩٥.

مما نعلمه من سنة رسوله ﷺ يعجب لهٰذا الإعداد الدقيق والتدريب العميق، ويستفيد بذلك أهمية أن يتدرب علىٰ أمور كثيرة ٱقتداء بهٰذا الصنيع الإلهي العجيب؛ إذ إن هٰذِه الأخبار التي وصلت إلينا المراد منها الٱقتداء والاتعاظ، ومحاولة الٱستفادة منها في واقعنا المعاصر، مع ما يراد من سوقها إلى الناس من التعبد بها إن كانت آيات كريمات.

هٰذا ومن طرائق التدريب التي وردت في سيرتهم ما يلي:

١- جعلهم رعاة للغنم:

عن أبي هريرة ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: **"ما بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إلاّ رَعَى الغَنَمَ"**، فقال أَصْحابُهُ: وأَنْتَ؟ فَقالَ: **"نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعاها عَلَىٰ قَرارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ"**[1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "قال العلماء: الحكمة في الهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها علىٰ ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة؛ لأنهم إذا صبروا علىٰ رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعىٰ، ونقلها من مسرح إلىٰ مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا ٱختلاف طباعها، وشدة تفرقها مع ضعفها، واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا ٱختلاف طباعها، وتفاوت عقولها؛ فجبروا كسرها، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها؛ فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة؛ لما يحصل لهم من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٦٢). (القيراط) معيار في الوزن وفي المقياس، ٱختلفت مقاديره باختلاف الأزمنة وهو اليوم في الوزن أربع قمحات، وفي وزن الذهب خاصة ثلاث قمحات ومن الجرامات = ٠,٢١٢٥ من الجرام، وفي القياس جزء من أربعة وعشرين، وهو من الفدان يساوي خمسة وسبعين ومائة متر.
انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٧٢٧)، بحث في تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلى المقادير المعاصرة (٢٨) تأليف: عبد الله بن سليمان المنيع.

التدريج على ذلك برعي الغنم[(١)].

٢- بداية النبوة بالرؤيا الصادقة في النوم:

ثبت في حديث عائشة وهي تحكي عن بدء الوحي إلى النبي ﷺ أنها قالت: أَوَّلُ ما بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيا الصّالِحَةُ في النَّوْمِ، فَكانَ لاَ يَرىٰ رُؤْيا إِلّا جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ[(٢)].

قال القاضي عياض رحمه الله: "في هٰذا حكمةٌ من الله تعالىٰ، وتدريجٌ لنبيه ﷺ لما أراده الله - جل ٱسمه - به؛ لئلا يفجأه الملك، ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها قوى البشرية، فبدأ أمره بأوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة، من صدق الرؤيا.

وما جاء في الحديث الآخر من رؤية الضوء، وسماع الصوت، وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوة، حتى ٱستشعر عظيم ما يراد به، واستعد لما ينتظره، فلم يأته الملك إلا لأمر عنده مقدماته وبشاراته"[(٣)].

٣- تحبيب الخلوة للنبي ﷺ:

قالت عائشة رضي الله عنها في الحديث السابق: "ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكانَ يَخْلُو بِغارِ حِراءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيالِيٰ ذَواتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلىٰ أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلىٰ خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِها، حَتَّىٰ جاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِيٰ غارِ حِراءٍ".

إن الأمور العظيمة الضخمة تحتاج إلىٰ تهيئة وإعداد كبيرين قبل الإقدام عليها، ومن ذلك الإعداد للعزلة الوقتية التي يحتاجها كل من يريد أن يجمع شتات أمره، ويحزم أمره، ويصل علىٰ أمر فاصل ورأي ناضج فيما

---

(١) فتح الباري (٤/ ٤٤١) وانظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦ / ٣٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١ / ٤٧٩).

يريد أن يقدم عليه.

والله تبارك وتعالىٰ علم أن نبيه محمدًا ﷺ مقدم علىٰ أمر عظيم جليل خطير، فحبب إليه العزلة ورغبه فيها، فكان يتعبد بغار حراء ليالي ذوات عدد، منفردًا وحيدًا قبل أن يفجاه جبريل عليه السلام بالرسالة العظيمة[١].

قال الكرماني رحمه الله: "وهو شأن الصالحين وعباد الله العارفين. وقال الخطابي: حببت العزلة إليه؛ لأن فيها فراغ القلب، وهي معينة على التعبد وبها ينقطع عن مألوفات البشر، ويخشع قلبه وهي من جمله المقدمات التي أرهصت لنبوته وجعلت مبادئ لظهورها"[٢].

وقال ابن الملقن نقلًا عن الخطابي أيضًا: "فحبب إليه الخلوة لينقطع عن مخالطة البشر، فينسى المألوفات من عادته، فيجد الوحي منه مرادا سهلًا لا حزنًا وعرًا، ولمثل هٰذا المعنىٰ كانت مطالبة الملك له بالقراءة وضغطه"[٣].

ومن أمثلة الإعداد والتهيئة للأنبياء أيضًا: إعداد الله تعالىٰ ذكره لموسىٰ عليه السلام. قال تعالىٰ: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢].

قال السعدي -رحمه الله-: "أراد تبارك وتعالىٰ أن يتم نعمته عليهم، بإنزال الكتاب الذي فيه الأحكام الشرعية، والعقائد المرضية، فواعد موسىٰ ثلاثين ليلة، وأتمها بعشر، فصارت أربعين ليلة، ليستعد موسىٰ، ويتهيأ لوعد الله، ويكون لنزولها موقع كبير لديهم، وتشوق إلىٰ إنزالها"[٤].

٤- الصلاة الطويلة الشاقة نحو قيام الليل:

---

(١) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي (٦٨) تأليف: د. محمد بن موسى الشريف.
(٢) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١/ ٣٢).
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢/ ٢٤٩).
(٤) تفسير السعدي (٣٠٢).

إن الله تبارك وتعالىٰ أعد نبيه ﷺ للمهمات الثقيلة التي سيقبل عليها بقيام الليل والتطويل فيه، وبالتدريب على المشاق التي تخالط هٰذا القيام حتىٰ يستطيع أن يواجه أعباء الدعوة بعد ذلك وهو قد ٱعتاد المشاق وتدرب علىٰ تذليل الصعاب.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ١- ٦].

٥- التدريب علىٰ مواجهة الطغاة:

إن الله تعالىٰ كلف رسله عليهم الصلاة والسلام الإبلاغ والإنذار، وساعدهم علىٰ هٰذا بمعجزات وأسعفهم بآيات بينات، ولقد أعد الله تعالىٰ بعض أنبيائه فتربوا على التعامل مع هٰذِه المعجزات.

وليس أعظم ولا أدل علىٰ هٰذا من قصة موسىٰ عليه الصلاة والسلام، فالله تبارك تعالىٰ أرسله إلىٰ أمتي القبط وبني إسرائيل، وهي مهمة صعبة ولا شك، ولٰكن الله تعالىٰ أعانه فدربه قبل الرسالة وأثناءها، إذ مرت عليه أحداث جسام قبل الرسالة صقلته وهيأته، ولعل أبرز ما هيأه الله تعالىٰ به السنوات التي قضاها عند الرجل الصالح في مدين.

ثم إن الله تعالى ٱصطفاه في مشهد مهيب بطريقة لم تتكرر في عظمتها ومهابتها وقوتها لنبي آخر، وكان في هٰذا حكما كثيرة، منها - والله أعلم - تدريبه ليواجه هيبة فرعون وصورته التي تصور عليها من العظمة والطغيان.

ثم إن الله تعالىٰ دربه علىٰ مواجهة فرعون تدريبًا كافيًا شاملًا للمهمة التي أرسله من أجلها جل جلاله، والمتأمل لقصته في كتاب الله تعالىٰ يعلم هٰذا، فقد قال جل جلاله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝٢١ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ

جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: ١٧- ٢١]

والله تبارك وتعالىٰ كان قادرًا علىٰ تثبيت موسىٰ لأول وهلة، لٰكن من الحكم في هٰذا الصنيع هو أن ندرك أن لله سننًا في كونه يجب ٱحترامها والتدريب على التعامل معها.

ثم إن الله تعالىٰ جرأ نبيه موسىٰ عليه الصلاة والسلام علىٰ مواجهة الطاغية وماذا يقول له وكيف يرد، فقال:

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٧ - ١٩].

وطمأنه تعالىٰ بقوله: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦].

و ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥].

فهل بعد هٰذا التدريب تدريب؟!

٦- تدريب النبي محمد ﷺ علىٰ إجابة الأسئلة الموجهة إليه:

ومن المواقف التدريبية في كتاب الله تعالىٰ - أيضا - ما علمه رسوله محمدا ﷺ من كيفية الإجابة على الأسئلة المستقبلية، فمن ذلك:

١ -﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة: ١٤٢] .

٢- ﴿سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ إِذا انْطَلَقْتُمْ إلى مَغانِمَ لِتاخُذُوها ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ الله قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا كَذَلِكُمْ قال الله مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنا بَلْ كانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥].

وغيرها الكثير.

ثانيًا: تأصيل التدريب من السنة المطهرة:

كان النبي ﷺ حريصًا علىٰ تبليغ الدين علىٰ أتم وجه، وقد صنع بأبي هو وأمي ﷺ، وفي سبيل ذلك كان حريصًا علىٰ عدة أمور، منها:

أن يدرب أصحابه رضي الله تعالىٰ عنهم علىٰ أعمال متنوعة ليحسنوا قيادة الأمة من بعده ﷺ.

وقبل ذلك كان ﷺ يحثهم على الأخذ بأسباب القوة، والتي لا تكتسب إلا بالتدريب، وفي هٰذا يقول ﷺ: "**المُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وأَحَبُّ إلىٰ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**"(١).

وقال عليه الصلاة والسلام "**أَلا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ**"(٢).

وقالها عليه الصلاة والسلام بعد إدراكه لأهمية الرماية ودورها في إنشاء القوة الذاتية لدى الفرد المسلم.

هٰذا وإن هناك عددًا وافرًا من المواقف التدريبية في سنة المصطفىٰ ﷺ يظهر معها بوضوح مدى العناية الفائقة التي أولاها النبي ﷺ لهٰذِه المسألة المهمة، ويظهر معها - أيضًا - عظمة هٰذا الدين وصلاحيته لكل زمان ومكان؛ فمن تلك المواقف:

١- تدريب الصحابة على الدعوة وطرائقها:

لما أرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن علَّمه ماذا يصنع، ودربه على الكلام مع القوم الكافرين.

عَنِ ابن عَبّاسٍ رضي الله عنهما، قالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُعاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إلى اليَمَنِ: "**إِنَّكَ سَتأتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتابٍ، فإذا جِئْتَهُمْ، فادْعُهُمْ إلىٰ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٩١٧).

إلٰه إلاّ اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فإنْ هُمْ أطاعُوا لَكَ بذَلِكَ، فأخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَواتٍ في كُلِّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ، فإنْ هُمْ أطاعُوا لَكَ بذَلِكَ، فأخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرائِهِمْ، فإنْ هُمْ أَطاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فإيّاكَ وَكَرائِمَ أَمْوالِهِمْ واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فإنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجابٌ"[(١)].

ففي قوله ﷺ: "**إِنَّكَ سَتأتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتابٍ**" وصف لمن سيذهب إليهم معاذٌ لدعوتهم؛ حتىٰ يكون علىٰ معرفة بمن سيقدم عليهم، ولأن أهل الكتاب يفترض أن يكونوا أكثر قبولًا للدعوة من غيرهم من الوثنيين، وأيضًا قد يجادله أحد منهم فيكون على ٱستعداد لجدالهم بالتي هي أحسن.

هٰذا، وقد دربه - أيضا - على التدرج في الدعوة، إذ لا فائدة من دعوة قوم إلىٰ فروع وهم عن الأصول غافلون، ولا فائدة من دعوتهم إلىٰ أصل كان غيره أولىٰ منه وأجدر بالدعوة إليه[(٢)].

٢- تدريب الصحابة على القضاء والفتوىٰ:

كان النبي ﷺ يعهد إلىٰ بعض الصحابة بالقضاء والفتوىٰ، علىٰ أنا نعلم أن فتاوى الصحابة لم يكن القصد منها إلا التمرين على الٱجتهاد، وذلك لأنه ليس لأحد أن يفتي أو يقضي بحضرة رسول الله ﷺ، ولٰكن الغرض هو تدريب الصحابة ﷺ علىٰ شؤون القضاء والفتيا بحضرته ﷺ ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى اليَمَنِ قاضِيًا"، فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، تُرْسِلُنِي وأنا حَدِيثُ السِّنِّ وَلا عِلْمَ لِي بِالقَضاءِ؟، فَقالَ: "**إِنَّ اللهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ وَيُثَبِّتُ لِسانَكَ**".

وفي رواية: « فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ صَدْرِي وَقالَ: "**اللَّهُمَّ ثَبِّتْ لِسانَهُ، واهْدِ**

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦).

(٢) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي (٨٤).

قَلْبَهُ، يا عَلِيُّ، إذا جَلَسَ إلَيْكَ الخَصْمانِ، فلا تَقْضِيَنَّ بَيْنَهُما حَتَّىٰ تَسْمَعَ مِنَ الآخَرِ كَما سَمِعْتَ مِنَ الأوَّلِ، فإنَّكَ إذا فَعَلْتَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ لَكَ القَضاءُ"، قالَ: فَما ٱخْتَلَفَ عَلَيَّ قَضاءٌ بَعْدُ، أَوْ ما أَشْكَلَ عَلَيَّ قَضاءٌ بَعْدُ »[1].

ولا ينسىٰ في هٰذا المقام أمره ﷺ سعد بن معاذ أن يحكم في يهود بني قريظة بحضرته ﷺ، فلما حكم فيهم حكمه الشهير المعروف، صوب حكمه، وهٰذا نوع من التدريب والتعليم.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَىٰ حُكْم سَعْدٍ هُوَ ابن مُعَاذٍ، بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ، فَجَاءَ عَلَىٰ حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **قُومُوا إِلَىٰ سَيِّدِكُمْ** » فَجَاءَ، فَجَلَسَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هٰؤلاء نَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ المُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ، قَالَ: « **لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ المَلِكِ** »[2].

٣- تدريب الخيل والخيالة على الجهاد في سبيل الله:

فقد كان النبي ﷺ يعقد المسابقات بين الخيل والفرسان ليرىٰ أيهم أسبق، وفي هٰذا دليلٌ علىٰ مدى ٱهتمامه ﷺ بالتدريب.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ﷺ، قال: سابَقَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الخَيْلِ، فأرْسِلَتِ التِي ضُمِّرَتْ مِنْها، وأمَدُها إلى الحَفْياءِ إلىٰ ثَنِيَّةِ الوَداعِ، والَّتِي لَمْ تُضَمَّرْ أَمَدُها ثَنِيَّةُ الوَداعِ إلىٰ مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ وأنَّ عَبْدَ اللهِ كانَ فِيمَنْ سابَقَ[3].

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: وَفِي الحَدِيثِ مَشْرُوعِيَّةُ المُسابَقَةِ، وأنَّهُ لَيْسَ مِنَ العَبَثِ؛ بَلْ مِنَ الرِّياضَةِ المَحْمُودَةِ المُوَصِّلَةِ إلىٰ تَحْصِيلِ المَقاصِدِ

---

(١) أخرجه أحمد (٨٨٢)، وأبو داود (٣٥٨٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٣٦).

فِي الغَزْوِ، والِانْتِفاعِ بِها عِنْدَ الحاجَةِ، وَهِيَ دائِرَةٌ بَيْنَ الاَسْتِحْبابِ والإِباحَةِ بِحَسَبِ الباعِثِ عَلَىٰ ذَلِكَ. قال القرطبي: لا خلاف في جواز المسابقة على الخيل وغيرها من الدواب وعلى الأقدام وكذا الترامي بالسهام واستعمال الأسلحة لما في ذلك من التدريب على الحرب"[١].

٤- تدريب الصحابة علىٰ أمور دنياهم:

فقد كان ﷺ يدرب أصحابه علىٰ شؤون دنياهم، ويعلمهم العفة والاستغناء عن الناس.

عن الزبير بن العوام رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلًا، فَيَأْخُذَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ، فَيَبِيعَ، فَيَكُفَّ اللهُ بِهِ وَجْهَهُ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أُعْطِيَ أَمْ مُنِعَ**"[٢]

ثالثًا: تأصيل التدريب من عمل السلف الصالح رضي الله عنهم ومن بعدهم:

قد كان للصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم ومن بعدهم من صدر هٰذِه الأمة أعمالٌ في التدريب علىٰ شؤون العمل الإسلامي، وتبعهم علىٰ ذلك جماعات من الخلف كانت لهم أيادٍ بيضاء في هٰذا الباب، فمن تلك النماذج:

١ - تدريب عمر أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما وشريحا على القضاء:

عَنْ شُرَيْحٍ القاضِي قالَ: قال لِي عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ: أَنْ ٱقْضِ بِما ٱسْتَبانَ لَك مِنْ قَضاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فإنْ لَمْ تَعْلَمْ كُلَّ أَقضِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فاقْضِ بِما ٱسْتَبانَ لَك مِنْ أَئِمَّةِ المُهْتَدِينَ، فإنْ لَمْ تَعْلَمْ كُلَّ ما قَضَتْ بِهِ أَئِمَّةُ المُهْتَدِينَ فاجْتَهِدْ رأيَك، واسْتَشِرْ أَهْلَ العِلْمِ والصَّلاحِ[٣].

وفي تدريبه لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه بكتابته الوثيقة العمرية:

كتب عمر إلىٰ أبي موسىٰ" أَمّا بَعْدُ، فإنَّ القَضاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ، وَسُنَّةٌ

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٧٢). (٢) صحيح البخاري (٢٣٧٣)

(٣) ٱنظر: إعلام الموقعين لابن القيم (١ / ٦٦، ٦٧).

مُتَّبَعَةٌ، فافْهَمْ إذا أُدْلِيَ إِلَيْك؛ فإِنَّهُ لا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لا نَفاذَ لَهُ، آسِ النّاسَ في مَجْلِسِك وَفِي وَجْهِك وَقَضائِك، حَتَّىٰ لا يَطْمَعَ شَرِيفٌ في حَيْفِك، وَلا يَيْأَس ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِك، البَيِّنَةُ عَلَى المُدَّعِي، واليَمِينُ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ، والصُّلْحُ جائِزٌ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، إِلّا صُلْحًا أَحَلَّ حَرامًا أَوْ حَرَّمَ حَلالًا، وَمَنْ ٱدَّعَىٰ حَقًّا غائِبًا أَوْ بَيِّنَةً فاضْرِبْ لَهُ أَمَدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ، فإِنْ بَيَّنَهُ أَعْطَيْتَهُ بِحَقِّهِ، وإِنْ أَعْجَزَهُ ذَلِكَ ٱسْتَحْلَلْت عَلَيْهِ القَضِيَّةَ، فإِنَّ ذَلِكَ هُوَ أَبْلَغُ في العُذْرِ وأَجْلَىٰ لِلْعَماءِ، وَلا يَمْنَعَنَّكَ قَضاءٌ قَضَيْت فِيهِ اليَوْمَ فَراجَعْتَ فِيهِ رأيَك فَهُدِيت فِيهِ لِرُشْدِك أَنْ تُراجِعَ فِيهِ الحَقَّ، فإِنَّ الحَقَّ قَدِيمٌ لا يُبْطِلُهُ شَيْءٌ، وَمُراجَعَةُ الحَقِّ خَيْرٌ مِنْ التَّمادِي في الباطِلِ، والمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، إِلّا مُجَرَّبًا عَلَيْهِ شَهادَةُ زُورٍ، أَوْ مَجْلُودًا في حَدٍّ، أَوْ ظَنِينًا في وَلاءٍ أَوْ قَرابَةٍ؛ فإِنَّ اللهَ تَعالَىٰ تَوَلَّىٰ مِنْ العِبادِ السَّرائِرَ، وَسَتَرَ عَلَيْهِمْ الحُدُودَ إِلّا بِالبَيِّناتِ والأَيْمانِ، ثُمَّ الفَهْمَ الفَهْمَ فِيما أُدْلِيَ إِلَيْك مِمّا وَرَدَ عَلَيْك مِمّا لَيْسَ في قُرْآنٍ وَلا سُنَّةٍ، ثُمَّ قايِسْ الأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ واعرف الأَمْثالَ، ثُمَّ ٱعْمِدْ فِيما تَرىٰ إِلَىٰ أَحَبِّها إِلَىٰ اللهِ وأَشْبَهِها بِالحَقِّ، وإِيّاكَ والغَضَبَ والقَلَقَ والضَّجرَ والتَّأَذِّي بِالنّاسِ والتَّنَكُّرَ عِنْدَ الخُصُومَةِ..." [1].

٢- تدريب عمر رضي الله عنه الناس على القوة والتحمل:

قد كانت حال الفاروق معروفة في هٰذا الباب، لكنه لم يكتف بحاله بل أراد حمل الناس علىٰ أن يكونوا أقوياء فيهم خشونة الرجال وقوتهم، فها هو يقول لأهل الشام: "ائتزروا، وارتدوا [2]، وانتعلوا، وألقوا الخفاف، وارموا

---

(١) إعلام الموقعين (١ / ٦٧، ٦٨). وقال: وهٰذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول، وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة، والحاكم والمفتي أحوج شيء إليه وإلىٰ تأمله والتفقه فيه. وانظرهناك الكلام علىٰ دراسة الأثر وشرحه.

(٢) أي: البسوا الإزار والرداء.

الأغراض[١]، وألقوا الركب، وانزوا نزوًا على الخيل[٢]، وعليكم بالمعدّيّة[٣]، أو قال: العربية، ودعوا التنعُّم وزيَّ العجم....»[٤].

٣- التدريب علىٰ قراءة القرآن العظيم:

كان جبريل ينزل بالقرآن العظيم على النبي ﷺ فيتعلم منه كيفية نطقه وتجويده، ثم إن النبي ﷺ علم الصحابة كيفية نطق القرآن العظيم وتجويده، وجهد الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم في تعليم التابعين وتدريبهم علىٰ كيفية نطق القرآن العظيم وتجويده، وكان عدد منهم رضي الله تعالىٰ عنهم قد تفرغوا لهٰذِه المهمة الجليلة، منهم: الفاروق عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وغيرهم رضي الله تعالىٰ عنهم، وأخذ عنهم التابعون وأقرأوا تابعيهم. . وهلم جرا.

وهٰذا أبو الدرداء رضي الله عنه، كانت له طريقة فريدة يعلم بها الناس القرآن، وذلك بجامع دمشق، فكان إذا صلى الفجر ٱجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، وعلىٰ كل عشرة عريف، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع علىٰ عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلىٰ أبي الدرداء فسأله عن ذلك.

وكان عدة من يقرأ في المسجد ألفا وستمائة ونيفًا، فإذا أحكم واحد منهم القراءة ترك عريفه وقرأ علىٰ أبي الدرداء[٥].

فهٰذِه الطريقة الفريدة في التدريب علىٰ قراءة القرآن العظيم مما يحسن ذكره هاهنا في التأصيل لأهمية التدريب وبيان أخذ أسلافنا به علىٰ وجه

---

(١) أي: تدربوا علىٰ إصابة الهدف.

(٢) أي: لا تستعينوا بشيء علىٰ ركوب الخيل بل ٱقفزوا عليها قفزاً.

(٣) نسبة إلىٰ معدِّ بن عدنان وكان خشناً.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة (١ / ٢١٦).

(٥) ٱنظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١ / ٦٠٦) مكتبة ابن تيمية.

حسن[١].

٤- التدريب علىٰ قضايا علمية منوعة:

ثم إنه كان في سلف هٰذِه الأمة وخلفها رجال عظماء، وعلماء كبراء حرصوا علىٰ أن يكون لهم تلاميذ يقتفون أثرهم من بعدهم، وينسجون علىٰ منوالهم، فعلموهم ودربوهم، وهٰذا مأثور معروف.

فقد كان لأبي حنيفة رحمه الله تعالىٰ أصحاب يتعلمون منه ويتدربون، وكذلك كان للإمام مالك والشافعي وأحمد، وكثير غيرهم من أئمة الهدىٰ ورؤوس الرشاد.

وعلىٰ هٰذا درج السلف والخلف، وظهر ما يسمىٰ بالمُعيد، وهو الذي تدرب علىٰ إعادة الدرس بعد الشيخ للطلبة، وبرزت المدارس الفقهية الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، وهي - على الحقيقة - حلقات علم وتدريب علىٰ أصول المذهب وكيفية الٱستنباط بموجب تلك الأصول، وكان المشايخ يدربون طلابهم على الٱستنباط والتصنيف، وكانوا يشجعوهم علىٰ مناقشة الآراء الفقهية بجرأة وقوة حتىٰ تتكون عند أولئك الطلاب الملكات الفقيهة المهمة.

وهناك بعض العلوم لا تفهم إلا بالتدريب والمشافهة كالتجويد والقراءات، وأصول الفقه والمنطق والفلسفة، وقد كان التدريب علامة بارزة في هٰذِه الحقول العلمية، وقد ذكر بعض الأئمة في بعض كتبهم جوانب من التطبيقات والتدريبات علىٰ بعض مطلوبات الشارع الحكيم في جانب الزهد والرقائق، منها - علىٰ سبيل المثال - التدريب على التأثر بقراءة القرآن الكريم، فقد قال الإمام النووي مدربا على البكاء والتأثر عند

---

(١) ٱنظر: أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة، تأليف: د. محمد نعيم ياسين. نشر دار الأرقم. الكويت. الطبعة الأولىٰ سنة ١٤٠٤.

قراءة القرآن: "وطريقه في تحصيل البكاء أن يتامل ما يقرؤه من التهديد، والوعيد الشديد، والمواثيق والعهود، ثم يفكر في تقصيره فيها، فإن لم يحضره عند ذلك حزن وبكاء؛ فليبك علىٰ فقد ذلك فإنه من المصائب"[١].

أهداف التدريب:

إنه لمن المعروف لدينا اليوم أن العالم المتقدم ماديًّا يسعىٰ بقوة للوصول إلى المثال المطلوب في كل جوانب الحضارة المادية، ويبذل بسخاء في سبيل هٰذا الأمر، ومن أهم الوسائل التي تصل بالمجتمع إلىٰ إتقان الحضارة واستيعابها لهو التدريب الذي يشكل مدخلًا رئيسًا إلىٰ تحسين إمكاناتنا الحالية، وتحسين أدائنا، وهو الوسيلة الفعالة في بلوغ الأهداف التي نرسمها.

إن من المجمع عليه الآن أن ما يتعلمه المرء وما يكتسبه من مهارات أهم بكثير مما ورثه عن آبائه من ذكاء وألمعية، فالتقدم العلمي الهائل وما أفرزه من وضعيات واعتبارات مختلفة جعل كل ما هو فطري ضئيلًا وقليل الجدوىٰ في التعامل مع الأشياء والنظم المعقدة.

إن الحاجة إلى التدريب في العمل التطوعي تنبع من اعتبارات عديدة، ونذكر منها:

١- اكتساب معلومات ومهارات جديدة:

فمن أولىٰ مهمات التدريب تعليم المتطوع وتبصيره بما يحتاجه من مهارات ومعرفة يحتاجها في عمله، وأن هٰذا يجعله متميزًا علىٰ من دونه في هٰذه المعرفة، والله تعالىٰ قد قال في كتابه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

---

(١) المجموع شرح المهذب (٢/ ١٦٥). وانظر: أسس في الدعوة ووسائل نشرها، د.محمد عبد القادر أبو فارس. نشر دار الفرقان. عمَّان. الطبعة الأولىٰ سنة ١٤١٢.

وإن العامل في المجال التطوعي يحتاج ولابد إلىٰ تطوير معلوماته، وعدم ركونه علىٰ ما عرفه سابقًا؛ فإن كل شيء يتجدد من حوله بسرعة مذهلة، وإن المعلومات التي كانت معه قبل الآنخراط في العمل تتآكل مع مرور الأيام، فيضيق نطاق المعرفة لديه، ويحتفظ بالحد الأدنى الذي يساعده علىٰ أداء مهمته علىٰ نحو قاصر أو شبه مقبول، إن طول الخدمة يؤدي إلى التكرار والرتابة مما يقتل روح التجديد والاستمتاع بالعمل.

هٰذا وإن بإمكان التدريب أن يشعر المتطوع باكتساب معلومات ومهارات وطرق جديدة لا عهد له بها، كما أن بإمكانه أن ينعش معلومات ومعارف ذبلت.

٢- التدريب طريق الآرتقاء:

إن من أهمية التدريب تمكين المتطوع من أداء عمله أداء متقنًا كما حث علىٰ ذلك النبي ﷺ بقوله: "**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ**"(١).

وإن الذين لا يشعرون بالحاجة إلى التدريب هم أولئك الذين يعيشون علىٰ هامش الحياة، وكلما آقتربت الأمة من بؤرة الحياة المعاصرة شعرت أن حاجتها إلى التدريب والتطوير أشد، وإن أشد الناس حاجة إلى الرقي والتقدم هم العاملون في المجال التطوعي، ليواكبوا التقدم السريع لما يحدث في العالم من حولهم، وليكونوا أيضا محترفين لعملهم لا مجرد هواة يسيرون في عملهم كيفما آتفق.

ولذا فمن غير المستغرب أن تكون أمريكا علىٰ رأس قائمة الدول المهتمة بالتدريب حيث تنفق عليه بسخاء بالغ، وتذكر بعض الإحصاءات أن أمريكا حكومة وشعبًا تنفق على التدريب سنويا ١٢٠ مليار دولارًا.

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩٢٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١١١٣).

ومن اللافت للانتباه أنه كان في أمريكا عام ١٩٥٨م (٣٢) محطة تلفازية تُعْنَىٰ بالتعليم والتدريب، ومعظم دولنا الإسلامية خالية من أية محطة تعليمية أو تدريبية إلى اليوم(١).

٣ - **تشجيع العامل المتطوع** علىٰ أن يقوم بعمله خير قيام أملا في تحسين سجل حسناته عند خالقه ﷻ القائل: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

٤- **القضاء على المشاكل الإدارية أو الفنية** التي تعترض العمل التطوعي، أو التخفيف منها من أجل تيسيره وتسهيله؛ ٱستجابة لدعوة الرسول ﷺ: "**يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا**"(٢).

٥- **إيجاد تعاون جماعي فعال بين العاملين المتطوعين**، وتنشيطه نتيجة لتوافر المهارات والمعلومات بينهم بشكل يكمل بعضهم بعضًا، ولاريب أن هٰذا التعاون مطلوب شرعًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢](٣).

٦- ومن جوانب أهمية التدريب القصوىٰ أنه يكسب الشخص المتدرب ثقة في نفسه، وقوة في ٱنطلاقته لم يكن يجدهما في نفسه من قبل؛ إذ المرء مجبول على الخوف مما يوكل إليه ويناط به، ويحسب لذلك حسابات متعددة، فإن درب علىٰ ما هو مقدم عليه فإنه يزول بذلك ما يجده في نفسه من تخوف وتحسس وجهود وقصور، ويقبل راضيًا سعيدًا علىٰ ما كلف به من أعمال مهمًّا عظمت أهميتها وصعب القيام بها(٤).

---

(١) حول التربية والتعليم، د. عبد الكريم بكار (٣٩٨ - ٤٠٠) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩) ومسلم (١٧٣٤) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٣) ٱنظر: مقدمة في الإدارة الإسلامية (٤١٦ وما بعدها).

(٤) كيف نرتقي بأنفسنا، د. عبد الكريم بكار (٥٣، ٥٤).

وسائل التدريب:

إن هناك وسائل عديدة للتدريب كالمناقشة الجماعية والندوات والاجتماعات وحضور المؤتمرات والدورات العلمية والبرامج التي تقوم بها بعض المؤسسات وغير ذلك.

وإن اهتمام الإسلام بتنمية قدرات الموظف على القيام بمهام عمله على الوجه المطلوب تجسد منذ فجر الإسلام بعناية النبي ﷺ بمن يستعملهم عمالًا وقضاة وأمراء لخدمة المسلمين، فكان النبي ﷺ يقوم بتدريبهم من خلال إسداء النصح والإرشاد والتوجيه السديد لهم أفرادًا وجماعات.

ولقد اتبع الرسول ﷺ أساليب راقية جدا للإيضاح، تعتبر من وسائل التعليم التي لم يعرفها الفكر الحديث إلا في القرن العشرين، منها على سبيل المثال:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قالَ: "**خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا في الوَسَطِ خارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغارًا إلىٰ هٰذا الذِي في الوَسَطِ مِنْ جانِبِهِ الذِي في الوَسَطِ، وَقالَ: "هٰذا الإِنْسانُ، وهٰذا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحاطَ بِهِ - وهٰذا الذِي هُوَ خارِجٌ أَمَلُهُ، وهٰذِه الخُطَطُ الصِّغارُ الأَعْراضُ، فانْ أَخْطاهُ هٰذا نَهَشَهُ هٰذا، وإِنْ أَخْطاهُ هٰذا نَهَشَهُ هٰذا**"[(١)].

وشرح هٰذا النموذج النبوي وفقًا لما جاء في الحديث هو كالآتي:

١- الخط المستقيم الذي وسط المربع يمثل الإنسان.

٢- والمربع بأضلاعه يمثل الأجل المحيط بالإنسان.

٣- والخط المستقيم الخارج من يسار المربع هو الأمل قريبًا كان أو بعيدًا.

٤- الخطوط التي تخترق مربع الأجل لتصل الإنسان من أي جانب تمثل الأعراض كالإخفاق والمرض وآخرها الموت.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٧).

إن للتدريب وسائل متعددة تعدد الأفكار والمناهج والقدرات، وهو أوسع من أن يحاط به في صفحات، ولكن ما أورده هاهنا له تعلق واضح بالتدريب على العمل الإسلامي خاصة ومنها العمل التطوعي:

أولاً: إنشاء المؤسسات الخاصة بالتدريب الدعوي العلمي:

ويمكن إنشاؤها في الجامعات، ومراكز الدعوة، ومراكز هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووزارة الشؤون الإسلامية، والمراكز التعاونية، ومراكز دعوة الجاليات ...إلخ.

حيث يتولى التدريب في تلك المؤسسات علماء كبار جمعوا إلىٰ جانب العلم الحنكة والتجربة الطويلة، فيقدمون عصارة جهدهم وخبرتهم الطويلة إلى الأجيال الجديدة.

وينبغي إلزام من يريد التصدر للدعوة - كل في مجاله - بحضور دورات في تلك المؤسسات حتىٰ تصقل مواهبه، وينضبط عنده التلقي المقرون بالتدريب والتجربة، فيخرج إلى المجتمع وقد نضج، وارتقى العلم النظري الذي حازه إلىٰ سدة العمل التطبيقي الذي هو - في الحقيقة - ثمرة العلم.

إننا في حاجة ماسة فعلا لإنشاء مثل هٰذِه المؤسسات التدريبية، وما أقلها في العالم العربي مقارنة بما هو موجود عند الغرب.

ثانيًا: تضمين مناهج الجامعات والمعاهد والمدارس العليا قضايا التدريب على العمل الإسلامي:

إن تضمين التدريب في المناهج وجعله جزءا أساسيًّا من المواد التي تلقىٰ على الطالب لهو الضامن- بإذن الله تعالىٰ - أن يخرج جيل قادر علىٰ حمل أعباء الدعوة الفعلية.

والناظر إلىٰ خريجي الجامعات والمعاهد يجد أن قليلًا منهم يستطيع أن يتحدث ويخاطب الجمهور، أو إذا خاطبهم أن يكون مقنعًا سلس الأسلوب جزل العبارة. ويجب ألا يستعجل في إخراج الطلاب إلى المجتمع وهم

ليسوا بعد مؤهلين للدعوة والتأثير[1].

ثالثًا: الاستفادة من وسائل الإعلام الحديثة:

وذلك نحو الشبكات الداخلية الحاسوبية، والشبكات الحاسوبية العامة (الإنترنت)، والقنوات الفضائية الإسلامية والثقافية الجادة، وقنوات الإذاعات المسموعة، فلو بثت كل تلك الوسائل المرئية والمسموعة موادا مبرمجة مرتبة عن كيفيات مختلفة متعددة للعمل الإسلامي بطرائق علمية مدروسة من كبار العلماء والمفكرين، لعاد ذلك بالخير العظيم على العمل الإسلامي في جميع بقاع الأرض.

إن تلك الوسائل تتميز بالانتشار الواسع مما يجعلها وسيلة جادة علمية لنقل الخبرة والتجربة إلىٰ قطاع واسع من الجماهير المتعطشة للعمل الإسلامي العام الجاد.

إن في أنحاء العالم كله جماهير تتحرق لتعرف كيف تدعو إلىٰ الله تعالىٰ، وكيف تنشيء مؤسسات إعلامية إسلامية، وكيف تنشيء أو تساهم في إنشاء أعمال اقتصادية قائمة علىٰ مبادئ الإسلام، وهي متعطشة للمعرفة والثقافة الإسلامية الصحيحة النافعة، وهلم جرا، فكم إذا يكون من المفيد أن نقدم لها البرامج التدريبية النافعة التي تساهم في تعميق الحس الإسلامي لديها، ومن ثم تحويله إلىٰ قوة متمثلة في مؤسسات متعددة الأغراض تساهم في إنشاء المجتمع الإسلامي الصحيح.

---

(١) جريدة اللواء الإسلامي ٣/ ٨/ ١٤٢٠. نقلا عن التدريب وأهميته في العمل الإسلامي د. محمد بن موسى الشريف. (٤٤)

عرض لنموذج عملي للتدريب على عمل

من الأعمال التطوعية

تمهيد:

إن التدريب يشمل أمورا كثيرة أعظم من أن تحصر في كتاب أو يتحدث عنها في عجالة كهذه؛ إذ قلما أمر يهم المسلم في شؤون الدعوة إلا وهو محتاج فيه إلىٰ تدريب، لكننا سنذكر هنا نموذجا للتدريب علىٰ هٰذا العمل التطوعي، ويقاس عليه غيره إن شاء الله تعالى.

التدريب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إسلامي متفق عليه، لٰكن كيف يؤدي هٰذا الواجب؟ ومتىٰ يقدم المرء على النصح ومتىٰ يحجم؟ وما هي قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ إلىٰ آخر هٰذِه الأسئلة التي تتعلق بهٰذا الأمر المهم.

والذي يُعنىٰ به هٰذا المبحث هو التدريب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيجاد هٰذا الباعث في نفوس الصالحين؛ وذلك لأن جماهير غالبة من الدعاة والصالحين قد قصروا في هٰذا الباب، وتركوه حتىٰ صار بينهم وبينه نفرة طبيعية، لا لشيء إلا لأن كل متروك مهجور يكون بينه وبين النفس الإنسانية نفرة ووحشة.

ولقد كثرت المصنفات في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستقر في النفوس وجوبه وأهميته، ولقد درس هٰذا الموضوع طلاب كثر في المعاهد الدراسية وفي غيرها، ولٰكن التطبيق أمر آخر؛ إن الطبيب يدرس ست سنوات لٰكن لا يسمح له مزاولة المهنة إلا بعد سنة ٱمتياز سابعة يدرب فيها علىٰ أيدي أطباء مهرة، وبعد ذلك يمنح الشهادة بأنه أهل وحائز للمهارة المطلوبة، وقس علىٰ ذلك المهندسين والفنيين. . فكيف يتخلف عن هٰذا

الأمر المهم -وهو التدريب العملي- الطلبة الدارسون لقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أو العاملون فيه تطوعا وتقربا إلىٰ الله تعالىٰ واحتسابا للأجر.

ولا بد أن يعلم أن التدريب مهم غاية الأهمية في هٰذا الباب؛ لأنه يكفل عدم الغلو والشطط أو التساهل، ويكفل التقليل من الأخطاء العملية في هٰذا الباب، وفي الوقت نفسه يحفظ الداعية من اليأس والإحباط اللذين قد ينتجان من نفرة المدعو أو خشونته أو غير ذلك، أو ينتجان من رؤية الداعية كثرة المنكرات وقلة حيلته وضعفه في هٰذا الباب.

الخطوات العملية في هٰذا الباب:

١ - مصاحبة داعية بصير مجرب، والتلقي علىٰ يديه كيفية تطبيق قواعد الأمر والنهي بدون تساهل ولا غلو؛ فقد كان عدد من السلف يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر في رجال صالحين تخيروهم علىٰ عينهم وارتضوهم في هٰذا الباب، منهم هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما حيث كان يأمر بالمعروف في رجال معه[(١)].

و منهم عبد الرحيم بن محمد العلثي البغدادي الذي كان شيخ بغداد في وقته ومن أجل علماء الحديث، وكان ملتزما بالسنة زاهدًا، وكان له أتباع وأصحاب يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[(٢)].

٢ - مصاحبة رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جولاتهم الدعوية، والاستفادة مما عندهم من خير كثير في هٰذا الباب، ويمكن أن يتم هٰذا بتنسيق محدد في زمان الإجازات ونحوها، ويمكن أن يكون هٰذا التنسيق بالتوظف في الهيئة لمدة زمنية محددة تطوعًا واحتسابًا، وهٰذِه فرصة حسنة.

٣ - إنشاء معهد خاص للتدريب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإشراف علىٰ تطبيق هٰذِه الشعيرة المباركة علىٰ أيدي علماء شجعان أقوياء

---

(١) أنظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ١٩٥). (٢) تاريخ الإسلام للذهبي (١٥/ ٥٤٥).

مجربين؛ فإن هٰذِه الأمة بحاجة ماسة إلىٰ مثل هٰذِه المؤسسات الدعوية المهمة.

٤ - التدريب على الصبر على الإيذاء النفسي والجسدي، وطريق المرء إلىٰ هٰذا هو تفهم وتدبر هٰذِه الآية الكريمة ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣] وأيضًا معرفة سير الأنبياء والصالحين قبله وكيف أوذوا وصبروا.

٥ - التدرب على الشجاعة ومحاولة ٱكتساب ما يمكن ٱكتسابه من هٰذِه الصفة المهمة، والطريق إلى التطبع بهٰذِه الصفة والتزود منها تدبر هٰذِه الآية ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝﴾ [التوبة: ٥١] وأمثالها من الآيات، وقراءة سير الشجعان والأبطال، فإن هٰذا يعود على المرء بفائدة كبيرة.

٦ - الأطلاع علىٰ سير الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من الأنبياء والصالحين، فإن هٰذا يقوي المرء ويشجعه ويسكبه ٱستهانة بعواقب الأمر والنهي التي يقف دونها أكثر الدعاة والصالحين وتؤثر فيهم أيما تأثير.

٧ - زج النفس وإغماسها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خير الوسائل للتدرب عليه، والخطأ وارد ومقبول من المبتدئ.

٨ - التدرج في التطبيق مع البصيرة النافذة والحكمة والموعظة الحسنة؛ فهٰذا من شأنه أن يرسخ عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في النفوس.

فبهذه القواعد التدريبية العلمية وأمثالها يتدرب الدعاة عمليًّا علىٰ هٰذِه العبادة الواجبة والشعيرة الربانية الثابتة، وينكسر الحاجز النفسي الذي حال بينهم وبينها سنوات طوالًا، ويشعرون أثناء أداء هٰذِه العبادة بلذة إيمانية رائعة، ويرفعون عن الأمة إثم فرض الكفاية هٰذا، والله أعلم(١).

---

(١) ٱنظر: التدريب وأهميته في العمل الإسلامي (١٠٧ وما بعدها).

ثالثًا: التحفيز

تمهيد:

ما الذي يحفز الإنسان علىٰ قص نجاحاته في العمل؟ وما الذي يجعل العاملين في مؤسسة ما متحفزين لأداء أفضل ما عندهم؟ وما الذي يجعل نفس العاملين في ظروف أخرىٰ مثبطين؟.

هناك ما يدفع كلًا منا لفعل شيء ما، فالجوع يدفعك أن تأكل، والعطش يدفعك أن تشرب.

هناك ما يحفزنا إلى العمل ويجعلنا نحاول أن نأتي بأفضل أداء، وهناك أشياء قد تثبطنا وتجعل الإنسان يكاد لا يجد طاقة ليتحرك.

هٰذِه المحفزات والمثبطات هي من الأمور التي ينبغي أن يعيها أي مدير؛ لأن التحفيز يجعلك تحصل علىٰ طاقات هائلة من العاملين، والتثبيط يجعلك تخسر هٰذِه الطاقات.

التحفيز يجعل الإنسان يفكر في حلول، والتثبيط يجعله يؤدي ما عليه ولا يحاول أن يبذل أي جهد زائد.

التحفيز يجعل الإنسان يؤدي وهو مستمتع بالأداء، والتثبيط يجعله يؤدي ما لابد من أن يؤديه وهو كاره.

فالأداء يتناسب مع قدرة الإنسان علىٰ أداء العمل، وعلىٰ حافزه لأداء العمل فكلما زاد الحافز لهٰذا الإنسان يتحسن الأداء.

ومن المؤكد أننا كبشر لسنا نشبه الآلات في شيء، لنا طبيعة خاصة، لا نعمل بضغط علىٰ زر، بل إن البشر كل البشر ما هم إلا مجموعة من الأحاسيس والمشاعر، والعمل لابد أن يرتبط بتلك المشاعر. ولذا فحسن أداء العمل أو سوءه يرتبط بمشاعر العاملين نحو ذلك العمل، ولذا يدرك المدير الناجح كيفية التعامل مع الأفراد لإخراج أفضل ما لديهم نحو العمل المنوط بهم عن طريق التحفيز.

تعريف التحفيز لغة واصطلاحًا:

التحفيز لغة:

قال ابن فارس: (حفز) الحاء والفاء والزاء كلمةٌ واحدةٌ تدل على الحث وما قرب منه.

فالحفز: حثك الشيء من خلفه.

والرجل يحتفز في جلوسه إذا أراد القيام، كأن حاثا حثه ودافعا دفعه.

فالحفز: حثك الشيء حثيثًا من خلفه، سوقًا أي دفعه من خلفه، والحفز: الإعجال، حفزني عن كذا وكذا يحفزني حفزًا، أي: أعجلني وأزعجني[(١)].

تعريف التحفيز ٱصطلاحًا:

لقد عرف العلماء التحفيز بعدة تعريفات كلها متقاربة، ومؤداها واحد، فمنها: هو: مجموعة الدوافع التي تدفعنا لعمل شيء ما[(٢)].

أو هو: شعور داخلي لدى الفرد يولد فيه الرغبة لاتخاذ نشاط أو سلوك معين يهدف منه الوصول إلىٰ تحقيق أهداف معينة[(٣)].

أو هو: عبارة عن مؤثرات خارجية، تحفز الفرد وتشجعه على القيام بأداء أفضل[(٤)].

أو هو: عبارة عن تلك العوامل أو العناصر التي تشجع النقص في

---

(١) ٱنظر: معجم مقاييس اللغة (٢/ ٨٥)، والعين (٣/ ١٦٤)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٢٧)، الصحاح (٣/ ٨٧٤)، والمحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٢٢٩)، والمخصص (٣/ ٣٥٢)، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٣/ ١٥١٧)، ولسان العرب (٥/ ٣٣٧).

(٢) فن تحفيز العاملين (١٥) تأليف: آن بروس وجمس بيتوني، ترجمة: زكي مجيد حسن، ط. مؤسسة المؤتمن للتوزيع.

(٣) الحوافز (١٣) تأليف: عادل الجودة ط. المنظمة العربية للعلوم الإدارية ١٩٨٣م.

(٤) السلوك التنظيمي (٩٣) تأليف: عبد المجيد عبد الغني الطجم وآخرين، دار النوابغ، جدة ١٤١٧هـ.

حاجات الأفراد، والتي عن طريق إشباعها تتولد الرغبة لدى الفرد في بذل المزيد من الجهد؛ لتحسين مستوىٰ أداء الإنتاج في مجال عمله[١].

الفرق بين الدافع والحافز:

الدافع للعمل:

شيء ينبع من نفس الفرد، ويثير فيه الرغبة في العمل؛ أي هو دفعة من الداخل، أو قوة داخلية تكتمل في نفس الإنسان، وتدفعه للبحث عن شيء محدد، وبالتالي توجه تصرفاته وسلوكه باتجاه ذلك الشيء أو الهدف.

وأهم تلك الدوافع هي الحاجات الإنسانية باختلاف أنواعها التي تنبع من شعور الإنسان بالحاجة إلىٰ شيء معين فتخلق تلك الحاجة رغبة محددة في الحصول علىٰ ذلك الشيء فيسعىٰ إلى البحث عما يشبع تلك الحاجة.

الحافز على العمل:

هو شيء خارجي يوجد في المجتمع، أو البيئة المحيطة بالشخص يجذب إليه الفرد باعتباره وسيلة لإشباع حاجاته التي يشعر بها، وعلىٰ ذلك فالفرد الذي يشعر بالحاجة إلى النقود يدفعه ذلك الشعور إلى البحث عن عمل، ويكون تفضيله لعمل علىٰ آخر هو بقدر زيادة الأجر (الحافز) في حالة عن أخرىٰ؛ إذ يتجه الفرد نحو ذلك الحافز الذي يحقق أقصىٰ إشباع ممكن لحاجاته.

والتحفيز المادي والمعنوي للأفراد العاملين يحقق أفضل النتائج، ولا سيما الشباب منهم، فأما التحفيز المعنوي فبربط القلوب بالآخرة فيما يراد الإقدام عليه من العمل، وأما التحفيز المادي فبإعداد شيء من الجوائز ونحوها[٢].

---

(١) حوافز العمل بين الإسلام والنظريات الوضعية (١٣، ١٤) محمد عقلة الإبراهيم.

(٢) ٱنظر: واجبات العمال وحقوقهم في الشريعة الإسلامية مقارنة مع قانون العمل الفلسطيني (١/ ٨٨)، والإدارة عملية ونظام (١٤١) تأليف: كامل بربر .

الفرق بين التحفيز والإثابة:

تنبع أهمية التحفيز لكونه يعتبر المرحلة التي تسبق العمل، وهو ما يمكن أن نسميه بـ "التهيئة".

فكلما كان التحفيز جيدا كلما كان إنجاز العمل أجود، وكانت معدلات الإنجاز مرتفعة. ويعتبر التحفيز من أهم ما يبحث عنه الإنسان، وينتظره من الغير، لذا عليك أن تدرك الطبيعة الإنسانية وكنهها.

التحفيز في الشرع:

أولا: في القرآن الكريم:

إن التحفيز منهج رباني، ورد ذكره في العديد من آيات القرآن، مفاده دفع الناس إلى الخير والعمل، وتحذيرهم من الشر والفشل؛ إذ وردت في غير ما موضع من كتاب الله آياتٌ تحث على التحفيز بشتىٰ أنواعها:

١- قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

قال الشوكاني رحمه الله: "هٰذا شروعٌ في ترغيب كل مؤمن في كل عمل صالح، وتعميم للوعد. ومعنىٰ من عمل صالحًا: من عمل عملًا صالحًا أي عمل كان،....، وقد جعل سبحانه الإيمان قيدا في الجزاء المذكور؛ لأن عمل الكافر لا ٱعتداد به...، ثم ذكر سبحانه الجزاء لمن عمل ذلك العمل الصالح فقال: فلنحيينه حياة طيبة، وقد وقع الخلاف في الحياة الطيبة بماذا تكون؟ فقيل: بالرزق الحلال،... وقيل: بالقناعة...، وقيل: بالتوفيق إلى الطاعة. . .، وقيل: الحياة الطيبة هي حياة الجنة. . . الخ"[(١)].

٢- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ

---

(١) ٱنظر: فتح القدير (٣ / ٢٣٠، ٢٣١).

عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف: ٣٠، ٣١].

قال السعدي رحمه الله: "إحسان العمل: أن يريد العبد العمل لوجه الله، متبعًا في ذلك شرع الله. فهٰذا العمل لا يضيعه الله، ولا شيئًا منه، بل يحفظه للعاملين، ويوفيهم من الأجر، بحسب عملهم وفضله وإحسانه، وذكر أجرهم بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾"[١].

٣- ويقول -عز من قائل-: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

يمنح الله الحوافز للعاملين في صورتها الإيجابية (الثواب)، والسلبية (العقاب)، فهو يعد الذين يفعلون الخير بأن لهم ثوابًا كبيرًا، والذين يعملون الشر لهم عذاب عظيم.

٤- قال الله تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

تشير الآية إلى ٱهتمام الإسلام بقضية المكافأة على العمل الصالح والعمل المثمر، فهٰذِه مكافأةٌ علىٰ عمل واحد إيجابي، يكافا بعشر أمثاله، وهٰذا تعزيز ودعم معنوي، ودافع مستمر في عمل الصالحات.

ثانيًا: التحفيز في السنة:

١- تحفيزه ﷺ علىٰ إحياء الأرض الموات:

عن سعيد بن زيد ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "**مَنْ أَحْيا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ**"[٢].

(١) تفسير السعدي (٤٧٥، ٤٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٣٧٨)، وأبو داود (٣٠٧٣)، وصححه الألباني في الإرواء (١٥٢٠).

حيث يعد هٰذا تحفيزا على ٱستصلاح الأراضي وزراعتها وإحيائها بالبناء والعمارة عليها.

٢- تحفيزه ﷺ علىٰ إعطاء الأجير حقه:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "**قَالَ اللهُ: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَىٰ بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ ٱسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَىٰ مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ**"(١). ففي الحديث ترهيب لمن يستأجر الأجير ولا يعطه حقه بعد قيامه بما أنيط به.

٣- تحفيزه ﷺ علىٰ كفالة اليتيم:

عن سهل بن سعد -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "**أَنا وَكافِلُ اليَتِيمِ في الجَنَّةِ هَكَذا وَقالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبّابَةِ والوُسْطَىٰ**"(٢).

٤- تحفيزه ﷺ علىٰ سن السنة الحسنة في الإسلام:

عن جرير بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "**مَنْ سَنَّ في الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِها بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِها، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ في الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِها بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِها، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزارِهِمْ شَيْءٌ**"(٣).

٥- تحفيزه ﷺ للمجاهدين علىٰ بذل الجهد في سبيل الله:

عن أبي قتادة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: "**مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ**"(٤).

ففي هٰذا تحفيز منه ﷺ للجنود على الثبات والإقدام وتحقيق النصر.

٦- تحفيزه ﷺ لمن يخدمه بمرافقته معه في الجنة:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٠٥).

(٣) أخرجه مسلم (١٠١٧).

(٤) أخرجه البخاري (٣١٤٢)، ومسلم (١٧٥١).

عن رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الأسْلَمِيِّ، قالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فأتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحاجَتِهِ فقال لِي: "**سَلْ**"، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرافَقَتَكَ في الجَنَّةِ. قالَ: "**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ**" قُلْتُ: هُوَ ذاكَ. قالَ: "**فأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**"[(١)].

أي تحفيز بعد هٰذا التحفيز؟! وأي تواضع بعد هٰذا التواضع؟! وأي تكريم بعد هٰذا التكريم؟!، وكيف بالرسول الذي يوحىٰ إليه ﷺ وهو يسأل خادمه عن حاجته؟ وهٰذا الأمر لم يكن مخصوصًا بربيعة فحسب؛ بل شامل لجميع خدمه ﷺ، ولهٰذا جاء في الحديث الصحيح: كانَ النَّبِيُّ ﷺ مِمّا يَقُولُ لِلْخادِمِ: "**أَلَكَ حاجَةٌ؟**"[(٢)].

وفي هٰذا بيان باهتمامه ﷺ بكافة شرائح المجتمع وتحفيزهم.

٧- تحفيزه ﷺ بلفت الٱنتباه:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ ٱمْرأَة سَوْداءَ كانَتْ تَقُمُّ المَسْجِدَ - أَوْ شابًّا - فَفَقَدَها رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسأَلَ عَنْها - أَوْ عَنْهُ - فَقالُوا: ماتَ، قالَ: "**أَفَلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي؟**" قالَ: فَكأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَها - أَوْ أَمْرَهُ - فَقالَ: "**دُلُّونِي عَلَىٰ قَبْرِهِ**" فَدَلُّوهُ، فَصَلَّىٰ عَلَيْها، ثُمَّ قالَ: "**إِنَّ هٰذِهِ القُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَىٰ أَهْلِها، وإِنَّ اللهَ** ﷻ **يُنَوِّرُها لَهُمْ بِصَلاتِي عَلَيْهِمْ**"[(٣)].

وبفعل النبي ﷺ هٰذا كأنه ينقل لنا مجموعة من الرسائل التحفيزية:

أولها: إظهار منزلة هٰذِه المرأة وكرامتها بإتيان قبرها والصلاة عليها من أفضل الخلق ﷺ، وهٰذِه منقبة ظاهرة لهٰذِه المرأة رضي الله عنها.

الثاني: أنه ﷺ بتفقده لها يوضح للأمة ما ينبغي أن يكون عليه القائد من الٱهتمام بكافة شرائح المجتمع.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٠٧٦). وانظر: الصحيحة (٢١٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٠)، ومسلم (٩٥٦) واللفظ له.

ثم رسالة ثالثة ومهمة: وهي أن البعض قد يستصغر ما كانت تقوم به هٰذِه المرأة من تنظيف المسجد، فبين النبي ﷺ بفعله واهتمامه هٰذا أن تقدير العاملين ينبغي أن يكون للجميع مهما كان صفة عمله، ولننظر إلىٰ أولئك نظرة ٱحترام وتقدير لما يقدمون.

٨- تحفيزه ﷺ للأنصار بالثواب الأخروي الدائم:

ومن أبلغ أمثلة التحفيز النبوي علىٰ هٰذا النوع، هٰذِه القصة العظيمة التي حفظتها لنا كتب السنة.

عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عاصِمٍ، قالَ: لَمّا أَفاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ في النّاسِ في المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأنْصارَ شَيْئًا، فَكأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ ما أَصابَ النّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقالَ: "**يا مَعْشَرَ الأنْصارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاّلاً فَهَداكُمُ اللهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي، وَعالَةً فأَغْناكُمُ اللهُ بِي؟**" كُلَّما قال شَيْئًا قالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قالَ: "**ما يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟**" قالَ: كُلَّما قال شَيْئًا، قالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قالَ: "**لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنا كَذا وَكَذا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النّاسُ بِالشّاةِ والبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إلىٰ رِحالِكُمْ، لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ ٱمْرءًا مِنَ الأنْصارِ، وَلَوْ سَلَكَ النّاسُ وادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وادِيَ الأنْصارِ وَشِعْبَها، الأنْصارُ شِعارٌ والنّاسُ دِثارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً، فاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْني عَلَى الحَوْضِ**"[1].

بهٰذِه الكلمات خاطب النبي ﷺ قلوب الأنصار ﷺ ومشاعرهم قبل أن يخاطب آذانهم، وأكد لهم حقيقة الأمر، وحفزهم عليه الصلاة والسلام حتىٰ رضوا بالله ورسوله والدار الآخرة، وكان من وصفهم:

"فَبَكَى القَوْمُ، حَتَّىٰ أَخْضَلُوا لِحاهُمْ، وَقالُوا: رَضِينا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

وَحَظًّا، ثُمَّ ٱنْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقُوا"[١].

٩- تحفيزه ﷺ بإعطاء المال:

ومن تنويع النبي ﷺ في التحفيز أنه كان يحفز البعض بالمال، وقصة الأنصار السابقة دليل علىٰ تحفيزه ﷺ للمؤلفة قلوبهم، وقد كان النبي ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، تحفيزًا للناس لهٰذا الدين وترغيبًا لهم بالإسلام. فعن أنسٍ ﷺ قالَ: "ما سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الإِسْلامِ شَيْئًا إِلّا أَعْطاهُ، قالَ: فَجاءَهُ رَجُلٌ فأعْطاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إلىٰ قَوْمِهِ، فَقالَ: يا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فإنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطاءً لا يَخْشَى الفاقَةَ"[٢].

١٠- تحفيزه ﷺ بإعطاء الألقاب المناسبة:

لقد كان النبي ﷺ يحفز أصحابه رضوان الله عليهم ويصفهم بألقاب يحملونها في حياتهم وبعد مماتهم وهي منقبة لهم عظيمة وكبيرة.

فلقب أبا بكر "بالصديق" تحفيزا له علىٰ تصديقه ومؤازرته للنبي ﷺ، ولقب خالدًا بن الوليد "بسيف الله" تحفيزًا له شجاعته وإقدامه في الغزوات، ولقب أبا عبيدة "بأمين هٰذِه الأمة"، وغيرها من الألقاب التي بقيت لهم وسام شرف من قائد الأمة ﷺ ورضي الله عنهم وأرضاهم.

١١- تحفيزه ﷺ لعقول أصحابه بالسؤال والتعلم:

لقد تكرر من النبي ﷺ أسلوب تحفيز عقول أصحابه رضوان الله عليهم عن طريق السؤال، فتارة يقول لهم: "**أَتَدْرُونَ مَنْ المُفْلِسُ؟**"[٣].

وأخرىٰ يقول لهم: "**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُم أَنْ يَكْسِبَ في اليَوْمِ ألفَ حَسَنَةٍ؟**"[٤] وثالثة يقول لهم: "**أتعلمون من الشهيد من أمتي؟**"[٥].

---

(١) أخرجه أحمد (١١٧٣٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣١٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

(٤) أخرجه أحمد (١٤٩٦).

(٥) أخرجه أحمد (١٥٩٩٨).

كل هٰذِه الأسئلة منه ﷺ تستثير عقول أصحابه رضوان الله عليهم وتحفزهم للتعلم والاستزادة من الخير.

١٢- تحفيزه ﷺ عن طريق الترهيب:

وهو نوع معروف عند من تحدثوا عن التحفيز وأنواعه، ويعني علىٰ مستوى المؤسسات عندما تكون المؤسسة مهددة بالخطر فيذكر القائد الأفراد بالأخطار التي تحيط بالمؤسسة؛ ليبذل معظم الأفراد جهودا ٱستثنائية لزيادة فعالية العمل.

وقد كان النبي ﷺ يستخدم هٰذِه الطريقة في بادئ الدعوة عندما كان المسلمون في حالة ٱستضعاف.

فعَنْ خَبّابِ بْنِ الأَرَتِّ ﷺ قالَ: شَكَوْنا إلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ في ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنا لَهُ: ألا تَسْتَنْصِرُ لَنا، ألا تَدْعُو اللهَ لَنا؟ قالَ: "كانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ في الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجاءُ بِالمِنْشارِ فَيُوضَعُ عَلَىٰ رأسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَما يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشاطِ الحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَما يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، واللهِ لَيُتِمَّنَّ هٰذا الأَمْرَ، حَتَّىٰ يَسِيرَ الرّاكِبُ مِنْ صَنْعاءَ إلىٰ حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخافُ إِلّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ"(١).

وفي هٰذِه العبارات تحفيز وتسلية لهٰؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم.

١٣- تحفيزه لأصحابه ببذل النفس للجهاد ومعرفة خبر العدو:

عَنْ إِبْراهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قالَ: كُنّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فقال رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قاتَلْتُ مَعَهُ وأَبْلَيْتُ، فقال حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رأَيْتُنا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الأَحْزابِ، وأَخَذَتْنا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**أَلا رَجُلٌ يأتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢).

القِيامَةِ؟" فَسَكَتْنا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنّا أَحَدٌ، ثُمَّ قالَ: "**أَلا رَجُلٌ يأتِينا بِخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ القِيامَةِ؟**" فَسَكَتْنا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنّا أَحَدٌ، ثُمَّ قالَ: "**أَلا رَجُلٌ يأتِينا بِخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ القِيامَةِ؟**"، فَسَكَتْنا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنّا أَحَدٌ، فَقالَ: "**قُمْ يا حُذَيْفَةُ، فأتِنا بِخَبَرِ القَوْمِ**"، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قالَ: "**اذْهَبْ فأتِنِي بِخَبَرِ القَوْمِ، وَلا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**"، فَلَمّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كأنَّما أَمْشِي في حَمّامٍ حَتَّىٰ أَتَيْتُهُمْ، فَرأَيتُ أَبا سُفْيانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا في كَبِدِ القَوْسِ فأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: "**وَلا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**"، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وأنا أَمْشِي في مِثْلِ الحَمّامِ، فَلَمّا أَتَيْتُهُ فأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ القَوْمِ، وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فألبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَباءَةٍ كانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيها، فَلَمْ أَزَلْ نائِمًا حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ، فَلَمّا أَصْبَحْتُ قالَ: "**قُمْ يا نَوْمانُ**"[1].

أهمية التحفيز:

إن مما لا يجهله أحد أن تشجيع الإنسان وتحفيزه لعمل الخير، وخصوصًا إذا كان عملًا تطوعيًّا له أهمية كبرىٰ في قيام هٰذا العمل واستمراره، وسنذكر الآن بعضًا من الأمور التي تدل علىٰ أهمية التحفيز في العمل التطوعي:

١- أنه وسيلة إلىٰ إتقان العمل: فإن من أهم مرتكزات العقيدة عند المسلم، يقينه بأن الله يراقبه في حله وترحاله وسائر أحواله وأفعاله، ذلك بأن الله ﷻ لا يغفل عن شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

ونتيجة لهٰذِه الرقابة الإلهية تنتظم حياة المسلم في كل لحظة من لحظات عمره، وفي أي ميدان من ميادين العبادة والعمل والإنتاج، ويندفع إلى العمل بحافز من نفسه وباعث من ذاته - لا سوطًا يسوقه من الخارج - وذلك الباعث

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٨).

الذاتي هو ثمرة إيمانه بالله تعالىٰ.

والمؤمن لا يكتفي بالاندفاع الذاتي إلى العمل؛ بل يهمه أن يجوده ويتقنه ويبذل جهده لإحسانه وإحكامه[١].

٢- يعتبر التحفيز هو السبيل إلى المبادرة المستمرة، والإبداع المتجدد، والديمومة علىٰ هٰذا العمل.

٣- هو طريق المقترحات الخلاقة، التي تعالج جوانب القصور الحاصل في العمل.

٤- يعتبر أداة التغيير والتطوير والتصحيح عبر إدخال عناصر فعالة وجديدة، في مواقف العمل تزيد من حيويتها.

٥- يؤدي إلىٰ تحقيق التوازن الحيوي، الذي يجعل عناصر نظام العمل تتحرك بانسجام وحيوية تطورية.

٦- يحدث رد فعل قوي في بيئة العمل الداخلية، والخارجية تؤثر بفاعلية على التنفيذ والمتابعة[٢].

٧- وأيضا يدفع العاملين ويشحذ هممهم لإظهار المزيد من الٱهتمام بما بين أيديهم من عمل، وللوصول إلى ٱستخدام أفضل لطاقاتهم وقدراتهم.

٨- يساهم في إشباع بعض رغبات العاملين واحتياجاتهم، والتجاوب مع أحاسيسهم ومشاعرهم التي لابد من فهمها للتعامل معها بما يناسبها وبما يحافظ علىٰ مستوىٰ عالٍ من الرضا والروح المعنوية للعاملين[٣].

---

(١) ٱنظر: الإيمان والحياة (٢٧٤) تأليف: د. يوسف القرضاوي.

(٢) ٱنظر: التحفيز المعنوي وكيفية تفعيله في القطاع العام الحكومي العربي (٧) تأليف: محمد مرعي مرعي، المنظمة العربية للتربية الإدارية ٢٠٠٣م .

(٣) ٱنظر: حوافز العمل في الإسلام والنظريات الوضعية (٢٤) مرجع سابق .

من وسائل التحفيز[(١)]:

إن هناك الآن العديد من النظريات والوسائل الحديثة لتحفيز العاملين في أي مجال، ولكن أفضل تلك الوسائل، وخصوصًا للعاملين في المجال التطوعي هي تلك التي تجمع في ثناياها المواصفات التالية:

١- توضيح الرؤية البعيدة للعاملين واقتناعهم بها.

٢- توضيح الهدف ومساعدتهم في فهمه وتشكيله، ودورهم في تحقيقه.

٣- مشاورتهم ومشاركتهم في القرارات التي تؤثر عليهم، وإعلامهم بتطور الأحداث.

٤- احترامهم وتقديرهم ومراعاة ٱحتياجاتهم، والانفتاح معهم.

٥- إعطاؤهم صلاحيات واسعة لأداء مهامهم المكلفين بها، والثقة بهم عند الأداء، أي جعل المنفذ لهٰذا العمل مسؤولًا عن نتائجه.

٦-أن يكون القائد قدوة لهم، صادقًا معهم، خلوقًا وعادلًا في تعامله مع من حوله ومتواضعًا بينهم.

٧- تحويل نقاط ضعف الأفراد إلىٰ نقاط قوة[(٢)].

ولأن الوسائل متعددة ومتنوعة؛ فإنه ينبغي للعاملين في المجال التطوعي أن يراعوها في أنفسهم، وأيضًا يستخدموها وينوِّعوا بينها في تحفيز غيرهم، فما يناسب شخصًا قد لا يناسب آخر، وكل هٰذا من أجل الوصول إلى المستوى الأفضل في العمل التطوعي، فمن هٰذِه الوسائل:

أولاً: سؤال النفس عن سبب القيام بالعمل:

لماذا أقوم بهٰذا العمل؟!

---

(١) من المهم الإشارة إليه أن ما ذكر من صور التحفيز في السنة النبوية يعتبر أيضًا وسائل عملية فعالة للتحفيز، فلا ينبغي الغفلة عن مثل هٰذا.

(٢) ٱنظر: صناعة القائد (٩٥) تأليف: طارق السويدان، فيصل عمر باشراحيل. مكتبة العبيكان، الطبعة الثالثة. ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م

السؤال يستثير مشاعر الرغبة داخل الإنسان لمعرفة الإجابة، والسؤال كذلك يشغل الذهن بطلب الإجابة، ومن ثَمَّ فهو من الوسائل المهمة لتنبيه العقل، فإذا ما ٱنتبه العقل كان من السهل ٱستثارة المشاعر بالوسائل الأخرىٰ.

لذلك علينا أن نسأل أنفسنا قبل أداء العمل: **لماذا أقوم بهٰذا العمل؟!**

تأمل قوله تعالىٰ لموسىٰ عليه السلام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧].

فالله عز وجل يعلم أن ما بيمينه عصا، ولكن المطلوب هو تركيز ٱنتباه موسىٰ - عليه السلام - لأقصىٰ درجة.

والقرآن مليءٌ بالتوجيهات والمعاني الإيمانية التي تسبقها أسئلة، كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [الصف: ١٠].

وقوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الكهف: ١٠٣].

وقوله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١، ٢].

والسنة كذلك مليئة بتوجيهات ومعان إيمانية تسبقها أسئلة وهكذا في كل أعمالنا.

ثانيًا: تذكر الله عز وجل:

من الوسائل المهمة التي تحفز للعمل التطوعي، وتوجه النية توجيهًا صحيحًا: تذكر الله عز وجل في هٰذا العمل، وكيف أنه تبارك وتعالى يحب من عبده القيام بهٰذا العمل، وأنه سبحانه يباهي بنا الملائكة عندما نقوم به، وأن هٰذا العمل وسيلة لنيل مرضاته، وأن العبودية له سبحانه تستدعي القرب منه بالأعمال الصالحة، فتستثير هٰذِه المعاني - عندما نتذكرها - مشاعر الشوق والرغبة في الله عز وجل.

والآيات التي تؤكد هٰذا المعنىٰ كثيرة:

منها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الله يامُرُ بِالعَدْلِ والإِحْسانِ وإِيتاءِ ذِي القُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠]. وقوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. وقوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ

ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

ونجد في السنة كذلك أحاديث كثيرة تبدأ بالتذكير بالله ﷻ وأنه يحب من عبده القيام بهٰذا العمل كقوله ﷺ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ إذا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ[1]. وقوله: إنَّ اللهَ يُحِبُّ سَمْحَ البَيْعِ، سَمْحَ الشِّراءِ، سَمْحَ القَضاءِ[2].

وقوله: مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إلىٰ جارِهِ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ[3].

فإذا ما أراد العامل المتطوع أن يقوم بفعل شيء مما أراد أن يتطوع به لله تعالىٰ فليتذكر أن الله تعالىٰ يحبه، ويحب عمله، ويحب من تقرب به إليه.

وعلىٰ قائدي العمل التطوعي أن يذكروا مَن تحتهم بهٰذا الأمر بين الحين والآخر؛ حتىٰ لا ينحرف مسارهم، ويقوم المتطوع بعمله علىٰ أحسن وجه وأكمله.

ثالثًا: التذكير بفضل العمل وأهميته:

النفس البشرية جبلت على الرغبة في تحصيل أي نفع يتاح أمامها، لذلك فمن أيسر وسائل ٱستثارة المشاعر تجاه القيام بعمل ما: التذكير بالعائد الذي سيعود على المرء نظير أدائه له، ولقد حفلت نصوص القرآن والسنة بذكر الثواب المترتب على الأعمال لتكون حافزًا قويًّا للقيام بها.

فعلىٰ سبيل المثال:

من الآيات القرآنية قوله تعالىٰ في فضل الإنفاق: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٣١٢)، وأبو يعلىٰ (٤٣٨٦). وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي (١٣١٩)، والحاكم (٢٣٣٨). وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٤٨).

أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

وفي فضل الجهاد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الصف: ١٠ - ١٢].

ومن الأحاديث النبوية: عنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السّاعِدِيَّ ﷺ قالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**أنا وَكافِلُ اليَتِيمِ في الجَنَّةِ هَكَذا وأشارَ بِالسَّبّابَةِ والوُسْطَىٰ، وفَرَّجَ بَيْنَهُما شَيْئًا**"(١).

وقوله ﷺ في فضل الإنفاق: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ، وإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُها بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيها لِصاحِبِهِ، كَما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّىٰ تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**»(٢).

فعلينا إذن الاجتهاد بتذكير أنفسنا بفضل العمل قبل القيام به.

فإن مشاعر الرغبة داخل القلب تستثار كلما أدرك المرء أهمية العمل الذي ينوي القيام به، فعلىٰ سبيل المثال: إذا ما قام العبد بتذكير نفسه قبل قراءة القرآن بأنه سيقرأ كلام الله وما فيه من روعة وجلال، وأنه سيتناول الدواء الرباني الذي فيه شفاؤه، وأنه سيتعرض للنور المبين الذي يبدد الظلمات في عقله وقلبه، وأن الملائكة تقترب منه لتسمع قراءته و. . .، فإن ذلك من شأنه أن يستثير مشاعر الرغبة والشوق نحوه، فيقبل عليه إقبال الظمآن على الماء.

وإذا ما قام المرء بتذكير نفسه قبل زيارته لمريض أن هٰذِه الزيارة سترفع

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٠) عن أبي هريرة ﷺ. الفلو: بفتح الفاء، وضم اللام، وتشديد الواو، هو الفرس أول ما يولد.

معنويات المريض - بإذن الله - وتسري عنه، وأنه سوف يجني منها رقة في قلبه، وامتنانًا لربه؛ لأنها ستذكره بنعمة العافية التي يتقلب فيها، فمن المتوقع أن يقبل عليها بمشاعر متأججة.

وعند الإنفاق في سبيل الله يذكر المرء نفسه بأن هٰذا الإنفاق قد يكون سببًا في إنقاذ مريض من الموت، وسد حاجة فقير معسر، وشكر لنعمة اليسار والغنىٰ. . الخ.

رابعًا: الترهيب من ترك العمل:

من طبيعة النفس أنها إذا ما خوفت خافت، فإذا ما نجحنا في تذكير أنفسنا بخطورة ترك العمل الصالح أو التهاون في أدائه وما قد يترتب علىٰ ذلك من أضرار في الدنيا والآخرة؛ فإنها ستدفعنا للقيام به.

من الوسائل المهمة لاستثارة مشاعر الرهبة والشعور بالخطر الدافعة للعمل: التذكير بخطورة ترك العمل الصالح، أو بخطورة الإقدام علىٰ فعل المعاصي.

ومن ذلك قوله تعالىٰ في الترهيب من ترك الإنفاق: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿يا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَموالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم عَنْ ذِكْرِ الله وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فاولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

وفي مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورد عَنْ حُذَيْفَةَ ﵁ قالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتأمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ المُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ**"[1].

(١) أخرجه أحمد (٢٣٣٠١)، والترمذي (٢١٦٩). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٧٠).

خامسًا: التشجيع:

من الحوافز ذات الأثر البالغ على النفس ٱستشعار المرء تقدير الآخرين له، فيؤدي ذلك إلىٰ فتح منافذ الٱستماع لهم، وزيادة الرغبة في القيام بما يطلبونه منه.

هٰذِه الوسيلة ينبغي أن نستخدمها مع أنفسنا أو مع الآخرين في حدود ضيقة حتىٰ لا تأتي بنتيجة عكسية وتتحول إلىٰ صورة من صور المدح الذي يؤدي إلى ٱستعظام المرء لنفسه، وشعوره بالأفضلية الذاتية علىٰ غيره.

والمتأمل في القرآن والسنة يجد مواقف عديدة ٱستخدمت فيها هٰذِه الوسيلة في التحفيز للقيام بالعمل.

فعلىٰ سبيل المثال: كثيرًا ما يتكرر في القرآن قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قبل التوجيه إلى العمل المطلوب. هٰذا النداء فيه من التقدير والتشجيع ما يحفز النفس للقيام بالعمل.

وفي الخطاب الموجه لليهود نجد أن القرآن يناديهم بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أي: يا أبناء النبي إسرائيل، فيكون هٰذا النداء بمثابة ٱستدراج لهم لكي يستمعوا لما سيتلىٰ عليهم.

وتأمل قول الملائكة لمريم الصديقة: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] فهٰذا لون من ألوان التقدير الخاص، ليأتي التوجيه في الآية التالية: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٣].

وعندما أراد موسىٰ - عليه السلام - أن يدخل ببني إسرائيل الأرض المقدسة ظل يحفزهم بهٰذِه الطريقة قبل أن يطلب منهم هٰذا الطلب: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة: ٢٠، ٢١].

وانظر إلىٰ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ وهو يقول: " أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِي، فَقالَ: "**يا مُعاذُ، واللهِ إنِّي لأحِبُّكَ**"، فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي يا رَسُولَ اللهِ، وأنا أُحِبُّكَ، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**أُوصِيكَ يا مُعاذُ، لا تَدَعَنَّ أَنْ تَقُولَ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبادَتِكَ**"(١).

ولك أن تتخيل وقع كلمة: يا معاذ: والله إني لأحبك علىٰ نفس معاذ، وكيف سيستقبل الكلام بعدها؟!

كما أن لموضوع التشجيع منزلة في توجيهات النبي ﷺ؛ حيث يؤكد ﷺ أهمية أن يعطى العامل والمرؤوس أجره كاملًا إذا أدىٰ ما عليه، فيقول ﷺ: "**قال الله تعالىٰ: ثَلاثَةٌ أَنا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ، وذكر منهم: " وَرَجُلٌ ٱسْتاجَرَ أَجِيرًا فاسْتَوْفَىٰ مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ**"(٢).

بل إن النبي ﷺ يضع المكافآت التشجيعية قبل مزاولة العمل وبعده؛ فها هو ﷺ قائدا لجنده البواسل في حنين يحفزهم ويشجعهم على القتال والإثخان في العدو، فيقول: "**مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ**"(٣).

سادسًا: التذكير بالمواقف الإيجابية السابقة:

فمن الوسائل التي تثير الهمة، وتدفع للقيام بالعمل: تذكر المواقف الإيجابية التي مرت بالمرء في حياته ولها علاقة بالعمل المراد القيام به في الحاضر، فعندما يجد المرء في نفسه تكاسلًا عن قيام الليل يذكر نفسه بيوم كذا وكذا عندما قام نصف الليل وكيف كان ذلك ممتعًا وسهلًا علىٰ نفسه، وعندما يستشعر عدم جدوى القيام بعمل ما نتيجة ضيق الوقت وقلة الإمكانات فعليه أن يذكر نفسه بمواقف إيجابية تعرض لها من قبل وكانت

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي في الكبرىٰ (٩٩٣٧). وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٩٦٩).
(٢) أخرجه البخاري (٢٢٢٧).
(٣) أخرجه البخاري (٣١٤٢).

الظروف أشد، ومع ذلك أكرمه الله بالتوفيق والنجاح..

تأمل قول الله تعالىٰ لرسوله ﷺ: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

في هٰذِه الآيات تم التذكير بمواقف سابقة تجلت فيها قدرة الله وتأييده ليأتي التوجيه بعد هٰذا التذكير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٤، ٦٥].

سابعًا: المحاورة والإقناع والموازنة العقلية (تخيير النفس):

عندما يقتنع المرء بأهمية وقيمة العمل المطلوب قيامه به ومدىٰ نفعه له، فإن ذلك من شأنه أن يدفعه لأدائه بمشاعر الرغبة والاحتياج، وكذلك عندما يقتنع بخطورة وضرر العمل الذي يود فعله فإنه سيتركه بإرادته.

من هنا تبرز أهمية الحوار والإقناع سواء كان بين المرء ونفسه، أو بينه وبين الآخرين. ومن الضروري أن ينطلق الحوار من قاعدة مفادها أن صلاحك لمصلحتك، وأنك المستفيد الأول من قيامك بالعمل الصالح، وأنك - أيضًا - الخاسر من عدم قيامك به.

فالنفس لا تحب أو ترضىٰ بفوات مصلحة تنفعها، أو الوقوع في ضرر يؤذيها، لذلك نجد القرآن يستخدم هٰذِه الطريقة في الإقناع:

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وإِنْ أَساتُمْ فَلَها﴾ [الإسراء: ٧].

﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠].

﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الإسراء: ١٥].

﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ﴾ [الإسراء: ١٠٦، ١٠٧].

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٠٤].

فهٰذِه الآيات وغيرها تضع المرء في مواجهة مع نفسه، وتُشعره بالاحتياج الشخصي للعمل، وأنه الفائز إن عمله، والخاسر إن تركه ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورىٰ: ٢٠].

وعندما طلبت زوجات النبي ﷺ التوسعة في النفقة نزل القرآن يحاورهن: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]. وتأمل الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين الشاب الذي أتاه يطلب منه أن يأذن له بالزنا:

عَنْ أَبِي أُمامَةَ الباهِلِيِّ ﷺ قالَ: إِنَّ فَتًى شابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، ٱئْذَنْ لِي بِالزِّنا، فأَقْبَلَ القَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وَقالُوا: مَهْ، مَهْ، فقال لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**ادْنُهْ**"، فَدَنا مِنْهُ قَرِيبًا، فَجلَسَ، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟**"، قالَ: لا واللهِ يا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِداءَكَ، قالَ: "**وَلا النّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟**" قالَ: لا واللهِ يا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِداءَكَ، قالَ: "**وَلا النّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَناتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟**"، قالَ: لا واللهِ يا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِداءَكَ، قالَ: "**وَلا النّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَواتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**"، قالَ: لا واللهِ يا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِداءَكَ، قالَ: "**وَلا النّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمّاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِخالَتِكَ؟**"، قالَ: لا واللهِ يا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِداءَكَ، قالَ: "**وَلا النّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخالاتِهِمْ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقالَ: اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**"، **فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الفَتَىٰ يَلْتَفِتُ إِلىٰ شَيْءٍ**"[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢١١)، والطبراني (٧٧٥٩)، وقال الهيثمي في المجمع (١/

فالرسول ﷺ لم ينهره أو يوبخه عندما طلب منه هٰذا الطلب المحرم، بل حاوره، ووصل به إلى القناعة التامة بأن هٰذا لا يصلح.

وهٰذا عبد الله بن رواحة عندما وجد في نفسه بعض التردد في معركة مؤتة، ظل يحاورها، ويقول لها:

أقسمت يا نفسُ لتنزِلنَّهْ طائعة أو لتُكْرَهَنَّهْ

إن أجلب الناس وشدوا الرنة ما لي أراك تكرهين الجنة؟

قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنة؟

وقال أيضًا:

يا نفسُ إن لا تُقتلي تموتي هذا حِمامُ الموت قد صُلِيتِ[١].

ثامنًا: التحفيز من خلال إبراز القدوة:

من طبيعة النفس أنها لا تحب أن يسبقها أو يتميز عليها أحد، لذلك علينا أن نستثير مشاعر الغيرة، ونوجهها التوجيه الصحيح نحو القيام بالعمل المطلوب من خلال التذكير بأناس قاموا به وبغيره علىٰ أحسن وجه.

فتقول لنفسك قبل الإنفاق: تذكري فلان الذي كان ينفق كذا وكذا، ولم يترك لنفسه إلا القليل.

تذكري الصحابي عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى الذي لم يترك الصلاة في المسجد.

والقرآن مليء بالآيات التي تحفز المسلمين للقيام بالعمل الصالح من خلال ذكر نماذج بشرية قامت به خير قيام، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢٠،

---

١٢٩): رجاله رجال الصحيح. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٢٢٥١): أخرجه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في الصحيحة (٧١٢).

(١) أنظر: سير أعلام النبلاء (١ / ٢٣٤)، وحلية الأولياء (١ / ١٢٠).

١٢١]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦].

والقدوة الحاضرة أقوىٰ في التأثير في النفس من غيرها، فكما قيل: عمل رجل في ألف رجل، أفضل من قول ألف رجل لرجل.

وأيضا: إذا أردت أن تكون إمامي، فكن أمامي، والقدوة إمامة بلا إمارة.

تاسعًا: القصة:

للقصة دور بارز في تحريك المشاعر، وإبراز العواطف، وتثبيت الأفكار في الأذهان، فهي لا تحتاج إلىٰ جهد كبير لنقل أفكارها إلى النفس؛ لأن من شأن النفس الإنسانية إذا مرت بحدث من الأحداث أن تتفاعل معه.

كما لا يخفىٰ ما للقصة من دور في التأثير علىٰ نفوس المخاطبين بها، إذ لا تنتهي القصة إلا ويكون المستمع أو القارئ أو المشاهد قد عاش في تجربة نفسية، وقطع رحلة طويلة بحسب طول القصة، تترك في النفس آثارًا وجدانية وروحية، وأصبح مهيئا أكثر وأكثر للقيام بما تدل عليه القصة.

فعلىٰ سبيل المثال: عندما نقرأ حديث "إنما الأعمال بالنيات" فهو بلا شك يذكرنا بأهمية الإخلاص لله ﷻ، لكننا نجد أنفسنا أكثر تأثرا ورغبة في الإخلاص عندما نقرأ القصة التي ذكرها الرسول عليه الصلاة والسلام عن الثلاثة الذين كانوا في سفر فدخلوا غارًا يستريحون فيه، فانطبقت عليه صخرة، فدعوا الله بإخلاص، وتذكروا أعمالًا يظنون أنهم كانوا فيها من المخلصين حتىٰ تزحزحت الصخرة فخرجوا من الغار سالمين.

لذلك من المناسب تذكير أنفسنا بقصة مؤثرة لها علاقة بالعمل الصالح الذي نود القيام به، وبخاصة مع تلك الأعمال التي ألفنا القيام بها فأصبحت تؤدىٰ بلا روح.

عاشرًا: ضرب المثل:

من فوائد المثل (إبراز صورة معنوية في صورة حسية فيتقبلها العقل؛ لأن

المعاني المعقولة لا تستقر في الأذهان إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم. . فيكون وقعها التأثيري أقوىٰ وأومض في النفوس والعقول.

والأمثال تخاطب عقول الناس بما يعرفونه، وتجعل ما هو غائب ماثلًا أمامهم فتقرب إليهم البعيد)[(١)].

لذلك قيل بأن: المعلم الناجح هو الذي يكثر من ضرب الأمثال.

فعلينا ٱستخدام هٰذِه الوسيلة للتأثير على المشاعر قبل القيام بالعمل وبخاصة عند مخاطبة الآخرين.

والقرآن والسنة بها الكثير من الأمثال التي تُقرِّب المعاني البعيدة في صور قريبة محسوسة، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩].

وقوله: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١].

ومما جاء في السنة قوله ﷺ: تَرى المُؤْمِنِينَ في تَراحُمِهِمْ وَتَوادِّهِمْ وَتَعاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إذا ٱشْتَكَىٰ عُضْوًا تَداعَىٰ لَهُ سائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ والحُمَّىٰ[(٢)].

حادي عشر: الصورة المؤثرة:

المشاهد التي تراها العين يصل مدلولها إلى العقل والقلب بصورة سريعة وتكون أشد تأثيرًا على المشاعر مما ينقل عن طريق السمع. . ٱنظر إلىٰ موسىٰ - عليه السلام - وقد تأثر وغضب عندما أعلمه الله عز وجل بما فعله قومه من عبادة العجل، لكنه لم يلق الألواح التي في يديه، ولكن عندما ذهب لقومه ورآهم بعينيه ٱشتد غضبه واشتد، وألقى الألواح، وفي هٰذا المعنىٰ جاء

---

(١) الإعجاز التأثيري في القرآن (١٨٨ - ١٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦) عنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه.

الحديث عَنْ ابن عَبّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَيْسَ الخَبَرُ كالمُعايَنَةِ، إِنَّ اللهَ عز وجل أَخْبَرَ مُوسَىٰ بِما صَنَعَ قَوْمُهُ في العِجْلِ، فَلَمْ يُلْقِ الألواحَ، فَلَمّا عايَنَ ما صَنَعُوا، أَلقَى الألواحَ فانْكَسَرَتْ"[1].

لذلك من الوسائل العظيمة للتحفيز: ٱستخدام الصورة الحية، والمشاهدة المؤثرة التي تعلق في الذهن وتستثير المشاعر في ٱتجاه ما ترمي إليه الصورة.

وها هي صورة أخرىٰ: عَنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ- رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ، داخِلًا مِنْ بَعْضِ العالِيَةِ، والنّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ[2] مَيِّتٍ، فَتَناوَلَهُ فاخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هٰذا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟ فَقالُوا: ما نُحِبُّ أَنَّهُ لَنا بِشَيْءٍ، وَما نَصْنَعُ بِهِ؟ قالَ: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟ قالُوا: واللهِ لَوْ كانَ حَيًّا، كانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقالَ: فَواللهِ لَلدُّنْيا أَهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ، مِنْ هٰذا عَلَيْكُمْ[3].

تخيل معي -أخي القارئ- مدىٰ تأثير هٰذا المشهد على الحاضرين، وكيف ستكون علاقتهم بالدنيا بعد ذلك.

ثاني عشر: الٱستفادة من الأحداث غير المألوفة:

يزداد إرهاف الحس، وتأجج المشاعر، ويقظة العقل عندما تحدث أمام المرء أحداث غير مألوفة، ويصبح علىٰ درجة عالية من الٱستعداد للتلقي، لذلك نجد القرآن الكريم بعد الأحداث الكبيرة التي مرت بالصحابة رضوان الله عليهم ينزل ليعلمهم ويوجههم ويربيهم حتىٰ يستفيدوا من هٰذِه الأحداث في مزيد من الٱستقامة لله عز وجل، وبخاصة أن النفوس تظل مدة من الزمن متعلقة بتلك الأحداث، وتكون فيها على ٱستعداد لتلقي التوجيهات

(١) أخرجه أحمد (٢٤٤٧)، وابن حبان (٦٢١٣). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٧٤).

(٢) أسك: أي مقطوع الأذنين. النهاية لابن الأثير (٢ / ٣٨٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٥٧).

المتعلقة بها، ومثال ذلك:

١- تعقيب القرآن الطويل علىٰ حادثة الإفك وكيف يستفيدون منها بعد ذلك: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١٢]، ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧].

٢- وتعقيبه علىٰ ما فعله حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه في محاولته -غير الناجحة - لإخبار أهل مكة بعزم الرسول ﷺ على السير إليهم ودخول مكة فاتحًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].

٣- وكذلك التعقيب القرآني بعد غزوة بدر، وأحد، وبني النضير، والأحزاب، وما فيها من دروس وعبر وتوجيهات نحو مزيد من الآستقامة.

٤- ولقدكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك مع الصحابة رضوان الله عليهم ويربط دومًا بين الحدث غير المألوف والمعاني الإيمانية الدالة عليه.

ففي يوم من الأيام وبينما كان الرسول ﷺ بين صحابته إذ جاءه سبي، وفي هٰذا السبي آمرأة تسعىٰ ملهوفة مضطربة قد ضاع منها رضيعها، واستمرت علىٰ هٰذا الحال الشديد حتىٰ وجدته، فأخذته وضمته إلي صدرها بشدة ثم أرضعته.

هٰذا المنظر شاهده الصحابة فأثر فيهم غاية التأثير، فلم يتركه ﷺ يذهب سدىٰ، بل وجهه توجيها إيمانيًّا، فقال لهم: أَتُرَوْنَ هٰذِه طارِحَةً وَلَدَها في النّارِ قُلْنا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقالَ: لله أَرْحَمُ بِعِبادِهِ مِنْ هٰذِه بِوَلَدِها[1][2].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤) عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه.

(٢) نظرات في التربية الإيمانية (٧٥- ٨٧) تأليف: مجدي الهلالي.

أنواع التحفيز وكيف ومتى نستخدمها؟

وأخيرًا ... إن التحفيز أقسام وأنواع مختلفة، يمكن توزيعها وفقا لمعايير مختلفة، ومن هٰذِه المعايير ما يلي:

أولًا: تقسيم الحوافز من حيث النوع:

هناك عدة أنواع من الحوافز:

١- الحوافز المادية: هي التي تشبع حاجات الفرد المادية مثل الحاجة للأكل، الملبس، المأوىٰ.. . المكافآت، هدايا عينية ورمزية مثلًا وهي حوافز ملموسة، تتخذ أشكالًا متنوعة كالأجر، والعلاوات السنوية، والزيادات في الأجر لمقابلة الزيادة في نفقات المعيشة، والمشاركة في الأرباح والمكافآت والأجور التشجيعية، وضمان ٱستقرار العمل وظروف وإمكانيات العمل المادية، وساعات العمل والخدمات المختلفة التي تقدمها الإدارة للعاملين.

٢- الحوافز المعنوية: هي تلك التي ترضي الحاجات الذاتية للإنسان (كالحاجة للتقدير والثناء على الجهود المبذولة)إلىٰ جانب إشباعها للحاجات الٱجتماعية مثل الكلمة الطيبة، والشكر والثناء، والتكريم، والدعاء، وامتيازات أخرىٰ يحتاجها الفرد. كالحاجة إلى الأصدقاء والانتماء إلى الجماعة، والتي تزيد من تماسك العاملين وتشدهم نحو العمل، ومن أبرز أشكالِها، إتاحة فرص الترقية والتقدم أمام الأفراد وإتاحة الفرصة لهم للمشاركة في رسم السياسات واتخاذ القرارات الخاصة بإدارة العمل، ومنح الأوسمة والشهادات والألقاب، ونشر أسماء المبدعين البارزين عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، واتباع وسائل التكريم للمبدعين

ثانيا: تقسيم الحوافز من حيث الفئة المستهدفة:

١- الحوافز الفردية: هي الحوافز التي تقدم إلىٰ فرد بعينه.

مثل تزويج موسىٰ ﷺ، قال الله تعالىٰ ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدى

ابنتَيَّ هاتَيْنِ عَلَى أَنْ تاجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ فإنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ الله مِنَ الصّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧، ٢٨]

٢- الحوافز الجماعية: هي التي تقدم للجماعة مادامت أهداف المؤسسة رهينة في تحقيقها بجهود المجموعة، ومدىٰ تعاونهم، والحوافز الجماعية لها تأثيرها بالمقارنة مع الحوافز الفردية.

ولا تعني الحوافز الجماعية منح نصيب موحد لكل فرد في المجموعة بل وفق ما يقدم كل فرد ضمن مجموعته.

ثالثًا: تقسيم الحوافز من حيث طبيعة الجزاء:

١- الحوافز الإيجابية: هي تلك الحوافز التي تنمي روح الإبداع والتجديد في العمل.

٢- الحوافز السلبية.

رابعًا: تقسيم الحوافز من حيث الإمكانات:

١- الحوافز الأولية أو الأساسية.

٢- الحوافز الاْجتماعية والذاتية، وهي التي تتوفر في جو العمل وتشبع رغبات الأفراد الأساسية، الاْجتماعية والذاتية.

ومن المعاصرين من جعل أساليب التحفيز أربعة هي:

الأول: التحفيز الإيجابي: وهو ما ينجم عنه زيادة في تكرار ٱستجابات العمال المرغوب فيها.

الثاني: التحفيز السلبي أو التجنب: وهو عبارة عن شيء مثير إذا توقف تقديمه للعامل ينجم عن ذلك تكرار الأفعال المرغوب فيها، كالعامل الذي يحضر إلى العمل متأخرًا باستمرار، فيلقى اللوم من صاحب العمل، أو المشرف على المنشأة، فيبدأ بالحضور في موعد العمل من أجل أن يوقف لوم صاحب العمل، ولكي يبعد نفسه عن الاْنتقاد، بمعنىٰ آخر فإن ٱستجابة الموظف لتعليمات صاحب العمل تزداد عند ٱستبعاد الأشياء غير المحببة

لنفس العامل.

الثالث: التحفيز عن طريق الإخماد أو الإطفاء: ويعني عدم التدخل من صاحب العمل، بهدف إزالة سلوك غير مرغوب فيه، فاستجابة العمال يجب تحفيزها من أجل تكرارها وإلا أخذت بالتضاؤل والخمود.

الرابع: التحفيز عن طريق العقاب بأنواعه المادية والمعنوية: وينتج عنه إنهاء السلوك المعيب، فالموظف الذي يترك عمله قبل الوقت المحدد يعاقبه مسئوله من أجل تغيير السلوك المرفوض[1].

---

(١) أنظر: واجبات العمال وحقوقهم في الشريعة الإسلامية مقارنة مع قانون العمل الفلسطيني (١/ ٨٨)، السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال (١٥٤).

رابعًا: تحديد الأهداف

تعريف الهدف لغة واصطلاحًا:

الهدف: الغرض..، وهو كل شيء عريض مرتفع. وأهدف الشيء، إذا ٱنتصب[١].

وقد وردت كلمة هدف في سنة النبي ﷺ كما في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ. فأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النّاسِ. وَكانَ أَحَبَّ ما ٱسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحاجَتِهِ، هَدَفٌ أَوْ حائِشُ نَخْلٍ قال ابن أَسْماءَ في حَدِيثِهِ: يَعْنِي حائِطَ نَخْلٍ[٢].

قال المُناوي: " الهدف - محركًا- كل شيء عظيم مرتفع، والغرض وقولهم من صنف فقد ٱستهدف أي ٱنتصب كالغرض يرمىٰ بالأقاويل "[٣].

ومن معاني الهدف أيضًا كما قال المناوي رحمه الله (الغرض)، وهٰذا الذي ٱستعمله النبي ﷺ في أكثر من مناسبة، منها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: لا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا[٤].

فالأهداف والأغراض بمعنىٰ واحد.

وأما الهدف ٱصطلاحًا: فهو الغاية التي يسعىٰ إلى الوصول إليها وإلىٰ تحقيقها، والغرض الذي يراد إدراكه ونيله[٥].

أهمية وجود الأهدف:

من الأدوات الأساسية في تحسين وضعية الفرد أن يكون له هدف يسعىٰ إلىٰ تحقيقه. ونرىٰ أن ذلك ينبع من ٱعتبارات عديدة، أهمها:

١- إن كل ما حولنا في تغير دائم، والمعطيات التي تشكل المحيط الحيوي

---

(١) العين (٤/ ٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٣٤٢).

(٣) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (٣٤٣).

(٤) أخرجه مسلم (٥٨).

(٥) المنجد في اللغة والأعلام، (هدف)، (ص ٨٥٨).

لوجودنا لا تكاد تستقر علىٰ حال، وهٰذا يجعل كل نجاح نحققه معرضا للزوال؛ ووجود هدف أو أهداف في حياتنا، هو الذي يجعلنا نعرف علىٰ وجه التقريب ما العمل الذي سنعمله غدًا، كما أنه يساعد علىٰ أن نتحسس باستمرار الظروف والأوضاع المحيطة؛ مما يجعلنا في حالة دائمة من اليقظة، وفي حالة من الاقتدار على التكيف المطلوب.

وقد جرت عادة الكثيرين منا أن يسترخوا حين ينجزون عملا متميزًا؛ مما يضعهم علىٰ بداية الطريق إلىٰ أزمة تنتظرهم. ولذا فإن الرجل الناجح، هو الذي يسأل نفسه في فورة نجاحه عن الأعمال التي ينبغي أن يخطط لها، ويقوم بإنجازها؛ فالتخطيط هو الذي يجعل أهمية المرء تأتي قبل الحدث. أما معظم الناس فإنهم لا يفكرون إلا عند وجود أزمة، ولا يتحركون إلا حين تحيط بهم المشكلات، أي يستيقظون بعد وقوع الحدث، وبعد فوات الأوان!

ولا يجوز أن يكون العمل التطوعي هكذا يسير تبعًا للأزمات فيصبح مفعولًا به لا فاعلًا. وتصبح إدارته هي إدارة أزمات فقط.

٢- إن وعي كثيرين منا بـ (الزمن) ضعيف، ولذا فإن استخدامنا له في حل مشكلاتنا محدود. وحين يجتمع الناس برجل متفوق فإنهم يضعون بين يديه كل مشكلاتهم، ويطلبون لها حلولًا عاجلة متجاهلين عنصر (الزمن) في تكوينها وتراكمها، وطريقة الخلاص منها. ووجود هدف في حياة الواحد منا يجعل وعيه بالزمن أعظم، ويجعله يستخدمه في تغيير أوضاعه. إذا سأل كل واحد منا نفسه: ماذا بإمكانه أن يفعل تجاه جهله بعلم من العلوم مثلًا أو قضية من القضايا؟ فإنه يجد أنه في الوقت الحاضر لا يستطيع أن يفعل أي شيء يذكر تجاه ذلك. أما إذا سأل نفسه: ماذا يمكن أن يفعل تجاهه خلال خمس سنين؟ فإنه سيجد أنه يستطيع أن يفعل الكثير؛ وذلك بسبب وجود خطة، واستهداف للمعالجة، وهما دائما يقومان علىٰ عنصر الزمن. إني أعتقد أن كثيرًا من الخلل المنهجي في تصور أحوالنا، وحل أزماتنا، يعود إلىٰ ضيق

مساحة الرؤية، ومساحة الفعل معا، وذلك كله بسبب فقد النظر البعيد المدىٰ.

٣- إن كثيرًا من الناس يظهرون ٱرتباكًا عظيما في التعامل مع (اللحظة الحاضرة) وذلك بسبب أنهم لم يفكروا فيها قبل حضورها، فتتحول فرص الإنجاز والعطاء إلىٰ فراغ قاتل ومفسد؛ وهٰذا يجعلنا نقول: إننا لا نستطيع أن نسيطر على الحاضر، ونضبط إيقاعه، ونستغل إمكاناته، إلا من خلال مجموعة من الآمال والأهداف والطموحات، وبهذا تكون وظيفة الهدف في حياتنا هي ٱستثمار اللحظة الماثلة علىٰ أفضل وجه ممكن.

إن ملامح خلاص جيلنا، والجيل القادم على الأقل من وهن التخلف والانكسار قد تبلورت في أمرين: المزيد من الألتزام بالمنهج الرباني، والمزيد من التفوق، ولا نستطيع أن نجعل هذين الأمرين حقيقة واقعة في حياتنا من غير تحديد أهداف واضحة[١].

شروط وضع الأهداف:

١- أن تكون الأهداف قابلة للإنجاز:

قد يضع الإنسان لنفسه أهدافًا كبيرة، لكنه يفشل في تحقيقها لا لخلل فيها، وإنما لكونها غير قابلة للتنفيذ أصلًا، ربما من قبله فقط أو من قبل أي شخص آخر، لذا فالمؤسسات الناجحة هي التي تضع أهدافا تقبل التنفيذ.

والهدف القابل للتنفيذ هو الهدف الذي يناسب قدرات الشخص نفسه-أو المؤسسة- وإمكانياته ومستواه، لذا نجد في بعض مؤسساتنا اليوم مشاريع ضخمة تنطلق ولكنها سرعان ما تفشل بعد فترة وجيزة؛ لكون تلك الأهداف غير قابلة للتنفيذ في ذلك البلد بالذات لسبب أو لآخر.

ولنوضح ذلك بمثال من السيرة النبوية الكريمة:

---

(١) أهمية رسم الأهداف، د. عبد الكريم بكار، مجلة البيان (العدد ١٢١)، رمضان ١٤١٨هـ.

فعَنْ عائِشَةَ رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: **«أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ بَنَوْا الكَعْبَةَ، واقْتَصَرُوا عَنْ قَواعِدِ إِبْراهِيمَ. فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ ألا تَرُدُّها عَلَىٰ قَواعِدِ إِبْراهِيمَ؟ قالَ: لَوْلاَ حِدْثانُ قَوْمِكِ بِالكُفْرِ»**[(١)].

فكان من جملة أهداف النبي ﷺ أن يهدم بناء الكعبة ويقيمه علىٰ أصل بناء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ويدخل الحجر، ويجعل لها بابين..، وهو هدف رائع ونافع، لكن النبي ﷺ راعىٰ عدم إمكانية تنفيذه وقتئذ، لكون الناس قريبي عهد بجاهلية، وقد تتحقق مفسدة في الهدف أكبر من المنفعة، فترك النبي ﷺ تنفيذ هٰذا الهدف.

٢- تحديد الأهداف بشرط أن تكون قابلة للقياس أو الوصف:

خلق الله تعالىٰ هٰذا الكون بنظام دقيق، فهو يسير وفق غاية محددة وهدف منشود، وهٰذا النظام الكوني البديع مرآة تدل علىٰ أن كل شيء فيه له هدف. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦]، فالله جل جلاله خلق هٰذا الكون ونظمه، وجعل له أهدافًا بينة وواضحة ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] فالإنسان -أي إنسان - لو تأمل قليلًا بتجرد تام في ملكوت السموات والأرض لما ملك نفسه أن يعترف بهٰذا الخالق العظيم.

ولما كان الإنسان خليفة في هٰذِه الأرض كان عليه أن يعرف الهدف الذي يعيش من أجله، ويسعىٰ لتحقيقه، وإلا فإنه ولد وعاش وسيموت وهو لا يدري لم خلق وأين سيمضي.

ولقد حدد الله ﷻ الهدف من خلق الإنسان قبل خلقه!، فقال: ﴿وإذْ قال رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ في الأرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قال إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وأمر الملائكة أن يسجدوا له فقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٤)، ومسلم (١٣٣٣).

سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] وحدد له وظيفته في هٰذا الكون، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]

وحدّد ﷺ مضمونَ رسالته، والغايةَ منها، منذ أوّل يوم، إذ صعد علىٰ جبل الصفا في قلب مكة، فصدح بهدفه، فأخرج البخاري من حديث ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: لَمّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفا، فَجَعَلَ يُنادِي: «**يا بَنِي فِهْرٍ، يا بَنِي عَدِيٍّ**» -لِبُطُونِ قُرَيْشٍ- حَتَّى ٱجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ ما هُوَ، فَجاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقالَ: «**أَرأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**» قالُوا: نَعَمْ، ما جَرَّبْنا عَلَيْكَ إِلّا صِدْقًا، قالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ**»، فقال أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذا جَمَعْتَنا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾[1] [المسد: ١- ٢].

فالنبي ﷺ جمع عشيرته وأقاربه علىٰ صعيد واحد، وحدد لهم الهدف الذي بعث من أجله، بكل وضوح ودقة وإيجاز.

وتأسيا بالنبي ﷺ نقول: كلما كان الهدف في العمل التطوعي محددا بدرجة أكبر، كانت وجهة حركة العاملين واضحة أكثر.

ومثال ذلك في العمل التطوعي الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ فإذا أردت لدعوتك أن تكون قوية مؤثرة تجمع عليها الناس، يؤيدونها ويناصرونها، فعليك أن تكون واضحًا في عرضها، واضحًا في عرض أهدافها[2].

٣- أن يكون الهدف واقعيًا:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

(٢) خواطر في الدعوة ووضوح الأهداف، محمد العبدة، مجلة البيان العدد **٢٣٨**. وانظر أيضًا: نظرات في التربية بالأهداف، بقلم عبد الله البريدي. مجلة البيان العدد **١٢٢**.

ونعني به أن يكون له أثر على الواقع لا أنه خيالي غير واقعي، أو هدف لا يتحقق بأي شكل من الأشكال. ولذا سعى النبي ﷺ لإصلاح الشباب والحفاظ على السلوك القويم فهم عصب الأمة، والشريان الحي لها، وحياة الأمم بحياة شبابها، وضياعها بانحرافهم عن القيم والثوابت.

فكان من أهم الأهداف النبوية تحصين الشباب من المزالق الفكرية والخلقية، إذن الهدف كان (حماية الشباب من الانحراف) وهٰذا هدف واقعي، ليس خياليًّا.

وكمثال علىٰ تعامل النبي ﷺ بواقعية تامة مع هٰذا الهدف، فمثلما منعهم من الزنا، دعاهم ورغبهم في الزواج وإنشاء الأسر القويمة، ولما كان هٰذا الهدف واقعيا فقد ترك أثرا واضحا في نفوس الشباب وكذلك ترغيب النبي ﷺ عدي بن حاتم بأمور ما كانت في خلده وما تصور يوما وقوعها لٰكن النبي ﷺ وعده بها وأخبره بإن هٰذِه الأماني واقعة لا محالة.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: « **يا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟** » قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ « **فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّىٰ تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ أَحَدًا إِلاَّ اللَّه،** - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلاَدَ - ، **وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنوزُ كِسْرىٰ** »، قُلْتُ: كِسْرىٰ بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: "**كِسْرىٰ بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّه أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولاً فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالاً وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرىٰ إِلاَّ جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلاَ يَرىٰ إِلاَّ جَهَنَّمَ**" قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: « **اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ**

بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّىٰ تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ إِلَّا الله، وَكُنْتُ فِيمَنِ ٱفْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرىٰ بْنِ هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو القَاسِمِ: ﷺ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ[1].

وهٰذا مهم جدًّا الٱلتفات إليه في الأعمال التطوعية؛ فليبتعد العاملون فيها عن الأحلام الوردية، والأمنيات الكبيرة، وليبدأوا بأهداف صغيرة مرحلية سهل تحقيقها مع وضع أعينهم على الهدف الأكبر لهم.

٤- وضع تاريخ محدد لإنجاز الهدف:

فإن الهدف لا يصبح هدفًا فعلًا حتىٰ يوضع له تاريخ محدد لإنجازه، ويعتبر تحديد هٰذا التاريخ خطوة حاسمة في زيادة الحافز والالتزام لديك[2].

والأهداف الناجحة هي التي تحمل خطة زمنية محددة، لها نقطة ٱنطلاق ونقطة ٱنتهاء. وكل هدف ليس له زمن محدد يكون عشوائيًّا غير منضبط، فمثلًا: من أراد حفظ كتاب الله تعالىٰ فليضع لنفسه خطة زمنية مرسومة يومية وأسبوعية وشهرية، وهكذا كل مشروع لابد له من خطة زمنية ليحقق هدفه...

فالزمان ليس ملكًا لنا إلىٰ ما لا نهاية، وطاقاتنا قابلة للنفاد. ثم إن القيمة الحقيقية للأهداف، لا تتبلور إلا من خلال الوقت الذي يستغرقه الوصول إليها، والجهد والتكاليف التي نحتاجها. ولهٰذا كله فالبديل عن وضوح الهدف، ووضوح تكاليفه المتنوعة، ليس سوى العبث والهدر والاستسلام للأماني الخادعة![3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٩٥).

(٢) العادات العشر للشخصية الناجحة، تأليف: د. إبراهيم القعيد (١٤٦، ١٤٨).

(٣) أهمية رسم الأهداف، مجلة البيان (العدد ١٢١).

وسائل العمل التطوعي

١- القوافل الدعوية التطوعية

٢- الرسائل والمطويات

٣- الإنترنت

٤- الدعاية والإعلان

٥- المخيمات الصيفية

٦- البث المفتوح من فضائيات ونحوها

٧- القصص والتجارب الناجحة

٨- إنشاء مقرات إدارية للعمل التطوعي

تعريف الوسائل:

الوسائل في اللغة فهي: جمع وسيلة، والوسيلة تطلق على المنزلة عند الملك والدرجة، وهي ما يتقرب به إلى الغير، وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل[١].

وأما الوسيلة في الاصطلاح فلها معنيان:

- **معنىٰ عام**: وهو أن الوسائل هي الأفعال التي يتوصل بها إلىٰ تحقيق المقاصد. والمراد بالأفعال: ما يصدر من العبد سواء كان من أفعال الجوارح أم القلوب[٢].

- **معنىٰ خاص**: أنها الأفعال التي لا تقصد لذاتها، لعدم تضمنها المصلحة أو المفسدة، وعدم أدائها إليها مباشرة، ولكنها تقصد للتوصل بها إلىٰ أفعال أخرىٰ هي المتضمنة للمصلحة أو المفسدة والمؤدية إليها"[٣].

وعرف القرافي رحمه الله الوسائل بأنها: الطرق المفضية إلى المقاصد[٤].

وفي القواعد والأصول لابن سعدي رحمه الله عرفها بأنها: "الطرق التي يسلك منها إلى الشيء، والأمور التي تتوقف الأحكام عليها من لوازم وشروط"[٥].

ضوابط الوسائل والأساليب في الأعمال التطوعية:

لوسائل العمل التطوعي ضوابط حتىٰ لا تنحرف عن قواعد الشرع، ولا تخرج عن الأهداف التي وضعت من أجل نجاح الدعوة إلىٰ الله.

---

(١) لسان العرب مادة وسل ١١/ ٧٢٤، المصباح المنير، مادة وسل ٢/ ٦٦٠.

(٢) ينظر: قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، مصطفىٰ مخدوم، ص ٤٨ .

(٣) ينظر: قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، مصطفىٰ مخدوم، ص ٤٨ .

(٤) الفروق ٢/ ٣٣.

(٥) القواعد والأصول الجامعة ص ٢٥.

الضابط الأول: الأنضباط بأحكام الشرع: أي: يشترط أن تكون الوسائل والأساليب مأخوذة من نصوص الكتاب والسنة، أو أن تكون مستنبطة عن طريق المصادر الشرعية الأخرىٰ مثل: الأجتهاد، القياس، الأستحسان، المصالح المرسلة، ومعنىٰ ذلك ألا تستخدم الوسائل والأساليب المحرمة والممنوعة، أي: التي جاء النهي عنها في الكتاب مثل: المزمار.

الضابط الثاني: ألا يؤدي أستعمالها من أجل مصلحة إلى الوقوع في مفسدة أعظم: أي: لا تترتب مفسدة على أستخدام الوسيلة أكثر من المصلحة التي كان يجب أن تحققها؛ لأنه قد تكون الوسيلة مشروعة، ولكن أستخدامها يترتب عليه مفسدة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالىٰ- في هٰذه الآية الكريمة: "ففي هٰذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية، وهي: أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها"[١].

الضابط الثالث: مراعاة الأولويات: إنه يجب على الداعي أن يراعي الأولويات في أستخدامه الوسيلة والأسلوب، ومراتب الوسائل والأساليب تابعة لمراتب مصالحها، فالوسيلة إلىٰ أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، والوسيلة إلىٰ أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل، ثم تترتب الوسائل بترتب المصالح والمفاسد، فمن وفقه الله للوقوف علىٰ ترتيب المصالح عرف فاضلها من مفضولها ومقدمها ومؤخرها.

الضابط الرابع: ألا تكون الوسيلة أو الأسلوب شعارًا للكفار، مثل البوق والناقوس لليهود والنصارىٰ.

فعلى المتطوع أن يتجنب في عمله أية وسيلة تعد شعارًا من خصائص

(١) تفسير السعدي ص: ٢٦٨.

الكفار مهما كان نوعها، هٰذا في الأمور العقدية، أما ما يخص الشئون الدنيوية، فما وافق الشرع أخذ به، وما خالفه تركه، والحكمة ضالة المؤمن أنىٰ وجدها أخذها.

والخلاصة: أن الوسائل والأساليب لإتمام العمل التطوعي ليست توقيفية بالكلية، ولا ٱجتهادية على الإطلاق، وإنما فيها ما هو توقيفي وهو المنصوص في الكتاب والسنة، ومنها ما هو ٱجتهادي، ولكنه مضبوط بضوابط الشرع.

ومن القواعد التي ٱتفق عليها علماء الأمة قاعدة:

الوسائل لها أحكام المقاصد[١]:

تعتبر قاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد من القواعد الفقهية المعروفة والمشهورة عند العلماء، وقد ذكرها أو أشار إليها غير واحد من أهل العلم، منهم القرافي في الفروق حيث قال: "القاعدة أن الوسائل تتبع المقاصد في أحكامها، فوسيلة المحرم محرم، ووسيلة الواجب واجبة، وكذلك بقية الأحكام"[٢].

وذكرها كذلك الطوفي حيث قال: "ومن كليات القواعد: أن الوسائل تتبع المقاصد"[٣].

وممن أشار إليها الشافعي في كتابه الأم، حيث قال: " الذرائع إلى الحلال والحرام تشبه معاني الحلال والحرام"[٤].

ونقصد بالقاعدة الفقهية: ذلك الحكم أو الأمر الكلي أو القضية الكلية التي تفهم منها أحكام الجزئيات التي تندرج تحت موضوعها وتنطبق عليها[٥].

---

(١) قاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد د. نايف بن جمعان الجريدان

(٢) الفروق ٣/ ١١١-١١٢. (٣) مختصر الروضة للطوفي ٣/ ٨٩.

(٤) الأم للشافعي ٤/ ٥٧.

(٥) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية ص ١٥

المعنى الإجمالي للقاعدة:

المعنى الإجمالي لقاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد هو: أن الأفعال المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها ولها طرق تفضي إليها، فإن تلك الطرق يختلف حكمها باختلاف حكم مقاصدها، فما يتوقف عليه الواجب واجب، وما لا يتم المسنون إلا به فهو مسنون، وما يتوقف الحرام عليه فهو حرام، ووسائل المكروه مكروهة، ووسائل المباح مباحة.

قال ابن القيم رحمه الله: " لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلىٰ غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلىٰ غايتها؛ فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود، لكنه مقصود قصد الغايات، وهي مقصودة قصد الوسائل؛ فإذا حرم الرب تعالىٰ شيئًا وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقا لتحريمه، وتثبيتًا له، ومنعا أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضا للتحريم، وإغراء للنفوس به، وحكمته تعالىٰ وعلمه يأبىٰ ذلك كل الإباء، بل سياسة ملوك الدنيا تأبىٰ ذلك؛ فإن أحدهم إذا منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شيء ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصلة إليه لعد متناقضًا، ولحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده. وكذلك الأطباء إذا أرادوا حسم الداء منعوا صاحبه من الطرق والذرائع الموصلة إليه، وإلا فسد عليهم ما يرومون إصلاحه "[١].

ما يدل علىٰ هٰذِه القاعدة:

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٣/١٠٨-١١٠.

يدل لهٰذِه القاعدة أدلة كثيرة منها:

١. قوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ الله وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ الله لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

قال القرافي رحمه الله: ﴿فَأَثَبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ على الظما والنصب وإن لم يكونا من فعلهم بسبب أنهما حصلا لهم بسبب التوسل إلى الجهاد الذي هو وسيلةٌ لإعزاز الدين وصون المسلمين فيكون الاستعداد وسيلة الوسيلة"(١).

٢. قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

قال السعدي رحمه الله: "فهٰذا دليل علىٰ أن الوسائل لها أحكام المقاصد؛ فإن الخضوع بالقول واللين فيه في الأصل مباح، ولٰكن لما كان وسيلة إلى المحرم منع منه"(٢).

٣. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

قال ابن عثيمين رحمه الله: "فأرشد إلى المنع من الأمر المباح إذا كان يفضي إلىٰ فعل محرم"(٣).

***

ولنشرع في ذكر أهم الوسائل لنشر العمل التطوعي والدعوة إليه:

١- القوافل الدعوية التطوعية:

يعيش أغلب المسلمين في القرىٰ والأرياف والبوادي، ومعظمهم إما أهل زراعة وإما أهل ماشية. والخدمات والتسهيلات التي توفرها الدول لهٰذِه الطبقة

(١) الفروق للقرافي ٢/ ٣٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٦٦٤.

(٣) مجموع فتاوىٰ ورسائل ابن عثيمين ١٠/ ٦٢٥.

من الشعب دون ما توفره لسكان المدن الكبرىٰ، ومع ذلك فإن تخلفهم في المجال الدعوي أسوأ منه في المجال المادي؛ لأن أغلب الدول الإسلامية لا تهتم بالجانب الديني من حياة الشعب، ولهٰذا ٱنتشرت في هٰذِه الطبقة عادات وتقاليد سيئة ومخالفة للشرع - وبعضها يرتكب باسم الدين - كما تنتشر فيهم منكرات وأمراض ٱجتماعية كثيرة، يختلف أكثرها عما عند أهل المدن الكبرىٰ. والدعاة إلىٰ الله بعيدون عن تلك المناطق النائية، وعلاقتهم بها ضعيفة، ويقل حضورهم فيها واهتمامهم بها، فلذلك تراكمت علىٰ أهلها الاٌنحرافات، وفشىٰ فيهم الجهل، وابتعدوا عن الدين الصحيح قليلًا أو كثيرًا. ولتقليل هٰذِه الاٌنحرافات والمنكرات ينبغي أن يقوم طلبة العلم والدعاة بجولات دعوية إلى القرىٰ والأرياف يتعرفون من خلالها علىٰ أحوال إخوانهم والوقوف على المشاكل التي تقض مضاجعهم، والمساهمة في حلها. وأن يعلموهم أمور دينهم، ويرفعوا ٱحتياجاتهم إلى الجهات الرسمية وأهل الخير من المسلمين لسدها. وأن يشجعوا غيرهم من أهل العلم والدعاة على المشاركة في ذلك، والدال على الخير كفاعله.

ومن التطبيقات العملية في السنة النبوية ما يلي:

*** خروج النبي إلى الطائف لدعوتهم إلى الإسلام:**

فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذىٰ ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب، فرأىٰ رسول الله ﷺ أن يغير البيئة، وأن يخرج بالدعوة من مكة إلىٰ غيرها، لعله يجد من القبائل والعشائر من يقبل الدعوة، ويحميه حتىٰ يبلغ رسالة ربه، فخرج إلى الطائف ماشيا يلتمس النصرة من ثقيف، رجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله -ﷻ-، ولكنها لم تستجب له، وأغرت به صبيانها فرشقوه بالحجارة حتىٰ أدموه، فقابل ذلك بالصبر والرضا وخرج عائدًا إلىٰ مكة، مهمومًا حزينًا فبعث الله له

ملك الجبال لينتقم منهم، فقابل الإساءة بالإحسان والعفو[١].

*** إرسال عمرو بن أم مكتوم، ومصعب بن عمير للمدينة:**

لما بايع نفر من الأنصار النبي ﷺ بيعة العقبة الأولىٰ وأرادوا الرجوع إلى المدينة بعث معهم عمرو بن أم مكتوم، ومصعب بن عمير، يعلمان من أسلم منهم القرآن، ويدعوان إلىٰ الله ﷻ، فنزلا علىٰ أبي أمامة أسعد بن زرارة، وكان مصعب بن عمير يؤمهم وقد جمع بهم يوما بالأربعين نفسًا، فأسلم علىٰ يديهما بشر كثير منهم: أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وأسلم بإسلامهما يومئذ جميع بني عبد الأشهل، الرجال والنساء، إلا الأصيرم، وهو عمرو بن ثابت بن وقش، فإنه تأخر إسلامه إلىٰ يوم أحد، فأسلم يومئذ، وقاتل فقتل قبل أن يسجد لله سجدة. فأخبر عنه النبي ﷺ فقال: عمل قليلًا وأجر كثيرًا.

وكثر الإسلام بالمدينة وظهر، ثم رجع مصعب إلىٰ مكة، ووافى الموسم ذلك العام خلق كثير من الأنصار من المسلمين والمشركين[٢].

★ مقترحات وتوجيهات لإنماء القوافل الدعوية:

١. إعداد دروس ومحاضرات مناسبة لأهل المدن والقرى النائية والتي تساعدهم علىٰ فعل الخيرات والتقرب من الله ﷻ.

٢. ٱختيار مجموعة من الدعاة ممن له خبرة دعوية واجتماعية.

٣. تركز القوافل في دروسها على التوحيد ومحاربة الشرك، واتباع السنة وترك الٱبتداع، ومعالجة الٱنحرافات القائمة، ومكافحة المنكرات الشائعة في تلك المنطقة، فمن ٱستقام علىٰ هٰذا كان قريبا من فعل الخيرات.

٤. وتهتم بتزكية النفس والمواعظ، وتحث على الطاعة وتعظيم حرمات

---

(١) ٱنظر سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام (١/ ١٧٣).

(٢) الفصول في السيرة لابن كثير (ص: ١١٠)

الله وشعائره، وتزهد عن المعاصي والذنوب.

٥. والقوافل تدعوا الناس إلى الخير بسمتها وفعلها قبل قولها؛ لتكون قدوة للمدعوين.

٦. تزود القوافل بمعلومات عن سكان المناطق التي تزورها، وعن عاداتهم وتقاليدهم؛ ليسهل عليهم فهم الواقع، ومواجهته بما يناسبه. ويفضل أن يكون في القافلة أحد أبناء المكان المزار.

٧. تصطحب القوافل بعض الهدايا والتحف لعلماء ووجهاء القرى التي تزورها، كما تصطحب بعض الأدوية، ويرافق القافلة داعية طبيب أو ممرض إن أمكن.

٨. تتغلغل القوافل في السكان، وتخترق صفوفهم وتجالسهم في منتدياتهم، وتخاطبهم بلغتهم وعلىٰ مستواهم؛ للوصول إلىٰ ثقتهم ومن ثم التأثير عليهم، وتتصل البعثة بجميع شرائح المجتمع، وتخاطب كل شريحة منها بما يناسبها.

٩. زيارة المدارس، ومقابلة الأساتذة وتوجيههم، وإشعارهم بمسؤوليتهم، وإهداء الكتب والأشرطة لهم.

١٠. إجراء مسابقات بين الطلاب وتوزيع الجوائز على الفائزين، ومقابلة الوالدين وتزويدهم ببعض الأفكار التربوية، وحثهم على التعاون مع الأساتذة في تربية الأولاد وتعليمهم.

١١. الاتصال بالطلاب من أهل القرية في المدن، ومساعدة هؤلاء الطلبة وتوجيههم، والتعاون معهم في دعوة قريتهم.

١٢. الاعتناء بدعوة النساء، وحل مشاكلهن.

١٣. توعية الناس أثناء السفر في المواصلات العامة، وحبذا لو كان مع البعثة مكبرات صوتية.

١٤. تتخذ القوافل المساجد مسكنا لها، وتعتمد علىٰ نفسها في النفقات،

ولكن لا تمتنع عن ضيافة أهل القرية ودعوتهم إن عرض عليها ذلك.

١٥. تستخدم القوافل كل الوسائل والأساليب المشروعة التي تقرب قلوب الناس إليهم كالدعاء لهم، والرقية علىٰ مرضاهم، وزيارتهم، وتعليمهم الأدعية والأذكار المشروعة، وإبداء محاسنهم، والثناء بها عليهم، والشكر لهم علىٰ صنائعهم المعروفة، والرفق بهم.

١٦. تعقد القوافل لقاءات واجتماعات مع وجهاء القرىٰ وعلمائها، يقدمون لهم فيها أسباب ودواعي زيارتهم، وأخبار الأمة والدعوة الإسلامية، والمشاكل والمحن التي يتعرض لها المسلمون وأسبابها والحلول المناسبة لها، كما ينبهونهم علىٰ مسؤوليتهم أمام الله وأمام أمتهم عن حماية دين الأمة ودنياها، ثم يطلبون منهم تقديم أخبار القرية، ويناقشون معهم في تنمية القرية من كل النواحي، ويختمون لقاءهم بتقديم النصائح والمقترحات لهم لإصلاح القرية وأهلها.

١٧. تهتم القوافل بتحسين علاقة الشباب في القرية بأهلها، وذلك عن طريق إزالة سوء التفاهم بينهم، وتوجيه الشباب إلىٰ حسن التعامل مع المدعوين، وتقدير علمائهم، واحترام كبارهم، وعن طريق تحريض أهل القرية على الاستفادة من الدعاة وإن كانوا صغارًا.

١٨. ومن مهام القوافل الدعوية توعية الشباب في المدن والقرىٰ، ورفع معنوياتهم، وتحميسهم وبعث روح التنافس فيما بينهم، وربطهم بإخوانهم من الدعاة، والتنسيق معهم في المستقبل.

١٩. تتعرف القوافل علىٰ دعاة وأعيان القرى المزارة من العلماء والوجهاء، ؛ لكسب ثقتهم وإقناعهم بقبول الدعوة ومساندتها، وتنشئ معهم علاقات طيبة، وتتبادل معهم العناوين والهواتف؛ لضمان الاتصال مستقبلا. ويطلبون منهم زيارة مكتب الدعوة إذا قدموا العاصمة؛ لاستضافتهم والاحتفاء بهم مما سيكون له أبلغ الأثر في مواقفهم من الدعوة والدعاة.

٢٠. تقدم القوافل تقريرا عن رحلتها الدعوية إلى المكتب المختص، وتركز في تقريرها علىٰ توصيف الأوضاع في المناطق التي تمت زيارتها، وعلى العقبات التي تعترض طريق الدعوة في تلك المناطق والفرص الدعوية المتاحة فيها. وتقدم أيضا الآراء والمقترحات التي يمكن الاستفادة منها في المجال الدعوي، وتبدي الخبرات المكتسبة من الرحلة، وتقدم أحسن الطرق للوصول إلىٰ قلوب المدعوين في المناطق المزارة.

٢١. نشر أخبار الجولات الدعوية في الإذاعات والصحف، وإبراز نتائجها الإيجابية، وحث الناس على الاستفادة منها، وتشجيع طلبة العلم والدعاة على المشاركة فيها.

٢٢. تقديم احتياجات أهل القرى الدعوية كبناء مسجد أو خلوة للأغنياء من أهل الخير[١].

٢- الرسائل والمطويات[٢].

المطويات: عبارة عن مواضيع تكتب في ورقة واحدة ثم تلف، ومعروفة لدى الجميع وهي سهلة التناول، قصيرة الكلمات، جذابة المنظر، لا تأخذ وقتًا في قراءتها، تعالج موضوعًا محددًا.

أهدافها:

١. توعية الناس بأمور دينهم بأسلوب سهل وواضح.

٢. إيجاد وسائل دعوية سهلة من خلال توزيعها في قطاعات مختلفة من الناس وبأسعار رمزية.

٣. اختيار موضوعات تمس واقع الناس وتهم حياتهم اليومية.

---

(١) مستفاد من مقال بعنوان: القوافل الدعوية والتطوعية في القرىٰ والأرياف، أحمد عبد الصمد.

(٢) مستفاد من المطويات وسيلة دعوية. موقع صيد الفوائد.

٤. تصحيح كثير من الانحرافات العقدية والأخلاقية والسلوكية.

٥. غرس مبادئ وأفكار إسلامية في نفوس الناس. وغير ذلك من الأهداف.

٦. حث الناس علىٰ فعل الخيرات والإكثار منها من خلال بيان أهمية العمل الخيري.

٧. تعريف الناس بأهم المجالات التطوعية التي يمكن أن يشاركوا فيها والاستفادة منها.

٨. التعريف الموجز بالمؤسسات والهيئات الخدمية وأهم إنجازاتها.

٩. التعريف بالأماكن الفقيرة (ماديًّا أو دعويًّا) والتي تحتاج إلىٰ خدمات كثيرة متنوعة لينزح إليها صناع الخير فيجتهدو فيها.

أقسام المطويات:

يمكن أن نقسم المطويات بحسب المواضيع التي تطرح فيها ومن ذلك:

أولًا: العقيدة الإسلامية:

وذلك كمعالجة موضوع أو مفهوم عقدي وقع الانحراف فيه، أو جهلت أهميته ومكانته في حياة الناس مثل بيان معنىٰ لا إلـٰه إلا الله وشروطها وأركانها، أو نواقض الإسلام، أو بيان عقيدة الولاء والبراء وحكم سب الله ﷻ أو الرسول ﷺ أو مخالفات في الرقية، التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين الابتداع في الدين والاحتفال بالمولد، حكم السحر والكهانة،... وما إلىٰ ذلك من المواضيع أو المفاهيم العقدية.

ثانيًا: الفقه:

وفيها تنشر المواضيع الفقهية مثل الصلاة: شروطها وأركانها ومكانتها في الإسلام وأحكام صلاة المريض وطهارته وغيره من أهل الأعذار، والأضحية وأحكامها، وضوابط العبادة الصحيحة،، وصفة الحج والعمرة، والزكاة،،

صفة الصوم وصوم النبي ﷺ... وما إلىٰ ذلك.

ثالثًا: الأخلاق والآداب:

وهي تعالج فيها مواضيع تحث علىٰ خلق فاضل أو تحذر من خلق سيء أو تبين معناهما كالحديث عن: حسن الخلق عامة، أو بر الوالدين، وحسن العشرة، وأدب الطريق، وإفشاء السلام، وحكم المزاح، والحياء، وترك الغضب، سلامة الصدر... إلخ

رابعًا: المرأة والأسرة والتربية:

ويتحدث فيها عن مواضيع تهم المرأة المسلمة في دينها ودنياها كالحديث عن الأم مكانتها ودورها، أو الحديث عن الحجاب وأحكام زينة المرأة، أو تحرير المرأة، وخطر مشاركة المرأة الرجل في ميدان عمله أو مواضيع تتعلق بالفتاة المسلمة مثل إليك يا ابنتي، وأفيقي يا فتاة الإسلام، وفتاة لا تعجبني أو الحديث عن مواضيع تهم الأسرة المسلمة وصلاحها والسير بها نحو حياة هنيئة مطمئنة آمنة أو أمور تفسد العلاقات الأسرية وتسعىٰ بها نحو التفكك والضياع، كالحديث عن: الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، أو أخطار تهدد الأسرة، وأطفالنا ومعاني الرجولة، ويا بنتي،... وغيرها من المواضيع.

خامسًا: الرقائق والمواعظ:

وتتناول مواضيع واضحة معروفة تتركز في الحديث عن: الأعمال المضاعفة الأجور كالشكر والحمد والاستغفار، وفضائلها، أو الحديث عن المحاسبة والتفكر في حال الدنيا ومآلها والآخرة وأهوالها وغير ذلك من المواضيع التي يكون هدفها ترقيق النفس وتهذيبها. . .

سادسًا: الدعوة:

وبها تعالج مواضيع ذات علاقة بالدعوة إلى الإسلام والسبل الموصلة إلى الهِداية أو المانعة من الاْستقامة كالحديث عن موانع الهداية وطرق الاْستقامة والبدايل الدعوية أو الحديث عن: التعريف بدين الإسلام،... الخ.

سابعًا: السيرة والتاريخ:

كالدروس والعبر من الهجرة، والغزوات والمواقف، والمشاهد وفضائل الصحابة، ومعرفة الأنبياء، وسير الصالحين والاقتداء بهم. . . الخ.

ثامنًا: التعريف بالأعمال الخيرية التي تحتاج إلىٰ جهود جميع الناس بدنيًّا كان أو ماديًّا:

ولعل الأمر قريب فيما صنعه النبي ﷺ في إرسال الكتب إلى الرسل والملوك فأرسل إلىٰ قيصر وكسرىٰ والنجاشي، وغيرهم، وفي كلمات موجزات يبين النبي ﷺ دعوته وغايته ويدعوهم إلى الإسلام.

وهٰذا نموذجه: **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ ورَسُولِهِ، إلىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الهدىٰ، أَمّا بَعْدُ: فانِّي أَدْعُوكَ بدِعايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وأَسْلِمْ يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فإِنْ توَلَّيْتَ، فَعَلَيْكَ إِثْمُ الأَرِيسِيِّينَ** و: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ * أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا * وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ * فَإِن تَوَلَّوۡاْ * فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤](١).

---

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

٣- الإنترنت[١]:

لقد جعلت ما يعرف بثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات العالم كله كأنه قرية واحدة يسهل الاتصال بين سكانها بسرعة مذهلة عبر البريد الإلكتروني والشبكة العنكبوتية (الإنترنت) التي أصبحت في السنوات الأخيرة من أبرز وسائل الإعلام والاتصال والتواصل الإنساني، فهي أسرع وسيلة لنقل المعرفة صوت وصورة ونص؛ وبذلك تفوقت علىٰ وسائل الإعلام الأخرىٰ.

وعبر الإنترنت التي يستخدمها مئات الملايين في العالم يبرز دور العمل الخيري والإنساني وبخاصة في مجال الإغاثة الإنسانية فقد أصبح من اليسير أن نتعرف علىٰ أماكن الكوارث الإنسانية من زلازل وفيضانات وقت حدوثها ومعرفة حجم الكارثة والخسائر وعدد المشردين وعدد البيوت المهدمة؛ وذلك يفيد في التخطيط الجيد لحملة الإغاثة لهٰذِه المنطقة. والإنترنت يمكن أن تفيد أيضًا في التواصل المستمر مع الشعوب المختلفة وتقدير احتياجاتها من المشروعات الخيرية والتنموية والكفالات ونقل هٰذِه الاحتياجات إلىٰ أصحاب الأيادي الخيرة في العالم.

فلا يترك المسلم وسيلة للخير إلا طرق أبوابها وسعىٰ إليها، ولهٰذا يجب أن نستفيد من الإنترنت والتقنيات الحديثة كوسيلة من وسائل دعم العمل الخيري،

---

(١) لا شك أن شبكة المعلومات الالكترونية قد فرضت نفسها على الواقع وهي وسيلة من الوسائل فقد تستعمل في الحق أو في الباطل، لذا لابد من الحذر في استعمالها في غير الحق، ولأنها وسيلة لا رقيب عليها ولا قيد، فقد يستثمرها البعض في الإضرار وتحصيل مآرب أخرىٰ غير نافعة. فليتق الله كل مسلم ولا يحول هٰذِه الوسيلة إلىٰ وسيلة لنشر الفساد وابتزاز أموال الناس والدعوة للرذيلة، وليراقب ربه وهو في خلوته ولا يراه أحد إلا الله، والله مطلع علىٰ ما في صدره وما تكنه نفسه وما يسطر قلمه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وقال سبحانه: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء: ١٠٨].

وكطريق سريع لصناعة الخير. ولقد أصبح التبرع عن الطريق الإنترنت ووسائل الأتصال الحديثة من وسائل التعجيل بالبر والعمل الصالح، وهي من أسرع الوسائل لإدخال السرور على المسلم.

ومع التطور التكنولوجي، وما يعرف باسم ثورة المعلومات، كما كان لها سلبيات واضحة فقد كان لها إيجابيات أيضا؛ ومنها بروز مصطلح (التطوع الإلكتروني) أو (التطوع الأفتراضي) في الفترة الأخيرة، وخاصة مع توافر الإنترنت في أغلب البيوت، مما جعل أكثر الطبقات أزدحامًا عليه هي فئة الشباب، وربما يكون قد تمدد بشكل واسع علىٰ حساب التطوع الميداني الذي يكون علىٰ أرض الواقع، كما أن شبكات التواصل الأجتماعي مثل: (توتير - فيسبوك) قد لعبت دورًا في توسيع نطاق العمل التطوعي بين الشباب، وجعلت من نفسها داعما أساسيًّا للعملية التطوعية.

والتطوع الإلكتروني هو: "المهام التطوعية التي تتم بصورة كلية أو في جزء منها، خلال شبكة المعلومات الدولية الإنترنت، سواء من البيت أو من العمل". ويعرف أيضًا باسم (التطوع الأفتراضي) و(الأون لاين)[(١)].

مميزات شبكة الإنترنت:

١- سرعة وضمان أنتقال المعلومات: حيث يستطيع أي فرد أن يرسل خطابًا إلىٰ ملايين الأفراد في وقت واحد من خلال الإنترنت، بعكس البريد العادي الذي يستغرق أيامًا بل أسابيع، والعكس صحيح أيضًا، إذ يستطيع ملايين الأفراد تعرف معلومة معينة أو رسالة أو نبأ في وقت واحد إذا عرفت مكانها، وهٰذا هو المتبع في وكالات الأنباء العالمية، مثل« CNN» وغيرها. حيث تضع الأخبار والنشرات الجوية علىٰ أجهزة الكمبيوتر، ويستطيع

(١) انظر: الإنترنت.. ثورة حديثة في دفع العمل الخيري التطوعي إلىٰ مجالات أرحب. آلاء ممدوح الريدي.

ملايين الناس الحصول علىٰ هٰذِه الأخبار دون ٱنتظار.

٢- سرية المعلومات: وهٰذِه السرية تأتي من أن كل جهاز مرتبط بالإنترنت له رقم خاص به أو ٱسم معروف به، وبالتالي يستطيع أي فرد أن يرسل رسالة إلىٰ جهاز بعينه ويضمن أنها خزنت بداخله، ويطمئن إن كانت وصلت أم لا، ووقت الٱستلام، ويستطيع المرسل إليه الرد الفوري على الرسالة.

٣- تبادل المستندات: يمكن إرسال واستقبال أي مستند من أي جهاز كمبيوتر مرتبط بالإنترنت مهما كان نوع المستند وحجمه، سواء كان خطابًا أو مذكرة أو كتابًا أو شريط كاسيت أو فيديو.

٤- الحديث والمشاورة وعقد المؤتمرات: لا تحتاج إلىٰ شراء كمبيوتر خاص أو أجهزة ٱتصال معتمدة، فأي جهاز كمبيوتر يصلح ما دام تم ربطه بخط تليفون، ولا يحتاج الإنترنت إلىٰ مستوىٰ علمي أو فني عال للتشغيل.

٥- التسوق من خلال شبكة الإنترنت:

يمكن طلب مختلف أنواع البضائع التي ترغب الحصول عليها دون الذهاب إلى السوق أو مغادرة البيت. فيمكن شراء مختلف المواد كالكتب وغيرها.

٦- مجموعات النقاش:

يمكن الٱشتراك مع مجموعات النقاش من خلال شبكة الإنترنت للالتقاء بمختلف الأفراد والشخصيات حول العالم ممن لهم الٱهتمامات ذاتها. ويمكن توجيه أسئلة إليهم أو تقديم أفكار أو مناقشة قضايا هامة.

٧- تحويل الطاقات الشبابية ووقت الفراغ لعمل نافع يفيد الشاب نفسه قبل إفادة المجتمع، كذلك فهو يحل مشكلة المكان؛ فقد أصبح لا وجود لها في ظل العمل التطوعي الإلكتروني؛ وبالتالي ٱختفت مشكلة وسائل الٱنتقال والمواصلات.

٨- وجود مشاركة متطوعين من مناطق ودول مختلفة، وكذلك أتاح فرصة للنساء للعمل به خصيصا لمن لا تريد الٱختلاط والعمل علىٰ أرض الواقع،

وأيضا عدم تحمل المتطوع فوق طاقته، فعندما يحب أن يستريح فهٰذا أصبح بإرادته ووقتما يشاء، ويتيح له حرية ٱختيار الزمان والمكان المناسب له، كما أنه يمنع التضارب، ويحول دون الإحباط. .

٩- أما الميزة الكبرىٰ به، فهي أن هناك بعض الحالات الإنسانية التي تمنع محبي التطوع من التطوع التقليدي، مثل: الإعاقات الجسمية، فمن خلال الإنترنت يستطيع أن يتحدىٰ إعاقاته من خلال مشاركاته الفعالة مع أصحابه[1].

أسباب إنشاء مواقع العمل الخيرىٰ:

وحول الهدف من إنشاء موقع للأعمال الخيرية كانت المسببات التالية:

١- السرعة والدقة في توصيل المعلومات والبيانات المتعلقة بمشروعات وكفالات العمل الخيري سواء لمناطق العمل أو للمتبرعين والجهات الداعمة.

٢- التواصل الإلكتروني مع المتبرعين وإطلاعهم على الجديد في العمل الخيري من خلال النشرات الدورية التي يتم إرسالها إلى البريد الإلكتروني.

٣- توسيع دائرة ٱختيارات المتبرعين للمشروعات والكفالات التي يرغبون التبرع لها بعرض كم كبير من المشروعات والكفالات قد لا يتسع لها الإعلاميات المطبوعة.

٤- المتابعة المستمرة للمشروعات التي تم تنفيذها بنشر معلومات عن مراحل تنفيذ المشروع المتبرع له أو مراحل كفالة المكفول الذي تمت كفالة وعرض التقارير الدورية للمشروعات والكفالات.

٥- نشر أخبار العمل الخيري وإنجازاته ومتابعة ما ينشر في الصحف ووسائل الإعلام.

٦- دعم التواصل والتعاون مع المؤسسات الخيرية في العالم الإسلامي.

---

(١) ٱنظر: الٱستفادة من الإنترنت في العمل الخيرى الدكتور جاسم مهلهل الياسين، الإنترنت وتطبيقاته في العملية التعليمية، والتطوع عبر الإنترنت يزيل العقبات.

أهم الأعمال التطوعية التي يمكن للمتطوع أن يقوم بها من خلال وسيلة الإنترنت:

١ - التفكير في إنشاء مواقع إسلامية تخدم قضايا لم تطرح في مواقع أخرىٰ أو التخصص في جانب معين من أمور الإسلام.

٢ - تكون فريق عمل يخدم المواقع الموجودة بالكتابة أو غير ذلك من وسائل الخدمة.

٣ - من له لمسة إبداع في التصميم أو الفلاش أو الفيديو فلينزل للمواقع ويبدأ في الخدمة والتعاون ولو كان بمبلغ مالي.

٤ - دعم المواقع ماديًّا وهٰذِه مهمة أصحاب الأموال؛ لأن المواقع تدفع أموالًا للشركة المستضيفة لها وللموظفين وللإعلانات وغيرها من حاجيات المواقع.

٥ - فتح مجال التخفيض لأجل الإعلانات لأصحاب المواقع الإسلامية في الجرائد أو القنوات أو بعض المواقع الإعلانية.

٦ - دعوة العلماء وأصحاب الأقلام للكتابة في المواقع والمشاركة بالإجابة على الفتاوىٰ والاستشارات.

٧ - توضيح أنشطة المواقع ودورها في نفع الناس عبر وسائل الإعلام.

٨ - الاستفادة من المقالات والفتاوى الموجودة في المواقع ونقلها إلى المنتديات والمواقع الأخرىٰ لينشر الخير.

٩ - نقل الصلوات والمحاضرات عبر البث المباشر، ولقد انتفع بهٰذِه الوسيلة المئات، وخاصة المسلمون في البلاد البعيدة.

١٠ - رفع المواد الصوتية من تلاوات ومحاضرات لتتم الاستفادة بسماعها.

١١ - تغطية الفعاليات الدعوية التي تكون في المدن والمحافظات وتنزيل ذلك في المواقع والمنتديات وفي ذلك إبراز للأنشطة وإعلان لها.

١٢ - الاستفادة من البريد الإلكتروني في نشر المفيد من الأخبار

والمقالات والصور وغيرها، مع الحرص علىٰ عدم نشر المواد غير الموثوق منها أو التي تحوي مبالغات أو أحاديث لا تصح.

١٣ - مراسلة المواقع بالنقد والنصيحة، مع التزام الأدب والإنصاف.

١٤ - الإعلان عن المحاضرات والأنشطة عبر المواقع مما يكون سببًا في نشر الوعي بها ومعرفتها.

١٥ - الإعلان عن المواقع المتميزة في المجالس والمنتديات واللقاءات.

١٦ - الاْهتمام بالمرأة عبر المواقع المتخصصة لها، والتي تراعي حاجياتها وشئونها ومسائلها كل ذلك بتصميم متميز وبرمجة رائقة تناسب متطلبات التقنية.

١٧ - العناية بالرد علىٰ أصحاب الفكر الضال من علماني أو ليبرالي أو تكفيري أو مبتدع منحرف وتأصيل الرد بأدلة الكتابة والسنة مع مراعاة فقه التعامل مع المخالف.

١٨ - الاْهتمام بأحوال المسلمين وأخبارهم مع الحرص على الخبر الموثوق الذي يعتمد على الدليل القاطع.

١٩ - إنشاء ملفات خاصة بحدث معين أو موسم معين كما تفعله بعض المواقع، وفائدته: " جمع أهم ما يتعلق بالحدث من مواد مكتوبة أو صوتية ".

وهكذا لا يترك المسلم وسيلة للخير إلا طرق أبوابها وسعىٰ إليها، ولهٰذا يجب أن تستفيد من الإنترنت والتقنيات الحديثة كوسيلة من وسائل دعم العمل الخيري والطريق السريع لصناعة الخير.

فصناعة الخير لا تنتهي من حياة المسلم، فهو بينها يتقلب، يغرس شجرة الخير في كل مكان وبكل الوسائل المشروعة[١].

---

(١) السابق.

٤- الدعاية والإعلان:

تزايدت أهمية الدعاية والإعلان في وقتنا الحالي بصورة كبيرة جدًّا. ومع تطور وسائل الاتصال التي جعلت من العالم قرية صغيرة كما يقولون، أصبح الاعتماد على الدعاية والإعلان لتسويق النشاطات التي تقوم بها الجمعيات والخدمات وحتى الأفكار أمرًا لا يمكن الاستغناء عنه.

وقد استخدم النبي ﷺ هٰذِه الوسيلة كثيرًا من ذلك:

الإعلان عن رسالة الإسلام وذلك في حديث ابن عَبّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: لَمّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفا، فَجَعَلَ يُنادِي: **"يا بَنِي فِهْرٍ، يا بَنِي عَدِيٍّ - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - وفي رواية فَهَتَفَ: يا صَباحاهْ، فَقالُوا: مَنْ هٰذا الذِي يَهْتِفُ؟ قالُوا: مُحَمَّدٌ، حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ ما هو، فَجاءَ أَبُو لَهَبٍ وقُرَيْشٌ، فَقالَ: أَرأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالوادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قالُوا: نَعَمْ، ما جَرَّبْنا عَلَيْكَ إِلاّ صِدْقًا، قالَ: فإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ"** فقال أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذا جَمَعْتَنا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ [المسد: ١- ٢][1].

الإعلان للمسارعة في الخيرات وذلك كثير ومن ذلك:

- عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عُثْمانَ رضي الله عنه حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وقالَ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ، ولاَ أَنْشُدُ إِلّا أَصْحابَ النَّبِيِّ ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: **"مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَه الجَنَّةُ؟"** فَحَفَرْتُها، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّه قالَ: **"مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَه الجَنَّةُ؟"** فَجَهَّزْتُهمْ، قالَ: فَصَدَّقُوه بِما

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٧٨).

قال... "[١].

- وعَنْ أَبِي هرَيْرَةَ، قالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليَوْمَ صائِمًا؟**" قال أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنا، قالَ: "**فَمَنْ تبعَ مِنْكُمُ اليَوْمَ جَنازَةً؟**" قال أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنا، قالَ: "**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مِسْكِينًا؟**" قال أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنا، قالَ: "**فَمَنْ عادَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مَرِيضًا؟**" قال أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنا، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**ما اجْتَمَعْنَ في امْرِئٍ، إِلاّ دَخَلَ الجَنَّةَ**"[٢].

ويمكن أن نجمل أهمية الدعاية والإعلان في النقاط التالية:

١. الترويج للنشاط والأفكار بأيسر السبل وأقل التكاليف، حين يصل الإعلان باختلاف مضمونه إلىٰ أوسع شريحة يريدها المعلن، وذلك بعد أن يختار الوسيلة الإعلانية التي يريدها، سواء كانت مرئية أم مقروءة أم مسموعة.

٢. تعريف المستقبل بأهمية العمل التطوعي دون مشقة يتكلفها حتىٰ يصل له أهمية الأمر.

٣. تشجع التنافس بين العاملين في هٰذا المجال لتقديم أفضل ما عندهم من إنتاج، وتدفعهم لمحاولة التميز لجذب انتباه المتقاعسين عن هٰذا الباب.

٤. تعتبر الدعاية والإعلان من أهم الوسائل التي تُؤمِّن الدخل للوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة، حتىٰ إننا نرى اليوم تضخُّمًا في المساحة الإعلانية في المحطات الفضائية، وزيادة كبيرة في حجم الصحف والمجلات التي تخصص صفحات كثيرة لنشر الإعلانات فيها، ولهٰذا جانبه السيء المؤثر على الوسيلة الإعلانية، من ذلك مثلًا الحد من حرية هٰذِه الوسائل الإعلامية حرصًا منها علىٰ جذب المعلنين.

٥. تستخدم الدول الدعاية والإعلان لتقوم بوظيفة توعية الجماهير لخطر ما، أو تحريضهم للقيام بواجب اجتماعي أو سياسي ما. كما تستخدم في

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٢٨).

التسويق السياسي الذي: "هو عبارة عن برنامج الحزب أو المرشح والمستهدف توصيله للجماهير المستهدفة، وإقناعهم بالبرنامج. أي إحداث التأثير المستهدف على الرأي العام لجمهور الناخبين".

٦. إن الدعاية والإعلان اليوم تحتل مكانة مهمة وتستخدمها الدول القوية للترويج لأفكارها وللسيطرة على الدول الفقيرة واستغلالها، من خلال ما يسمىٰ بالغزو الثقافي والذي نرىٰ أثره اليوم، حيث سيطرت أفكار غيرت من نمط الحياة في معظم دول العالم وخصوصًا الدول الضعيفة التي فتحت أبوابها للدعايات الغربية وأخضعت شعوبها لشتى التأثيرات، مما زادها ضعفًا وقابلية لاستنزاف خيراتها من قبل الدول القوية[١].

ومع ٱنتشار الإنترنت زادت أهمية الدعاية والإعلان وخصوصا عبر الإنترنت فهناك خيارات عديدة أمام الداعية وسرعة إيصال المعلومة.

الوسائل التي يمكن ٱستخدامها في الدعاية والإعلان:

الدعاية والإعلان عن طريق المسجد:

ويتمثل ذلك في ٱستخدام كل الوسائل المتاحة في المسجد من مذياع يستعمله الإمام للإخبار عن كل أبواب الخير التي يحث الناس علىٰ فعلها من مساعدة المحتاجين والفقراء وكفالة اليتيم ودعوة الناس للبذل في الصدقات الجاريات وتذكيرهم بأهمية الزكاة وكيف تخرج ولمن تعطىٰ، كذلك من الوسائل الهامة تعليق لوحات إرشادية في مكان مناسب من المسجد لا يشغل المصلين لبيان الخدمات التطوعية التي تتطلب مساعدة إما مالية أو بدنية أو فكرية.

الدعاية والإعلان عن طريق الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة

(١) ٱنظر: تخطيط الحملات الإعلانية عبد الرحمن حمود، وتخطيط الإعلان، الأستراتيجيات والموازنات. طارق الحكواتي.

والمقروءة:

ويمكن تفصيل ذلك عبر الآتي:

١- الإعلان في الصحف:

مميزات الإعلان في الصحف:

١ - تعتبر الصحف مرنة من حيث ٱختيار وقت الإعلان والمنطقة الجغرافية التي يغطيها الإعلان، مدينة محلية، أو دولة بأكملها.

٢ - كثافة الٱنتشار الإعلاني في السوق المحلية.

٣ - من الممكن تكييف الرسالة الإعلانية لتناسب الظروف الٱقتصادية، والاجتماعية في المناطق المحلية.

٤ - تكلفة وصول الرسالة الإعلانية للفرد الواحد منخفضة جدًّا.

٥ - السرعة في نشر الرسالة الإعلانية، كذلك إمكانية إيقاف الرسالة الإعلانية خلال فترة إنذار لا تتعدىٰ يوما واحدًا.

لٰكن يعاب عليها قصر عمر الصحيفة وبالتالي قصر عمر الإعلان.

٢- الإعلان في المجلات:

مميزات الإعلان في المجلات:

١ - يعتبر وسيلة تعبيرية ممتازة إذا كان من الضروري ٱستخدام الألوان، والطباعة الجذابة في الإعلان.

٢ -جميع أفراد العائلة تقرأ الجملة، كما أنها تدوم بين أيدي العائلة لمدة أسبوع أو شهر.

٣ - تغطية السوق الوطني بأقل تكلفة.

٤ - يمكن الٱستفادة من المجلات المتخصصة في الإعلانات المتخصصة.

٥ - المجلة تقرأ عادة في أوقات راحة المستهلك، لذا يمكن تطويل الرسالة الإعلانية.

عيوب الإعلان في المجلات:

١ - يصعب الٱستفادة من الأحداث اليومية المهمة لأنها تصدر شهريًّا أو أسبوعيًّا.

٢ - إن المجلة تحتوي علىٰ عدد من المواضيع الجذابة للقارئ مثل القصص والتحقيقات المصورة مما يقلل من قوة الجذب للإعلانات التي بها.

٣- الإعلان الإذاعي:

مميزات الإعلان الإذاعي:

١ - انخفاض تكلفته النسبية.

٢ - إمكانية الوصول إلىٰ أعداد كبيرة من المستمعين.

٣ - إمكانية توجيه الرسالة لجمهور محدد، وذلك لظهور التخصص في المحطات.

٤ - إمكانية الٱستفادة من أهمية البرنامج وشخصية المذيع.

عيوب الإعلان الإذاعي:

١ - الاستفادة فقط من حاسة السمع، وبالتالي قصوره عن تزويد الرسالة الإعلانية بالصورة.

٢ - قصر عمر الرسالة الإعلانية.

٣ -عدم التركيز على الرسالة الإعلانية، مثل ٱستماع الراديو أثناء القيادة.

٤ - لا يمكن للمستمع ٱسترجاع الإعلان بعد إذاعته إذا ٱحتاج إلىٰ أي توضيح.

٤- الإعلان التلفزيوني:

مميزات الإعلان التلفزيوني:

١ - الاستفادة من الصوت والصورة والحركة في جذب ٱنتباه المستهلك.

٢ - ٱزدياد أهمية الإعلان التلفزيوني نتيجة لانتشار محطات البث عبر الأقمار الصناعية، وتغطية جميع أنحاء العالم.

٣ - يمكن التأثير علىٰ جميع أفراد الأسرة في وقت واحد.

٤ - التغطية الشاملة للمناطق الجغرافية في الدولة الواحدة.

عيوب الإعلان التلفزيوني:

١ - ارتفاع تكلفته بالنسبة للوسائل الإعلانية الأخرىٰ.

٢ - يتطلب إخراج الإعلان التلفزيوني خبرات وقدرات فنية.

٣ - قصر عمر الرسالة الإعلانية وصعوبة ٱسترجاعها[١].

الدعاية والإعلان عن طريق الإنترنت وله عدة وسائل منها:

الدعاية والإعلان عن طريق الواتساب:

وسيلة حديثة ومتطورة، تصل للمشترك وتبقىٰ في جهازه، أفضل من الإعلان عبر« sms»، لأن « (sms)» محدود الأحرف والواتساب مفتوح الأحرف، يمكن إضافة رابط لصورة أو لمقطع في الإعلان.

الدعاية والإعلان عبر الإيميلات:

طريقة فعالة للوصول للعميل عبر بريده الإلكتروني في ظل التكنولوجيا المتطورة التي أصبحت لا غنىٰ عنها في وقتنا الحالي وتكسبك علاقة قوية من العملاء.

الدعاية والإعلان عبر المنتديات:

وسيلة حديثة توصلك إلىٰ فئة مستهدفة أخرىٰ عبر الكتابة في المنتديات وتفاعل نشاطات مستخدمي الإنترنت في أشهر المنتديات المحلية والعربية. من خلالها يوفر لك الجهد والوقت ويصل إعلانك إلى الكثير من المنتديات حسب الطلب.

الدعاية والإعلان عبر مواقع التواصل الٱجتماعي:

١. فيس بوك Facebook

---

(١) مبادئ تسويق. أماني كعدور.

٢. تويتر twitter

٣. جوجل بلس google plus

٤. إنستقرام Instagram

٥. لينكيد إن linkedin

٦. الواتس أب whatsapp

وتفاصيلها كالآتي:

- نقوم بفتح حساب في كل موقع.
- تجهيز كل حساب ورفع المادة العلمية المطلوبة فيه مع الصور.
- الأشتراك في بعض القروبات إن أمكن.
- عمل لوحات إعلانية لكل حساب يدل على الشركة ونشاطها.

الدعاية والإعلان عبر اليوتيوب:

- عمل قناة علي اليوتيوب باسم الشركة أو المؤسسة.
- عمل لوحات للقناة يعبر عن شركتكم ونشاطها.
- عمل فيديو أو أكثر حسب الطلب يعرض فيه نشاط الشركة وخدماتها ويوضع بداخل القناة.
- نشر القناة بمواقع التواصل الأجتماعي والقروبات والمنتديات[1].

---

(١) أنظر: أساليب الأدارة المتقدمة للدعاية الإعلامية الدولية. فايز عبد الله مكيد العساف.

٥- المخيمات الصيفية:

مقدمة:

تنتشر المراكز في فترة الصيف في مختلف دول العالم، وهٰذِه المراكز تحمل أسماء وعناوين متعددة، منها ما هو تربوي وتعليمي بحت، ومنها ما هو تربوي وترفيهي، أو تسويقي وتجاري، وترفيهي، أو مهني.

تعريف البرنامج الصيفي:

هو مجموعة من الأنشطة الدينية والتربوية والثقافية والاجتماعية الهادفة والمتنوعة، يتم تنفيذها خلال الإجازة الصيفية؛ لاستثمار أوقات فراغ الأبناء، وتلبية ٱحتياجاتهم ورغباتهم.

وتشتمل البرامج علىٰ:

النشاط الدعوي: غرس المبادئ والأخلاق الإسلامية وتصحيح الأفكار لدىٰ شرائح المجتمع من شباب وفتيات وآباء وأمهات، وذلك بحضور عدد من العلماء والدعاة للمشاركة والنصح والتوجيه.

النشاط التربوي: عن طريق ٱكتساب المهارات الدراسية وما يدور في الفصل، والمهارات الحياتية التي تهيئ الشباب للتفاعل مع الذات ومع الآخرين، والتعلم للعمل.

النشاط الٱجتماعي: عن طريق الرحلات والزيارات والمسابقات، وخدمة المجتمع، والعمل التطوعي، والتوعية الصحية والمرورية.

النشاط الثقافي: ويتضمن أعمال المكتبة، والإذاعة، والصحافة، والبحوث، والندوات، والدورات.

النشاط الرياضي: ويحتوي على الألعاب الرياضية الفردية والجماعية.

النشاط الكشفي: ويشمل الرحلات الخلوية (السياحة في البر أو الصحراء).

النشاط الفني: مثل: برامج تحسين الخط، والرسم، والزخرفة،

والأشغال، والنحت.

النشاط المهني: مثل: الكهرباء، والنجارة، والسباكة، وأعمال الترميم، والصيانة المنزلية.

النشاط العلمي والحاسب الآلي: ويمارس من خلال رعاية المواهب العلمية والإبداعية وتوفير المواد والأجهزة لإجراء التجارب العلمية تحت إشراف المختص، والتعرف علىٰ بعض المؤسسات العلمية والمصانع، والتعريف بالحاسب الآلي واستخداماته، وبعض تطبيقاته علىٰ مستوى الأفراد والمؤسسات.

النشاط الطبي: من خلال دورات في الإسعافات الأولية ومشاركة طبيبات بدورات وتوعية تسهم في بناء الثقافة، وتدريب النساء على الإسعافات الأولية[1].

العمل التطوعي والمخيمات الصيفية:

تتميز كثير من الجمعيات الخيرية بإقامة المخيمات الصيفية والتي هي ضمن أنشطتها التي تقدمها للمجتمع، وأيضا تميزت هٰذِه الجمعيات بإقامة هٰذِه المخيمات سنويًّا وهي إحدى الخدمات التي تقدمها الجمعيات لاستغلال الإجازة الصيفية بما يعود بالنفع علىٰ هٰؤلاء الطلاب ولإبعادهم عن الأفكار المتطرفة التي يستغلها كثير من العابثين دون هدف، لتوضيح كثير من الأمور عن هٰذِه المخيمات الصيفية التي تنظمها الجمعيات الخيرية.

فأدركت الجمعيات والأندية الشبابية خطورة وقت الفراغ في إجازة الصيف، والآثار السلبية الناجمة عنها؛ لذا تحركت هٰذِه الجمعيات من أجل المحافظة على الأبناء، وتوفير فرص عمل لهم، وحمايتهم من التسكع في الشوارع خلال فترة الصيف، ومنعهم من ٱرتكاب جرائم

(١) ٱنظر: البرامج الصيفية (أهدافها، أنواعها، أثرها) عباس سبتي.

الأحداث، وأكدت الجمعيات علىٰ أهمية العمل الجماعي التطوعي للشاب، خاصة خلال فترة الصيف؛ بغية إنقاذهم من براثن الفساد والضياع، وبما أن الحكومات وحدها لا تستطيع رعاية الشباب وإنقاذهم، فإن دور مؤسسات المجتمع المدني يساهم هو أيضًا في حل مشكلات الشباب؛ لذا أصبح هدف المجتمع المدني تنمية المجتمع وتقدمه من خلال العمل الجماعي التطوعي، ويعتمد هٰذا العمل علىٰ عوامل لكي ينجح، منها الشباب وحماسهم في خدمة مجتمعاتهم.

وتوجد عدة مؤسسات ومراكز تهتم ببرامج الصيف لطلاب المدارس:

معسكرات الشباب:

ومن أهداف المعسكرات الشبابية ٱستثمار وقت فراغ الشباب، وإعداد جيل من الشباب يتحمل مسؤولية تنمية وطنه، وتدريبهم علىٰ بذل الجهد والتعاون والاعتماد على النفس، والتقاء الشباب بعضهم ببعض، وتبادل الخبرات بينهم.

المعاهد والجمعيات ذات النفع العام:

تنظم المعاهد التدريبية وبعض الجمعيات التعاونية وغيرها برامج في فترة الصيف للأبناء والبنات، وتشتمل البرامج علىٰ مختلف الأنشطة الرياضية، والثقافية، والاجتماعية، والدينية، والكمبيوتر، واللغات، والرسم، والخط، والثقة بالنفس، والإسعافات الأولية، وقد تنفق هٰذِه الجهات الأموال الكثيرة من أجل جذب الشباب إلىٰ هٰذِه الأنشطة، وتحت شعارات مختلفة؛ مثل: "صيف المفاجآت والترفيه".

وتطرح الجهات المعنية ببرامج الصيف إعلاناتها في الصحف المحلية.

الأهداف العامة لأنشطة المراكز الصيفية:

١- بناء الشخصية المتوازنة للطلاب في ضوء العقيدة الإسلامية السمحة.

٢- تعريفهم بمؤسسات الوطن ومرافقه، وتنمية روح المحافظة عليها.

٣- ٱكتشاف المواهب لدى الطلاب وصقلها وتدعيم خبراتهم وتنمية مهاراتهم المختلفة.

٤- توجيه الأنفعالات السلوكية لدى الطلاب وطاقاتهم الفكرية والحركية الوجهة السليمة الإيجابية.

٥- حماية الطلاب من آثار الفراغ السلبية واستثماره بالبرامج المفيدة.

٦- تدريب الطالب علىٰ تحمل المسئولية والمشاركة الأجتماعية.

٧- خدمة البيئة المحيطة، وتفعيل دور المؤسسة التربوية كمركز إشعاع في الحي[١].

---

(١) وسيلة لتعزيز الروح الأجتماعية وغرس الكثير من القيم، ومخيمات الأطفال الصيفية بقلم: فهد اليامي.

٦- البث المفتوح من فضائيات ونحوها:

نسجل ٱبتداء أن القنوات الفضائية العربية المقصودة والمؤهلة لحمل الرسائل الإعلامية للعمل الخيري هي: القنوات التابعة للقطاع الحكومي، والتابعة للقطاع الخاص، مع ٱستبعاد قنوات المجون والخلاعة والغناء الهابط والتسلية الفارغة، وقنوات الشعوذة، والقنوات التجارية ذات الهدف الربحي التجاري البحت المنبتة الصلة بأية قيمة إنسانية غير ماديَّة.

وقد يكون من المناسب هنا ربط موضوعنا بالمسئولية الأخلاقية الٱجتماعية الملقاة علىٰ عاتق الإعلام العربي والتلفزيوني الفضائي منه تحديدًا، تجاه المجتمع؛ لما له من التزامات أخلاقية تقتضيها المهنة والمواثيق الإعلامية من جهة، ومن جهة أخرىٰ فإن الإعلام العربي، الذي يعمل في هٰذِه البيئة ملزم حضاريًّا ومهنيا بأن يتمثل القيم التي يدين بها الجمهور المستهدف والمخاطب بشتىٰ رسائله الإعلامية، ولا نرىٰ نوعًا من الإعلام والقنوات الفضائية يحق له أن يتنصل أو يشذ عن هٰذا الإلزام، وأن ما نراه يبث من برامج وحصص وأعمال إعلامية وفنية تصادم هٰذا الأمر إنما هو شذوذ وخروج عن الميثاق الذي بمقتضاه تبث قناة تلفزيونية عربية برامجها، حتىٰ وإن لم تنص القوانين والمواثيق والتراخيص الخاصة بالبث صراحة علىٰ ذلك، فنحن نرىٰ أن الثوابت الأخلاقية والقيم الحاكمة في المجتمع العربي لها من القوة والسلطان ما يفوق كل القوانين والمواثيق؛ لأنها من المفترض أن تستمد من تلك القيم والمبادئ والأخلاقيات.

ومن أهم المسئوليات الأخلاقية المنوطة بالإعلام الفضائي العربي إحياء الفضائل الأخلاقية الأصيلة في المجتمع العربي المسلم -في أغلبه- كالولاء للأسرة وطاعة الوالدين والطابع الإنساني، وأهمية التربية، وقيم الإتقان والاجتهاد.

لا يستطيع المرء أن ينكر قدر ما ساهمت به الفضائيات الإسلامية خلال

السنوات الأخيرة في توسيع دائرة الدعوة الإسلامية، حيث تمكن الكثير من الدعاة عبر هٰذِه القنوات الفضائية الإسلامية، من الولوج لمناطق لم يكن من اليسير وُلُوجها قبل ذلك، فضلًا عن إمكانية الدخول إلىٰ كل بيت يضع في أعلاه هٰذا الطبق اللاقط لإشارات الأقمار الصناعية.

لذا يشهد العالم الآن طفرة إعلامية غير مسبوقة، وتعددت وسائل الإعلام، فمنها المسموع، ومنها المرئي، ومنها الذي يجمع بين الٱثنين، وهناك الصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون والمحاضرات والندوات والمؤتمرات. وزاد من ٱنتشار وتأثير وسائل الإعلام الثورة المعلوماتية التي يشهدها العالم من خلال شبكة المعلومات الإنترنت، وتطور وسائل الٱتصال، وزيادة أعداد الأقمار الصناعية، وانتشار قنوات فضائية بشكل يصعب من خلاله تمييز الصالح منها. وتؤكد الأبحاث العلمية الإعلامية أن لكل وسيلة من وسائل الإعلام مقدرة خاصة على الإقناع وفقًا للموضوع والجمهور، والبيئة الٱجتماعية والثقافية، إلا أن الجمع بين أكثر من وسيلة يحقق تأثيرًا أكثر فاعلية، ويمكن الإعلام من تحقيق أهدافه.

ويهدف الإعلام الخيري إلىٰ تزويد المجتمع المسلم بمعلومات وحقائق وبيانات عن أهمية العمل الخيري الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية، من خلال وسائل ٱتصالية متخصصة ومتطورة.

وأيا كانت الآثار السلبية التي تقع على المجتمعات الإسلامية من وسائل الإعلام إلا أن لها فائدة كبيرة من نشر الوعي الديني والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي. ومما لا شك فيه أن العمل الخيري ٱستفاد كثيرًا من ثورة الإعلام والاتصال، وأصبحنا نرىٰ أخبار العمل الخيري تتصدر صفحات الصحف والمجلات، كما أن بعض المؤسسات الخيرية أصبحت تصدر مجلات متخصصة في العمل الخيري.

وهناك مقومات لا يمكن تجاهلها فيما يتعلق بالإعلام الخيري، منها:

وجود كوادر متخصصة في العمل الخيري واتجاهاته وأهميته، بالإضافة إلى الخبرات الفنية الإعلامية المتخصصة، والمتابعة لتطورات العملية الإعلامية ووسائلها، هٰذا بالإضافة إلىٰ أن الإعلام الخيري يجب أن يتصف بالعالمية ولا يقتصر علىٰ قطر أو إقليم بعينه. ولكي يؤتي الإعلام الخيري ثماره علىٰ أكمل وجه لابد من توافر قاعدة بيانات عن الاحتياجات الواقعية للمجتمع، كما يجب أن يهتم الإعلام الخيري بعرض الجدوى الاقتصادية من المشروعات المراد تنفيذها لتحقق أعلىٰ قدر من الشفافية بين مؤسسات العمل الخيري وأعضاء المجتمع، سواء كانوا أفرادًا أو شركات.

ويهدف الإعلام الخيري إلى الوصول إلىٰ شرائح المجتمع المختلفة، وخاصة الجهات المانحة، والمستفيدين من العمل الخيري، والمؤسسات الخيرية ذات الصلة، والمؤسسات الحكومية المعنية، ومتخذي القرار.

ويتوقف نجاح الإعلام في العمل الخيري علىٰ مدىٰ قدرة المؤسسات الخيرية علىٰ تحديد أهدافها، وعرض برامجها، والتعريف بأنشطتها، والاستفادة من تقنيات المعلومات والاتصال. كما لا بد وأن تتعاون المؤسسات الخيرية فيما بينها لإصدار وسائل إعلامية قوية، وبث قنوات فضائية متخصصة في العمل الخيري تعرض لأهدافه، وتساعد علىٰ إشاعة ثقافة العمل الخيري بالمجتمعات الإسلامية. ومن الضروري الخروج بالمؤسسات الخيرية من التعريف الضيق، وهو مساعدة الفقراء والمساكين والمرضىٰ، إلىٰ دور المؤسسات الخيرية في التنمية المستدامة للمجتمعات[١].

أهمية الإعلام:

١- التأثير الكبير على الرأي العام.

---

(١) الإعلام والعمل الخيري أحمد عبادة العربي، وانظر: أثر القنوات الفضائية الإسلامية في التوعية الدينية، ياسين صالح علي.

٢- أن دور الإعلام اليوم لا يقتصر علىٰ نقل الخبر فقط أو رواية الأحداث في العالم، بل إن الخطر أكبر بكثير، فإن الحرب القادمة لن تكون حربًا عسكرية، وإنما حروب إعلامية أي أن الإعلام سيأخذ مساحة ودورًا كبيرًا في حياة الإنسان حتىٰ تكون خلافات الأمم منصبة فيه.

٣- أهمية الإعلام الإسلامي تكمن في تصحيح المفاهيم.

٤- يعتبر الإعلام في هٰذا العصر المحرك الأساسي للفكر وعليه فإن المسئولية التي تقع على الإعلاميين كبيرة، فالإعلام مرآة المجتمع، ومؤشر لصناع القرار والعين الراصدة لقضايا المجتمع.

٥- الإعلام من أعظم أنواع التسويق الفكري والتجاري والسياسي.

أهمية الفضائيات:

١- الإعلام المرئي أقوىٰ أنواع الإعلام في التأثير والجذب.

٢- الفضائيات تجاوزت الحدود والأسر، فلا يمكن أن تمنع، فقد وصلت إلى البدوي في الصحراء والقروي في ريفه، والمرأة في خدرها.

٣- شريحة الاستهداف أكبر عددًا، فلا يوجد وسيلة إعلامية أكثر عددًا ومتابعين من الفضائية.

٤- سهولة أخذ المعلومة؛ فلا يطالب المشاهد بقراءة أو ذهاب للسوق، أو دفع أموال متواصلة، بل يمكن أن يشاهد وهو يأكل أو علىٰ فراشه أو يعمل أو غير ذلك[1].

علاقة العمل الخيري بالإعلام:

تتجلىٰ هٰذِه العلاقة في ثلاث نقاط:

١. أن العلاقة بين العمل الخيري والإعلام حقيقية، لأنه عمل صادر عن دين هو للناس كافة.

---

(١) الفضائيات الإسلامية بين الواقع والطموح، الدكتور/ عبدالمحسن زين المطيري.

٢. أن الإعلامي الإسلامي ليس وليد اليوم، ولم يكن نتاج حضارة حديثة أو مدنية متطورة، والعمل الخيري بالدرجة الأولىٰ عمل إسلامي.

٣. أن الإعلام للعمل الخيري إعلام متميز عن سواه لأنه منبثق من الإعلام الإسلامي، الذي حمل مبادئ أخلاقية، وأحكامًا سلوكية، وقواعد وضوابط لا يحيد عنها، فهو إعلام واضح صريح، عفيف الأسلوب، نظيف الوسيلة، شريف المقصد.

مهمة الإعلام بالنسبة للعمل الخيري:

يمكن أن تحدد مهمة الإعلام بالنسبة للعمل الخيري بالخطوات التالية:

١. التعريف بالعمل الخيري ومجالاته.

٢. التصدي للحملات المعادية التي يتعرض لها.

٣. إبراز الدور الرائد الذي قام بع العمل الخيري في دعم المسيرة الإنسانية والرقي بها وتنمية جوانبها.

٤. تجميع الطاقات العاملة فكرا وثقافة وعلمًا وقوة بشرية وحشدها في سبيل دعمه وخدمته.

وبتأمل الواقع نجد أن وسائل الإعلام لم تستطع أن تقدم التغطية الشاملة لتلك المهمة مع أن العمل الخيري فيه الكثير من التفاصيل التي تجذب أنتباه الجماهير وتحرك العواطف والاهتمامات الإنسانية.

أهمية العمل الإعلامي للجهات الخيرية:

إن للعمل الإعلامي المخطط أهمية كبرىٰ لا تقاس فقط بجلب التبرعات للجهة الخيرية، فالعمل الإعلامي المنظم يعرف الجمهور بالجهة وأعمالها ويرسم صورة جيدة لديهم عنها، ويوجد شعورًا بالرضا نحوها لما تقوم به وربما صحح العمل الإعلامي بعض المفاهيم الخاطئة عنها، وأعطىٰ صورة ذهنية حسنة تجاهها وكل هٰذِه الآثار وغيرها تقاس بالدراسات العلمية المصاحبة للجهد الإعلامي المخطط، كما أن التعاون الإعلامي بين

الجهات الخيرية والمؤسسات الإعلامية يسهم في تحقيق التكامل بين العمل الخيري ومؤسسات المجتمع الأخرىٰ وهو المطلب الذي ناشد به قادة العمل الخيري. وعليه فلم يعد لأي جهة خيرية غنىٰ عن جهاز إعلامي متطور يقدم الوظيفة الإعلامية ويساهم في دعم مسيرتها.

أسباب القصور الإعلامي في الجهات الخيرية:

١. نقص الخبرة.

٢. عدم وجود الموارد الإعلامية.

٣. غياب المُفهوم الشامل للعمل المؤسسي.

٤. توهم التعارض بين الإخلاص ونشر الأخبار والأفكار والمشروعات.

٥. الاْعتقاد بأن العمل الإعلامي يعني التزيين والمبالغة أو الكذب.

٦. ضعف الإمكانات والتخطيط.

٧. عدم ٱقتناع الإدارة العليا بأهمية العمل الإعلامي.

٨. ضعف توظيف الإمكانات الإعلامية الموجودة.

٩. القيام بالعمل الخيري علىٰ أنه هواية لا مهنة.

مستقبل العلاقة بين الإعلام والعمل الخيري:

إذا ٱستطاعت الجهات الخيرية أن توسع من أنشطتها وأفكارها وتجدد في دعاياتها وتخاطب جماهير الناس وتؤثر علىٰ مشاعرهم وتنتقل إلى المرحلة البعدية لاستراتيجيه العمل الخيري وهي مرحلة (رجع الصدىٰ) فإن مستقبل العلاقة بين الإعلام والعمل الخيري سيتحسن وسيبحث الإعلام عن أخبار هٰذِه الجهات وسيقدمها بالشكل المطلوب.

وهناك عدد من القنوات التي بنت مثل هٰذِه الشراكة في العمل الإعلامي، وما تزال تعرض العديد من النماذج الخيرية المشرفة بل إن بعض القنوات الهادفة المتخصصة حملت علىٰ عاتقها خدمة الجمعيات الخيرية التي تعمل في مجال تخصصها، فمثلًا بعض القنوات التي تحرص علىٰ نشر القرآن الكريم وعلومه

وتشجيع الحفاظ صارت من أهم الداعمين لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم ومدارس ومعاهد القرآن في العالم الإسلامي، وربما نجد قنوات طبية متخصصة تدعم الجمعيات الخيرية الطبية وأخرىٰ تخدم جمعيات البيئة، وهكذا يتعاون الإعلام المتخصص في دعم العمل الخيري المتخصص[١].

---

(١) الإعلام والعمل الخيري الواقع والمستقبل إعداد د/ فهد بن عبد العزيز السنيدي.

٧- القصص والتجارب الناجحة:

للقصص تأثير عظيم في تربية النفس؛ فتأمل أمر الله ﷻ للنبي ﷺ أن يقص على الناس ما يعلمه من القصص، قال الله ﷻ: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وقصص السابقين التي ذكرت في الكتاب والسنة الصحيحة تثبت قلوب المؤمنين، قال الله ﷻ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]. فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به.

فإن الحادثة المرتبطة بالأسباب والنتائج يهفو إليها السمع، فإذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حب الاستطلاع لمعرفتها من أقوى العوامل علىٰ رسوخ عبرتها في النفس، وقد أصبح أدب القصة اليوم فنًا خاصًا من فنون اللغة وآدابها، ومن أبلغ صوره القصص في الكتاب والسنة[١].

معنى القصص:

قصصت الشيء، إذا تتبعت أثره شيئًا بعد شيء ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]، أي: اتبعي أثره، وقد يأتي القص والقصص والقصص الصدر من كل شيء، وقيل: هو وسطه"[٢].

وللقصة تعاريف كثيرة لدى العلماء، ومنها ما ذكره الرازي بأنها:

"مجموع الكلام المشتمل علىٰ ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة"[٣].

فالقرآن الكريم أطلق لفظ القصص علىٰ ما حدث من أخبار القرون

---

(١) دروس وعبر من صحيح القصص النبوي (ص: ٣)

(٢) أساس البلاغة للزمخشري ٧٧٠ - ٧٧١. لسان العرب. مادة (قصص) ٧ / ٧٣ -٧٥ .

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ٨/ ٨٣ -٨٤.

الأولىٰ في مجالات الرسالات السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال وبين مواكب النور وجحافل الظلام[١].

وقيل: "هي كشف عن آثار وتنقيب عن أحداث نسيها الناس أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد لهٰذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها، ليكون لهم منها عبرة وموعظة"[٢].

فوائد القصص:

وللقصص فوائد كثيرة، منها ما يلي:

١- تصديق الأنبياء، وإحياء ذكراهم، وبيان فضائلهم، كما في قصة إبراهيم في بناء الكعبة.

٢- أنها ضرب من ضروب الأدب، يصغي إليه السمع، وترسخ عبره في النفس، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

٣- الحث على الأعمال الصالحة والترغيب فيها، بذكر ثمراتها العاجلة والآجلة، كما في قصة أصحاب الغار.

٤- التنفير من الأعمال السيئة، وبيان سوء عاقبتها، كما في قصة النفر الثلاثة، ومنهم الأقرع والأبرص.

أثر القصص في التربية والتهذيب:

مما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف، وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، والدروس التلقينية والإلقائية تورث الملل، ولا تستطيع الناشئة أن تتابعها وتستوعب عناصرها إلا بصعوبة، وإلىٰ أمد قصير، ولذا كان الأسلوب القصصي أجدىٰ نفعًا، وأكثر فائدة.

والمعهود من النفوس أنها تميل إلىٰ سماع الحكايات والقصص، وهي

---

(١) انظر: القصص القرآني في منظومه ومفهومه. عبد الكريم الخطيب ص٤٠.

(٢) القصص القرآني في منظومه ومفهومه. عبد الكريم الخطيب ص٤٠.

أطول أمدًا في الذاكرة ولذا ينبغي للمربين أن يفيدوا منها في مجالات التعليم والتربية.

وفي القصص النبوية مادة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزاد تهذيبي، من سيرة النبيين، وأخبار الماضين.

ويستطيع المربي أن يصوغ القصص النبوية بالأسلوب الذي يلائم المستوى الفكري للمتعلمين، في كل مرحلة من مراحل التعليم.

أهمية قصص النجاح في العمل التطوعي:

يشعر الإنسان بسعادة غامرة ونشوة بالغة عندما يستطيع أن يحرز نجاحًا أو يحقق إنجازًا أو أمنية، علىٰ مستوىٰ حياته الخاصة، سواء كان ذلك في مجال التحصيل العلمي أو العملي المهني، أو بلوغ المكانة أو الجاه أو تحصيل الثروة، لكن ماذا عنه عندما يكون سببًا في إيصال غيره، من أصحاب الحاجة والظروف الخاصة إلىٰ قمم النجاح والإنجاز، وتذليل الصعاب التي قد تكون عائقا في وجوههم؟! ليعيشوا حياة كريمة موفقة كأقرانهم.

ٱستطاع العمل الخيري والإنساني قديمًا وحديثًا أن يسطر عددًا معتبرًا من قصص النجاح سواء علىٰ مستوى الأشخاص أو المشاريع. ووقف وراء هٰذا النجاح . ولا يزال محسنون ومتطوعون أو مؤسسات وجمعيات إنسانية ومنظمات مجتمع مدني، ولٰكن قليلًا من هٰذِه القصص ما تم تدوينه وتوثيقه، ومن ثم تقديمه وعرضه، لأسباب كثيرة لعل أهمها الخشية من الرياء والسمعة، والرغبة في إخفاء المعروف طلبًا لمزيد من الأجر، أو الإهمال وعدم الٱكتراث بهٰذا الجانب وتأثيره المهم.

وقصص النجاح كثيرة وهي التي أخذ زمام مبادرتها شخص أو فريق عمل من المتطوعين فأحدثت تغييرات مهمة في حياة الأفراد والمجتمعات، وظهر أثرها فرقًا بيِّنًا في مسار ومستقبل حياتهم في مستويات مختلفة، ٱنتشلتهم من قيعان الضياع والتشرد، ووضعتهم علىٰ جادة الحياة السليمة، أو أعادت

البسمة لحياتهم بعد ألم ممض أو يأس وقنوط وإحباط، أو أوجدت حلولًا لمشاكل حياتية يعانون منها أو من البيئة المحيطة بهم.

أهمية إماطة اللثام عن هٰذِه القصص الناجحة في المجالين التطوعي والخيري الإنساني عظيمة لعدة أسباب:

١- دفع المحسنين وأصحاب المبادرات الإنسانية من المتطوعين لمواصلة جهدهم في مجال خدمة الناس من خلال رؤية ثمرة عملهم، فإذا كان الإنسان يسعد هو وأولاده وذريته بثمرة نجاحه الشخصي ماديًّا ومعنويًّا، ويحب أن يرىٰ أثر ذلك عليه، فإنه علىٰ نحو متصل يحب أن يرىٰ أثر ذلك علىٰ غيره، لما يحققه له ذلك من سعادة روحية وطمأنينة نفسية ورضىٰ داخلي.

وقد أفادت دراسة أمريكية للباحث " ستيفن بوست " أن الأشخاص الذين يعملون بإخلاص لمنفعة الآخرين وخدمتهم دون مقابل يشعرون بالسعادة الغامرة والصحة[(١)].

٢- حث رجال الأعمال وأصحاب الثروات والشركات وشريحة الشباب من المتأخرين عن هٰذا الركاب الخير علىٰ أن يحذوا حذو من يسهمون في خدمة مجتمعاتهم، وأن يقبلوا على العمل التطوعي، لما يحدثه من تأثير إيجابي علىٰ حياة المبادرين والمستفيدين، والمجتمعات التي يعيشون فيها، كما سبقت الإشارة إلىٰ ذلك. فضلًا عما يتوجب عليهم في إطار المسئولية المجتمعية والواجب الديني والأخلاقي.

٣- نشر هٰذِه القصص يساعد علىٰ تبادل وتلاقح الخبرات في مجال العمل الإنساني، فقد تكون ملهمًا للمهتمين لتطبيقها في بيئات أخرىٰ، أو البناء عليها لتصميم مشاريع أو مبادرات أخرىٰ، أو تطويرها ليكون نفعها

---

(١) أهمية قصص النجاح في المجالين التطوعي والإنساني. علي أبو النصر الرشيد.

أعم وأشمل.

٤- توفير نماذج قصصية حقيقية ـ تراثية وحديثة ـ لدعم عملية غرس قيم العمل التطوعي لدى الأطفال والناشئة، ونشر ثقافة العمل الخيري والإنساني لدى الشباب وأفراد المجتمع، ونركز هنا على القصص، وما قد يتفرع عنها من أعمال إبداعية أخرىٰ كالدراما والبرامج الوثائقية وغيرها، نظرا للدور التربوي للقصة، مطالعة ورواية وسردًا، وتأثيرها كوسيلة غير مباشرة ومؤثرة في تحويل القيم إلىٰ أفعال وممارسات سلوكية.

بناء علىٰ ما تقدم نأمل أن تستحدث المؤسسات الخيرية والمبادرات التطوعية في نشراتها ومطبوعاتها ومواقعها الألكترونية صفحات وأعمدة ونوافد لهٰذا النوع المتميز والمؤثر من هٰذِه القصص، علىٰ أن يتم تدوينها وتقديمها بلغة راقية وقوالب جذابة، بعيدا عن الدعاية والتكلف والتسطيح، ثم تعممه بموازاة ذلك علىٰ وسائل الإعلام الجماهيرية، وعلىٰ وسائل التواصل الاجتماعي. كما نأمل أن ينهض باحثون بعد ذلك لجمع ودراسة أثر وتأثير هٰذِه القصص والمواد وتعميمها، بصورة علمية، ليصار من ثم إلىٰ إدماجها أو الإفادة منها في المساقات العلمية في مجال التطوع وخدمة المجتمع، والدورات التدريبية الخاصة بذلك[1].

٨- إنشاء مقرات إدارية للعمل التطوعي

وتكمن أهمية ذلك في عدة أمور:

١- التواصل مع المتطوعين بصورة مباشرة من خلال جمع التبرعات أو السماع للشكاوى الخاصة وغير ذلك.

٢- إعطاء مصداقية عند المساهمين في الأعمال التطوعية برؤية ذلك علىٰ أرض الواقع من خلال المؤتمنين علىٰ هٰذِه الأعمال.

---

(١) المصدر السابق.

ويمكن إقامة ذلك في وجود:

١- المساجد والحديث عنه مفصل في محله من هٰذِه الموسوعة.

٢- **بيت المال**، ويعد بيت المال خزينة الدولة الإسلامية التي يحفظ بها مختلف الموارد المالية للدولة، وقد عرف في الدولة الإسلامية ديوان أطلق عليه ٱسم ديوان بيت المال. كانت مهمته النظر في موارد الدولة ومصارفها. وقد ذكر أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم في كتابه "الخراج" موارد الدولة حسبما جاءت به الشريعة بأنها خمس الغنائم والخراج والصدقات ومن ضمنها الزكاة.

وكان مكان بيت المال في أول الأمر بالمسجد الجامع في العاصمة ثم نقل إلىٰ دار الإمارة أو دار الوزير أو القصر أو إلىٰ دار كانت تسمىٰ بدار الملك في العهد الفاطمي.

هٰذا وبفناء الجامع الأموي بدمشق قبة من الرخام محمولة علىٰ أعمدة يطلق عليها ٱسم بيت المال، وفى الشرق من قبة الصخرة قبة من المرمر تسمىٰ قبة السلسلة كانت في الأصل(١).

٣- المؤسسات الحكومية المعنية بهٰذا الأمر كوزارة الأوقاف ووزارة التضامن الٱجتماعي وغير ذلك ممن علمت أماكنهم فصار كل يسعىٰ إلىٰ أماكنهم إما سائلًا أو متعاونًا.

٤- مقرات الجمعيات الأهلية المنشئة والتي تعنىٰ بهٰذا الجانب والجمعيات الخيرية غالبًا تتبع إحدى الوزارات في الدول وتشرف عليها لجان من قبل ولي الأمر وهٰذِه الجمعيات سدت ثغورًا كثيرة في المجال الٱجتماعي والدعوي والإصلاحي.

---

(١) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة (ص: ٩٩).

عقبات أمام اُستمرار العمل التطوعي

عقبات أمام ٱستمرار ونهوض العمل التطوعي

ويتضمن هٰذا المبحث جملة من العقبات التي تحول بين العمل التطوعي وبين ٱزدهاره وتألقه ومنها:

١- فقد المراقبة

٢- وقوع الٱختلاف والنزاع بين المتطوعين

٣- عدم الأخذ بمبدأ الشورىٰ.

٤- غياب مفهوم العمل الجماعي وانفراد أحد العاملين بالقرار والعمل.

٥- افتقاد الهيكل الإداري والتنظيمي للعمل.

٦- التخبط في ٱتخاذ القرار.

٧-غياب المرجعية الرشيدة.

٨- ضعف الإمكانيات.

٩- قلة الكفاءات.

١٠- عدم الٱكتراث بأهمية العمل التطوعي.

١١- الجهل بالأحكام الشرعية المتعلقة بالعاملين في المجال التطوعي.

١٢- عدم توافر برامج خاصة لتدريب المتطوعين قبل تكليفهم بالعمل.

١٣- غياب التوعية الإعلامية.

١٤- تهميش دور الشباب في العمل الخيري.

١٥- الفئوية الشخصية.

١٦- ضعف التنسيق بين الجمعيات.

١٧- التربية الأسرية التي تهتم بالتعليم وحده وتهمل زرع روح التطوع.

وإليكم التفصيل:

١- فقد المراقبة:

فمن العقبات التي تؤثر علىٰ نجاح أي عمل تطوعي أن يفتقد الإنسان المتطوع لخلق المراقبة؛ خاصة أن الأصل في هٰذِه الأعمال أن يرجو العبد من ورائها ثواب الآخرة.

المراقبة خلق عظيم يأتي من تعظيم أمر الله تعالىٰ، ومعرفة أسمائه وصفاته، وإدراك سر ربوبيته وألوهيته ﷻ، وكثير من أولئك الذين يتجاوزون هٰذا الستر بينهم وبين الله تعالىٰ لم يدركوا معاني هٰذِه الأسماء والصفات.

يعد الوازع الديني ورقابة الضمير وتحقيق مقام المراقبة أنجح قانون وأنجع وسيلة لعدم التعدي على الحرمات، بل نعدها من إعجاز القرآن التشريعي أن ينضبط سلوك الناس دون القانون الذي يضع العقاب.

إن الرجل ليعمل الخير وقد يفتقد لهٰذا القانون ليعد عقبة كؤود أمام ٱستمرار ونجاح أي عمل خاصة الأعمال الخيرية التي قد لا تضبط إلا بمثل هٰذا؛ لذا أذكر بأهمية هٰذِه المسألة حتىٰ لا يفتقدها السائرون إلىٰ الله بفعل الخيرات.

تعريف المراقبة وعلامتها:

المراقبة هي: دوام علم العبد، وتيقنه باطلاع الحق ﷻ علىٰ ظاهره وباطنه. فاستدامته لهٰذا العلم واليقين هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيبٌ عليه، ناظرٌ إليه، سامعٌ لقوله. وهو مطلعٌ علىٰ عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين[(١)].

وقال ذو النون: علامة المراقبة إيثار ما أنزل الله، وتعظيم ما عظم الله، وتصغير ما صغر الله[(٢)].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٦٥).

(٢) الرسالة القشيرية (١/ ٣٣١).

حقيقة المراقبة:

قال ابن القيم: المشهد الرابع مشهد الإحسان وهو مشهد المراقبة وهو أن يعبد الله كأنه يراه وهٰذا المشهد إنما ينشأ من كمال الإيمان بالله وأسمائه وصفاته حتىٰ كأنه يرىٰ الله سبحانه فوق سماواته مستويًا علىٰ عرشه يتكلم بأمره ونهيه ويدبر أمر الخليقة فينزل الأمر من عنده ويصعد إليه وتعرض أعمال العباد وأرواحهم عند الموافاة عليه فيشهد ذلك كله بقلبه ويشهد أسماءه وصفاته ويشهد قيومًا حيًّا سميعًا بصيرًا عزيزًا حكيمًا آمرًا ناهيًا يحب ويبغض ويرضىٰ ويغضب ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو فوق عرشه لا يخفىٰ عليه شيء من أعمال العباد ولا أقوالهم ولا بواطنهم بل يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ومشهد الإحسان أصل أعمال القلوب كلها فإنه يوجب الحياء والإجلال والتعظيم والخشية والمحبة والإنابة والتوكل والخضوع لله سبحانه والذل له(١).

وقال الغزالي: المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه، يثمرها نوعٌ من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالًا في الجوارح وفي القلب. أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب وملاحظته إياه، وأما المعرفة فهي العلم بأن الله مطلعٌ على الضمائر، عالمٌ بالسرائر، رقيبٌ علىٰ أعمال العباد، قائمٌ علىٰ كل نفس بما كسبت، ثم للمراقب في أعماله نظران: نظرٌ قبل العمل، ونظرٌ في العمل، أما قبل العمل فلينظر همه وحركته أهي لله خاصة أو لهوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت، فإن كان لله تعالىٰ أمضاه، وإن كان لغير الله ٱستحيا من الله وانكف عنه ثم لام نفسه علىٰ رغبته فيه وهمه به وميله إليه، وعرفها سوء فعلها وأنها عدوة نفسها.

وأما النظر الثاني للمراقبة عند الشروع في العمل فذلك بتفقد كيفية العمل

---

(١) رسالة ابن القيم إلىٰ أحد إخوانه (ص: ٣٨).

ليقضي حق الله فيه، ويحسن النية في إتمامه، ويتعاطاه علىٰ أكمل ما يمكنه.

وهٰذا ملازمٌ له في جميع أحواله؛ لأنه لا يخلو إما أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح، فمراقبته في الطاعات بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات، وإن كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكير، وإن كان في مباح فمراقبته بمراعاة الأدب، ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها. ولا يخلو العبد في جملة أحواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها، ونعمة لا بد له من الشكر عليها، وكل ذلك من المراقبة[(١)].

المراقبة في القرآن:

١- قال الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

قال ابن كثير: أي مطلعٌ عَلَيْهِمْ يَسْمَعُ كَلامَهمْ وسِرَّهمْ ونَجْواهمْ ورُسُله أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ تَكْتُبُ ما يَتَناجَوْنَ بِهِ مَعَ علم الله به وسمعه لهم، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨].

٢- وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزُخْرُفِ: ٨٠] فهو ﷻ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ خَلْقِهِ لا يَغِيبُ عَنْه مِنْ أمورهم شيء[(٢)].

٣- وقال جلَّ شأنه: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٩٨).

(٢) تفسير ابن كثير بتصرف (٨/ ٧٣).

٤- وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

قال ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالىٰ نبيه ﷺ أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته وجميع الخلائق في كل ساعة وأوان ولحظة وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الأرض ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين[١].

ومن الأحاديث الواردة في المراقبة:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كانَ يَوْمًا بارِزًا لِلنّاسِ، إِذْ أَتاه رَجُلٌ يَمْشِي،... وفيه: قالَ: يا رَسُولَ اللهِ ما الإِحْسانُ؟ قالَ: **"الإِحْسانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كأَنَّكَ تَراه، فإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراه فإِنَّه يَراكَ"**[٢].

وعند مسلم: **"أَنْ تَخْشَىٰ اللهَ كأَنَّكَ تَراه، فإِنَّكَ إِنْ لا تَكُنْ تَراه فإِنَّه يَراكَ"**[٣].

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قالَ: **"سَبْعَةٌ يُظِلُّهمُ اللهُ تَعالَىٰ في ظِلِّه يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاّ ظِلُّه: إِمامٌ عَدْلٌ، وشابٌّ نَشأ في عِبادَةِ اللهِ، ورَجُلٌ قَلْبُه مُعَلَّقٌ في المَساجِدِ، ورَجُلانِ تَحابّا في اللهِ، ٱجْتَمعا عَلَيْهِ وتَفرَّقا عَلَيْهِ، ورَجُلٌ دَعَتْه ٱمْرأَةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمالٍ فَقالَ: إِنِّي أَخافُ اللهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأَخْفاها حَتَّىٰ لاَ تَعْلَمَ شِمالُه ما تُنْفِقُ يَمِينُه، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خالِيًا، فَفاضَتْ عَيْناه"**[٤].

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«قالَ اللهُ عز وجل: إِذا**

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٧). (٣) أخرجه مسلم (١٠).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

تَحدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فأنا أَكْتُبُها لَه حَسَنَةً ما لَمْ يَعْمَلْ، فإذا عَمِلَها، فأنا أَكْتُبُها بِعَشْرِ أَمْثالِها، وإذا تَحدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فأنا أَغْفِرُها لَه ما لَمْ يَعْمَلْها، فإذا عَمِلَها، فأنا أَكْتُبُها لَه بِمِثْلِها» وقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قالَتِ المَلائِكَةُ: رَبِّ، ذاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وهو أَبْصَرُ بِهِ، فَقالَ: ارْقُبُوه فإنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها لَه بِمِثْلِها، وإنْ تَرَكَها فاكْتُبُوها لَه حَسَنَةً، إنَّما تَرَكَها مِنْ جَرّايَ»**[(١)].

٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت رديف رسول الله ﷺ، فَقالَ: « **يا غُلامُ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ يَنْفَعُكَ الله بِهِنَّ؟** » فَقُلْتُ: بَلَىٰ. فَقالَ: « **احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْه أَمامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ في الرَّخاءِ، يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ،...** »[(٢)].

٥- وعَنْ عائِشَةَ رضي الله عنها قالَتْ: الحَمْدُ لله الذِي وسِعَ سَمْعُه الأَصْواتَ، لَقَدْ جاءَتِ المُجادِلَةُ إلى النَّبيِّ ﷺ تُكَلِّمُه وأنا في ناحِيَةِ البَيْتِ، ما أَسْمَعُ ما تَقُولُ: فأَنْزَلَ الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ إلىٰ آخِرِ الآيَةِ[(٣)].

٦ - وعَنْ ثَوْبانَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ، أَنَّه قال: "**لأَعْلَمَنَّ أَقْوامًا مِنْ أُمَّتِي يأْتُونَ يَوْمَ القِيامَةِ بِحَسَناتٍ أَمْثالِ جِبالِ تِهامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُها الله** ﷻ هَباءً مَنْثُورًا"، قال ثَوْبانُ: يا رَسُولَ اللهِ، صِفْهِمْ لَنا، جَلِّهِمْ لَنا أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهِمْ، ونَحْنُ لاَ نَعْلَمُ، قالَ: "**أَما إِنَّهِمْ إِخْوانُكُمْ، ومِنْ جِلْدَتِكُمْ، ويأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَما تأْخُذُونَ، ولَكِنَّهِمْ أَقْوامٌ إِذا خَلَوْا بِمَحارِمِ اللهِ انْتَهَكُوها**"[(٤)].

أقوال السلف في المراقبة:

قال نافعٌ مولى ابن عمر: خرجت مع ابن عمر في بعض نواحي المدينة

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٠٥)، وصححه الألباني صحيح الجامع (١/ ٥٦٩).

(٣) أحمد (٢٤١٩٥)، وإسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢/ ٣٢).

ومعه أصحابٌ له فوضعوا سفرة لهم فمر بهم راع فقال له عبد الله: هلم يا راعي فأصب من هٰذِه السفرة فقال: إني صائمٌ. فقال له عبد الله: في مثل هٰذا اليوم الشديد حره وأنت بين هٰذِه الشعاب في آثار هٰذِه الغنم وبين هٰذِه الجبال ترعىٰ هٰذِه الغنم وأنت صائمٌ؟! فقال الراعي: أبادر أيامي الخالية. فعجب ابن عمر وقال: هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك نجترزها نطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها؟ قال: إنها ليست لي إنها لمولاي. قال: فما عسيت أن يقول لك مولاك إن قلت: أكلها الذئب؟ فمضى الراعي وهو رافع إصبعه إلى السماء وهو يقول: فأين الله؟. قال: فلم يزل ابن عمر يقول: قال الراعي: فأين الله! فما عدا أن قدم المدينة فبعث إلىٰ سيده فاشترىٰ منه الراعي والغنم فأعتق الراعي ووهب له الغنم[١].

* قال ابن المبارك لرجل: راقب الله تعالىٰ. فسأله عن تفسيرها فقال: كن أبدًا كأنك ترىٰ الله ﷻ[٢].

* قال حميد الطويل لسليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: عظني. فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خاليًا ظننت أنه يراك لقد ٱجترأت علىٰ أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت[٣].

* قال سفيان الثوري: عليك بالمراقبة ممن لا تخفىٰ عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة[٤].

* وعن قتادة قال: لا يقدر رجل علىٰ حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله ﷻ إلا أبدله الله في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك[٥].

---

(١) قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص: ١٢٨)، والتبصرة لابن الجوزي (٢/ ٢٥٠).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٩٧). (٣) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٩٨).

(٤) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٩٨).

(٥) ذم الهوىٰ لابن الجوزي (ص: ٢٤٥).

* وقال حاتم الأصم: تعاهد نفسك في ثلاثة مواضع: إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا سكت فاذكر علم الله فيك(١).

* قال ابن الجوزي: الحق ﷻ أقرب إلىٰ عبده من حبل الوريد. لكنه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه، فأمر بقصد نيته، ورفع اليدين إليه، والسؤال له. فقلوب الجهال تستشعر البعد، ولذلك تقع منهم المعاصي، إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفُّوا الأكف عن الخطايا. والمتيقظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة، وكفتهم عن الأنبساط(٢).

* قال الفضيل بن عياض: تغلق بابك، وترخي سترك، وتستحي من الناس، ولا تستحي من القرآن الذي في صدرك، ولا تستحي من الجليل الذي لا يخفىٰ عليه خافية(٣).

* وقال أعرابي: خرجت في بعض الليالي المظلمة فإذا أنا بجارية كانها علمٌ[فائقة الجمال] فأردتها عن نفسها، فقالت: ويلك أما لك زاجر من عقل؟ أما لك ناه من دين؟! فقلت لها: إيهًا والله ما يرانا إلا الكواكب! قالت: فأين مكوكبها؟!(٤).

وأخيرًا: فإن المراقبة سبب لإيجاد مجتمع قوي في كل مؤسساته، وسبب للنجاة من الشدائد، وسبب لحفظ النعم وزيادتها، وإلا كانت عائقًا لاستمرار أي عمل تطوعي مهما كان حجمه ومهما كانت أهميته.

---

(١) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ١١٠٢).

(٢) صيد الخاطر (ص: ٢١٣). (٣) تنبه الغافلين للسمرقندي (ص: ٤٧٨).

(٤) ذم الهوىٰ لابن الجوزي (ص: ٢٧٢).

٢- وقوع الاختلاف والنزاع بين المتطوعين:

وهٰذِه آفة خطيرة إذا دبت بين المتطوعين فليعلم أن الخير زائل والفشل هو نتاج هٰذا النزاع والاختلاف قال تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦].

ولنذكر شيئا من هٰذا تحت هٰذِه المسائل:

تعريف الٱختلاف

الاختلاف هو: التجاذب فيه بالأقوال والأفعال، والمراد به هنا ما ٱنتهىٰ إلى الخصومة والعداوة والتنازع[1].

والاختلاف في الغرائز والملكات الإنسانية أمر طبيعي في بني آدم نتيجة لاختلاف الطبائع والمشارب، قال تعالىٰ: ﴿ولَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمَّةً واحِدَةً ولا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ولِذَلِكَ خَلَقَهمْ﴾ [هود: ١١٩]، وبناء علىٰ هٰذا الٱختلاف الطبعي تبنى الحياة ويثرى الوجود بمعطيات الإنسان الهائلة المتجددة علىٰ مدى الأيام والشهور والسنين، قال تعالىٰ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، وعلىٰ أساس هٰذا النوع من الخلاف تعمر الحياة وتتنوع أنشطة الإنسان وبه تحصل مقومات الخلافة في الأرض وتسد حاجات الإنسان في مجالات حياته المختلفة.

هٰذا ولئن كان الٱختلاف في مجالات النشاط الإنساني يؤدي إلىٰ إقامة الحياة السعيدة الممثلة لما أراده الله من خلافة بني آدم في الأرض، فإن الخلاف في مجالات الدين المختلفة سبب لتعاسة الإنسان، وفساد أمره وتشتت شأنه، الأمر الذي يدل دلالة قاطعة علىٰ أن الٱختلاف في إطار الديانة مذموم من حيث الجملة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا

---

(١) ٱنظر: الشريعة لأبي بكر الآجري (٣ - ٢٠).

لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وذلك لأن دين الله واحد والحق فيه واحد لا يتعدد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وبناء علىٰ ذلك فالناس في ذلك أمة واحدة إذ إن جميع الشرائع السماوية جاءت بعبادة الله والكفر بما سواه كما قال سبحانه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣] فلا يكون الاختلاف فيها إلا بالبغي والظلم كما قال سبحانه: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورىٰ: ١٤][1].

الاختلاف في الكتاب والسنة النبوية[2]:

الاختلاف علىٰ ضربين:

الضرب الأول: اختلاف تذم فيه كلا الطائفتين المختلفتين كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨- ١١٩] فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥] وترجع أسباب الاختلاف المذموم بين طائفتين إلىٰ فساد النية لأن الدافع عليه هو البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض بالفساد، ويرجع أيضًا إلىٰ جهل كل من المختلفين بالأمر المتنازع فيه، أو الجهل بالدليل القاطع للنزاع، أو جهل كل من المختلفين بما عند

---

(١) انظر: الاختلاف في أصول الدين وأسبابه وأحكامه د/ إبراهيم البريكان.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ص (٣٦ - ٤١)

صاحبه من الحق سواء كان ذلك في الحكم أو الدليل، هٰذا إذا كان عالما بما عنده من الحق حكمًا ودليلًا، وقد بين الله تعالىٰ أن أصل الشر كله الجهل والظلم، قال تعالىٰ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

الضرب الثاني: هو ما حمد الله فيه إحدى الطائفتين؛ وهم المؤمنون، وذم فيه الأخرىٰ، كما قال ﷻ: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [الأحزاب: ٧٢] فحمد إحدى الطائفتين ووصفهم بالإيمان.

وقد جاءت السنة بإقرار ٱختلاف التنوع كما في إقراره ﷺ للصحابة على ٱجتهادهم في فهم قوله ﷺ: لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة[١]. فمنهم من أخرها أخذا بهٰذا الحديث ومنهم من أخذ بأحاديث الوقت مخصصًا لهٰذا الحديث.

وفي الآية السابقة ذم الأخرىٰ ووصفها بالكفر، هٰذا وأكثر الخلاف المؤدي إلى الأهواء والبدع في الأمة المحمدية هو من النوع الأول وسبب ذلك أن كلا من الطائفتين المتنازعتين لا تعترف بما عند الأخرىٰ من الحق ولا تعدل في حكمها لها وعليها.

وجاءت السنة بذم ٱختلاف التضاد كما في حديث عبد الله بن رباح الأنصاري عن ابن عمر قالَ: هَجَّرْتُ إلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، قالَ: فَسَمِعَ أَصْواتَ رَجُلَيْنِ ٱخْتَلَفا في آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنا رَسُولُ اللهِ ﷺ، يُعْرَفُ في وجْهِهِ الغَضَبُ، فَقالَ: "**إِنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، بِٱخْتِلافِهِمْ في الكِتابِ**"[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤)، ومسلم (٢٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٦).

وقد نهىٰ عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما عند الآخر، كما روى النَّزَّالَ بْنَ سَبْرَةَ عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رجلًا قرأ آية، وسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرأ خِلاَفَها، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فأَخْبَرْتُه، فَعَرَفْتُ في وجْهِهِ الكَراهِيَةَ، وقالَ: «**كِلاَكُما مُحْسِنٌ، ولاَ تَخْتَلِفُوا، فإِنَّ مَنْ كانَ قَبْلَكُمُ ٱخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**»[1]. فدل الحديث علىٰ تحريم مثل هٰذا الاختلاف وأن يكون لنا عبرة فيمن قبلنا حيث ٱختلفوا بمثل ذلك.

أسباب الاختلاف في الدين:

ويمكن أن نتلمس أسباب الخلاف من نصوص الكتاب والسنة وهي كما يلي:

أولاً: بغي الخلق بعضهم علىٰ بعض وظلمهم لبعضهم كما قال سبحانه: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال ﷻ: ﴿واتَيْناهمْ بَيِّناتٍ مِنَ الأمْرِ فَما اخْتَلَفُوا إِلّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهمْ﴾ [الجاثية: ١٧] فالعلو في الأرض وتسلط الخلق بعضهم علىٰ بعض من أعظم أسباب الخلاف.

ثانيًا: ٱتباع الهوى الذي يتضمن ٱتباع ما تهواه النفوس والطبائع وترك ما يأمر به الشرع من العدل والإحسان كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فجمع السبل لكثرتها ووحد سبيله لأنه واحد، واتباع الهوىٰ من أكبر الأسباب في رد الحق والتكبر عليه والإقامة على الباطل والتشبث به كما قال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

ثالثًا: ٱتباع وساوس الشيطان والشيطان عدو لبني آدم كما أخبر بذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٦).

[فاطر: ٦] وهو لا يألو جهدًا في إضلالهم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، وأوضح لنا أن التفرق والاختلاف ما هو إلا حبيلة من حبائله قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١].

رابعًا: الجهل بالدين فإن في العلم نجاة وفي الجهل هلكة قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر: ٩]، والعلم هو طريق المعرفة بالله ودينه ومن علم دين الله وتمسك بذلك العلم لن يضل السبيل لأن العلم النافع هو الطريق الصحيح لحفظ الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [النساء: ٨٣].

خامسًا: إهمال نصوص الشرع قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

سادسًا: الغرور بالنفس: فالغرور بالنفس يولد الإعجاب بالرأي، والكبر على الخلق، فيصر الإنسان علىٰ رأيه، ولو كان خطأ، ويستخف بأقوال الآخرين، ولو كانت صوابًا؛ فالصواب ما قاله هو، والخطأ ما قاله غيره، ولو ٱرعوىٰ قليلًا، واتهم نفسه، وعلم أنها أمارة بالسوء لدفع كثيرا من الخلاف والشقاق، ولكان له أسوة بنبينا ﷺ الذي قال الله تعالىٰ له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وإذا كانت صفة التواضع ولين الجانب من أوائل صفات المؤمنين فإنها في حق من ٱنتصب للعلم والدعوة والفتوىٰ والتعليم أوجب وأكثر ضرورة وإلحاحًا[١].

---

(١) الٱختلاف في العمل الإسلامي الأسباب والآثار. ناصر العمر.

سابعًا: الغفلة عن العواقب المترتبة على الاختلاف والفرقة أنه يؤدى إلى التمزق والتحزب والفشل إلى الهلاك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ثامنًا: سوء الظن بالآخرين: فهو ينظر لجميع الناس بالمنظار الأسود؛ فأفهامهم سقيمة، ومقاصدهم سيئة، وأعمالهم خاطئة، ومواقفهم مريبة، كلما سمع من إنسان خيرًا كذبه أو أوله، وكلما ذكر أحد بفضل طعنه وجرحه، أشتغل بالحكم على النيات والمقاصد، فضلًا عن الأعمال والظواهر، والمصادرة للآخر قبل معرفة رأيه، أو سماع حجته، ثم هو لا يتوقف عند هٰذا الحد، بل لسان طليق في أعراض إخوانه، بسبهم، واتهامهم، وتجريحهم، وتتبع عثراتهم، فإن تورع عن الكلام في أعراض غيره من الفضلاء سلك طريق الجرح بالإشارة، أو الحركة؛ بما يكون أخبث وأكثر إقذاعًا، مثل: تحريك الرأس، وتعويج الفم، وصرفه، والتفاته، وتحميض الوجه، وتجعيد الجبين، وتكليح الوجه، والتغير، والتضجر(١).

تاسعًا: العصبية للآراء والمذاهب(٢)، سواء كان سياسيًّا أو مذهبيًّا أو حزبيًّا أو لأفراد ورموز، وسواء كان لفرط حب أو فرط بغض.

إن التعصب إذا ران على القلب والعقل وطغى فإنه يحجبهما، ومهما عرضت على المتعصب من الحجج والبراهين فلن يراها.

يقول الماوردي: ولقد رأيت من هٰذِه الطبقة رجلًا يناظر في مجلس حفل، وقد أستدل عليه الخصم بدلالة صحيحة؛ فكان جوابه عنها أن قال:

---

(١) الأختلاف في العمل الإسلامي الأسباب والآثار. ناصر العمر.

(٢) أنظر: الأختلاف في أصول الدين وأسبابه وأحكامه د/ إبراهيم البريكان، والاختلاف في العمل الإسلامي الأسباب والآثار. ناصر العمر، وضوابط الأختلاف في ميزان السنه شعبان عبد الله.

إن هٰذِه دلالة فاسدة، وجه فسادها أن شيخي لم يذكرها، وما لم يذكره الشيخ لا خير فيه؛ فأمسك عنه المستدل تعجبًا؛ ولأن شيخه كان محتشمًا. وقد حضرت طائفة يرون فيه مثل ما رأىٰ هٰذا الجاهل، ثم أقبل المستدل علي، وقال لي: والله لقد أفحمني بجهله! وصار سائر الناس المبرئين من هٰذِه الجهالة ما بين مستهزئ ومتعجب، ومستعيذ بالله من جهل مغرب[(١)].

وما أقبح هٰذا الجهل يوم يسري إلىٰ طوائف تعد نفسها في عداد العاملين للإسلام الذائدين عن حياضه! ويزداد هٰذا القبح يوم يزعم أصحابها أنهم أهل الفكر المستنير والعقول غير المنغلقة، ويتضاعف القبح يوم ينتسبون إلى السلف أو السنة، والسلف والسنة من هٰذا التعصب المقيت براء.

كيف نقضي على الاختلاف المذموم؟

من أعظم منن الله علىٰ عباده هو ٱجتماعهم على الحق وسيرهم عليه، قال تعالىٰ: ﴿واذْكُرُوا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فالَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] مع ذلك فقد أخبر تعالىٰ أن الٱختلاف لا بد من وقوعه ليميز الله الحق من الباطل، فيضل من يشاء عدلًا، ويهدي من يشاء فضلًا، فتظهر من آثار حكمه القدرية نظير ما أظهر لعباده من حكمه الشرعية، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨- ١١٩]. فالمرحوم من عباد الله من لا يوجد الخلاف بينهم ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾ وأعظم الٱختلاف وأشده ما كان عن علم وبصيرة إذ أن مقتضى العلم الٱجتماع على الحق فإذا حصل الٱختلاف فلا يكون إلا ببغي وظلم ظاهر بين قال تعالىٰ: ﴿وما تَفَرَّقَ الذِينَ أُوتُوا الكِتابَ إِلّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّنَةُ وما أُمِرُوا إِلّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَه الدِّينَ حُنَفاءَ ويُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُؤْتُوا

(١) أدب الدنيا والدين، ص ٧٠.

الزَّكاةَ وذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٤-٥].

ومن هٰذا المنطلق فإن ٱختلاف أمة محمد ﷺ في أمر من أمور الديانة لا يكون إلا مذمومًا قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ولولا أنه مذموم لما حذرهم منه ونهاهم عنه لا سيما وأن بيانه ﷺ أكمل البيان وأظهره مما لا يجعل مجالًا للاختلاف كما في حديث العرباض بن سارية أن النبي ﷺ قال: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى البَيْضاءِ لَيْلُها كَنَهارِها لا يَزِيغُ عَنْها بَعْدِي إِلّا هالِك**»[١].

ومقتضى النهي عن الٱختلاف الأمر بالاتفاق والاجتماع على الحق، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾.

وكذلك ٱتباع القرآن وسنة رسول الله ﷺ القولية والفعلية والإقرارية بفهم الصحابة ﷺ ومن تبعهم بإحسان.

ثمار التعاون والائتلاف:

١- زيادة الألفة، وتنمية المحبة، وتضييق دائرة الفرقة والعداوة.

٢- عدم إشغال عامة الناس وضعاف الإيمان بتلقي التهم وسماعها وتداولها، وإشغالهم بدلا من ذلك بقضايا العلم النافع والعمل الصالح.

٣- إشغال أصحاب الطاقات المتميزين بالكتابة والخطابة والحجة والبيان بما هو مفيد ونافع لخدمة الإسلام وأهله، ورصد الباطل وصده، ودحض الفساد والانحراف من البدع والمنكرات.

٤- قطع الباب على المنافقين والمرجفين الذين يفرحون بنشر العيوب وتشكيك الناس بدعوة الإصلاح في المجتمع والذين يفرحون بالشماته بالمصلحين.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢).

٥- حسم مادة الخلاف وزوال بذرة الشقاق، لكي لا يثيرها من شاء من المرجفين، متىٰ شاء وكيف شاء.

٦- إغاظة أصحاب الفساد الذين يفرحون بتفريق الجهود الإصلاحية وضعفها، لينفذوا أغراضهم السيئة بيسر وسهولة، في ظل ٱنشغال أهل الحق بعضهم ببعض، وضعف شوكتهم. وفي حال التعاون توجه الجهود لكشف مخططاتهم الإفسادية، وقطع السبيل عن تحقيق أهدافهم.

٧- توحد الكلمة وهٰذا له أثر بالغ في دحض الباطل وأهله، وإرغامهم علىٰ إظهار تعظيم شعائر الله واحترام الدين وأهله[١].

٣- عدم الأخذ بمبدأ الشورى:

تعريف الشورىٰ: هي الإجماع على الرأي، وتولية من يرون ذلك له[٢].

وأيضا: هي تبادل الآراء في أمر من الأمور لمعرفة أصوبها وأصلحها لأجل ٱعتماده والعمل به[٣].

وعرفها الدكتور هاني الطعيمات قائلا: الشورى ٱستطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في أمر من الأمور العامة المتعلقة بها بهدف التوصل فيها إلى الرأي الأقرب إلى الصواب الموافق لأحكام الشرع تمهيدا لاتخاذ القرار المناسب في موضوعه[٤].

وهناك من الباحثين من أضفىٰ على الشورىٰ وصف الإيمانية ثم عرفها بناء

---

(١) هل يمكن التعاون بين المسلمين مع وجود الاختلاف؟ سلمان بن عمر السنيدي مجلة البيان (١١٦/ ١٨).

(٢) الفصول في الأصول (٤/ ٥٥).

(٣) مناهج الشريعة الإسلامية ٢/ ١٢٨ الشيخ أحمد محيي الدين العجوز.

(٤) حقوق الإنسان وحرياته الأساسية د. هاني سليمان الطعيمات.

علىٰ ذلك فقال:

الشورى الإيمانية: هي التعاون في تبادل الرأي ومداولته في أمر من أمور المؤمن أو الجماعة المؤمنة أو الأمة المؤمنة علىٰ نهج أو أسلوب وأسس وقواعد تحقق أهدافًا وغايات تجتمع كلها لتبحث عن الحق أو ما هو أقرب إليه طاعة وعبادة، ويكون النهج والأسلوب والقواعد والأهداف والغايات كلها ربانية يحددها منهاج الله[1].

الشورىٰ في القرآن الكريم:

١- قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران ١٥٩].

قال الشافعي رحمه الله: قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾، ولم يجعل الله لهم معه ﷺ أمرًا، إنما فرض عليهم طاعته، ولكن في المشاورة ٱستطابة أنفسهم، وأن يستن بها من ليس له على الناس ما لرسول الله ﷺ والاستدلال بأن يأتي من بعض المشاورين بالخير قد غاب عن المستشير، وما أشبه هٰذا[2].

قال أبو جعفر الطبري: إن الله ﷻ أمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر عدوه ومكايد حربه، تألفًا منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرة التي يؤمن عليه معها فتنة الشيطان، وتعريفًا منه أمته مأتى الأمور التي تحزبهم من بعده ومطلبها، ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم، فيتشاوروا فيما بينهم، كما كانوا يرونه في حياته ﷺ يفعله. فأما النبي ﷺ فإن الله كان يعرفه مطالب وجوه ما حزبه من الأمور بوحيه أو إلهامه

(١) الشورىٰ وممارستها الإيمانية د. عدنان علي رضا النحوي.

(٢) تفسير الإمام الشافعي جمع ودراسة، د. أحمد بن مصطفى الفرّان (١/ ٤٩٣).

إياه صواب ذلك. وأما أمته فإنهم إذا تشاوروا مستنين بفعله في ذلك، علىٰ تصادق وتأخٍّ للحق، وإرادة جميعهم للصواب، من غير ميل إلىٰ هوىٰ، ولا حيد عن هدىٰ، فالله مسددهم وموفقهم[(١)].

قال السعدىٰ رحمه الله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ أي: الأمور التي تحتاج إلى ٱستشارة ونظر وفكر، فإن في الٱستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره:

منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلىٰ الله.

ومنها: أن فيها تسميحًا لخواطرهم، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث، فإن من له الأمر على الناس - إذا جمع أهل الرأي: والفضل وشاورهم في حادثة من الحوادث- ٱطمأنت نفوسهم وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبد عليهم، وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية العامة للجميع، فبذلوا جهدهم ومقدورهم في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه وإن أطاعوه فطاعة غير تامة.

ومنها: أن في الٱستشارة تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول.

ومنها: ما تنتجه الٱستشارة من الرأي: المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب، فليس بملوم، فإذا كان الله يقول لرسوله ﷺ وهو أكمل الناس عقلاً وأغزرهم علمًا، وأفضلهم رأيًا-: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ فكيف بغيره؟![(٢)].

٢- وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورىٰ: ٣٨].

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٣٤٣) وما بعدها.

(٢) تفسير السعدي (ص: ١٥٤).

قالَ البُخارِيُّ في بابِ قَوْلِهِ تَعالَىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

وكانَ الأئِمَّةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَشِيرُونَ الأُمَناءَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ في الأُمُورِ المُباحَةِ لِيأخُذُوا بِأَسْهَلِها، فإذا وُضِعَ الكِتابُ أَوِ السُّنَّةُ لَمْ يَتَعَدَّوْه إلىٰ غَيْرِهِ ٱقْتِداءً بِالنَّبِيِّ ﷺ[1].

قال السعدىٰ رحمه الله: ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الديني والدنيوي ﴿شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم، وهٰذا لا يكون إلا فرعًا عن ٱجتماعهم وتوالفهم وتوادهم وتحاببهم وكمال عقولهم، أنهم إذا أرادوا أمرًا من الأمور التي تحتاج إلىٰ إعمال الفكر والرأي فيها، ٱجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتىٰ إذا تبينت لهم المصلحة، ٱنتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي في الغزو والجهاد، وتولية الموظفين لإمارة أو قضاء، أو غيره، وكالبحث في المسائل الدينية عموما، فإنها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله[2].

أمثلة على الشورىٰ من القرآن الكريم:

١- قال تعالىٰ: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٢، ٣٣].

وهٰذِه القصة تفيد وجود التشاور بين الحاكم والمحكومين في العصور القديمة فقد أبانت الآية أن ملكة سبأ كانت هي وقومها وثنيون يعبدون الشمس، ولكنها مع ذلك بادرت إلى الٱستشارة ولم تنفرد بالرأي دونهم.

٢- قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٣، ٤٤].

---

(١) تفسير المنار (٥/ ١٧٤).

(٢) تفسيو السعدي (ص: ٧٦٠).

وقد طلب الملك الرأي من الملأ في تفسير هٰذِه الرؤيا لكونها متعلقة بمصير الأمة.

نماذج من الشورىٰ في السنة النبوية:

١- ٱستشارة النبي ﷺ لأصحابه لما أراد الخروج يوم بدر كما قال أنس ابن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ شاورَ حِينَ بَلَغَه إِقْبالُ أَبِي سُفْيانَ، قالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فأَعْرَضَ عَنْه، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فأَعْرَضَ عَنْه، فَقامَ سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ، فَقالَ: إِيّانا تُرِيدُ يا رَسُولَ اللهِ؟ والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنا أَنْ نُخِيضَها البَحْرَ لأَخَضْناها، ولَوْ أَمَرْتَنا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبادَها إِلىٰ بَرْكِ الغِمادِ لَفَعَلْنا، قالَ: فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النّاسَ، فانْطَلَقُوا حَتَّىٰ نَزَلُوا بَدْرًا[1].

٢- **ٱستشارته ﷺ لأبىٰ بكر وعمر في شأن أسارىٰ بدر:** قال أَبُو زُمَيْلٍ: قال ابن عَبّاسٍ: فَلَمّا أَسَرُوا الأُسارىٰ، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وعُمَرَ: "**ما تَرَوْنَ في هٰؤلاء الأُسارىٰ؟**" فقال أَبُو بَكْرٍ: يا رَسُولَ اللهِ، هُمْ بَنُو العَمِّ والعَشِيرَةِ أَرىٰ أَنْ تأخُذَ مِنْهمُ الفِدْيَةَ فَتَكُونَ لَنا قُوةً عَلَى الكُفّارِ فَعَسَىٰ الله أَنْ يَهْدِيَهمْ لِلْإِسْلامِ، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**ما تَرىٰ يا ابن الخَطّابِ؟**" قالَ: لا واللهِ، ما أَرى الذِي رأىٰ أَبُو بَكْرٍ يا نَبِيَّ اللهِ، ولٰكن أَرىٰ أَنْ تُمَكِّنَنا مِنْهمْ فَنَضْرِبَ أَعْناقَهمْ، وتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَه، وتُمَكِّنِي مِنْ فُلانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فأَضْرِبَ عُنُقَه؛ فإِنَّ هٰؤلاء أَئِمَّةُ الكُفْرِ وصَنادِيدُها، وقادَتُها، قالَ: فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ما قال أَبُو بَكْرٍ ولَمْ يَهْو ما قُلْتُ، فَلَمّا كانَ مِنَ الغَدِ جِئْتُ إِلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأَبُو بَكْرٍ قاعِدَيْنِ يَبْكِيانِ، فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وصاحِبُكَ؟ فإِنْ وجَدْتُ بُكاءً بَكَيْتُ، وإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكاءً تباكَيْتُ لِبُكائِكُما، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحابُكَ مِنْ أَخْذِهِم الفِداءَ، فَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذابُهمْ أَدْنَىٰ مِنْ هٰذِه**

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠٣).

الشَّجَرَةِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٧ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٦-٦٨]، فأحل الله ﷻ الغنيمة لهم"[١].

٣- كذلك مشورة رسول الله ﷺ أصحابه لما سمع رسول الله ﷺ باجتماع الأحزاب وخروجهم إليه، فأشار عليه سلمان بحفر الخندق، فرضي رأيه.

فوائد الأخذ بالشورىٰ[٢]:

١- **إصابة الحق في الغالب**، فإن الآراء إذا عرضت بحرية تامة وأدلىٰ كل بحجته، وكانت النية صحيحة والهدف هو الوصول إلى الحق، وقدمت المصلحة العامة، وتجرد المتشاورون عن الأهواء والدوافع السيئة مع التوكل علىٰ الله تعالىٰ فلاشك أن النتائج تكون سليمة والعواقب حميدة والتسديد والتوفيق يتنزل من الله تعالىٰ، وهٰذا واضح فيما وقع في عهد الصحابة رضوان الله عليهم[٣].

٢- **أن العمل بالشورىٰ قربة وطاعة لله ﷻ**، ففيه اجتماع الرأي في تحصيل الخير، وتهذيب رأي صاحب الأمر مع الامتثال لأمر الله ﷻ، ومما ورد في شأن ذلك ما قاله بشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... بحزم نصيح أو نصيحة حازم[٤]

٣- تلاقح الأفكار، وتكامل الثقة، وتبادل الخبرة والاطلاع علىٰ ما عند الآخرين، والاستفادة من الخبرات المتنوعة وبعبارة أخرىٰ حصول التكامل

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٨٣).

(٢) الشورىٰ د محمد علي الصلابي باختصار وتصرف.

(٣) فقه الشورىٰ للغامدي ص٢١٢.

(٤) الشورىٰ د. سامي محمد الصلاحات ص٥١.

بين أفراد المجتمع[١].

٤- الشورىٰ تعطي قوة للمجتمع في أكثر من مجال إنساني فعلىٰ سبيل المجال النفسي، فإن الشورىٰ طريق للتخلص من الظواهر المرضية غير الصحية، مثل قلة الإخلاص وضعف الأداء الوظيفي، وإهدار الطاقات المفيدة.

يقول الشعبي: الرجال ثلاثة، فرجل ونصف رجل ولا شيء فأما الرجل التام، فالذي له رأي وهو يستشير، وأما نصف الرجل، فالذي ليس له رأي، وهو يستشير وأما الذي لا شيء، فالذي ليس له رأي، ولا يستشير[٢].

٥- **الشورىٰ تشعر المشاركين بالمسئولية** وأنهم مع المسؤول يسعون إلىٰ تحقيق المصالح العامة، ودرء المفاسد في عملية تكاملية.

٦- **في الشورىٰ وقاية من الاستبداد** وتزود الدولة بالكفاءات والقدرات المتميزة وبها تنحصر عيوب التفرد بالقرار[٣].

٧- الشورىٰ تفجر الطاقات الكامنة في أفراد الأمة، وتشجع ذوي الخبرات وتفسح المجال لكل من لديه خير للأمة أن يدلي برأيه وهو آمن فإن قبل فذاك، وإن رد فقد أدىٰ ما عليه وأعذر ولا تمس كرامته ولا ينال منه[٤].

٨ـ مكافحه نزعات التطرف والعنف:

إن محصلة الاجتهاد الجماعي تقود إلىٰ قرارات معتدلة في الغالب، فالتشدد لا يصدر إلا من أفراد ذوي دوافع ومنازع وعقد تحدوهم وتنزع بهم إلى اتخاذ قرارات متطرفة أو متعسفة أو مفارقة لخطة الحكمة

---

(١) فقه الشورىٰ للغامدي ص ٢١٢.

(٢) سنن الكبرىٰ للبيهقي (١٠/ ١٨٨).

(٣) الشورىٰ د. سامي الصلاحات ص٥٢.

(٤) فقه الشورىٰ ص ٢١٣.

والحسنىٰ، ولكن تبادل الآراء الصادرة من أفراد كثر وأصحاب دوافع متباينة يتجه بالقرار إلى الاعتدال والواقعية في إطار « فن الممكن والمفيد » هٰذا إذا لم يصل بالناس إلىٰ غاية المراد، كما تفسح الشورىٰ مجالًا خصبًا لمناقشة آراء أهل التطرف والعنف اللذين يتصورون دائما أن آراءهم هي الآراء النهائية في الموضوع، أي موضوع، ويعزفون بطبعهم عن التعرف علىٰ آراء الآخرين، ولكن بجر هٰؤلاء إلىٰ مجالات الشورىٰ ومشاركة الآخرين لهم في الرأي تتضح لهم القيمة المرجوحة لأفكارهم التي يقدسونها، ولذلك فإن الشورىٰ هي أجدىٰ علاج لحماقات التطرف وشططه فيجب إعطاء الكل متنفسًا لإبداء الفكر والرأي، حتىٰ يختفي التشنج والشعور بالحرمان والكبت والاضطهاد، ولذا يحسن البحث عن هٰذِه الطائفة من الناس على الدوام وإعطاؤها حق القول مهما كان معيبًا، فإخراج آرائهم إلى الضوء هو المقدمة الأولىٰ لدحضها وهزيمتها، فإنها لا تعيش ولا تنتعش إلا في سراديب الظلام[1].

٩- تسديد النظر إلى المشكلة من زوايا متباينة:

إن إخضاع أي مشكلة للتداول الشوري الحرة يمكن أهل الشورىٰ من رؤيتها من زوايا واتجاهات متباينة متقاطعة، وبذلك تنضاف الرؤى الجزئية بعضها إلىٰ بعض، وتتضام وتتكامل قدر الإمكان، وتتشكل في كل مرئي للجميع ثم تتنسق وتتوحد محاولات التحليل والتشخيص والإسهامات في اقتراح الحلول ولا يتاح ذلك إلا للجماعة المتوحدة لأن العقل الواحد مهما كان كبيرًا نافذًا لا يستطيع أن يلم بجميع المعلومات المتعلقة بكل المشاكل التي يتعرض لها، ويفهمها، ويحللها ويشخصها، ويقترح الحلول المجدية في شأنها.

---

(١) الشورىٰ د. محمد وقيع الله ص٥٥.

ولعل هٰذا ما عبر عنه بلغة مختلفة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، إذا قال: الرأي كالخيط السحيل، والرأيان كالخيطين المبرمين والثلاثة مرار ولا يكاد ينتقض[١].

وأورد الأمام الماوردي في هٰذا المعنىٰ قوله: لم يزل أهل العقول يفزعون إلى الشورىٰ في كل ما يقع بينهم، ويمدحون فاعله، ويذمون المستبد برأيه، والمرتكب لأهوائه، وقد قال فيه أحد الشعراء:

خليلي ليس الرأي في صدر واحد أشيرا علي اليوم ما تريان[٢]

١٠- تكامل المعرفة النظرية والعملية:

في أحيان كثيرة يأتي ٱمتياز الرأي من تماسه بالواقع المعاش، ويتفوق بتلك الميزة على الرأي النظري، وإن كان هٰذا الأخير صحيحًا في إطاره النظري، وحين يكتمل هذان الجانبان الركينان للعلم: الجانب النظري والجانب العملي، أو جانب فقه الأوراق وفقه الواقع، يأتي القرار أصوب ما يكون.

١١ . تجاوز الخطوب التي تشل التفكير الفردي:

وتتجلىٰ فضائل الشورىٰ في وقت الخطوب والكروب التي تلحق بالأمم، وتكاد تعصف بها عصفًا فيقف الناس منها ثلاث مواقف متباينة، فمن الناس من يهزمهم الخوف ويشل قدراتهم على التفكير والتحليل واتخاذ القرار، أي قرار، ومنهم من يثير الخوف مشاعرهم باتجاه التحدي وإثبات الذات والاندفاع الأهوج في المواجهة، فيميلون إلى ٱتخاذ الحلول القصوىٰ في ذلك الاتجاه، ومنهم من يدعوهم الخوف إلى التراجع والتهادن وربما الاستسلام فيقبلون بالدنية من دينهم ودنياهم معًا.

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٣١).

(٢) الشورىٰ د. محمد وقيع ص ٥٢.

فهٰذِه أصناف ثلاث من المواقف تجلب خلل الرأي وتقود إلىٰ أسوأ العواقب، ولٰكن ٱجتماع الناس بمختلف توجهاتهم علىٰ صعيد واحد في أوقات المحن والدواهي يؤدي إلىٰ تعادل المواقف والوصول إلى الرأي الأصوب قدر الإمكان(١).

لذا يمكن أن نقول إن عدم الأخذ بمبدأ الشورىٰ بين العاملين في مجال التطوع ليوقع أصحابها -غالبًا- في بعد عن الصواب وإحداث فجوة بين الرؤساء والمرؤوسين.

٤- غياب مفهوم العمل الجماعي وانفراد أحد العاملين بالقرار والعمل:

مقدمة:

لقد خلق الله الإنسان مدنيا بطبعه، فركبه علىٰ صورة لا تستقيم حياته، ولا يدوم بقاؤه، إلا بمعاونة غيره له من بني جنسه. فقد سخر الله الناس بعضهم لبعض في الغذاء والكساء والتصنيع والحماية بما لا يستطيع أحد منهم أن يستقل بنفسه البتة. ويظهر ذلك جليا حين يقارن الإنسان بالحيوان. فالحيوان لا يحتاج إلىٰ معاونة أحد في تحصيل أسباب بقائه ومعايشه، فعنده من سهولة تحصيل الغذاء والقوة في الحماية ما لا يحتاج معه إلىٰ أحد، بينما الإنسان بقوته الذاتية الفردية لا يستطيع مقاومة كثير من الحيوانات لا سيما الكبيرة منها والمفترسة، فهو عاجز عن المدافعة ما لم يكن معه جمع من جنسه أو آلات قد صنعها بنفسه أو بغيره تقاوم شراسة الحيوان. بل إن قدرته المنفردة لا تفي بتوفير ٱحتياجاته، ولا تستقل بتصنيع آلاته، فهو

(١) المصدر السابق ص٥٤.

بحاجة إلىٰ معاونة إخوانه ليحصل علىٰ قوت ويحتمي من حر ويتقي من قر ويدفع العدو والصائل.

إذن فالاجتماع والتعاون والتضامن ضروري لنوع الإنسان؛ لتتحقق الحياة علىٰ وجهها، ويهنأ له العيش، ويتمكن من القيام بمهمة الاستخلاف وعمارة الأرض بمقتضىٰ قوله ﷻ: ﴿هو أَنْشاكُمْ مِنَ الأَرْضِ واسْتَعْمَرَكُمْ فِيها﴾ [هود: ٦١]، وقوله سبحانه: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾ [الأنعام: ١٦٥][(١)].

ولا مانع من الإشارة في هٰذا المقام إلىٰ ما قد وضع الله في بعض مخلوقاته من غير بني آدم مما يشير إلىٰ تعاون قد فطرت عليه، فقد أعطىٰ ربنا كل شيء خلقه ثم هدىٰ. مخلوقات جعل الله في فطرتها نوع تعاون إما لتأمين غذائها أو الدفاع عن نفسها وجماعتها، ويظهر ذلك في جنسي النمل والنحل.

فقد شوهد أن النمل إذا عثر علىٰ عسل في وعاء، ولم يتمكن من الوصول إليه مباشرة؛ لوجود ماء أو سائل يحول بينه وبين هٰذا العسل، فإنه يتعاون بطريقة فدائية ٱنتحارية؛ فتتقدم فرق بعد أخرىٰ فتلتصق بالسائل وتموت، وتتقدم غيرها مثلها حتىٰ تتكون قنطرة من جثث النمل الميت يعبر عليها الأحياء الباقون، فيدخلون الوعاء ويصلون إلى العسل ويبلغون مأربهم. هٰذا في حال اليسر والغذاء.

أما في حال العسر والتعرض للمخاطر فإن مجاميع النمل إذا تعرضت لتيار مائي داهم - مثلا - فإن بعضها يمسك ببعض - ثم تكون كتلة كروية متماسكة تتحمل ٱندفاع التيار، ثم تعمل حركتين في آن واحد، إحداهما:

---

(١) ٱنظر: مقدمة ابن خلدون (ص ٤١ - ٤٣).

تتحرك فيها الأرجل كالمجاديف في ٱتجاه واحد نحو أقرب شاطئ، والثانية: حركة دائرية من أعلىٰ إلىٰ أسفل ليتم تقاسم التنفس بين الجميع، فإذا ما تنفس مَن في الأعلىٰ حصل ٱنقلاب ليرتفع من في جهة القاع، فيأخذ حظه من النفس، وهكذا في حركة دائرية حتىٰ يبلغوا شاطئ الأمان.

فسبحان الذي أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ. وسبحان من وهب الإنسان العقل المفكر ليتأسىٰ ويعتبر ويكتشف ويرقىٰ بفكره - بعد هداية الله وتوفيقه - ليكون خيرًا من الأنعام.

أما النحل فنظامه في تكوين مملكته وإنتاج عسله وترتيب الأعمال بين أفراد خليته فعجب عجاب في التعاون والتناوب ولله في خلقه شؤون[١].

ومن فضائل العمل الجماعي:

١ - قول الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

قال ابن كثير: يأمر تعالىٰ عباده المؤمنين بالمعاونة علىٰ فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوىٰ، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم[٢].

يقول ابن القيم رحمه الله: وهٰذا من أجمع المعاني، فإن كل عمل لا بد له من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتىٰ يكون مصدره عن الإيمان، فيكون الباعث عليه الإيمان المحض، لا العادة والهوىٰ، ولا طلب المحمدة والجاه، ولا غير ذلك، بل لا بد أن يكون مبدؤه محض الإيمان، وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته، وهو الٱحتساب[٣].

---

(١) يراجع للمزيد مفتاح دار السعادة ١/ ٢٤٢ - ٢٤٩، وتفسير القاسمي ١٠/ ١٢٩

(٢) تفسير ابن كثير سورة المائدة.

(٣) بدائع التفسير ٢/ ٩٣، ٩٤ بتصرف.

٢ - قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه: ٢٥ - ٣٥].

أي: أنت العالم بأحوالنا وبأن التعاضد مما يصلحنا.

٣ - قوله تعالىٰ: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٤- ٣٥].

لقد كان لأهل العلم رحمهم الله وقفات جميلة عند هٰذِه الآيات. ولقد قرروا فيما قرروا أن العمل الجماعي ركن من أركان الهداية الاجتماعية، فالله سبحانه يوجب على الناس إيجابًا دينيًّا أن يعين بعضهم بعضًا في كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفرادًا وأقوامًا في دينهم ودنياهم وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم(١).

أما أحاديث رسول الله ﷺ فمنها:

١ - عن أبي موسىٰ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "**إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كالبُنْيانِ يَشُدُّ بَعْضُه بَعْضًا**"(٢).

قال ابن بطال: تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا في أمور الدنيا والآخرة مندوب إليه بهٰذا الحديث(٣).

٢ - عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذا ٱشْتَكىٰ مِنه عُضْوٌ تداعَىٰ له**

---

(١) تفسير المنار ٦/ ١٣١.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١)، مسلم (٢٥٨٥).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢٢٧).

سائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّىٰ"[١]

وأمثال هٰذِه الأحاديث المأثورة عن نبينا محمد ﷺ مما فيه الحث على الخير والدلالة عليه والحث علىٰ قضاء الحوائج، وبخاصة إذا أدرك المتأمل أن الحاجة في نصوص الشرع ذات مفهوم واسع مما هو مدلول عليه في عموم قوله ﷺ: "**والله في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ، ومَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ الله لَه بِهِ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ، وما ٱجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ، ويَتَدارَسُونَه بَيْنَهمْ، إلاّ نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وغَشِيَتْهم الرَّحْمَةُ وحَفَّتْهم المَلائِكَةُ، وذَكَرَهُم الله فِيمَنْ عِنْدَه**"[٢].

أقسام الناس في العمل الجماعي:

يقسم الماوردي رحمه الله الناس باعتبار ما يقدمونه من معاونة وما يحققونه من معاني الأخوة والتعاون إلىٰ أقسام أربعة:

الأول: من يعين ويستعين.

الثاني: من لا يعين ولا يستعين.

الثالث: من يستعين ولا يعين.

الرابع: من يعين ولا يستعين.

ثم قال: فأما المعين والمستعين فهو معارض منصف، يؤدي ما عليه ويستوفي ما له، فهو كالمقرض يسعف عند الحاجة ويسترد عند الٱستغناء، وهو مشكور في معونته ومعذور في ٱستعانته، فهٰذا أعدل الإخوان.

وأما من لا يعين ولا يستعين فهو متروك، قد منع خيره، وقمع شره، فهو لا صديق يرجىٰ ولا عدو يخشىٰ، وإذا كان الأمر كذلك فهو كالصورة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، مسلم (٢٥٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

الممثلة، يروقك حسنها ويخونك نفعها، فلا هو مذموم لقمع شره ولا مشكور لمنع خيره، وإن كان باللوم أجدر.

وأما من يستعين ولا يعين فهو لئيم كل ومعان مستذل، قد قطع عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة، فلا خيره يرجىٰ ولا شره يؤمن، وحسبك مهانة من رجل مستثقل عند إقلاله، ويستقل عند ٱستقلاله، فليس لمثله في الإخاء حظ، ولا في الوداد نصيب.

وأما من يعين ولا يستعين فهو كريم الطبع، مشكور الصنع، وقد حاز فضيلتي الأبتداء والاكتفاء، فلا يرىٰ ثقيلًا في نائبة، ولا يقعد عن نهضة في معونة، فهٰذا أشرف الإخوان نفسًا، وأكرمهم طبعًا، فينبغي لمن أوجد له الزمان مثله - وقل أن يكون له مثل لأنه البر الكريم والدر اليتيم - أن يثني عليه خنصره ويعض عليه بناجذه، ويكون به أشد ضنًّا منه بنفائس أمواله، وسنىٰ ذخائره؛ لأن نفع الإخوان عام، ونفع المال خاص، ومن كان أعم نفعًا فهو بالادخار أحق، ثم لا ينبغي أن يزهد فيه لخلق أو خلقين ينكرهما منه إذا رضي سائر أخلاقه، وحمد أكثر شيمه؛ لأن اليسير معفو والكمال معوز[1].

تعليق:

هٰذا تقسيم من الماوردي - رحمه الله - أشبه بالحصر العقلي. وهو تقسيم جميل لتصوير النفوس وأحوال الناس والشخوص. ولكن واقع الناس، وما قضت به سنة الله في هٰذِه الحياة، من بناء الدنيا واستقامة المعاش على المشاركة والمعاونة واتخاذ الناس بعضهم بعضًا سخريًّا، يشوش علىٰ ما قرره الماوردي، فلا يتصور في الواقع من أحد - فيما نحن بصدده - أن يحقق مبتغاه إلا بتعاضد أطراف من الناس. هٰذا جانب. ومن جانب آخر،

---

(١) أدب الدنيا والدين ص (٢١١ - ٢١٣).

فإن البذل من طرف واحد - علىٰ نحو ما ذكر الماوردي - لا يسمىٰ إلا إحسانًا ومنة ونعمة، وهٰذا ليس من باب التعاون في شيء إلا من حيث الأثر والفائدة للمحسن إليه والمنعم عليه.

كما أن من يستعين ولا يعين قد رضي لنفسه أن يكون عالة علىٰ غيره، وجعل حياته مبنية على السؤال والطلب والتطلع إلىٰ ما في أيدي الناس(١).

٥- افتقاد الهيكل الإداري والتنظيمي للعمل:

إن الإسلام دين بني على النظام في كل أحكامه وتعاليمه، فما نراه من تنظيم للأعمال في صلواتنا وصيامنا في رمضان وحجنا وسائر أمورنا لتدلنا علىٰ أن هٰذا الدين أراد أن يغرس في قلوب أبنائه النظام والتسيق بين الأعمال وتهذيبها ونجاحها.

ولبيان أهمية الهيكل الإداري والتنظيمي لأي عمل وعلىٰ وجه الخصوص في العمل التطوعي نذكر هٰذِه المسائل:

١-أورد الكتَّاب والباحثون الإداريون العديد من التعاريف للهيكل التنظيمي أوجز منها الآتي:

أ . هو الآلية الرسمية التي تتمكن من خلالها إدارة المنظمة عبر تحديد خطوط السلطة والاتصال بين الرؤساء والمرؤوسين.

ب . هو نظام للسلطة والمساءلة والعلاقات بين الوحدات التنظيمية الذي يحدد شكل وطبيعة العمل اللازم للمنظمة(٢).

٢- ترتيب للعلاقات المتبادلة بين أجزاء ووظائف التنظيم، ويشير هٰذا

---

(١) التعاون بين الدعاة مبادئه وثمراته للشيخ، د/ صالح بن عبد الله بن حميد مجلة البحوث الإسلامية (٥١/ ١٩٥).

(٢) السلوك التنظيمي في منظمات الإعمال د/العميان محمود سلمان.

المفهوم إلى التسلسل الهرمي للسلطة لغايات تحقيق الأهداف بفاعلية[١].

٣- هو الإطار الذي تمارس الإدارة بداخله وظائفها[٢].

١- أهداف التنظيم الإداري:

- إنجاز الأهداف المطلوبة، وتحقيق الٱستخدام الأمثل للموارد المادية والمعنوية.
- تحقيق التعاون والانسجام والتكامل بين مختلف مكونات المنظمة.
- تحديد المسئولية وتطبيق مبدأ المساءلة عن الأعمال والتصرفات.
- تحديد قنوات الٱتصال والربط بين أجزاء المنظمة.
- تحديد علاقات السلطة والمسئولية بين الرؤساء والمرؤوسين.
- تحديد علاقات السلطة والمسئولية بين الرؤساء والمرؤوسين والزملاء في نفس المستوى الإداري.

٢- التخصص وتقسيم العمل:

التزم المسلمون بهٰذا المبدأ، حيث تولىٰ عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب أيام الرسول ﷺ كتابة الوحي، وكان يقوم بهٰذِه المهمة في أثناء غيابهما أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وتولى الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت كتابة أموال الصدقات، وتولى المغيرة بن شعبة والحسن بن نمر كتابة المعاملات بين الناس وتوثيقها، وكان زيد بن ثابت يعد الكتب إلى الملوك والزعماء.

وبعد الرسول ﷺ ٱستعان أبو بكر بالصحابة فوزع عليهم الأعمال، فأسند إلىٰ عمر بن الخطاب مسؤولية القضاء، وإلىٰ علي الإشراف علىٰ أسرى

---

(١) الإدارة الحديثة المفاهيم والعمليات، عبد الباري دره.

(٢) التنظيم الإداري وبناء هياكل المنظمة، د/ سوار الذهب أحمد عيسىٰ، عرض بور بوينت.

الحرب، وأسند أمانة بيت المال إلىٰ أبي عبيدة بن الجراح[١].

٣- أهمية الهيكل التنظيمي:

إن كفاءة وفعالية التنظيم يتأثر بالبيئة المحيطة، فهناك علاقة واضحة بين البيئة المستقرة والبيئة المتحركة ودرجة تعقيد الهيكل التنظيمي، وهٰذا التعقيد يتطلب درجة عالية من اللامركزية حتىٰ تتمكن المنظمة من الٱستجابة للتغيرات المحيطة.

وتنبع أهمية الهيكل التنظيمي في التالي[٢]:

١. ترتيب العلاقات داخل المؤسسة.

٢. يعد إحدى الأدوات الإدارية التي تساعد التنظيم على الوصول إلىٰ أهدافه حيث يشبه الهيكل التنظيمي بالهيكل العظمي للإنسان كونه يمسك بالأنظمة الفرعية المختلفة لجسم الإنسان، فدون هٰذا البنيان تبقى الدوائر والأقسام المختلفة وحدات منعزلة عن بعضها.

٣. توضيح الإدارات والدوائر والأقسام والشعب داخل المؤسسة.

٤. توضيح المستويات الإدارية في المؤسسة واختصاصات ومسؤوليات كل مستوىٰ.

ولا يقف المفهوم المعاصر للهياكل التنظيمية عند حد ٱعتباره خريطة تنظيمية توضح التبعية الإدارية، والمسئولية الإشرافية أو مجرد تحديد منضبط للاختصاصات الوظيفية للوحدات الإدارية المكونة للتنظيم، وإنما يمثل مع كل هٰذا أداة هدفها النهائي إلغاء القوى التي تعرقل أداء المنظمات وتحد من ٱنطلاقها نحو غاياتها، ويعتمد نجاح الوزارات في بناء هياكلها التنظيمية علىٰ قدرتها في خلق بيئة عمل مناسبة لتحقيق درجة عالية

---

(١) التنظيم الإداري في الإسلام د. محمد بن علي شيبان العامري.

(٢) تنظيم إجراءات العمل موسى اللوزي.

من التكيف والتطابق بين الهيكل التنظيمي وأهداف المؤسسة وكذلك كفاءة العنصر البشر ومواردها[١].

٤- الأغراض التي تحققها الهياكل التنظيمية:

من الأغراض التي تحققها الهياكل التنظيمية ما يلي:

١. يبين الهيكل التنظيمي كيفية تقسيم الأعمال بين الموظفين في المؤسسة فتوضح أنواع وعدد الوظائف فيها سواء كانت تلك الوظائف رئيسية يناط بها تحقيق الهدف الرئيسي أم وظائف مساعدة يناط بها القيام بالأعمال الثانوية أم وظائف ٱستشارية يناط بها تقديم التوصيات والمشورة للأجهزة المختلفة.

٢. يوضح الهيكل التنظيمي خطوط السلطة والمسئولية والاتصال الرسمي في المؤسسة فتظهر من له سلطة علىٰ من، ومن مسؤول أمام من، ومن يتصل بمن، وعليه فإن كل رئيس أو مرؤوس يتعرف علىٰ مكانه في السلم الإداري.

٣. يوضح الهيكل التنظيمي العلاقات والتنسيق بين مختلف الوحدات الإدارية.

٤. يبين الهيكل التنظيمي عدد المستويات الإدارية في المؤسسة وحجم كل منها ونوعية النشاط الذي تمارسه الوحدات المختلفة ومقارنة نطاق الإشراف فيها مما يسهل على المتعاملين في المؤسسة التعرف علىٰ واقعها بسرعة.

٥. يوضح الهيكل التنظيمي نطاق الإشراف لكل رئيس من خلال معرفته لعدد المرؤوسين التابعين لكل رئيس ومدى التباين أو التوافق في أعمالهم وبعد المسافة بينهم وبين الرئيس. وفي ضوء ذلك، يمكن للمنظم وضع توصياته إما بالتوسع في تفويض السلطة أو تضييقها وذلك حسب الموقف.

٦. يظهر الهيكل التنظيمي اللجان في المؤسسة، وسلطاتها وعلاقتها بأجزائها، ومستوياتها في الهيكل التنظيمي سواء كانت في المستويات العليا

---

(١) حول ترشيد الهياكل التنظيمية في الأجهزة الحكومية د. مصطفىٰ كامل.

(مثل لجنة المديرين ولجنة التخطيط، ولجنة السياسات العامة، واللجنة المالية. . وغيرها) أم في المستويات الأخرىٰ من الهيكل التنظيمي.

٧. يفيد الهيكل التنظيمي في مجال تدريب الموظفين الجدد فتستخدم في البرامج التدريبية التوجيهية (أو التمهيدية) لتعريف الموظفين بأقسام المؤسسة مواقعهم في التنظيم، ورؤسائهم ومرؤوسيهم، والأشخاص الذين سيكونون على ٱتصال بهم أثناء عملهم.

٨ . يعتبر الهيكل التنظيمي بمثابة وثيقة توضيحية يمكن الٱستعانة بها لدراسة التطور التاريخي والوظيفي للمؤسسات الإدارية خلال فترة معينة من الزمن.

٩. يستخدم الهيكل التنظيمي لأغراض إعلامية فتساعد الأفراد من خارج المؤسسة التعرف علىٰ أقسامها وأعمالها والأشخاص الموجودين فيها بصورة سهلة وسريعة.

١٠. يساعد الهيكل التنظيمي في ٱكتشاف ومعالجة الٱنحرافات والأخطاء الموجودة في التنظيم من خلال عملية تحليل الهيكل التنظيمية وعليه، فإنها تكشف العلاقات غير السليمة والتداخل أو الٱزدواج بين المهام المختلفة.

١١. يفيد الهيكل التنظيمي باعتباره وسيلة في تبيان ما إذا كانت المؤسسة تتبع الأسس والقواعد التنظيمية السليمة كنطاق الإشراف ووحدة القيادة والأمر وتوزيع العمل توزيعًا منطقيًّا سليمًا.

٥- **عناصر الهيكل التنظيمي**(١):

من خلال ٱستقراء التعريفات المختلفة للهيكل التنظيمي يتبين لنا أنها تشترك غالبا في عدة عناصر لا بد من توا فرها في الهيكل التنظيمي:

وجود الوحدات الإدارية المختلفة للمنظمة.

---

(١) المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية/ دراسة الهيكل التنظيمي.

وضوح التخصص في العمل ووجود مهام محددة.

نطاق الإشراف وخط السلطة والمسئولية.

مواقع ٱتخاذ القرار من حيث المركزية واللامركزية.

٦- مبادئ التنظيم في الإدارة الإسلامية:

لقد عرف المسلمون مبادئ التنظيم واستخدموها في تنظيماتهم الإدارية، وبهذا سبقوا رواد الإدارة الحديثة، ولو حاولنا ٱستعراض مبادئ التنظيم في الإدارة الإسلامية، لتبين أنها قد ٱشتملت علىٰ معظم مبادئ الإدارة الحديثة، وفيما يلي أهم مبادئ التنظيم في الإدارة الإسلامية.

أولاً: مبدأ تقسيم العمل.

يعد مبدأ من مبادئ التنظيم، وفي الوقت نفسه مبدأ من مبادئ الإدارة الأربعة عشر، التي وضعها (هنري فايول) رائد مدرسة نظرية الإدارة؛ حيث يتم تقسيم العمل وتوزيعه علىٰ مجموعة من الأفراد؛ بحيث تختص كل مجموعة بجزء معين من العمل حسب قدراتها ومؤهلاتها، كما هي الحال في الصناعات الدقيقة، كالصناعات الإلكترونية، وصناعة السيارات، ويرىٰ علماء الإدارة أن هٰذا المبدأ هو بداية تاريخ الإدارة؛ حيث بدأت بسيدنا آدم - ﷺ - عندما قام لأول مرة بتقسيم وتوزيع العمل بينه وبين زوجته؛ لتتولىٰ هي شؤون المنزل، ويتولىٰ هو شؤون جلب القوت، كما يطلق علىٰ هٰذا المبدأ مبدأ التخصص عند علماء الٱقتصاد، ويعني: الٱستخدام الأمثل للقوى العاملة.

وقد ورد مبدأ التخصص في القرآن الكريم؛ ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، وهٰذا التخصص عرضه يوسف ﷺ علىٰ عزيز مصر بعد أن كسب ثقته، وهو المنصب الذي تم ترشيح يوسف ﷺ له من قبل عزيز مصر، والذي يوازي في الوقت الحاضر وزير المالية والتموين، ويشتمل هٰذا المنصب أو هٰذِه الوظيفة على التخطيط والتخزين والتوزيع والإحصائيات

والأرقام، وما يتطلبه هٰذا المنصب من مهارات وقدرات، كالحفظ والعلم.

وقد اهتم الرسول عليه الصلاة والسلام ومن أتىٰ بعده بالتخصص، فكان هناك المتخصصون في شؤون القضاء وشؤون الولاة، والعمال والمدرسون، والكتاب، ورجال الحسبة، والمترجمون، وغيرهم في التخصصات المختلفة، التي أتقنها المسلمون في عهد الرسول والخلفاء الراشدين، وفي الدول والأمصار الإسلامية من بعدهم.

ثانيًا: السلطة والمسئولية:

تعرف السلطة في الإدارة الحديثة بأنها "القدرة الشرعية التي تناط بشخص ما، أو بوظيفة ما، والتي يجري قبولها ليس فقط من الممارس للقدرة، ولكن من قبل الذين تمارس عليهم أو الأعضاء المتأثرين بها".

كما تعرف علىٰ أنها "القدرة أو الحق في اتخاذ القرار وإصدار الأوامر"، فالتنظيم الإداري يتطلب سلطة عليا تتدرج السلطة فيها من أعلىٰ إلىٰ أسفل، والسلطة في التنظيم الإسلامي لا تعني التسلط والاستبداد، أو تجاوز حدود الله وشرعه؛ قال ﷻ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ الله فَلا تَعْتَدُوها ومَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فاولَئِكَ همُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وعلى الحاكم أو الرئيس أن يحكم بما أمر الله وبمسؤولية حفظ كرامة المرؤوس، واضعًا في اعتباره الحق والعدل ومخافة الله، فالإسلام حذر من الظلم ومن الاستبداد والتسلط.

أما المسئولية، فهي المحاسبة علىٰ أداء الواجبات المنبثقة عن السلطة، ولكي يقوم المرؤوس بهٰذِه الواجبات يجب أن يعطى السلطات الملائمة، وعلىٰ ذلك يجب أن يقابل المسئولية السلطة الكافية، ولقد وردت المسئولية والمحاسبة في القرآن الكريم؛ قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣]، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وفي قولُ النبي ﷺ: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته**»..

كما حرص المسلمون علىٰ مبدأ الجدارة والكفاية في التنظيم الإسلامي، ومن أمثلة ذلك مطالبة أحد الصحابة الرسول - عليه الصلاة والسلام - في أن يستعمله ويوليه ولاية، فقال عندما طلب أبو ذر الغفاري ﵁ قائلا: "يا رسول الله، ألا تستعملني؟ فضرب بيده علىٰ منكبيه، ثم قال: **"يا أبا ذر، إنَّك ضعيف، وإنَّها أمانة، وإنَّها يومَ القيامة خِزْيٌ وندامة، إلا مَن أخَذَها بِحَقِّها، وأَدى الذي عليه فيها"**[1].

ويتضح من ذلك ٱرتباط السلطة بالمسئولية، فعلى الرغم من ضرورة السلطة والقوة، فإن المسئولية تقتضي تأديتها بجدارة وكفاءة، وإلا نال صاحبها الندامة والخزي يوم القيامة، ومن الأمثلة المرتبطة بتكافؤ السلطة والمسئولية في الإدارة الإسلامية ما ٱتضح جليًّا عندما كلف أسامة بن زيد بقيادة الجيش في حرب الروم من قبل الخليفة أبي بكر ﵁ حيث منحه سلطات واسعة في قيادة الجيش، وعندما رغب أبو بكر أن يستبقي عمر بن الخطاب ﵁ ٱستأذن أسامة بن زيد في ذلك للاستعانة به؛ حيث كان عمر بن الخطاب من ضمن جنود المسلمين في الجيش، فقال أبو بكر له: "إن رأيت أن تعينني بعمر، فافعل"، فما كان من أسامة إلا أن لبىٰ طلب الخليفة[2].

٧-خطوات بناء الهيكل التنظيمي[3]:

لتحديد كيفية القيام بعملية بناء الهيكل التنظيمي لا بد من القيام بالخطوات التالية:

الخطوة الأولىٰ: تحديد الأهداف للمؤسسة وعدد الوظائف (الأنشطة)

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٥).

(٢) إدارة الذات: مدخل مقترح في الإدارة الإسلامية. الفريق عبدالعزيز بن محمد هنيديز

(٣) مقال منشور في المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية. أميرة حسين

التي يتطلبها تحقيق هٰذا الهدف.

الخطوة الثانية: يتم إعداد قوائم تفصيلية بالنشاطات التي يتطلبها تحقيق أهداف المؤسسة.

الخطوة الثالثة: فإن هٰذِه الخطوة ستركز علىٰ تجميع الأنشطة المتشابهة معًا ووضعها في وحدة إدارية واحدة. وهناك أسس متعددة لتجميع الأنشطة (تكوين الإدارات) ومن أهم هٰذِه الأسس:

(أ) التقسيم (التجميع) حسب الوظائف.

(ب) التقسيم (التجميع) حسب المنتج.

(ج) التقسيم (التجميع) حسب العملاء.

(د) التقسيم (التجميع) حسب المناطق الجغرافية.

(هـ) التقسيم (التجميع) حسب مرحلة الإنتاج.

الخطوة الرابعة: تحديد العلاقات التنظيمية بعد تكوين الوحدات الإدارية فإنه لابد من ربط هٰذِه الوحدات مع بعضها من خلال تحديد العلاقات المناسبة بين العاملين في مختلف المستويات الإدارية رأسيًّا وأفقيًّا. وهٰذِه العلاقات التنظيمية تتصل بمفاهيم أساسية أهمها: (السلطة، المسئولية، التفويض، المركزية واللامركزية، نطاق الإشراف، اللجان).

الخطوة الخامسة: تحديد العلاقات بين الوحدات الإدارية بعد إنشاء الوحدات الإدارية في المنظمة كالإدارة المالية، وإدارة الإنتاج، وإدارة التسويق، وإدارة الموارد البشرية، لابد من إيجاد التنسيق بينها من خلال إيجاد شبكة ٱتصالات رسمية بينهم تسمح بتبادل البيانات والمعلومات بانسياب ويسر.

الخطوة السادسة: ٱختيار وتنمية العناصر البشرية من أجل تنفيذ مهام الوحدات الإدارية بعد الأنتهاء من عملية تصميم الهيكل التنظيمي تبدأ عملية ٱختيار الأفراد لشغل الوظائف الموجودة في الهيكل، ولابد أن

يكون الاختيار قائم علىٰ مبدأ (وضع الرجل المناسب في المكان المناسب).

الخطوة السابعة: رسم الهيكل التنظيمي علىٰ شكل مخطط يطلق عليه (الخريطة التنظيمية والخريطة التنظيمية توضح حجم الهيكل التنظيمي (التنظيم)، والتبعية، ونطاق الإشراف لكل شخص وعدد المستويات الإدارية، وتعطي فكرة عن المناصب المختلفة.

وقد تبين الخريطة خطوط انسياب السلطة من أعلىٰ إلىٰ أسفل وقد تكون الخريطة من اليمين إلى اليسار وقد تكون دائرية.

الخطوة الثامنة: إعداد الدليل التنظيمي: في هٰذِه المرحلة يتم إعداد ما يسمىٰ بالدليل التنظيمي وهو عبارة عن ملخص في شكل كتيب يتضمن اسم المنظمة، عنوانها، أهدافها، سياساتها، هيكلها التنظيمي بتقسيماته الرئيسية والفرعية، وإجراءاتها إلخ.

الخطوة التاسعة: تتمثل في ضرورة مراقبة عملية التنظيم بشكل دائم ومستمر وإدخال التعديلات المناسبة عليه عند الحاجة لذلك حتىٰ يلبي أي متغيرات مطلوبة.

خصائص الهيكل التنظيمي الجيد[1]:

إن الهدف الأساسي للوظيفة التنظيمية في المنظمة هو تسهيل مهمة الإدارة في القيام بتحقيق الأهداف المحددة، ويمكن تحديد أهم الخصائص الواجب توافرها في أي هيكل تنظيمي فيما يلي:

١. الاستفادة من التخصص: يقتضي مبدأ التخصص عمل كل فرد على القيام بأعباء وظيفة واحدة أو أن يتم إنشاء وحدة تنظيمية مختصة بكل عمل، وأن يكون بالإمكان تشغيل هٰذا الفرد والوحدة التنظيمية لكل وقت العمل،

(١) أنواع الهياكل التنظيمية الرسمية، أميرة إسماعيل.

هٰذا المبدأ يحقق بعض المزايا منها سرعة الإنجاز واتفاق العمل وخفض في التكلفة.

٢. التنسيق بين أعمال المنظمة: إن التنسيق بين جهود الإدارات والأقسام المختلفة يمكِّن من القضاء على التكرار والازدواجية، ويجب ملاحظة أن تعمل جميع الوحدات التنظيمية بأكبر كفاية ممكنة وفي وقت واحد وبشكل مستمر، ذلك لأن عمل كل جزء منها يتم عمل الجزء الآخر ويعتمد عليه، مثل ذلك قسم المبيعات وقسم الإنتاج، إذ لا يمكن لقسم المبيعات أن يطلب طلبات المستهلكين إذا لم يخدم قسم الإنتاج هٰذِه الطلبات في الوقت المناسب وبالمواصفات المطلوبة.

٣. الاْهتمام بالنشاطات المهمة للمنظمة: تختلف نشاطات المنظمة حسب الأولويات، فهناك أنشطة رئيسية وأنشطة ثانوية، فالهيكل التنظيمي الجيد يعطي اْهتمامًا خاصة للأنشطة الرئيسية من حيث وضعها في مستوىٰ إداري مناسب لأهميتها.

٤. تحقيق الرقابة التلقائية: يقضي مبدأ التلقائية بأن لا يخضع عملان قصد من أحدهما مراقبة العمل الآخر لرئاسة شخص واحد، مثال ذلك: لا يحق أن يكون مسئول الشراء في المنظمة هو نفسه الذي يستلم البضاعة عند وصولها إلى المشروعات، وإلا قد تتعرض المنظمة إلى الضرر بسبب عدم وجود رقابة فعالة أو بسبب التلاعب أو إساءة اْستعمال السلطة.

٥. عدم الإسراف: أن التوسع في التخصص والرغبة في التنسيق والرقابة له تكلفته، وعلى الرغم من أن مجرد التوفير يجب أن لا ينظر إليه كهدف، إلا أنه من الضروري الاْهتمام به، ويعتبر الهيكل التنظيمي جيدا إذا تمكن المنظم من تقدير التكاليف والإيرادات المتوقعة لإنشاء الوحدات التنظيمية ومن ثم يقرر التقسيمات التنظيمية التي يتوقع أن تكون فوائدها طويلة الأجل أكبر مما ستكلفه من جهود ونفقات.

٦. مراعاة الظروف البيئية: تؤثر الظروف البيئية للمنظمة علىٰ هيكلها التنظيمي، وبالتالي فإن الهيكل التنظيمي الجيد هو الذي يهتم بالظروف المحلية والتغيرات التي تطرأ عليها، بحيث يتكيف ويستجيب التنظيم لهٰذِه التغيرات، كالتغيرات التي تطرأ على الإنتاج أو القوى العاملة أو نوع التكنولوجيا المستخدمة وغيرها من العناصر البيئية المحيطة بالمنظمة.

علاقة تطوير الهياكل التنظيمية بالإصلاح الإداري(١):

إن تطوير الهياكل التنظيمية يعتبر أحد خطوات زيادة فاعلية الإصلاح الإداري في المؤسسات لأنه يحقق الآتي:

١. إعادة توزيع السلطات والمسؤوليات بما يضمن تقليص مركزية السلطة والمزيد من المشاركة والتعاون.

٢. تحديد الأختصاصات وتوضيحها لتحديد مراكز المسئولية وإنهاء التعقيد والازدواج في هٰذِه الأختصاصات.

٣. تبسيط إجراءات العمل وتسهيل حركة سيرها بين الفروع والأقسام والوحدات بحيث تتحقق سرعة الأنجاز وسهولة الرقابة معًا.

٤. إيجاد الصيغة التنسيقية الملائمة بين مختلف الوزارات واللجان الوزارية ووحدات القطاع العام والسلطة المحلية.

٥. ضمان تدفق المعلومات والبيانات من خلال الأتصالات الأفقية والعمودية الصاعدة والنازلة

أنموذج الهيكل التنظيمي للدولة في عصر صدر الإسلام(٢):

مرحلة عهد الرسول ﷺ:

تمثل الهيكل التنظيمي في مرحلة عهد الرسول ﷺ بمستويين هما مستوى

---

(١) الإصلاح الإداري الفكر والممارسة د. ديالا الحج عارف.

(٢) علم الإدارة العامة د/ الحلو.

الإدارة العليا والإدارة التنفيذية، وكان الرسول ﷺ يمثل السلطة العليا في الجهاز الإداري للدولة الإسلامية، يعاونه من يختارهم من المسلمين الأوائل، فمنهم:

١- مجلس الشورىٰ: (٧) من الأنصار و(٧) من المهاجرين منهم: حمزة، وأبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وسلمان، وعمار وحذيفة، وأبو ذر، والمقداد، وبلال.

٢- صاحب السر: حذيفة بن اليمان.

٣- أمين الخاتم: الحارث بن عوف المرىٰ وحنظله بن الربيع بن صيفي.

٤- كتاب الرسول ﷺ: بلغ عددهم (٤٢) منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وخالد، وحنظلة الأشيدىٰ، والعلاء بن الحضرمي، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن رواحه، ومحمد بن مسلمة، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبىٰ سفيان، وجهيم بن الصلت، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن أبىٰ سرح.

٥- كاتب مغانم الرسول ﷺ (صاحب المغانم)معيقيب بن أبىٰ فاطمة وكعب بن عمرو بن زيد الأنصاري.

٦- كاتب حرث ثمر الحجاز: حذيفة بن اليمان.

٧- كاتب القبائل: العلاء بن عتبة وعبد الله بن الأرقم.

٨- إجابة كتب الملوك عن الرسول ﷺ: عبد الله بن الأرقم.

٩- كاتب أموال الصدقات: الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت.

١٠- كاتب المعاملات والمداينات: المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير.

١١- كاتب التوقيعات إلى الملوك: شرحبيل بن حسنة.

١٢- شعراء الرسول ﷺ لهجو المشركين: حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحه، وكعب بن مالك.

١٣-خطيب الرسول ﷺ: ثابت بن قيس.

١٤- ترجمان الرسول ﷺ إلى الفارسية، والرومية، والقبطية، والحبشية، واليهودية زيد بن ثابت.

١٥-كتاب المصاحف: ناجية الطفاوىٰ ونافع بن ظريب النوفلىٰ.

١٦- تعليم النساء الكتابة: شفاء أم سليمان بن أبىٰ حنتمة.

١٧- تعليم أهل الصفة القرآن: عبادة بن الصامت.

١٨-أول قاض في المدينة: عبد الله بن نوفل.

١٩- مقرئ المدينة: مصعب بن عمير.

٢٠-حمل أول لواء عقد في الإسلام: عبد الله بن جحش.

٢١-عمال الرسول ﷺ: أبو دجانة الساعدىٰ وسباع بن عرفطة (على المدينة) أبو سفيان بن حرب (علىٰ نجران).

٢٢- والي مكة: عتاب بن أسيد.

٢٣- القضاء والمظالم: راشد بن عبد الله.

٢٤-حفظه القرآن جميعه، منهم: أبىٰ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، عبد الله بن مسعود(١).

٦- التخبط في اتخاذ القرار:

إن القائم على العمل التطوعي لا بد أن يحيط علمًا بما يدور في فلك عمله حتىٰ يسهل عليه ٱتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، فقد ترىٰ بعض مؤسسات العمل الخيري تنفق المال في غير وجهه الصحيح أو تضعه في غير نصابه أو تقوم بمشاريع في مكان لا يتناسب مع حجم المشروع،

(١) مستفاد من بناء الهياكل التنظيمية، إعداد عدنان ماشي والي، وانظر: كتاب التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت علىٰ عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية للكتاني.

وعلى النقيض قد تتلكأ في ٱتخاذ قرار هام والمجتمع في أمس الحاجة إليه، وما ذاك إلا لتخبطهم في ٱتخاذ القرار الحاسم في وقته.

ولكي نقف علىٰ مدىٰ خطورة هٰذِه العقبة نبين أهميتها من خلال:

مفهوم عملية صنع القرارات:

وتعرف عملية صنع القرارات: بأنها عملية ٱختيار البديل الأفضل من بين مجموعة من البدائل أو هي عبارة عن تصرف أو مجموعة من التصرفات يتم ٱختيارها من بين عدد من البدائل الممكنة.

لذا فإن نجاح المؤسسات التطوعية يتوقف علىٰ مدىٰ سلامة ورشد القرارات التي يتم ٱتخاذها.

وتعتبر عملية صنع القرارات هي محور العمل الإداري في المنظمات مهما ٱختلف نوعها، فكل الوظائف الإدارية في المنظمة تتطلب ٱتخاذ قرارات فالمنظمات المختلفة تقوم بوظائف عديدة كالتخطيط ورسم السياسات والرقابة وتقييم الأداء والتدريب والتعيين وغير ذلك، وهي في كل وظيفة تحتاج لاتخاذ قرارات فيها.

يحتاج العمل الإسلامي دوما إلى القائد البصير الذي يستطيع ٱتخاذ القرار الصائب في الوقت المناسب والذي يدرس مدى المصالح والمفاسد المترتبة علىٰ قراره.

والقرآن الكريم يبين لنا في غير ما موضع أن القائد ينبغي له أن يستأنس بذوي الخبرة ثم عليه أن يتخذ قراره متوكلًا علىٰ الله ﷻ يقول سبحانه ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

النبي ﷺ واتخاذ القرار:

تتبين بعض ملامح ٱتخاذ النبي ﷺ لقراره من خلال نصوص القرآن والحديث وبعض مواقف السيرة النبوية ومثال ذلك:

١- حرصه ﷺ على الشورىٰ والاستفادة بمشورة الناس، قوله سبحانه ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٢- إتاحة الفرص لإبداء الرأي من كل من عنده رأي أو خبرة أو إفادة حتىٰ بعد المشورة ويتبين ذلك في موقف الصحابي الذي سأل النبي ﷺ كأمنزل أنزلكه الله أم هي الحرب والرأي والمكيدة؟ فقال النبي ﷺ: بل هي الحرب والرأي والمكيدة. فأشار عليه الصحابي بموقف آخر ليكون مقرًّا للجيش فاستمع النبي ﷺ لكلامه ونزل عند رأيه(١).

٣- محاولة تجديد القرار بالاستفادة بالعلوم الجديدة والأفكار الطريفة ومثاله ما أقره رسول الله صلىٰ عليه وسلم لسلمان الفارس رضي الله عنه في حفر الخندق حول المدينة في غزوة الأحزاب وكان أمرًا لا تفعله العرب في حروبها ولكنه كانت تفعله الروم وفارس. .

٤- الثبات على القرار وتحمل عواقبه وعدم التردد بعد ٱتخاذ القرار. . ويظهر ذلك في غزوة أحد بعد ما ٱستشار النبي ﷺ الناس فأشار عليه بعضهم بالخروج وبعضهم بالبقاء في المدينة. . فاختار النبي ﷺ الخروج فلما لبس النبي ﷺ ملابس الحرب قال الشباب: كأننا أكرهنا رسول الله على الخروج، فقال ﷺ: ما كان لنبي إذا لبس لأمة الحرب أن يضعها حتىٰ يحكم الله بينه وبين قومه.

ومن ذلك: ٱتخاذ أبي بكر القرار في محاربة المرتدين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لَمّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وكانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، وكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، فقال عُمَرُ رضي الله عنه: كَيْفَ تُقاتِلُ النّاسَ؟ وقَدْ قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ النّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لاَ إلهَ إلاّ الله، فَمَنْ قالَها فَقَدْ**

(١) ٱنظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (١/ ١٦٦).

عَصَمَ مِنِّي مالَه ونَفْسَه إلاّ بحَقِّهِ، وحِسابُه عَلَىٰ اللهِ " فَقالَ: والله لأقاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ والزَّكاةِ، فإنَّ الزَّكاةَ حَقُّ المالِ، والله لَوْ مَنَعُونِي عَناقًا كانُوا يُؤَدُّونَها إلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقاتَلْتُهم عَلَىٰ مَنْعِها " قال عُمَرُ رضي الله عنه: فَواللَّهِ ما هو إلّا أَنْ قَدْ شَرَحَ الله صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فَعَرَفْتُ أَنَّه الحَقُّ[1].

اتخاذ القرار في جمع القرآن:

وذلك أن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه - وكان ممن يكتب الوحي - قالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمامَةِ وعِنْدَه عُمَرُ، فقال أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتانِي، فَقالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ ٱسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمامَةِ بِالنّاسِ، وإِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرّاءِ في المَواطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ إِلّا أَنْ تَجْمَعُوه، وإِنِّي لأرىٰ أَنْ تَجْمَعَ القُرْآنَ، قال أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْه رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فقال عُمَرُ: هو والله خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُراجِعُنِي فِيهِ حَتَّىٰ شَرَحَ الله لِذَلِكَ صَدْرِي، ورأَيْتُ الذِي رأىٰ عُمَرُ، قال زَيْدُ بْنُ ثابِتٍ: وعُمَرُ عِنْدَه جالِسٌ لاَ يَتَكَلَّمُ، فقال أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شابٌّ عاقِلٌ، ولاَ نَتَّهِمُكَ، كُنْتَ تَكْتُبُ الوحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فاجْمَعْه، فَواللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبالِ ما كانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلاَنِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْه النَّبِيُّ ﷺ؟ فقال أَبُو بَكْرٍ: هو والله خَيْرٌ، فَلَمْ أَزَلْ أُراجِعُه حَتَّىٰ شَرَحَ الله صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ الله لَه صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ، فَقُمْتُ فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُه مِنَ الرِّقاعِ والأَكْتافِ، والعُسُبِ وصُدُورِ الرِّجالِ[2].

٥- دراسة الظروف البيئية والاجتماعية المتعلقة بالقرار ويظهر ذلك بوضوح في قوله ﷺ لعائشة "**يا عائِشَةُ، لَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ،**

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٧٩).

لَهَدَمْتُ الكَعْبَةَ، فألزَقْتُها بِالأرْضِ، وجَعَلْتُ لَها بابَيْنِ: بابًا شَرْقِيًا، وبابًا غَرْبِيًّا، وزِدْتُ فِيها سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الحِجْرِ، فإنَّ قُرَيْشًا ٱقْتَصَرَتْها حَيْثُ بَنَتِ الكَعْبَةَ" وعند مسلم: "**لَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِجاهِلِيَّةٍ - أَوْ قالَ: بِكُفْرٍ - لأَنْفَقْتُ كَنْزَ الكَعْبَةِ في سَبِيلِ اللهِ، ولَجَعَلْتُ بابَها بِالأرْضِ، ولأدْخَلْتُ فِيها مِنَ الحِجْرِ**"[١].

فما منعه ﷺ من ٱتخاذ ذلك القرار إلا أن الناس حديثو عهد بجاهلية وأن الإيمان لم يتمكن من قلوبهم جميعا فلذلك لم يتخذ قراره بناء على الحالة الٱجتماعية والظروف المحيطة.

٦- مراعاة الحالة النفسية للناس والنتائج السلبية للقرار، ومثال ذلك قراره ﷺ بعدم قتل المنافقين: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، يقول: كُنّا في غَزاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأنْصارِ، فقال الأنْصارِيُّ: يا لَلأَنْصارِ، وقالَ المُهاجِرِيُّ: يا لَلْمُهاجِرِينَ، فَسَمَّعَها الله رَسُولَه ﷺ قالَ: ما هٰذا؟ فَقالُوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأنْصارِ، فقال الأنْصارِيُّ: يا لَلأَنْصارِ، وقالَ المُهاجِرِيُّ: يا لَلْمُهاجِرِينَ، فقال النَّبِيُّ ﷺ: "**دَعُوها فإنَّها مُنْتِنَةٌ**" قال جابِرٌ: وكانَتِ الأنْصارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ المُهاجِرُونَ بَعْدُ، فقال عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ: أَوقَدْ فَعَلُوا، والله لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ، فقال عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ رضي الله عنه: دَعْنِي يا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هٰذا المُنافِقِ، قال النَّبِيُّ ﷺ: "**دَعْه لاَ يَتَحَدَّثُ النّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحابَه**"[٢].

جودة القرارات:

والنقاط التي يجب أخذها بعين الٱعتبار حتىٰ يتم الحصول علىٰ قرار أمثل هي:

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٨٤)، ومسلم (١٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤).

١- تفهم واضح دقيق للأهداف المتعددة التي تلائم المشكلة موضوع القرار.

٢- تعريف محدد وشامل ودقيق للمشكلة، وجوانبها المختلفة ولموضوع القرار.

٣- معرفة كاملة بالبدائل الممكنة، وبطريقة يمكن الاعتماد عليها في تقدير ما يترتب على اختيار كل بديل.

٤- تحديد العلاقة بين نتائج كل بديل، والأهداف المرغوب في تحقيقها.

الصعوبات التي تعترض عملية صنع القرارات:

إن القرارات تلعب دورًا كبيرًا في مهام متخذي القرار، وعليه فإنه مطلوب دائمًا من المنظمة تقييم المقدرة لدىٰ متخذي القرار بالإضافة إلى الاستمرار في تنمية مهاراتهم في هٰذا المجال، وضرورة توفير كافة الضروريات والعوامل التي تساعد على اتخاذ القرارات السليمة التي تهدف إلى الوصول إلىٰ هدف المنظمة، وبذلك يتم تذليل كل الصعوبات التي تواجه متخذي القرارات. ومن أهم الصعوبات المتعلقة بعملية صنع القرارات ما يلي:

١- ندرة وجود حل واحد سليم، أو صحيح للمشكلة المعروضة، ولٰكن في مواقف عديدة قد يكون هناك أكثر من حل يمكن أن يكون مقبولًا، وموافقًا لمقياس تفصيل الموضوع.

٢- عدم توصيل القرارات للمسئولين عند تنفيذها في الوقت المناسب، وبطريقة مناسبة.

٣- مناهضة القرارات في حالة فرضها على العاملين في المستويات التنفيذية.

٤- عدم القدرة علىٰ تحديد الأهداف التي يمكن أن تتحقق من خلال عملية صنع القرار.

٥- صعوبة التعرف علىٰ مزايا وعيوب البدائل المتوقعة في البيئة، التي

تعمل بها المنظمة.

٦- صعوبات تتعلق بشخصية متخذ القرار، أو وقوعه تحت تأثير بعض العوامل التنفيذية، ويضاف إلىٰ ذلك درجة ذكائه وخبراته وقدراته العلمية والعقلية والجسدية[(١)].

٧- غياب المرجعية الرشيدة:

الأمة الإسلامية في هٰذا العصر علىٰ وجه العموم والمؤسسات التطوعية علىٰ وجه الخصوص تعاني أنواعًا مختلفة من الأمراض، منها التفرق والتشرذم والاختلاف والتباغض والتناحر والتدابر، ومن أسباب ذلك غياب المرجعية الشرعية التي يصدر عنها الناس عند حدوث الفتن ونزول الكوارث على الأمة.

هٰذِه المرجعية تمثلت في رسول هٰذِه الأمة ﷺ أصدق تمثيل في حياته وبعد مماته، بعدم تقديم قول أحد كائنًا من كان علىٰ قوله وحكمه بدليل قول الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، ولقول النبي ﷺ: "**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إلاّ مَنْ أَبىٰ**" قالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، ومَنْ يأبَىٰ؟ قالَ: "**مَنْ أَطاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَنْ عَصانِي فَقَدْ أَبىٰ**"[(٢)].

---

(١) نظم المعلومات الإدارية وأهميتها في اتخاذ القرارات في القبول والتسجيل (بحث مقدم للمؤتمر ٣٣ للمنظمة العربية للمسئولين عن القبول والتسجيل في الجامعات بالدول العربية) د. عماد الدين محمد الحسن أحمد.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

ثم كانت هٰذِه المرجعية بعد وفاته ﷺ متمثلة في الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين من بعده بصفة خاصة، وفي أصحابه الكرام بصفة عامة، لا سيما في إجماعهم، فكان المسلمون يصدرون عن رأيهم وإجماعهم ولا ينفردون عنهم بشيء، عملًا بقوله ﷺ: "**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ وعَضُّوا عَلَيْها بالنَّواجِذِ وإيّاكُمْ ومُحْدَثاتِ الأُمُورِ فإنَّ كُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ وإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**"(١).

وعَنْ حُذَيْفَةَ، قالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **اَقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ، وعُمَرَ**(٢).

ثم تمثلت هٰذِه المرجعية الشرعية في ولاة الأمر من العلماء والحكام المؤتمرين بأمر العلماء، فما فتئ المسلمون في كل عصر ومصر يلتفون حول ولاة أمرهم ويجتمعون عليهم ويصدرون عن رأيهم، ولا يبغون عنهم حولًا، حتىٰ في عصر الضعف والانحطاط وخروج البعض على الخلافة واستبدادهم بدويلات صغيرة اَقتطعوها من الدولة الإسلامية، ثم إقصاء الخلافة في الوقت الراهن.

وعلى الرغم من أن هٰذِه المرجعية من الناحية النظرية موجودة ومحفوظة بحفظ الله لها إلىٰ أبد الآبدين لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، ولكنها من الناحية العملية يحتاج المسلمون في عصرنا الراهن إلىٰ من يقوم إلىٰ حراستها وحث الناس ودعوتهم إلىٰ حمايتها في مجالات معاودة التطبيق والتنفيذ.

وجود هٰذِه المرجعية مسؤولية كل مسلم مع تفاوت بينهم، لأنها من فروض الكفاية التي إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين، وإذا أهملها

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وصححه الألباني (الصحيحة ٢٧٣٥).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧)، وصححه الألباني (الصحيحة ١٢٣٣).

الجميع أثموا إثما مبينًا، لأن بها قيام الدين، وتثبيت سلطانه، وجمع كلمة أتباعه، وبفقدها يزول سلطان الدين وتضيع أحكامه، وتبدل معالمه، ولله در الإمام الماوردي عندما قال: "ليس دين زال سلطانه إلا بدلت أحكامه، وطمست معالمه، وكان لكل زعيم فيه بدعة، ولكل عصر فيه وهية أثر"، فإذا تخلى الحكام أو بعضهم عن هٰذِه المسئولية فتبعتها تقع علىٰ ولاة الأمر من العلماء فما لا يدرك كله لا يترك جله.

هٰذِه المرجعية العامة (الإمامة العظمىٰ) أو الخاصة (العلماء) لا تتأتىٰ إلا بشوكة أو سلطان، فالشوكة تكون لولاة الأمر من حكام المسلمين، والسلطان يكون لولاة الأمر من العلماء الربانيين العاملين بعلمهم المتقين لربهم، يكتسبونه وينالونه بسلامة الاعتقاد والتصور والمنهج، والتقدم والبروز في العلم الشرعي، والقدوة الحسنة والصدق والإخلاص والتجرد، والتصدر لقيادة المجتمع وريادته، والثبات على المبدأ، وعدم المداهنة للحكام والمجتمع، والزهد في الدنيا وعدم التعلق بزخارفها، والبعد عن مواطن الشبه وما يسقط المروءة ويفقد المصداقية، والأخذ بالعزائم وتجنب الرخص، والتصدي لمشاكل العامة والعمل علىٰ حلها عن طريق الشفاعات الحسنة ونحوها، والسعي لتعليم الناس وإرشادهم لما فيه صلاح دينهم ودنياهم، ومواساة الأتباع والعامة في الأفراح والأتراح والنوازل، والبعد عن سفاسف الأمور، والترفع عن الخلافات، والتحلي بحسن الخلق سيما الحياء وكظم الغيظ والعفو عن الناس والجود والسخاء.

فإذا توفرت هٰذِه الشروط أوجلها، بجانب المواهب اللدنية والصفات الشخصية التي تعين علىٰ ذلك في العالم، دفعت العامة دفعا للالتفاف حوله والانقياد له، والانصياع لتوجيهاته ونصائحه، فأصبحوا لا يصدرون إلا عن فتواه، ولا ينصاعون إلا لأمره، ولا ينقادون إلا إليه، وأجبر ذلك ولاة الأمر علىٰ تقديره واحترامه وتقريبه والرجوع إلىٰ أمره فكيف إذا

ٱجتمعوا؟ فإن الأمر أقوىٰ وأجلىٰ وأظهر.

والعلماء عند أهل الإسلام الطريق لمعرفة الحكم الشرعي، وطاعتهم إنما تجب لهم علىٰ هٰذا الٱعتبار، فليست لهم طاعة ذاتية ولا طاعة مطلقة، ولا حق لهم في التشريع المطلق بحال، بل يقتصر دورهم علىٰ فهم النصوص والاستنباط منها والتخريج عليها والرد إليها، فالحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله، وهم في النهاية بشر من البشر يخطئون ويصيبون[(١)].

أنواع القادة:

١. الديكتاتور: يفرض خطته على العاملين معه ويلزمهم بالتنفيذ يتصرف بمفرده، لا يخضع لأحد ويفرض على الجميع أن يخضعوا له.

٢. البيروقراطي: اللوائح المكتبية بالنسبة له أهم من العمل ذاته، فهو يهتم أكثر بالإجراءات والروتين أكثر من ٱهتمامه بالعمل.

٣. الفوضوي: كل فرد يعمل ما يراه مناسبًا - لا يوجد نظام ولا مسؤوليات ولا أهداف.

٤. الديموقراطي: يتفاعل مع العاملين معه ويصبح واحدا منهم - يصعب أن تميز بين القائد والعاملين معه - تنبع القرارات من الجماعة نفسها فكل فرد يدرك مكانته ومسئوليته.

من نحتاج من هٰؤلاء؟

نحتاج إلىٰ:

قائد يقود الجماعة والعاملين معه بكفاءة وفاعلية.

قائد جماعي لكل العاملين يتناقش مع أفراد الجماعة والعاملين معه ويصنعون القرار بالأغلبية.

---

(١) غياب المرجعية الشرعية سبب لكل بلية: محمود أحمد علي العكيدي. بتصرف يسير.

يدرك الجميع أن كل فرد منهم أسهم في الوصول إلى القرار، أي أن القرار قراره هو وأنه أحد صانعيه،وإذا أخطأ فإن الجميع يعترفون بالخطأ ويجدون في تصويبه.

القرار الجماعي يربط أفراد الجماعة معًا " قائدا وعاملين " وتكون منهم أسرة واحدة.

أنواع القيادة:

١- القيادة بالأهداف

تعريف القيادة بالأهداف:

نظام إداري يهدف إلىٰ زيادة فعالية كل من المؤسسة والإداري عن طريق مشاركة جميع الأعضاء في وضع الأهداف التي يراد بلوغها بحيث تكون الأهداف محددة زمنيا وقابلة للقياس والتحقيق.

وتركز علىٰ وضوح الأهداف وتحديدها وقابليتها للقياس.

وتبدأ بتحديد الأهداف بدقة.

ثم توضع الخطط الكفيلة بتحقيقها.

والاعتماد على التغذية الراجعة المستمرة في قياس الإنجاز.

ثم تقييم الخطة أو الأهداف لتفادي القصور.

٢- القيادة الموقفية:

من أنماط القيادة التي تعتمد على المرونة والتغيير في أسلوب القائد، وذلك حسب ظروف المجموعة التي يقودها من حيث النمو والتطور والالتزام بأداء العمل رغبة في تحقيق الأهداف المنشودة.

مميزات القائد الموقفي:

- له القدرة علىٰ تكييف وتغير أسلوبه القيادي لإعطاء المجموعة الأمور التي لا تستطيع الحصول عليها.

- ماهر في التشخيص وتحديد ٱحتياجات التنمية والتطور.

- له القدرة على المرونة في ٱستخدام متنوع للأساليب القيادية.

- يستطيع الوصول إلى ٱتفاق مع المرؤوسين في أي من الأساليب الأربعة التي توافق مستواهم التطوري في المهمة والأداء.

سمات القائد:

١. القدرة الذهنية: ليس من الضروري أن يكون عبقريًّا.

٢. ٱهتمامات وطاقات واسعة: ليس القائد أسير تخصص معين بل يمتلك فهمًا عامًا وثقافة واسعة.

٣. القدرة على التخاطب والتفاهم: فالأقدر على التعبير هو الذي يقنع وبالتالي يقود.

٤. النضج.

٥. همة نفس عالية: قوة الشخصية والإقدام وروح المبادرة والشجاعة وهمة النفس والعزم والتصميم من صفات القائد الناجح.

٦. مهارات ٱجتماعية: القيادة أساسًا هي تحقيق العمل من خلال الآخرين، فلابد للقائد أن يعتمد على المهارات الٱجتماعية ليقدر مشاعر الآخرين وميولهم ويحترمها.

الخبرات العملية المطلوبة للقائد:

تشمل الصفات والمعرفة والمهارات المطلوبة للقائد:

أولا: الصفات:

سلامة الخلق - القدرة على التأمل والتصور - العدالة والإنصاف - الجد والمثابرة - الحماسة - النشاط والطاقة - تدريب الآخرين - القدرة على التعبير - تحمل المسئولية - التطلع نحو الأفضل

ثانيا: المعرفة: على القائد أن يكون ملما بـ:

أهداف العمل ومبادئه وغاياته - الهيكل التنظيمي وتوجيهاته - الواجبات والمسئوليات.

سياسات العمل وأساليبه ولوائحه وإجراءاته - متطلبات الجودة والتحكم بها.

ثالثا: المهارات: على القائد أن يتمتع بمهارات في المجالات التالية:

التفويض الناجح - تزويد الآخرين بالمعلومات أولًا بأول - العناية بسلوك العاملين ومصالحهم - معالجة مشكلات العاملين - مداومة الدراسة والتعلم لتحسين الأداء - تقديم قدوة حسنة لغيره - مراعاة مشاعر الغير - عدم التعصب وضبط النفس - إدارة الوقت بكفاءة وفاعلية.

إضافة إلىٰ هٰذا كله يحتاج القائد أيضًا إلىٰ بعض السلوكيات الأساسية في تعامله مع الآخرين منها:

١- التواضع.

٢- التجاوب المشترك والمتبادل: تجاوب القائد مع تابعيه يلعب دورًا كبيرا في نجاح العمل.

٣- الحكم الصائب على الأمور: هو خبرة تنمو للقائد من المواقف والأعمال وبالتالي يمكنه حل المشكلات بيسر.

٤- الأنطلاق: روح المرح والانطلاق في الحديث والقدرة على التعبير علىٰ ما يجول في نفسه تعبيرًا منطقيًّا سليمًا واليقظة لكل ما يدور بما حوله والإسهام بحماس في كل ما يتعلق برجاله ويندمج معهم حتىٰ يصير واحدًا منهم.

٥- المظهر الخارجي: القائد الذي له مظهر جيد ومنسق له أثر طيب في نفس رجاله، والمظهر هنا لا يعني الملبس فقط وإنما أيضًا النظافة والتناسق والتعبير والانطباع.

لا تعبس في وجه رجالك فهم ثروة فحافظ عليها[١].

---

(١) أنظر بحث بعنوان: كيف تصنع قائدا متميزا؟ إعداد / أ. ناديه عبد القادر أحمد.

٨- ضعف الإمكانيات:

للمال أهمية قصوىٰ في القيام وإنجاز الكثير من الأعمال التي تتطلب ضخًّا كبيرًا من رؤس الأموال للإسهام بالنشاطات الدعوية والعلمية والاجتماعية، ولهٰذا كانت الدعوة مقترنة مع المال في كثير من المواضع، فالمال نعمة إن كان مستعملا في حقه.

فعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى المِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: « **إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا** » فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَيَأْتِي الخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ تُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ وَلاَ يُكَلِّمُكَ؟ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحَضَاءَ، فَقَالَ: « **أَيْنَ السَّائِلُ؟** » وَكَأَنَّهُ حَمِدَهُ، فَقَالَ: « **إِنَّهُ لاَ يَأْتِي الخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِمُّ، إِلاَّ آكِلَةَ الخَضْرَاءِ، أَكَلَتْ حَتَّىٰ إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، وَرَتَعَتْ، وَإِنَّ هٰذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ المُسْلِمِ مَا أَعْطَىٰ مِنْهُ المِسْكِينَ وَاليَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ** »[١].

وعن عبد الله بن الزبير، قال: قال لي الزبير: اشْتَرِ لِي سَرْحَ بَنِي فُلَانٍ بِالْحِيرَةِ وَإِنْ بَلَغَ عَشَرَةَ آلَافٍ. فَقُلْتُ: عَشَرَةٌ؟ فَقَالَ: وَإِنْ بَلَغَ عِشْرِينَ أَلْفًا. قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ قَالَ: وَإِنْ بَلَغَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا فَاشْتَرِهِ، إِنِّي والله لِأَنْ أُعْطَىٰ مَالِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ غَصْبَةٍ أَغْصِبُهَا. فَقُلْتُ: مَا هٰذا إِلَّا تَكَاثُرُ النَّاسِ وَفَخْرُهُمْ فَقَالَ: إِنَّهُ والله مَا بِالدُّنْيَا بَأْسٌ، مَا تُدْرَكُ الآخِرَةُ إِلَّا بِالدُّنْيَا، فِيهَا يُوصَلُ الرَّحِمُ، وَيُفْعَلُ المَعْرُوفُ، وَفِيهَا يُتَقَرَّبُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَذْهَبَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ فَتَقَعُوا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ ﷻ ثُمَّ تَقُولُونَ: قَبَّحَ

(١) صحيح البخاري (١٤٦٥)

اللهُ الدُّنْيَا، وَلَا ذَنْبَ لِلدُّنْيَا[١].

وقد أصيبت كثير من جهات الخير بضعف الإمكانيات وهي تتعلق بميزانيات الجمعيات التطوعية والتي غالبًا ما تعتمد على ٱشتراكات الأعضاء وتبرعات المحسنين وتبرعات المؤسسات والشخصيات وبعض الموارد المالية، والتي غالبًا ما تقف عثرة أمام تنفيذ برامجها ونشاطاتها.

ويرجع هٰذا إلىٰ أسباب عديدة أهمها:

١- المتطلبات التي تفوق إمكانية هٰذِه المؤسسات

٢- فرض الضرائب والرسوم الجمركية علىٰ معدات وأجهزة وآليات المنظمات والهيئات التطوعية.

٣- عدم توفر المباني والتجهيزات الإدارية.

٤- عدم وفرة لمصادر التمويل.

ومن هنا فإن البحث عن مصادر لتمويل برامجها آكد، ولعل من أبرز الحلول:

أ- إيجاد مصادر وقفية ٱستثمارية لتغطية نشاطاتها.

ب- مساهمة الحكومة في منح تلك الجمعيات أراضي لإقامة مشاريعها ومقارها لتعفيها من رسوم الإيجار.

ج- زيادة الدعم الحكومي للجمعيات التطوعية.

د- منح الجمعيات إعفاءات من الرسوم الحكومية وتخفيضات في أسعار التذاكر والشحن والجمارك، والإعلانات في وسائل الإعلام للإعلان عن نشاطاتها وبرامجها.

هـ- تخصيص جزء من إيرادات بعض الرسوم والضرائب المحصلة لصالح الجمعيات الخيرية وإعفاء المتطوعين بمالهم وجهدهم من الضرائب بما يتناسب

(١) إصلاح المال لابن أبي الدنيا (١٠١)

مع قيمة التبرعات والأعمال الخيرية[١].

٩- قلة وضعف الكفاءات:

العمل التطوعي يحتاج لأشخاص ذوي تدريب متميز على القيام بهٰذا الدور، وإن من أعظم العقبات التي نراها تعوق مسيرة العمل التطوعي ضعف الكفاءات المتميزة التي تدير العمل التطوعي وجذب أكبر عدد من المتطوعين للمشاركة الفعالة في النهوض به، ولهٰذا الضعف نرىٰ أشخاصًا غير مؤهلين لهٰذِه المهام.

عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: "**إذا ضُيِّعَتِ الأمانَةُ فانْتَظِرِ السّاعَةَ** قالَ: كَيْفَ إضاعَتُها يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: **إذا أُسْنِدَ الأمْرُ إلىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ فانْتَظِرِ السّاعَةَ**"[٢].

ينبهنا هٰذا الحديث العظيم إلىٰ علة مبيدة متلفة، من عللنا الٱجتماعية المختلفة وهي قيام نهضتنا علىٰ جهاز تندس فيه بعض العناصر التي لا تصلح لأن تكون في الأساس لأن الأساس يجب أن يتكون من حجارة قوية صلبة تثبت لما يقوم عليها من بناء، وإلا تضعضع البناء ثم ٱنهار وأدركه الدمار.

لذلك نرى المجتمع الإسلامي الأول قد قام علىٰ دعائم ثابته قوية، من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وباقي العشرة المشهود لهم بالجنة وما ثبتت لهم شهادة الصادق الأمين بالجنة، حتىٰ ثبتوا معه، ثبوت الأطواد في إقامة دعوته علىٰ دعائم ثابتة راسخة، ضمنت لها الخلود والبقاء، ومن أحق بالجنة من هٰؤلاء الذين تكونت منهم أسرة الإسلام الأولىٰ؟.

وقيام الساعة علامة على ٱختلال الأمور، وانتشار الفوضىٰ، وانقلاب

(١) راجع بتوسع مبحث مصادر العمل التطوعي من هٰذِه الموسوعة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٦).

الأوضاع، وخراب المجتمع، كما يحدث عند قيام الساعة، ولا غرابة في ذلك فإن العالم يقوم علىٰ قواعد ثابتة، وأنظمة محكمة فمتىٰ سرى الاختلال والفساد إلىٰ هٰذِه القواعد والأنظمة فقد قامت قيامة العالم وإدركته نهايته. وقد عرف العرب قديما، هٰذا الداء فقالوا: (أعط القوس باريها) وقال شاعرهم:

يا باري القوس بريًا لست تحسنها لا تفسدنها وأعط القوس باريها

فهٰذِه العلة- أن يقوم بالأمر من لا يحسنه- عله قديمة، أصطلى الناس بنارها منذ القدم، ولم يتمكنوا من الإفلات منها إلى اليوم، وهي كذلك عامة في كل حركة من الحركات، وفي كل ناحية من نواحي الحياة، تقوىٰ هنا وتضعف هناك، وتعلم في ناحية، وتجهل في أخرىٰ.

كم متطفل على التعليم، أفنىٰ عمره في إفساد النشء الصالح وتضليل الشباب الطامح، فقلب الحقائق، وطمس المعالم، وجاءت علىٰ يده البصائر حولًا، وكم مدَّع للطب، جلب الداء، وضاعف البلاء، وأهلك الحرث والنسل، وكم من مباشر لمهنة، جهل مهنته، فأضاع وقته، وخان أمته، من حيث يدري أو من حيث لا يدري.

إن تنسيق الأوضاع، وترتيب الكفاءات، وإعطاء القوس باريها، وإسناد الأمر إلىٰ أهله، أمور لابد منها[1].

ولهٰذا كانت السنة حافلة ببيان تولية الأكفاء وتنحية الضعفاء.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: **"يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدى الذِي عَلَيْهِ فِيهَا"**[2].

---

(١) دراسات وتوجيهات إسلامية (ص: ٣٤٣). (٢) صحيح مسلم (١٨٢٥)

١٠- عدم الاكتراث بأهمية العمل التطوعي:

ترجع أهمية التطوع ليس لكونه عملًا يسد ثغرة في نشاط الدولة والهيئات الٱجتماعية فقط، بل أهميته الكبرىٰ تكون في تنمية الإحساس لدى المتطوع ومن تقدم إليه الخدمة (المواطن) بالانتماء والولاء للمجتمع، وتقوية الترابط الٱجتماعي بين فئات المجتمع المختلفة والذي ٱهتز بعوامل التغير الٱجتماعي والحضاري إضافة إلىٰ إن التطوع يكون لونًا من ألوان المشاركة الإيجابية ليس في تقديم الخدمة فقط ولٰكن في توجيه ورسم السياسة التي تقوم عليها تلك المؤسسات الٱجتماعية ومتابعة تنفيذ برامجها وتقويمها بما يعود على المجتمع ككل بالنفع العام، وكلما كثر عدد المتطوعين كلما دل ذلك علىٰ وعي المواطنين وحسن تجاوبهم مع هيئات ومنظمات المجتمع.

جاء الحث على العمل التطوعي في كافة الشرائع السماوية واعتباره نوعًا من الدعم والمؤازرة فيما بين البشر بعضهم بعضًا، ومع تعقد الحياة في كافة جوانبها الٱجتماعية والاقتصادية والأمنية أضحىٰ على الدول التي تواجه هٰذِه المعضلات البحث عن شريك آخر يساهم معها في المواجهة والتصدي لتلك المشكلات، فرأت أن فتح باب التطوع لكافة الفئات سوف يساهم في توفير فرص خدمة ٱجتماعية تقدم بشكل طوعي ومن خلال جمعيات ومنظمات متخصصة تستقطب تلك الفئات وتقوم بتدريبها وتأهيلها وتهيئتها للانخراط في الخدمات العامة[1].

---

(١) العمل التطوعي، أهميته آثاره عوامل نجاحه معوقاته. لواء/مساعد بن منشط اللحياني، وراجع بتفصيل تحت هٰذا العنوان في هٰذِه الموسوعة مبحث أهمية العمل التطوعي.

(٢) بدائع الفوائد ٤ / ٢٠٩.

١١- الجهل بالأحكام الشرعية المتعلقة بالعاملين في المجال التطوعي

كثير من القائمين علىٰ أعمال البر وخدمة المسلمين عندهم حب لما يقومون به وحرص علىٰ نفع غيرهم بما يملكون، ولٰكن هٰذِه الرغبة وهٰذا الحرص لا بد أن يكون منضبطًا بموافقة الشرع، والواقع يشهد أن الكثير من جهات الخير وبعض الأفراد يقعون في مخالفات شرعية وهو يقوم بهٰذا الدور الهام في تخفيف الكوارث ورفع الضر عن المتضررين، وعلىٰ هٰذا فلا بد أن تقيد جميع الأعمال بما شرعه الله تعالىٰ وسنه في الوسائل والغايات، فأحيانا تستعمل وسائل غير مشروعة لهدف نبيل، ويمكن أن نلحظ أهم المخالفات المترتبة على الجهل:

١- الجهل بفقه جمع الأموال من المتبرعين وتوزيعها.

٢- الجهل بمصارف إنفاق الأموال وفصل كل نوع عن الآخر خشية الألتباس، فرب العالمين جعل لكل نوع من الكفارات والزكوات مصارف يجب أن تخرج علىٰ وفق مراد الله تعالىٰ وشرعه.

٣- الجهل الواقع في أمور الحسبة وضوابط التغيير للمنكر ومراتبه.

٤- الجهل في التعامل مع الأرامل والأيتام بما يجعل القائم يتصرف باستعلاء وكبرياء معهم.

٥- الجهل في التعامل مع أبناء السبيل فالسائل لا يرد مطلقًا ولا تقبل دعواه مطلقًا والأمر يحتاج إلىٰ فطنة وعلم حتىٰ لا يظلم أو يمنع مستحقا من بعض حقوقه.

٦- الجهل يؤدي إلىٰ مخالفات سلوكية عند الأفراد القائمين بالعمل التطوعي فيفقدهم المصداقية عند الناس عامة والمتصدقين خاصة.

٧- الجهل يؤدي إلىٰ وقوع الحسد والبغضاء بين العاملين في الحقل التطوعي بما يجعل التنافس بينهم غير شريف.

٨- الجهل مدعاة إلى الخيانة في العمل وتحصيل ٱمتيازات ومآرب دنيوية تفسد العمل كله وتسقطه من أعين الناس.

٩- الجهل يؤدي إلىٰ تجاوزات بين القائمين بالأعمال التطوعية فيتلبثون بالمنكرات والمعاصي فتسقط هيبة العمل ولا يباركه الله تعالىٰ.

فالجهل داء قاتل يردي صاحبه، وأعظم أنواعه: الجهل المركب فيسير المرء في حياته علىٰ جهل وهو لا يعلم أنه جاهل بل يظن نفسه على الحق والهدىٰ، يقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالًا الذِينَ ضَلَّ سَعْيُهمْ في الحَياةِ الدُّنْيا وهمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] وهٰذِه الآية وإن كانت في اليهود والنصارىٰ فهي عامة بلفظها، كل من عمل عملا يظنه حسنًا وإلىٰ الله مقربًا، وحقيقة عمله أنه سيء وهو فيه لله مسخط والعياذ بالله، وهٰذا من الجهل بدين الله، ومن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَه سُوءُ عَمَلِهِ فَراه حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]. وقد قيل:

ما يبلغ الناس من جاهل   ما يبلغ الجاهل من نفسه

سمىٰ الله العلم نورًا، وسمى الجهل ظلمة، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

الجهل داء عضال، وهو ضد العلم، والعلم نور، والجهل ظلمة، وضرره على الإنسان أعظم الضرر في الدنيا والآخرة، بل آثاره السلبية الخطيرة تصيب الإنسان في: عقله، وقلبه، وجوارحه، ورزقه، وصحته، وعلاقته بربه وعلاقته بغيره، وعلاقته بالكون كله، لأن العلم ينير للإنسان حياته كلها؛ فإذا لم يتعلم قاده الجهل إلىٰ تصور الأمور بغير ما هي عليه، وتعامل مع غيره بعكس ما يجب أن يتعامل به، وعمل عكس ما يجب أن يعمل؛ ولذلك أمر الله ورسوله بالعلم، وحث عليه، وحذر من مغبة الجهل وما يترتب عليه؛ نسأل الله أن يعلمنا من لدنه علمًا، وأن يزيل عنا الجهل بمنه وكرمه.

قال ابن القيم: الجهل قسمان:

١ - بسيط وهو عبارة عن عدم المعرفة مع عدم تلبس بضده.

٢ - ومركب وهو جهل أرباب الاعتقادات الباطلة.

والقسم الأول هو الذي يطلب صاحبه العلم، أما صاحب الجهل المركب فلا يطلبه[١].

ومن علامات الجهل حمل الإنسان لأمانة لا يستطيع أداءها:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣]. أورد ابن كثير عدة أقوال في معنى الأمانة منها: أنها الفرائض، وقيل: هي الطاعة، وقيل: الدين والفرائض والحدود، وقيل: الغسل من الجنابة، وقيل: الصلاة، والصوم، والاغتسال من الجنابة. . ثم قال: وكل هٰذِه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلىٰ أنها التكليف، وقبول الأمر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان علىٰ ضعفه وجهله وظلمه، إلا من وفق الله، وبالله المستعان[٢].

وهٰذِه الآية تدل علىٰ أن الإنسان عندما تحمل هٰذِه الأمانة كان يجهل تكاليفها ووافق علىٰ شرط هٰذا التكليف وهو النعيم لمن أطاع والعذاب لمن عصىٰ لكنه لفرط ظلمه لنفسه، وفرط جهله بربه وبشرعه تحملها ووقع فيما وقع فيه لكن الله وعده بالمغفرة والرحمة إذا أقبل إليه وتاب من ذنوبه.

وعلىٰ هٰذا لا بد لكل مؤسسة تطوعية وضع مرجعية علمية يقوم عليها أهل

(١) تفسير ابن كثير ٦ / ٤٧٧.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٠٧).

العلم والفضل ليبينوا ما يحل وما يحرم لتسير علىٰ وفق شرع الله تعالىٰ ولا تنحرف عن المسار الذي من أجله قامت.

وقد حذر رسول الله ﷺ **من اتخاذ رؤساء جهالاً يستفتون فيفتون برأيهم، فيضلون ويضلون.** عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "**إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعًا ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقىٰ ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون**"[(١)].

قال ابن حجر: وفي رواية حرملة "**ويبقىٰ في الناس رؤساء جهالاً**"... وعند الطبراني "**فيصير للناس رؤس جهال**" هٰذِه رواية هشام بن عروة، أما رواية الزهري عن عروة بعد أن يعطيهم إياه، ولٰكن يذهب العلماء كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتىٰ يبقىٰ من لا يعلم..[(٢)]..

إن زينة الأرض العلماء، وهم حياة الناس؛ وكيف يحيا العباد من دون علماء لكنه سيأتي على الناس زمن يقبض الله فيه العلم، وقبضه ليس انتزاعًا ينتزعه إنما هو بموت العلماء، فإذا مات العلماء مات العلم معهم، فيتصدىٰ للفتيا رؤساء جهالًا؛ فيضلون أنفسهم ويضلون الناس لأنهم غير علماء، وهٰذِه ثمرة الجهل: الضلال والعمىٰ والتخبط في الظلمات من الرؤساء الذين نصبوا أنفسهم في منزلة العلماء فضلوا وأضلوا، ومن العامة الذين سألوا هٰؤلاء الجهال فأضلوهم لأنهم أفتوهم بغير الحق.

ولعلنا نوفق في هٰذِه الموسوعة أن نقدم ما يحتاجه المتطوع من أحكام شرعية وضوابط وقواعد ترفع عنه جهلًا يضره وتحليه بعلم يهتدي به ويسير عليه ويتقرب إلىٰ الله به.

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٢٨٤، ٢٨٥

(٢) كيف ندعو الناس صـ ١٠٨ - ١٠٩.

١٢- عدم توافر برامج خاصة لتدريب المتطوعين قبل تكليفهم بالعمل:

إن العمل الإسلامي المعاصر تظهر معالمه في صور متعددة، فهناك المسجد وحلقاته ودروسه، وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجامعات الإسلامية، والمراكز الدعوية الرسمية منها والتعاونية، ومراكز دعوة الجاليات، والعمل الإعلامي الاقتصادي، وجهود الأفراد والجماعات في الدعوة إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ.

والعلة الكبيرة في جل تلك الأعمال- فيما أظن وأقدر- هي ضعف التدريب وسوء التوجيه وقصوره؛ فالمسلم المعاصر مطالب بالدعوة إلىٰ الله تعالىٰ - كما طولب أسلافه - بنص كتاب الله تعالىٰ ﴿ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ثم إنه - في حقيقة الأمر - لا يعرف الكيفية الإيجابية للدعوة، ولا الخطوات الشرعية الصحيحة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بسبب أنه لم يدرب علىٰ ذلك التدريب الكافي، أو لم يدرب علىٰ ذلك أبدًا، ولم يخط معه الخطوات اللازمة لتعريفه وإرشاده.

والشواهد علىٰ هٰذِه المسألة أكثر من أن تحصر وأكبر من أن تغفل فتحضر؛ فالمسجد - مثلًا- يقوم عليه إمام حائز علىٰ شهادة نظرية، لكنه لم يدرب على الإمامة ومواجهة المصلين والقيام بحقوق أهل الحي وجمع قلوبهم وجهودهم والإجابة علىٰ أسئلتهم الشرعية والاجتماعية، بل جيء به - غالبًا- إلىٰ مسجد ما ولم يسبق له أن درب علىٰ ما سيقبل عليه، والأدهىٰ من ذلك أنه يؤتىٰ بأشخاص إلى الجوامع الكبيرة والمساجد المهمة، وكل ما يملكونه من رصيد هو جمال الصوت، لكن لم يدربوا ولم يؤهلوا.

والمراكز الدعوية ومراكز دعوة الجاليات إنما يتصدىٰ للعمل فيها أناس

نحسبهم مخلصين لكن يعوزهم التدريب الكافي، وتستخلص خبرتها بدوران عجلة العمل اليومية، وليسوا متدربين في الأصل التدريب الكافي علىٰ هٰذا العمل المهم.

والعمل الخيري الإغاثي والتربوي - في هيئاته وجمعياته ولجانه - يقوم عليه أناس لا تنقصهم الغيرة ولا الحماس لكنهم غير مخصصين، ولا دربوا التدريب الكافي علىٰ هٰذا الباب المهم من أبواب العمل الإسلامي، إلا قليلًا منهم، والقاعدة ما ذكرت.

والعمل الإعلامي - المقروء والمسموع والمرئي - يقوم عليه أشخاص ليس لأكثرهم تجارب سابقة، ولا تصورات صحيحة، ولا قواعد منضبطة مستقيمة فيما ينبغي عليهم عمله أو تركه، وما الذي يبث وما الذي يحجب عن العامة، وهكذا...

لذلك كله ٱحتاج العمل الإسلامي - بجوانبه المختلفة - إلى الأخذ الجاد بأساليب وطرائق التدريب العملي القائم علىٰ أسس نظرية صحيحة حتىٰ نستطيع أن نستجيب لمتطلبات هٰذا العصر المعقدة، ونجاري غيرنا من الأمم الكافرة التي ٱستطاعت أن تصل إلىٰ درجات عالية من الرقي لأخذها بجملة أسباب، منها التدريب الجاد والمتواصل في مجالات الحياة كلها تقريبًا.

أما الحديث عن أفراد الدعاة إلىٰ الله تعالىٰ وأحوالهم في باب التدريب والممارسة فهو حديث ذو شجون وهموم، وتناوله يحتاج إلىٰ بسط وتفريع:

كيف يكون داعية من لا يستطيع الحديث في المجالس، أو لا يجيد توجيه أحاديثه، أو أنه لا يغشىٰ مجالس الناس أصلًا، ولا يتعب نفسه في المحاورة مع أهلها، ومجتمعنا المعاصر بحاجة ماسَّة إلىٰ من يأخذ بيده ويجادل المعاند والضال، ويشجع المتردد ويأخذ بيد المقدم، وأزعم أن المقدم قد وجد من يأخذ بيده لكن الطوائف الأخرىٰ لم تسعد بعد ولم توجه لها الجهود الكافية.

إن دعاة اليوم لم يدربوا علىٰ هٰذا الأمر، ولم يفكروا فيه كما ينبغي، إلا طوائف قد نذرت نفسها لهٰذِه القضية التبليغية، مغفلة ما سواها من قضايا مهمة كثيرة، فالتوازن المطلوب هو أن يكون الدعاة جامعين بين الدعوة العملية والإدارة النظرية، ولو أغفل جانب وعني بآخر لحصل النقص واتسع الخرق.

يقول الأستاذ عبد البديع صقر رحمه الله تعالىٰ:

لا يستحق ٱسم الداعية إلا من كان صالحًا لهٰذِه الوظيفة الربانية، بأخلاقه وتخلقه جميعًا، كما يقول الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]. فالداعية إنسان مجهز تجهيزًا خاصا ليقوم بمهمة شاقة دقيقة كتلك التي دعا إليها الأنبياء والمرسلون، فما أعظمها من رسالة..[١]..

ويقول أحد المفكرين: إن أوضاع بعض العاملين للإسلام مؤسفة، وذلك لتركيز كثير من العاملين على القضايا النظرية الأكاديمية. . . الأمر الذي جعل نسبة العاملين المثقلين بالأعباء لا تزيد عن ٥ **بينما يظل ٩٥ متفرجين. وهؤلاء يكونون كلا وعبئًا ثقيلاً تحملهم المؤسسة عوضًا أن يحملوها...**

فعلى الدعاة إذا أن يسعوا لتحقيق التغير في المجتمع وأن يسهموا فيه؛ فكل برامج التدريب وتزكية النفوس إنما تهدف إلىٰ جعلهم أداة في عملية التحول الٱجتماعي، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١][٢].

فالتدريب للعامل في المجال التطوعي أمر لازم وتكمن أهميته في نقاط منها:

١- اكتساب معلومات ومهارات جديدة:

---

(١) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي (٩- ١٩) تأليف: د. محمد بن موسى الشريف. بتصرف واختصار.

(٢) رواه أبو يعلىٰ في مسنده (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، وحسنه الألباني

هٰذا وإن بإمكان التدريب أن يشعر المتطوع باكتساب معلومات ومهارات وطرق جديدة لا عهد له بها، كما أن بإمكانه أن ينعش معلومات ومعارف ذبلت.

٢- التدريب طريق الٱرتقاء:

إن من أهمية التدريب تمكين المتطوع من أداء عمله أداء متقنًا كما حث علىٰ ذلك النبي ﷺ بقوله: **"إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَه"**[1].

ولذا فمن غير المستغرب أن تكون أمريكا علىٰ رأس قائمة الدول المهتمة بالتدريب حيث تنفق عليه بسخاء بالغ، وتذكر بعض الإحصاءات أن أمريكا حكومة وشعبًا تنفق على التدريب سنويا **١٢٠** مليار دولارًا.

ومن اللافت للانتباه أنه كان في أمريكا عام **١٩٥٨** **(٣٢)** محطة تلفازية تعني بالتعليم والتدريب، ومعظم دولنا الإسلامية خالية من أية محطة تعليمية أو تدريبية إلى اليوم[2].

٣ - تشجيع العامل المتطوع علىٰ أن يقوم بعمله خير قيام أملًا في تحسين سجل حسناته عند خالقه ﷻ القائل: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

٤- القضاء على المشاكل الإدارية أو الفنية التي تعترض العمل التطوعي، أو التخفيف منها من أجل تيسيره وتسهيله؛ ٱستجابة لدعوة الرسول ﷺ: **"يَسِّرُوا ولاَ تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا، ولاَ تُنَفِّرُوا"**[3].

٥- إيجاد تعاون جماعي فعال بين العاملين المتطوعين، وتنشيطه نتيجة

في الصحيحة (١١١٣).

(١) حول التربية والتعليم د/ عبد الكريم بكار (٣٩٨ - ٤٠٠) بتصرف يسير .

(٢) أخرجه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤)، عن أنس بن مالك ﷺ.

(٣) ٱنظر: مقدمة في الإدارة الإسلامية (٤١٦ وما بعدها).

لتوافر المهارات والمعلومات بينهم بشكل يكمل بعضهم بعضًا، ولاريب أن هٰذا التعاون مطلوب شرعًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢][(١)].

٦- يكسب الشخص المتدرب ثقة في نفسه، وقوة في انطلاقته لم يكن يجدهما في نفسه من قبل؛ إذ المرء مجبول على الخوف مما يوكل إليه ويناط به، ويحسب لذلك حسابات متعددة، فإن درب علىٰ ما هو مقدم عليه فإنه يزول بذلك ما يجده في نفسه من تخوف وتحسس وجهود وقصور، ويقبل راضيًا سعيدا علىٰ ما كلف به من أعمال مهما عظمت أهميتها وصعب القيام بها.

وإن كثيرًا من الناس يحجمون عن العمل التطوعي لفقده لهٰذِه الثقة، وهو أن لديه القدرة علىٰ أن يفعل ولكنه يحتاج إلىٰ تدريب وتأهيل، فما أن يدرب ويؤهل حتىٰ يظهر منه ما لم يكن يتوقعه الفرد من نفسه قبل ذلك[(٢)].

١٣- غياب التوعية الإعلامية:

أهمية الإعلام:

١- التأثير الكبير على الرأي العام.

٢- أن دور الإعلام اليوم لا يقتصر علىٰ نقل الخبر فقط أو رواية الأحداث في العالم، بل إن الخطر أكبر بكثير، فإن الحرب القادمة لن تكون حربًا عسكرية، وإنما حروب إعلامية أي أن الإعلام سيأخذ مساحة ودورًا كبيرا في حياة الإنسان حتىٰ تكون خلافات الأمم منصبة فيه.

---

(١) كيف نرتقي بأنفسنا، د. عبد الكريم بكار (٥٣، ٥٤). وراجع تفصيل ذلك في آليات العمل التطوعي من هٰذِه الموسوعة

(٢) الفضائيات الإسلامية بين الواقع والطموح الدكتور/ عبدالمحسن زين المطيري.

٣- أهمية الإعلام الإسلامي تكمن في تصحيح المفاهيم.

٤- يعتبر الإعلام في هٰذا العصر المحرك الأساسي للفكر وعليه فإن المسئولية التي تقع على الإعلاميين كبيرة، فالإعلام مرآة المجتمع، ومؤشر لصناع القرار والعين الراصدة لقضايا المجتمع.

٥- الإعلام من أعظم أنواع التسويق الفكري والتجاري والسياسي[١].

علاقة العمل الخيري بالإعلام:

تتجلىٰ هٰذِه العلاقة في ثلاث نقاط:

١. أن العلاقة بين العمل الخيري والإعلام حقيقية، لأنه عمل صادر عن دين هو للناس كافة.

٢. أن الإعلامي الإسلامي ليس وليد اليوم، ولم يكن نتاج حضارة حديثة أو مدنية متطورة، والعمل الخيري بالدرجة الأولىٰ عمل إسلامي.

٣. أن الإعلام للعمل الخيري إعلام متميز عن سواه لأنه منبثق من الإعلام الإسلامي، الذي حمل مبادئ أخلاقية، وأحكامًا سلوكية، وقواعد وضوابط لا يحيد عنها، فهو إعلام واضح صريح، عفيف الأسلوب، نظيف الوسيلة، شريف المقصد.

مهمة الإعلام بالنسبة للعمل الخيري:

يمكن أن تحدد مهمة الإعلام بالنسبة للعمل الخيري بالخطوات التالية:

١. التعريف بالعمل الخيري ومجالاته.

٢. التصدي للحملات المعادية التي يتعرض لها.

٣. إبراز الدور الرائد الذي قام به العمل الخيري في دعم المسيرة الإنسانية والرقي بها وتنمية جوانبها.

٤. تجميع الطاقات العاملة فكرًا وثقافة وعلمًا وقوة بشرية وحشدها في

---

(١) أنظر: التخطيط الإعلامي في الإسلام. محمود كرم سليمان وانظر: التخطيط

سبيل دعمه وخدمته.

وبتأمل الواقع نجد أن وسائل الإعلام لم تستطع أن تقدم التغطية الشاملة لتلك المهمة مع أن العمل الخيري فيه الكثير من التفاصيل التي تجذب ٱنتباه الجماهير وتحرك العواطف والاهتمامات الإنسانية.

إن للعمل الإعلامي المخطط أهمية كبرىٰ لا تقاس فقط بجلب التبرعات للجهة الخيرية، فالعمل الإعلامي المنظم يعرف الجمهور بالجهة وأعمالها ويرسم صورة جيدة لديهم عنها، ويوجد شعورًا بالرضا نحوها لما تقوم به وربما صحح العمل الإعلامي بعض المفاهيم الخاطئة عنها، وأعطىٰ صورة ذهنية حسنة تجاهها وكل هٰذِه الآثار وغيرها تقاس بالدراسات العلمية المصاحبة للجهد الإعلامي المخطط، كما أن التعاون الإعلامي بين الجهات الخيرية والمؤسسات الإعلامية يسهم في تحقيق التكامل بين العمل الخيري ومؤسسات المجتمع الأخرىٰ وهو المطلب الذي ناشد به قادة العمل الخيري. وعليه فلم يعد لأي جهة خيرية غنىٰ عن جهاز إعلامي متطور يقدم الوظيفة الإعلامية ويساهم في دعم مسيرتها.

أسباب القصور الإعلامي في الجهات الخيرية:

١- نقص الخبرة.

٢- عدم وجود الموارد الإعلامية.

٣- غياب المفهوم الشامل للعمل المؤسسي.

٤- توهم التعارض بين الإخلاص ونشر بعض الأخبار والأفكار والمشروعات.

٥- الأعتقاد بأن العمل الإعلامي يعني التزيين والمبالغة أو الكذب.

٦- ضعف الإمكانات والتخطيط.

٧- عدم ٱقتناع الإدارة العليا بأهمية العمل الإعلامي.

٨- ضعف توظيف الإمكانات الإعلامية الموجودة.

٩- القيام بالعمل الخيري علىٰ أنه هواية لا مهنة.

الإمكانات المطلوبة لتنفيذ الخطط الإعلامية:

أ- القوى البشرية وغالبًا ما يكون النقص فيها ولعلاج ذلك لابد من الإعداد بالتدريب في المجالات وعقد الدورات للقائمين بالعمل الإعلامي، والاستفادة من أهل الاختصاص والتعاون معهم.

ب - الإمكانات المادية والتقنية الحديثة.

جـ- الإمكانات التنظيمية.

د - الإمكانات المالية.

٤- تنفيذ الخطط والبرامج الإعلامية:

أما عمليات التنفيذ فتشمل ما يلي:

١- إعداد الإنتاج اللازم سواء كانت برامج إذاعية أو تلفزيونية أو مصورات أو أفلامًا وثائقية.

٢- تحديد وسائل ٱستعمال هٰذا الإنتاج الذي تم إعداده، وكيفية الإفادة منه بأحسن صورة ممكنة.

٣- ٱتباع الخطط والسير في ضوء مؤشراتها(١).

١٤- التقليل من دور الشباب في العمل الخيري:

بعض الناس يهرب من أخذ القرارات وتحمل المسئوليات، ويظن فيه من حوله أنه إنسان غير ناضج أناني، يفتقر للشجاعة والجرأة. . لكن الحقيقة أن فكرة تحمل المسئولية قد تكون بالفعل لدىٰ هؤلاء الأشخاص غير محتملة وبل ومثيرة للانزعاج الذىٰ يصل لدرجة الخوف المرضي، فيخافون من نظرة

الإعلامي للجهات الخيرية. الدكتور/ إسماعيل بن أحمد النزاري.

(١) لماذا نخاف من المسئولية؟ مروة الذؤيبىٰ.

الآخرين لهم وحكمهم عليهم ومن مواجهة من حولهم بآرائهم واختياراتهم أو يخافون من فقد ٱستقلاليتهم إذا ٱرتبطوا بغيرهم وأصبحوا مسئولين عنهم.

ولا شك أن تحمل مسئوليات العمل والأسرة وغيرهما تعد عبئًا وجزءًا من الضغوط التي تواجه كلًا منا ولكن إحدى الدراسات أثبتت أن **٢٠ من الناس يولدون ولديهم حساسية مفرطة من الضغوط التي تواجه كلًا منا ويظهر ذلك عند تعرضهم لمواقف يجبرون فيها على المواجهة وتحمل المسئولية، فيتملكهم التوتر والقلق الشديد والذىٰ لا يجدون منه مفرًا إلا تجنب هٰذِه المواقف قدر ٱستطاعتهم، وهٰذا يجعلهم متهمين بالتخاذل عن مسئوليتهم، وهٰذا السلوك يحلله علماء النفس بأنه ناتج عن رغبة مثل هٰذا الشخص في إخفاء عيوبه ونقاط ضعفه - التي لا يرىٰ في نفسه شيئًا غيرها - عن الناس، فهو منذ طفولته تلح عليه صورة أنه ليس كفئًا للقيام بأي شيء بمفرده ربما نتيجة محاولاته المستمرة لإرضاء والديه بما قد يفوق طاقته وسعيه الدائم للوصول إلى المثالية.**

وحين يفشل في ذلك تهتز ثقته في قدرته على القيام بأي عمل وحده ومع الوقت يصبح أسلوبه في الحياة إما تسليم قيادته للآخرين أو الهروب من مسئولياته، والحل يحتاج لتغيير بعض المفاهيم أو الأفكار لدىٰ هٰذا الشخص منها أنه لن يستطيع الهروب إلى الأبد، وفكرة أن يحاول ويفشل أفضل من أن يظل خائفًا من التقدم خطوة نحو مسئولياته، وليس صحيحًا أنه بهٰذا سوف يظل حرًّا بلا ٱرتباطات لأنه بتخليه للآخرين عن مسئولية قراراته وتبعيته الدائمة لهم سوف يفقد هٰذِه الحرية تمامًّا.

و للمحيطين به دور لا يغفل، فعليهم أن يكسبوه الثقة في أنه لم يعد طفلًا وفي أنه كأي شخص ناضج لديه القدرة على ٱتخاذ قرارته وتحمل تبعاتها للنهاية، وبالتدريج سوف يستبدل هٰذِه النظرة المتدنية لنفسه بنظرة أكثر واقعية وثقة فيقبل علىٰ تحديات ومسئوليات حياته بنفس قوية مستعينًا بربه

ومتوكلا عليه سبحانه[١].

ويمكن أن نجمل أسباب المشكلة فيما يلي:

أ- ٱتكاله على الآخرين في تحمل هٰذِه المسئولية.

ب- عدم الثقة بالنفس لوجود نِواقص معينة في الشخصية.

ت- هناك نمط آخر يحس بالمسئولية ولكنه يتكاسل ويتقاعس عنها بسبب الرغبة في الراحة ليس إلا.

ث- تقوقع الفئة النشطة علىٰ نفسها وعدم سعيها لدمج الفئات الأخرىٰ من المجتمع ضمن نشاطاتها.

ج- حالات التراجع والانكفاء التي تحصل للكثيرين وذلك بعد أن يتحملوا بعض المسؤوليات ويصطدموا ببعض المصاعب التي لم يحسبوا حسابها من قبل.

ح- حالة الٱنفلات والتسيب والتقصير التي قد تعاني منها البرامج الدينية والاجتماعية، وهي ناتجة في الغالب عن كون هناك هٰذِه الأنشطة تطوعية لا تحمل درجة الٱلزام، ولهٰذا لن يكون هناك من يمكنه محاسبة المقصرين.

الشباب قوة عظيمة، وفرصة لا تعوض.

لا يحقر الشاب نفسه في أداء دوره، قال الزهري لبعض الشباب: لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم؛ فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نزل به أمر دعا الشباب، فاستشارهم يبتغي حدة عقولهم[٢].

وقال الحسن البصري: يا معشر الشباب عليكم بالآخرة فاطلبوها، فكثيرًا رأينا من طلب الآخرة، فأدركها مع الدنيا، وما رأينا أحدًا طلب الدنيا، فأدرك الآخرة معها[٣].

---

(١) سنن البيهقي الكبرىٰ (١٠/ ١١٣).

(٢) الزهد الكبير للبيهقي (١/ ٦٥).

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (١/ ٩٦).

وقال محمد بن يوسف: كان سفيان الثوري يقيمنا بالليل؛ يقول: قوموا يا شباب صلوا ما دمتم شبابًا[١].

قال أحمد بن حنبل رحمه الله: ما شبهت الشباب إلا بشيء كان في كمي فسقط[٢].

والمسئول عن إعداد الشباب هٰذا الإعداد الجيد،عليهم أن يقوموا بدورهم الفعال في صد الغارة عن العالم الإسلامي، هم ثلاثة أصناف من المجتمع، وهم:

١- العلماء. ٢- الحكومات.

٣- أصحاب الأموال، بالإضافة إلىٰ أن كل مسلم مطالب بالدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، حسب إمكانياته وطاقاته، ويجب أن يكون كل ذلك مقرونًا، بالحكمة والموعظة الحسنة.

صور مشرقة من تحمل شباب الصحابة للمسؤولية:

تميز صحابة النبي ﷺ تميز شبابهم بتحمل المسئولية، بتحمل الأعباء، بتقلد الأمور، وهم في السن المبكرة؛ لأن هٰذِه النفوس الوثابة، وهٰؤلاء أصحاب التضحية العظيمة كانوا يريدون فعلا نصرة الله ورسوله، كانوا يريدون عز الإسلام، وطاعة الرحمن.

زيد بن ثابت:

عَنْ خارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ أَباهُ زَيْدًا، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ، قال زَيْدٌ: ذُهِبَ بِي إلى النَّبِيِّ ﷺ فاعْجِبَ بِي، فَقالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، هٰذا غُلامٌ مِنْ بَنِي النَّجّارِ، مَعَهُ مِمّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَقالَ: **"يا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتابَ يَهُودَ، فإِنِّي واللهِ ما آمَنُ يَهُودَ عَلَىٰ كِتابِي"**

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٧٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢١١٠٨)، والترمذي (٢٧١٥)، وقال: هٰذا حديث حسن صحيح.

قال زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتابَهُمْ، ما مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّىٰ حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرأ لَهُ كُتُبَهُمْ إذا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وأجِيبُ عَنْهُ إذا كَتَبَ(١).

فهٰذا تعلم لغة بأكملها، تعلم لغة في خمس عشرة يوما لحاجة النبي ﷺ، وحاجة الإسلام، وهكذا ٱستمرت معه هٰذِه الخصلة ليقال له بعد موت النبي عليه الصلاة والسلام: "يا زيد" لٰكن القائل أبو بكر هٰذِه المرة "إنك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه"، وهكذا يقول زيد، وهو يشعر بثقل هٰذِه المهمة، والعبء الذي كلف به: "فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن...، فقمت، فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع، والأكتاف والعسب، وصدور الرجال"(٢).

وهكذا كلف زيد ﷺ برئاسة اللجنة التي شكلت من الصديق والفاروق لجمع القرآن الكريم، فأي مهمة تلك التي قام بها ذلك الشاب، نفعت أجيال الأمة إلىٰ أن تقوم الساعة، ومن أسباب حفظ الله لكتابه.

وأسامة بن زيد ﷺ لم يصل العشرين ويقود جيشًا، قال ﷺ: "**وأيم الله، لقد كان خليقا للإمارة، وإن كان من أحب الناس إلي**" قال عليه الصلاة والسلام في أبيه وفيه: "**وإن هٰذا لمن أحب الناس إلي بعده**"(٣).

سار بجيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل إلىٰ شمال الجزيرة، وينتصر علىٰ كل من لقيه حتىٰ بلغ مؤته، وأدخل الرعب في قلب هرقل ومن معه، وكر راجعًا إلى المدينة سالمًا غانمًا بدون أن يقع شيء لجيشه حتىٰ قال المسلمون: "ما رأينا جيشًا أسلم من جيش أسامة" يعني رجع سالمًا دون أي إصابة.

كان شباب الصحابة ﷺ يقودون السرايا والبعوث، ويحملون رسائله

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٩).
(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥٠).
(٣) المقتفىٰ من سيرة المصطفىٰ (١/ ١٥٩).

عليه الصلاة والسلام، ويتنافسون في الخروج للتضحية بأرواحهم، ويرد سمرة ابن جندب، ورافع بن خديج، فقيل: "يا رسول الله، إن رافعًا رام"! يجيد الرمي، فأجازه، فقيل: "يا رسول الله، إن سمرة يصرع رافعًا لو صارعه"، فأجازه، ويبكي عمير ﷺ، فيشفق عليه النبي ﷺ، فيجيزه، فعقد له أخوه سعد حمائل سيفه من صغره، وهكذا ذكر أصحاب السير والمؤرخون أنه قتل ببدر، وهو ابن ستة عشر؛ قتله من صناديد قريش عمرو بن ود الذي أنتقم منه عليٌ ﷺ بقتله في الخندق[١].

وهكذا وجد النبي ﷺ في أصحابه عددًا كبيرًا يصلح للقيادة والإدارة، والدعوة ونشر الإسلام، وهكذا كانوا بتربيته عليه الصلاة والسلام رجالًا علىٰ صغر أسنانهم؛ يحفظون الأسرار، يحملون الأخطار، يعبدون الله بالليل والنهار، ويضربون بسيف الحق الكفار.

تلك العصبة المؤمنة التي تابعت النبي ﷺ، ودار الأرقم للأرقم بن أبي الأرقم المخزومي - علىٰ صغر سنه وهو شاب - كانت مقرًا للدعوة، ولقاءات النبي ﷺ بأصحابه، والمسلمين الجدد.

لم تكن قضية تحمل المسئولية والأعباء مقتصرة علىٰ أمر الدعوة والجهاد في سبيل الله، بل كانت أيضا حملًا للمسؤوليات الأجتماعية، فقد يموت الأب، ويخلف وراءه شابًّا، وعنده تركة من الأخوات، من الإناث، من الضعيفات، فماذا يفعل؟ يقول جابر ﷺ: إن أباه عبد الله مات، "وترك تسع بنات" كم هي ثقيلة هٰذِه التركة؟! تسع بنات! البنت تحتاج إلىٰ حماية، ورعاية، وتزويج من الكفء، ولي، حكيم.

عن جابر بن عبد الله ﷺ، قال: هَلَكَ أَبِي وَتَرَكَ سَبْعَ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَتَزَوَّجْتُ ٱمْرَأَةً، فقال النَّبِيُّ ﷺ: "**تَزَوَّجْتَ يا جابِرُ؟**"، قُلْتُ: نَعَمْ، قالَ:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٧)، ومسلم (٧١٥).

"**بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟**"، قُلْتُ: ثَيِّبًا، قالَ: "**هَلاّ جارِيَةً تُلاعِبُها وَتُلاعِبُكَ، أَوْ تُضاحِكُها وَتُضاحِكُكَ**"، قُلْتُ: هَلَكَ أَبِي فَتَرَكَ سَبْعَ أَوْ تِسْعَ بَناتٍ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ ٱمْرأَةً تَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قالَ: "**فَبارَكَ اللهُ عَلَيْكَ**"[(١)].

طرق العلاج:

١- تنبيه الشباب علىٰ تحمل المسئولية وحرمة التخلي عنها والتأكيد علىٰ ذلك والتواصي به كي لا نكون من الخاسرين الذين وصفهم الله في سورة العصر ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

٢- محاولة تشكيل لجان منظمة لتحمل المسؤوليات الدينية والاجتماعية وتوزيع المهام، لكي يتوزع الثقل علي الجميع، فلا يبهظ كاهل فئة دون أخرىٰ.

٣- وضع البرامج المناسبة لخلق الكفاءات وتنمية المهارات والقدرات بهدف سد النواقص الموجودة بصورة تدريجية لمعالجة الأوضاع مستقبلًا كي لا تكون معاناتنا دائمة.

٤- إيجاد بعض المحفزات والمرغبات من أجل جذب الآخرين ودفعهم لتحمل المسئولية.

٥- تعديل الفهم المغلوط من أن النشاط الديني والاجتماعي عمل غير إلزامي، وليس هناك من يحاسب على التقصير فيه، فلا بد من الالتفات إلىٰ أن هٰذا النشاط أهم من الأعمال الدنيوية الأخرىٰ، فالمحاسب فيه هو الباري ﷻ وكتابه الذي عبر عنه القرآن بـ ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٧١).

١٥- الاستئثار بالعمل:

حينما يطلق العنان لهٰذِه الغريزة لتوجه شخصيته وعلاقته بالآخرين فإنه ينتقل بنفسه من هٰذا المفهوم الفطري إلىٰ مفهوم الأنانية، هٰذا المرض العضال الذي يفوق خطر كل غريزة لأنه يستخدم بقية الغرائز لإشباع متطلباته، وجاء الإسلام لاستئصال هٰذا المرض أو ترويضه في إطار شرعي.

عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم، حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[١].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في حديث طويل قال ﷺ: "**فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النّارِ، وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتاتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيأتِ إلى النّاسِ الذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ**"[٢].

فكما أنه يحب أن يعامل معاملة طيبة فعليه أن يعامل غيره معاملة طيبة، ولا يكون بخلاف هٰذا الوصف الذي أرشد إليه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وقد ذكر الله ﷻ في كتابه ذم من يكون كذلك فقال: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين: ١- ٣]، فهم عندما يأخذون حقهم يستوفونه ويأخذونه كاملًا، وعندما يؤدون الحق الذي عليهم يبخسونه وينقصونه؛ فيأخذون الحق كاملًا، ولا يعطون الحق الذي عليهم كاملًا.

إن أكبر مشكلة تعانيها البشرية تبدأ في عالم الفرد، عندما يغلب الإنسان مصلحته علىٰ مصلحة الآخرين ومهما كان الثمن، وهٰذا هو تعريف الأنانية الذي ينطلق من الأنا.

وعرفوا الأثرة: فقالوا: أن يختص الإنسان نفسه أو أتباعه بالمنافع من

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٢) نضرة النعيم ٩/ ٣٧٧١.

أموال ومصالح دنيوية ويستأثر بذلك فيحجبه عمن له فيه نصيب أو هو أولىٰ به(١).

الأسباب:

إن أسباب الأنانية كثيرة، وأبرزها يعود إلى التربية الخاطئة ومن أمثلة ذلك:

- القدوة غير المناسبة.
- القسوة على الأبناء بالضرب والتأنيب والتحقير.
- الحرمان للطفل من الأشياء التي يحبها أو يراها عند الآخرين.
- عدم تعويد الأبناء على التسامح فيما بينهم، وتعويدهم على ٱلانتقام.
- علاقة الوالدين بعضهما ببعض، بحيث لا يسود بينهما روح التسامح والتغاضي.
- التمييز بين الأبناء في المعاملة.
- حب الدنيا والشهوات.
- غياب الوازع الديني أو ضعفه.

ومن مظاهر الأنانية:

- **التعصب**: حيث يتعصب الشخص الأناني لآرائه وأفكاره وجماعته..
- **التكبر**: الإنسان الأناني ينظر إلىٰ نفسه نظرة مضخمة ولهؤلاء رادع قرآني حيث قال الله تعالىٰ في حقهم: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [سورة الزمر: ٦٠].
- **حب الظهور والرياء**: حب الظهور والشهرة تعني رغبة الإنسان أن يعرف الناس أنه إنسان صالح أو غني أو كبير، بهدف ٱستقطابهم وتسخير قلوبهم.

---

(١) ٱنظر بحث: حب الذات المذموم عبدالله عامر، والشخصية الأنانية عبدالله الشثري.

- **الغرور**: حالة نفسية تعتري الأناني من الشعور بالقوة والعظمة والكمال فيتصور أنه في قمة الخير والفضل.

- **الجشع المادي**: فنلاحظ مظاهر الأنانية في الحياة الاقتصادية، تتجسد في سلوك ذلك الإنسان الجشع المستأثر عندما يحتكر الطعام والدواء والسلع التي يحتاج الناس إليها ليضطرهم إلىٰ رفع الأسعار وامتصاص دمائهم، أو عندما يقرر المستوى المتدني من الأجور للعاملين معه، والتابعين لأعماله ومشاريعه.

- **عدم التنازل عن أي مصلحة ولو لأهل الحاجة أو لأهل الاضطرار.**

- **عدم مراعات حقوق الآخرين.**

أثر الأنانية والأثرة على الفرد والمجتمع:

للأثرة واختصاص الذات أو الأقارب بالمصالح والمنافع دون غيرهم أضرار كثيرة على الفرد والمجتمع، لأنها نوع من الأنانية البغيضة يجلب الحقد بين الأفراد، ويمنع من وصول الحقوق لأصحابها، وتلك حالة تدعو إلىٰ تذمر أصحاب الحق، وإلحاق الأذىٰ بمن استأثر دونهم بالمال أو الوظيفة أو نحو ذلك مما ينبغي أن يكون الجميع فيه سواء.

إن الأثرة والأنانية إذا شاعت في مجتمع من المجتمعات انحل عقده، وانفصمت عراه؛ لأن ذلك ظلم لأصحاب الحقوق، وظلم أيضًا لذوي الأثرة الذين يحصلون علىٰ حقوق الغير، مما يجعلهم كسالىٰ مغرورين، وإذا ما حدث تبدُّل في الأوضاع، فإنهم يطالبون برد هٰذِه الحقوق التي غالبًا ما يكونون قد أضاعوها لعدم تعبهم في الحصول عليها، وحينئذ تنقلب المنافع إلىٰ مهالك تهوي بهم في قاع السجون، ولعذاب الآخرة أشد وأبقىٰ، والأولىٰ بالمسلم الحق ألا يؤثر نفسه، أو أقاربه، أو أصهاره، أو مقربيه بنفع لا يستحقونه، حتىٰ لا يعود ذلك وبالًا عليه وعليهم، وعليه أن يتحلىٰ بعكس هٰذِه الصفة وهو الإيثار بأن يفضل غيره

علىٰ نفسه، وحينئذ فقط يصبح من المفلحين الذين تخلصوا من شح أنفسهم وبخلها بالمنافع على الغير، فإن لم يفعل فالواجب عليه العدل بأن يعطي كل ذي حق حقه، وله في أنصار رسول الله ﷺ أسوة طيبة حيث مدحهم المولىٰ- ﷻ- بقوله: ﴿ويُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ ولَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فاولئِكَ همُ المُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] وعلىٰ من وقعت عليه الأثرة أن يصبر ويحتسب من ناحية، وأن يطالب بحقه بالمعروف، سائلًا المولىٰ- ﷻ- أن يعينه، فالله سبحانه خير معين.

علاج الأنانية والأثرة:

- حساب النفس والتدقيق في ملفاتها كل ليلة.

- الٱلتزام بما يتوجب دفعه من حقوق شرعية ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥]، وذلك من خلال فريضتي الخمس والزكاة، وأيضًا من خلال الصدقات.

- التردد إلى المسجد الذي يؤمن بيئة حاضنة للتواصل الطيب بعيدًا عن كل الحسابات الدنيوية.

- المشاركة في أعمال ٱجتماعية وخيرية.

- التعود علىٰ عمل الفريق والجماعة.

- ويعتمد علىٰ فكرة دعونًا نرفض السعادة إذا لم نسعد من هم حولنا، وليكن شعارنا: الحياة تسع الجميع، أعيش ويعيش معي الكثيرون، وأرتاح ويرتاح معي الكثيرون، وأسعد ويسعد معي الكثيرون.

- حاول كلما شعرت في نفسك أنك تحب أن تمتلك شيئًا ما حاول أن تتصدق به أو بشيء منه[1].

---

(١) سبق وأشرنا إلىٰ أهمية العمل الجماعي في هٰذا المبحث ونحن في هٰذا المبحث نشير

١٦- ضعف التنسيق بين الجمعيات[1]:

الملاحظ أن نصوص الشريعة جاءت بالخطاب الجماعي فقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وردت ٨٩ مرة، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ عشرين مرة، وقوله ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ خمس مرات دلالة علىٰ أهمية الأجتماع والتعاون والتكامل.

عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: المُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ واحِدٍ إِنْ ٱشْتَكَىٰ عَيْنُه ٱشْتَكَىٰ كُلُّه وإنْ ٱشْتَكَىٰ رأسُه ٱشْتَكَىٰ كُلُّه[2].

بعض التطبيقات الخاطئة لمفهوم التعاون عصفت بالجهات الخيرية وتسببت في زرع البغضاء والضغائن والأحقاد فيما بينها، وهٰذا في الحقيقة لا يسمىٰ تعاونًا أو تنسيقًا وإن لبس لباسه، وكل تعاون يقصد به الأحتواء وفرض السيطرة، والصعود علىٰ أكتاف الآخرين واستنزاف جهودهم وأموالهم، أو ٱستصغارهم، وتهميش إنجازاتهم وأنشطتهم، وعدم الأعتراف بطاقاتهم وقدراتهم؛ فهٰذا إيذاء للناس تحت مظلة التعاون، والعجب ممن يسلك هٰذا المسلك لم يسرب طاقاته ويستنزف موارده وقدراته في إضعاف الآخرين أو إيذائهم وإسقاطهم، فلو صرف هٰذا الجهد في تطوير منشأته وتفعيل أنشطتها لتقدم علىٰ غيره وبارك الله في عمله.

إن التعاون الحقيقي هو المفضي إلى التكامل في العمل الخيري بتكميل الناقص ورتق الخروق، علىٰ أساس المحبة والترابط والتلاحم.

ثمار التنسيق بين الجمعيات:

أولا: يزيد في الإخلاص، ويضاعف الأجر:

العمل الخيري لا يعرف سر المهنة، (فلا خوف إذًا من سرقة الأبتكارات).

إلىٰ خطورة عدم التنسيق بين الجمعيات.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٤). (٣) أخرجه مسلم (١٠١٧).

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قالَ: مَنْ دَعا إلىٰ هدىٰ كانَ لَه مِنْ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَه لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، ومَنْ دَعا إلىٰ ضَلالَةٍ كانَ عَلَيْهِ مِنْ الإِثْمِ مِثْلُ آثامِ مَنْ تَبِعَه لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثامِهِمْ شَيْئًا[١].

وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قالَ: جاءَ ناسٌ مِنْ الأَعْرابِ إلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمْ الصُّوفُ فَرأىٰ سُوءَ حالِهِمْ قَدْ أَصابَتْهُمْ حاجَةٌ فَحَثَّ النّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فأَبْطَئُوا عَنْه حَتَّىٰ رُئِيَ ذَلِكَ في وجْهِهِ قال: ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنْ الأَنْصارِ جاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ ورِقٍ ثُمَّ جاءَ آخَرُ ثُمَّ تَتابَعُوا حَتَّىٰ عُرِفَ السُّرُورُ في وجْهِهِ، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَنَّ في الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِها بَعْدَه كُتِبَ لَه مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِها ولا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، ومَنْ سَنَّ في الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِها بَعْدَه كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِها ولا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزارِهِمْ شَيْءٌ**»[٢].

فهل يزهد أحد في هٰذِه الأجور العظيمة من أجل حيلة شيطانية وهو ما يسمىٰ (سر المهنة).

وقال الشافعي: وددت أن الناس عملوا بهٰذا العلم ولم ينسبوا إلي منه حرفًا.

وإن تنادى الناس بالحفاظ علىٰ أفكارهم والمطالبة بحقوقهم فإن الربانيين يفرحون بانتشار أفكارهم ولو لم تنسب إليهم.

أفرح إذا أصاب خصمي.

لقد وصل الأمر عند السلف إلى الفرح إذا أصاب الخصم أو المناظر، فكيف بالصاحب المشارك له في عمل الخير والإصلاح!

قال حاتم الأصم: ما ناظرني أحد إلا أفرح إذا أصاب، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ لساني أن أقول فيه ما يسوؤه.

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ١١٣).

وكان أبو عياش المنتوف يقع في عمر بن ذر ويشتمه فلقيه عمر، فقال: يا هٰذا لا تفرط في شتمنا وأبق للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصىٰ الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه[1].

فالهدف لدى الجميع تحقيق الخير، فكل من حقق خيرا ينبغي أن نحبه وندافع عنه، لأنه قام بعمل من مرادنا ومن أهدافنا. هٰذا في حال من تحامل عليك وقاومك فكيف بمن شاركك في الخبرات من إخوانك الأخيار.

ثانيًا: توزيع الأنشطة الخيرية بين العاملين:

لا يستطيع فرد أو مجموعة من الناس أو جمعية أن تقوم بجميع الأنشطة وأن توفر جميع الاحتياجات للمجتمع، ولهٰذا ينبغي أن ندرك جميعًا أهمية تفعيل جميع أهل الخير وبخاصة الجهات الخيرية في الرقي بعملها ورفع هممها، لأنهم بدورهم يحملون عنا فروض الكفايات، ومن حمل عنك واجبا فقد أسقط عنك إثمه.

قال شيخ الإسلام: وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره، فما قام به غيره: سقط عنه، وما عجز: لم يطالب به. وأما ما لم يقم به غيره وهو قادر عليه فعليه أن يقوم به، ولهٰذا يجب علىٰ هٰذا أن يقوم بما لا يجب علىٰ ذاك، وقد تقسمت الدعوة على الأمة بحسب ذلك تارة وبحسب غيره أخرىٰ، فقد يدعو هٰذا إلى اعتقاد الواجب، وهٰذا إلىٰ عمل ظاهر واجب، وهٰذا إلىٰ عمل باطن واجب، فتنوع الدعوة يكون في الوجوب تارة، وفي الوقوع أخرىٰ[2].

ثالثًا: التعاون يجدد الطاقة:

كثيرًا ما يخمد الحماس وتضعف الهمم، ويضوي التجديد، ويكل الفكر،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).

ويقل الإنتاج، وتتأخر النتائج، فإذا ما تلاقىٰ أهل الهدف الواحد ٱنبعثت الهمم من جديد وتجددت الطاقة وعادت الحيوية مرة أخرىٰ إلىٰ أغصان الشجرة التي بدأت بالذبول وكادت أن تكون هشيمًا، فأورث هٰذا التلاقي والتلاقح والتنسيق والتعاون الأمور التالية:

أ- تطوير الٱبتكارات.

ب- شحذ الهمم إلى التسابق.

ج- التقدم والإنتاج والتفوق.

د- العمل بأكثر من عقل. قال أحد السلف: العاقل من أضاف إلىٰ عقله عقول العلماء، وإلىٰ رأيه أراء الحكماء، فالعقل الفرد ربما زل، والرأي الفذ ربما ضل.

هـ - تسهيل العمل وتيسيره.

رابعًا: التعاون يحقق أعظم الٱستثمارات:

للتنسيق والتعاون بين الجهات الخيرية أثر كبير علىٰ تخفيض التكاليف والمصروفات، بل إن التنسيق والتعاون يحقق لها ٱستثمارات كبيرة ومنها:

تخفيض التكاليف المالية والفكرية والعملية مع إنجاز الأعمال الكبيرة التي قد لا تستطيعها جهة واحدة.

* كثير من المشتريات تنخفض قيمتها الشرائية بنسب عالية عند الطلبات الكبيرة، وعدد من الجهات الخيرية عادة ما تكون طلباتها متماثلة، فلو تم التنسيق والتعاون بينها لوفرت مبلغًا كبيرًا من بند المشتريات.

ونذكر علىٰ سبيل المثال أن بعض الجهات الخيرية في المدينة والرياض تم التنسيق بينها في شراء الحقيبة المدرسية فانخفضت التكاليف إلىٰ ٨٠ **لاستيرادها من إندونيسيا. وقل مثل ذلك في طباعة الكتب، وشراء المستهلكات والمواد الغذائية والأجهزة والطلبات المكتبية.**

* كما يحقق التنسيق والتعاون تخفيضًا في الجهود الفكرية والعملية، فكم

صرفت من أوقات وأموال في بحوث وأعمال متماثلة، كان بالإمكان توفيرها لو تم الاطلاع والتعارف بين الجهات الخيرية فضلًا عن التنسيق والتعاون.

يمنع الازدواجية. . سواء في تقديم الخدمات أو تنظيم الأنشطة أو توزيع الأعمال. وقل ما شئت في هٰذا من التوفير والاحتفاظ بالموارد.

تخفيض الصرف على التطوير الإداري. فالاشتراك في الدورات، والاستفادة مما عمل الآخرون في التنظيم الإداري وما صرفوه من أموال في عمل اللوائح والنظم وتوزيع الصلاحيات، كل هٰذا يتأتىٰ للجهات الخيرية ثمرة من ثمار التعاون والتنسيق.

خامسًا: يقوم التعاون والتنسيق بين الجهات الخيرية بما لا تقوم به خزائن المال العالمية:

ومن ذلك جانب المواساة والتسلية عند المصاب والإعانة بالكلمة والمال، ويحقق المحبة والألفة، قال تعالىٰ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ (الأنفال).

عوائق التنسيق بين الجمعيات:

١. حظوظ النفس ومنها حب الظهور والذكر وحب الصدارة والزعامة.

٢. سوء الظن بإخوانه. (كأن يقول: لهم أهداف، لهم مقاصد، يسعون لتقليصنا).

٣. الاعتذار بكثرة الأعمال (كأن يقول: يكفينا ما عندنا وإذا أنهينا أعمالنا التفتنا إلى التعاون والتنسيق).

٤. الخجل من ضآلة العمل والهروب من مقارنة الأرقام كأن تكون أعماله ضئيلة مقارنة بغيره فيؤثر الابتعاد عن الاجتماع.

٥. تضخيم نقاط الخلاف.

٦. تعلق العمل بالأشخاص. والتقوقع علىٰ أفكار المدير فقط.

٧. الحسد وفتح باب نزغات الشيطان.

٨. تنافس الأقران.

٩. الكمال الوهمي (أنا العظمة) فيظن أنه لا مزيد علىٰ ما عنده من الأفكار والأعمال. .

١٠. ٱعتقاد أن لا حاجة إلى التنسيق.

١١. مرور بعض المؤسسات بالمراهقة الفكرية. من المعلوم أن الإنسان في بداية حياته يعتمد كليًّا علىٰ والديه، فإذا وصل سن المراهقة ظن من نفسه الكمال وعدم الحاجة إلىٰ أحد في رأي ولا ٱستشارة، ولا ٱستفادة من أفكار الآخرين وآراءهم، وقد يرفض التعاون والاستفادة بصلف.

١٢. إبراز التجارب الفاشلة في التعاون وضعف دراسة أسبابها. . كأن يقال: هٰذا لم يجرب في مكان آخر، أو جرب وفشل. وإن كان قد نجح فيقال: فرق بين واقعنا والواقع الآخر. أو يقال: أنتم تريدون التجريب، ونحن لسنا محطة تجارب.

١٣. التراشق بالألقاب والانشغال بالتصنيف. فهٰؤلاء ينسبون إلىٰ كذا وأولئك لا يخدمون إلا تلك الشريحة في المجتمع.

١٤. نسيان ٱستصحاب الهدف.

١٥. الٱنشغال بغير التعاون ناتج عن الٱهتمام بالأعمال الإجرائية التي تستهلك الوقت وتشغل عن التعاون.

١٦. الخوف الوهمي من التعاون ومن التجديد والإبداع.

١٧. ضعف ٱستشعار ما يمر به المجتمع من أزمات.

١٨. عدم التعود على التعاون أو الضعف في معرفة أصول التعاون وآداب الحوار أو القناعة بالأساليب السابقة. الٱرتياح مع الواقع الحالي والاقتناع به.

١٩. التوهم بأن التعاون سيكون سببًا في فقد بعض الٱمتيازات أو المكاسب.

من أوجه التعاون:

لا تستطيع أي جمعية أن تشمل البلد كله في أنشطتها، وهنا يأتي أهمية تعدد الجهات والجمعيات الخيرية، مع أهمية التعاون والتنسيق والشفافية بينها، ومن أوجه التعاون:

١. الكلمة الصالحة تنمو. وفي الحديث: الكلمة الطيبة صدقة[١]. فكم من كلمة نمت وقام بها مشروع خيري عظيم.

٢. الاستفادة من كافة الطاقات والصلاحيات في المؤسسات الرسمية والاستفادة منها.

٣. تبادل الخبرات الإدارية والدعوية والمالية بين الجهات والتنسيق بين الجهات العاملة علىٰ أساس التكامل في العمل الخيري وبصفة التلاحم والترابط. . مع البعد التام عن التجريح أو التصنيف أو مجرد الغض من مصداقية أي مؤسسة خيرية أمام العامة.

٤. عقد دورات إدارية مشتركة بين العاملين في الجهات في المناطق التي تتواجد بها.

٥. إقامة ندوات مشتركة عن العمل الخيري.

٦. إقامة معارض للمشاريع علىٰ أساس التجديد والتحديث والتكامل، وذلك من خلال إبراز الجهات للمبتكرات التي عندها فقط.

٧. التنسيق بين الجهات في خدمات المواسم (الحج، رمضان، الصيف).

٨. تبادل الجديد (من مبتكرات الوسائل والطرق)[٢].

---

(١) التعاون والتنسيق بين الجمعيات الخيرية د. يحيىٰ إبراهيم اليحيىٰ، بتصرف واختصار.

١٧- التربية الأسرية التي تهتم بالذات وتهمل مساعدة الآخرين:

لقد أولى الإسلام الأسرة منزلة سامية رفيعة، حيث جعلها الأساس لإخراج الإنسان الذي هو ملك لهٰذا الكون وسيد فيه، وكل شيء مسخر لأجله.

وقد تحددت هٰذه المسئولية، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قالَ: **"ألا كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فالإمامُ الذِي عَلَى النّاسِ راعٍ وهو مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ راعٍ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ، وهو مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ راعِيَةٌ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِها، وولَدِهِ وهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهِمْ، وعَبْدُ الرَّجُلِ راعٍ عَلَىٰ مالِ سَيِّدِهِ وهو مَسْئُولٌ عَنْه، ألا فَكُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"**(١).

وعلىٰ كل فللأسرة دور قد أنيط بها، وهو المسئولية التربوية للأسرة في الإسلام؛ لأهميتها، فالصغير ينشأ بين أحضان الأسرة؛ فيتعلم من الأبوين، ويرث من الأجداد، ويورث للأولاد والأحفاد بعد ذلك، حيث ترعاه الأسرة وتنميه وتغذيه بدنيًا وفكريًا وروحيًا، فالأسرة إما أن تكون جسرًا للخير وإما أن تكون جسرًا للشر؛ ولهٰذا قال النبي ﷺ: **"مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلاَّ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ"**(٢).

ولهٰذا وغيره من الأسباب اهتم الإسلام بالأسرة، سواء أكانت أفرادًا مجتمعين أم أفرادًا كلًّا علىٰ حدة.

قال تعالىٰ: ﴿وكانَ يامُرُ أَهْلَه بِالصَّلاةِ والزَّكاةِ وكانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ

(١) أخرجه البخاري (٧١٣٨)، ومسلم (١٨٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ [طه: ١٣٢] كل هٰذِه الآيات دالة علىٰ ضرورة تخصيص الأسرة بمزيد من العناية والرعاية والحياطة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وللأسرة مسؤوليات في كل الجوانب الإنسانية التي تتعلق بالحياة، فهي مسؤوليات متكاملة ومتضافرة، وهي تراعي أحوال الأفراد، وتنمي قدراتهم في جميع المجالات، وتراعي إنسانية الفرد فلا تتعامل علىٰ أنه جماد، بل علىٰ أنه إنسان ذو غريزة وشهوة، وروح وعقل وجسد، وحب السيطرة والتملك، والسعي إلى السمو، وعلىٰ نقيض ذلك هناك صفات سلبية تنشأ من البيئة المحيطة بالفرد يجب على الأسرة التخلص منها.

ومسؤوليات الأسرة متعددة؛ ومنها:

١- مسؤولية الأسرة الإيمانية والدينية:

الأبناء أمانة عند والديهم، وهم الذين يتسببون في إيمانهم أو كفرهم كما في الحديث: كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرىٰ فِيهَا جَدْعَاءَ[1].

ولقد ٱهتمت الأسرة في الإسلام بتلقين مبادئ العقيدة للصغار.

ثم لما يبدأ الكلام يتدرج في تعويده علىٰ مصطلحات العقيدة المتعلقة بالخالق أو بالرسول ﷺ أو مبادئ الغيبيات، وكذلك تعليمه المراقبة لله تعالىٰ والصبر والتوكل عليه، مع التعرف علىٰ أمور الحلال والحرام بما يناسب عقولهم، ثم تعويدهم علىٰ حب الله تعالىٰ وحب الرسول ﷺ، وتعليمهم سيرة الرسول ﷺ وصحبه الكرام ﷺ أجمعين، وتعليمهم شيئا من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وكذلك غرس روح المراقبة لله تعالىٰ في غيبة الناس والوالد والوالدة،

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥) ومسلم (٢٦٥٨) عن أبي هريرة .

كما هو مأمور بحفظ نفسه من الوقوع في النار والهلاك هو مأمور - أيضًا - برعاية أهله وأولاده، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ .[التحريم: ٦].

٢- المسئولية الاجتماعية:

فالإسلام يؤكد علىٰ صلة الأرحام، ومساعدة الآخرين، واحترام الوالدين، ومراعاة المحتاجين من الأقارب خاصة، ثم الأقرب فالأقرب؛ كالجيران والأصدقاء[١].

فإذا ما تخلت الأسرة عن هٰذِه الأدوار وأهملته فقدت في أبنائها الدور المنوط بها، وإذا أدت ما عليها أخرجت للأمة أمثال زيد بن ثابت، وأسامة، وابن عباس وهٰذا الجيل الفريد.

---

(١) المسؤولية التربوية للأسرة في الإسلام، محمود داود دسوقي خطابي.

مخالفات في العمل التطوعي

مخالفات في العمل التطوعي

تمهيد

إن أعمال الخير دومًا لا تروق للشيطان وجنده من الإنس، لذا فلا بد للعامل في هٰذا المجال أن يعلم أن هناك أعداء يتربصون به ويحاولون صرفه عن الحق، عن جابر، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: "**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ولكن فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**"[1].

قال النووي: هٰذا الحديث من معجزات النبوة. . . ومعناه أيس أن يعبده أهل جزيرة العرب ولكنه سعىٰ في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها[2].

فطريق الخير محفوف بالمخاطر والعقبات ولا بد للعاقل أن ينقي عمله من كل شوب يعكر صفو العمل الصالح، فما قام في الدنيا مصلح إلا ووجد من قومه من يعاديه، فأهل الفساد والشر لن يرضوا عن المصلحين لأن دعوة المصلحين تهدم دعوات المفسدين.

قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأنعام: ١٢٣].

قال السعدي: أي: الرؤساء الذين قد كبر جرمهم، واشتد طغيانهم ﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ﴾ بالخديعة والدعوة إلىٰ سبيل الشيطان، ومحاربة الرسل وأتباعهم، بالقول والفعل، وإنما مكرهم وكيدهم يعود علىٰ أنفسهم، لأنهم يمكرون، ويمكر الله والله خير الماكرين.

وكذلك يجعل الله كبار أئمة الهدىٰ وأفاضلهم، يناضلون هٰؤلاء

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢).

(٢) شرح النووي (١٧/ ١٥٦).

المجرمين، ويردون عليهم أقوالهم ويجاهدونهم في سبيل الله، ويسلكون بذلك السبل الموصلة إلىٰ ذلك، ويعينهم الله ويسدد رأيهم، ويثبت أقدامهم، ويداول الأيام بينهم وبين أعدائهم، حتىٰ يدول الأمر في عاقبته بنصرهم وظهورهم، والعاقبة للمتقين.

وإنما ثبت أكابر المجرمين علىٰ باطلهم، وقاموا بردِّ الحق الذي جاءت به الرسل، حسدًا منهم وبغيًا[1].

ولهٰذا لا بد للقائمين بأعمال الخير مراعاة أحوالهم ونبذ الاختلاف والمخالفات في أعمالهم فهناك أعداء يريدون إسقاط عملهم وتحقير شأنهم، فلا بد من سد الذرائع الموصلة إلى الطعن في العمل ومحاربته، لذا يأتي هٰذا المبحث ليركز علىٰ أهم النقاط التي يقع فيها المتطوعون وموضع النقص منهم ليحذروا الشر حتىٰ يكونوا أبعد الناس منه والله الموفق.

أولًا: الاختلاط

لا بد من مراعاة الضوابط الشرعية في كل عمل، وكثير ما نلاحظ وقوع الاختلاط في أماكن العمل التطوعي وكأنهم ظنوا أن قيامهم بهٰذا الخير مسقط لحكم الشرع وهٰذا عين الباطل، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما وافق شرعه وسنة نبيه ﷺ.

تعريف الاختلاط لغة:

قال ابن فارس: (خلط): الخاء، واللام، والطاء أصل واحد تقول: خلطت الشيء بغيره فاختلط، والخليط: المجاور[2].

يقال: خلط الشيء بالشيء يخلطه خلطًا، وخلطه فاختلط: مزجه، واختلطا وخالط الشيء مخالطة وخلاطًا: مازجه.

---

(١) تفسير السعدي (٢٧١)

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٦٨).

والخلط: المختلط بالناس المتحبب، يكون للذي يتملقهم، ويتحبب إليهم، ويكون للذي يلقي نساءه ومتاعه بين الناس[١].

يتبين من هٰذا أن الٱختلاط: يطلق على الٱمتزاج، والاجتماع، والمداخلة بالأبدان، والانضمام، والضم، والمجاورة، والعشرة، والاشتراك مع الشريك.

الاختلاط شرعًا:

قال ابن باز رحمه الله: هو ٱجتماع الرجال بالنساء الأجنبيات، في مكان واحد، بحكم العمل، أو البيع، أو الشراء، أو النزهة، أو السفر، أو نحو ذلك[٢].

وقال الشيخ عبد الله بن جار الله رحمه الله: الٱختلاط هو: الٱجتماع بين الرجل والمرأة التي ليست بمحرم، أو ٱجتماع الرجال بالنساء غير المحارم، في مكان واحد يمكنهم فيه الٱتصال فيما بينهم، بالنظر أو الإشارة أو الكلام، فخلوة الرجل بالمرأة الأجنبية علىٰ أي حال من الأحوال يعتبر ٱختلاطًا[٣].

*** الأدلة علىٰ تحريم الٱختلاط من القرآن الكريم:**

من نظر في شريعة الله تعالىٰ يجد أنها أوصدت كل الأبواب المؤدية إلى الٱختلاط، وسدت الذرائع لذلك، وحمت المجتمع من الفاحشة والرذيلة بتشريعات ربانية تبقي على المجتمع عفته وطهارته ونقاءه، واستقامة أسره، وصلاح بيوته ما دام أفراده قائمين بأمر الله تعالىٰ، ممتثلين لشرعه، مستسلمين لنصوص الكتاب والسنة، ولم يسمحوا للمفسدين أن ينخروا ذلك السياج الرباني بين الرجال والنساء، ومن الأدلة علىٰ منع الٱختلاط ما يلي:

(١) لسان العرب لابن منظور (٧/ ٢٩١).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٢٠).

(٣) مجلة الأسرة، آفة التعليم الٱختلاط، العدد رقم ٧٠ بتاريخ محرم ١٤٢٠ ص٦٩.

١- قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أمر الله تعالىٰ أزواج رسوله ﷺ الطاهرات المطهرات الطيبات بلزوم بيوتهن وألا يخالطن الرجال، وهٰذا الخطاب عام لهن ولغيرهن من نساء المسلمين.

قال مجاهد: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قال: كانت المرأة تخرج تتمشىٰ بين الرجال فذلك تبرج الجاهلية(١).

قال ابن كثير رحمه الله: أي: الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة(٢).

قال السعدي رحمه الله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: اْقررن فيها، لأنه أسلم وأحفظ لكنّ، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: لا تكثرن الخروج متجملات أو متطيبات، كعادة أهل الجاهلية الأولى، الذين لا علم عندهم ولا دين، فكل هٰذا دفع للشر وأسبابه(٣).

٢- قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

هٰذا الخطاب الرباني لأطهر هٰذه الأمة قلوبًا وهم الصحابة ﷺ، وفي أعف النساء وهن أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - فما بالك بمن هم دونهم من الرجال، وبمن هن دونهن من النساء؟.

قال ابن كثير رحمه الله: أي: وكما نهيتكم عن الدخول عليهن، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب(٤).

---

(١) تفسير الصنعاني (٢/ ١١٦).
(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٠٨).
(٣) تفسير السعدي (١/ ٦٦٣).
(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٥٥).

قال السعدي رحمه الله: ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ أي: يكون بينكم وبينهن ستر، يستر عن النظر، لعدم الحاجة إليه.

فصار النظر إليهن ممنوعا بكل حال، وكلامهن فيه التفصيل، الذي ذكره الله، ثم ذكر حكمة ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ لأنه أبعد عن الريبة، وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر، فإنه أسلم له، وأطهر لقلبه.

فلهذا، من الأمور الشرعية التي بين الله كثيرًا من تفاصيلها، أن جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته، ممنوعة، وأنه مشروع البعد عنها، بكل طريق(١).

٣- قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠، ٣١]

قال ابن باز رحمه الله: يأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يبلغ المؤمنين والمؤمنات أن يلتزموا بغض النظر وحفظ الفرج عن الزنا ثم أوضح سبحانه أن هٰذا الأمر أزكىٰ لهم. ومعلوم أن حفظ الفرج من الفاحشة إنما يكون باجتناب وسائلها ولا شك أن إطلاق البصر واختلاط النساء بالرجال والرجال بالنساء في ميادين العمل وغيرها من أعظم وسائل وقوع الفاحشة. وهذان الأمران

---

(١) تيسير السعدي (١/ ٦٧٠).

المطلوبان من المؤمن يستحيل تحققهما منه وهو يعمل مع المرأة الأجنبية كزميلة أو مشاركة في العمل له. فاقتحامها هٰذا الميدان معه واقتحامه معها لا شك أنه من الأمور التي يستحيل معها غض البصر وإحصان الفرج والحصول علىٰ زكاة النفس وطهارتها.

وهكذا أمر الله المؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة إلا ما ظهر منها، وأمرهن الله بإسدال الخمار على الجيوب المتضمن ستر رأسها ووجهها لأن الجيب محل الرأس والوجه، فكيف يحصل غض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة عند نزول المرأة إلىٰ ميدان الرجال واختلاطها معهم في الأعمال. والاختلاط كفيل بالوقوع في هٰذِه المحاذير. كيف يحصل للمرأة المسلمة أن تغض بصرها وهي تسير مع الرجل الأجنبي جنبًا إلىٰ جنب بحجة أنها تشاركه في الأعمال أو تساويه في جميع ما تقوم به[1].

٤- قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤].

قال الشعراوي: في هٰذِه القصة أحكام ثلاثة ﴿لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ أعطت حكمًا و﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أعطت حكمًا و﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ أعطت حكمًا ثالثًا. وهٰذِه الأحكام الثلاثة تنظم للمجتمع المسلم مسألة عمل المرأة، وما يجب علينا حينما تضطر المرأة للعمل، فمن الحكم الأول نعلم أن سقي الأنعام من عمل الرجال، ومن الحكم الثاني نعلم أن المرأة لا تخرج للعمل إلا للضرورة، ولا تؤدي مهمة الرجال إلا إذا عجز الرجل عن أداء هٰذِه المهمة ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أما الحكم الثالث فيعلم

---

(١) مجموع فتاوىٰ ومقالات ابن باز (١/ ٤٢٠).

المجتمع المسلم أو حتى الإنساني إذا رأى المرأة قد خرجت للعمل فلا بد أنه ليس لها رجل يقوم بهٰذِه المهمة، فعليه أن يساعدها وأن ييسر لها مهمتها.

وأذكر أنني حينما سافرت إلى السعودية سنة ١٩٥٠ ركبت مع أحد الزملاء سيارته، وفي الطريق رأيته نزل من سيارته، وذهب إلىٰ أحد المنازل، وكان أمامه طاولة من الخشب مغطاة بقطعة من القماش، فأخذها ووضعها في السيارة، ثم سرنا فسألته عما يفعل، فقال: من عاداتنا إذا رأيت مثل هٰذِه الطاولة علىٰ باب البيت، فهي تعني أن صاحب البيت غير موجود، وأن ربة البيت قد أعدت العجين، وتريد من يخبزه فإذا مرَّ أحدنا أخذه فخبزه، ثم أعاد الطاولة إلىٰ مكانها.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ إشارة إلىٰ أن المرأة إذا ٱضطرت للخروج للعمل، وتوفرت لها هٰذِه الضرورة عليها أن تأخذ الضرورة بقدرها، فلا تختلط بالرجال، وأن تعزل نفسها عن مزاحمتهم والاحتكاك بهم، وليس معنىٰ أن الضرورة أخرجت المرأة لتقوم بعمل الرجال أنها أصبحت مثلهم، فتبيح لنفسها الٱختلاط بهم[1].

* **الأدلة علىٰ تحريم الٱختلاط من السنة:**

١- عن عقبة بن عامر ﵁ قال: قال رسول الله - ﷺ -: "**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**"، فقال رَجُلٌ مِنْ الأنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: "**الحَمْوُ المَوْتُ**"[2].

قال القاضي عياض رحمه الله: في فرض الحجاب علىٰ أزواج النبي ﷺ: ولا يجوز لهن إظهار شخوصهن، وإن كن مستترات إلا ما دعت إليه الضرورة من الخروج للبراز، قال الله تعالىٰ: ﴿وإذا سألتموهن متاعا فسألوهن من وراء

---

(١) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٩٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

حجاب﴾، وقد كن إذا قعدن للناس جلسن من وراء الحجاب، وإذا خرجن حجبن وسترن أشخاصهن، كما جاء في حديث حفصة يوم وفاة عمر، ولما توفيت زينب رضي الله عنها جعلوا لها قبة فوق نعشها تستر شخصها[١].

٢- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ**"، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فقال: "**إِذْ أَبَيْتُمْ إِلاَّ المَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**"، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: "**غَضُّ البَصَرِ وَكَفُّ الأذىٰ وَرَدُّ السَّلَامِ وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ المُنْكَرِ**"[٢].

قال النووي رحمه الله: وقد أشار النبي ﷺ إلىٰ علة النهىٰ من التعرض للفتن والإثم بمرور النساء وغيرهن، وقد يمتد نظر إليهن أو فكر فيهن أو ظن سوء فيهن أو في غيرهن من المارين[٣].

٣- عن هند بنت الحارث رضي الله عنها أن أم سلمة زوج النبي ﷺ أَخْبَرَتْهَا أَنَّ النِّسَاءَ في عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُنَّ إِذَا سَلَّمْنَ مِنْ المَكْتُوبَةِ قُمْنَ وَثَبَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَنْ صَلَّىٰ مِنْ الرِّجَالِ مَا شَاءَ اللهُ، فَإِذَا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَامَ الرِّجَالُ[٤].

قال الحافظ ابن حجر: وفيه ٱجتناب مواضع التهم وكراهة مخالطة الرجال للنساء في الطرقات فضلًا عن البيوت[٥].

٤- وعن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ المَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِى الطَّرِيقِ، فقال رَسُولُ اللهِ

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (١٤/ ١٥١).
(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٩)، ومسلم (٢١٢١).
(٣) شرح النووي علىٰ مسلم (١٤/ ١٤١).
(٤) أخرجه البخاري (٨٦٦). (٥) فتح الباري (٢/ ٣٣٦).

ﷺ لِلنِّسَاءِ: «اسْتَأْخِرْنَ فَإِنَّهُ لَيسَ لكن أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ» فَكَانَتِ المَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالجِدَارِ حَتَّىٰ إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ[(١)].

ذكر النبي ﷺ في هٰذا الحديث طرفًا من آداب مشي النساء مع الرجال في الطريق ألا يمشين في وسط الطريق حيث يكون فيه الرجال، وإنما يمشين في الجوانب، ووسط الطريق يكون للرجال.

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا[(٢)].

قال النووي رحمه الله: وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك[(٣)].

★ **أقوال العلماء في ذم الاختلاط:**

قال السرخسي: وينبغي للقاضي أن يقدم النساء علىٰ حدة والرجال علىٰ حدة؛ لأن الناس يزدحمون في مجلسه وفي ٱختلاط النساء مع الرجال عند الزحمة من الفتنة والقبح ما لا يخفىٰ ولكن هٰذا في خصومة يكون بين النساء، فأما الخصومة التي تكون بين الرجال والنساء لا يجد بدًا من أن يقدمهن مع الرجال[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فالرجال إذا ٱختلطوا بالنساء كان بمنزلة ٱختلاط النار والحطب[(٥)].

قال ابن القيم رحمه الله: ومن ذلك أن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع ٱختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والفرج ومجامع الرجال.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٧٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤٤٠). (٣) شرح النووي علىٰ مسلم (٤/ ١٥٩).

(٤) المبسوط للسرخسي (١٦/ ١٥٦).

(٥) الٱستقامة لابن تيمية (١/ ٣٦١).

وقال أيضًا: ويجب عليه منع النساء من الخروج متزينات متجملات ومنعهن من الثياب التي يكن بها كاسيات عاريات كالثياب الواسعة والرقاق ومنعهن من حديث الرجال في الطرقات ومنع الرجال من ذلك.

وقال أيضًا: ولا ريب أن تمكين النساء من ٱختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة، فمن أعظم أسباب الموت العام كثرة الزنا بسبب تمكين النساء من ٱختلاطهن بالرجال والمشي بينهم متبرجات متجملات ولو علم أولياء الأمر ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية قبل الدين لكانوا أشد شيء منعا لذلك[(١)].

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: فأما ما أحدث القصاص من جمع النساء والرجال فإنه من البدع التي تجري فيها العجائب من ٱختلاط النساء بالرجال، ورفع النساء أصواتهن بالصياح والنواح إلىٰ غير ذلك[(٢)].

يقول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: حرم الٱختلاط، سواء في التعليم، أم العمل، والمؤتمرات، والندوات، والاجتماعات العامة والخاصة، وغيرها، لما يترتب عليه من هتك الأعراض ومرض القلوب، وخطرات النفس، وخنوثة الرجال، واسترجال النساء، وزوال الحياء، وتقلص العفة والحشمة، وانعدام الغيرة[(٣)].

٭ مفاسد الاختلاط بين الرجال والنساء في العمل وغيره:

إن الٱختلاط بين الرجال والنساء في العمل وغيره، له آثاره السيئة،

---

(١) الاستقامة لابن تيمية (١/ ٤٠٧).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (١/ ٧٧٦).

(٣) حراسة الفضيلة لبكر أبو زيد (١/ ١٣٩).

ومفاسده الواضحة، علىٰ كل من الرجل والمرأة، ومن ذلك:

١- تعسير غض البصر، وتيسير زنا العين بحصول النظر المحرم، وقد أمر الله تعالى المؤمنين والمؤمنات بغض البصر.

٢- التسبب في بلاء العشق الذي يتلف الدنيا والدين، حيث تعلق قلب الرجل بالمرأة وافتتانه بها، أو العكس، وذلك من جراء الخلطة، وطول المعاشرة.

٣- الٱختلاط قد يوقع في خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه، وهٰذا محرم.

٤- الٱختلاط سبب في ٱنعدام الغيرة، واضمحلال الحياء، وفساد الأخلاق.

٥- من آثار الٱختلاط ذلك التبرج والتفنن بإبداء الزينة والجمال، يصل الأمر إلى الخلاعة والعري من أجل إطفاء شهوة الجنس المحرمة بنص الكتاب والسنة.

٦- الٱختلاط سبب في دمار الأسر وخراب البيوت، فكم من رجل أهمل بيته، وضيع أسرته، لانشغال قلبه بزميلته في الدراسة أو العمل، وكم من ٱمرأة ضيعت زوجها وأهملت بيتها، لنفس السبب، بل: كم من حالة طلاق وقعت بسبب العلاقة المحرمة التي أقامها الزوج أو الزوجة، وكان الٱختلاط في العمل رائدها وقائدها.

٧- الٱختلاط سبب لتدهور الجانب الأخلاقي في المجتمع وتفشي الأمراض الجنسية والنفسية.

٨- الٱختلاط سبب في الٱبتعاد شيئًا فشيئًا عن العبادات نتيجة ما يقع فيه البشر من جرائم أخلاقية وسلوك يتعذر معه القيام بالواجبات الدينية علىٰ أكمل وجه، إلا من رحم الله ﷻ.

ثانيًا: المحسوبية

المحسوبية في اللغة: حسبه، أي: عده، وبابه نصر، وكتب حسابًا وحسبانًا، والمعدود محسوب، والحسب: ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه[(١)].

المحسوبية في الاصطلاح: هي اعتبار القرابة العائلية أو السياسية في إسناد الوظائف أو في الترقيات والتسيير[(٢)].

* ذم المحسوبية في القرآن الكريم:

إن الإسلام لا يعرف المحسوبية، فالناس جميعًا في تشريعات الإسلام سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي علىٰ عجمي ولا لأبيض علىٰ أحمر أو أسود إلا بالتقوىٰ والعمل الصالح، البشرية كلها سواء في عرف الإسلام أصلهم واحد خلقوا جميعًا من أصل واحد فلا تفاضل بين بني البشر إلا بالتقوىٰ والعمل الصالح وإليك بعض الأدلة علىٰ ذلك:

١- قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

٢- قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذى خَلَقَكُم مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الذى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

٣- قال الله تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: ١٣٥].

قال السعدي رحمه الله: ومن أعظم أنواع القسط القسط في المقالات والقائلين، فلا يحكم لأحد القولين أو أحد المتنازعين لانتسابه أو ميله

---

(١) مختار الصحاح للرازي (١/ ١٧٦).

(٢) معجم الغني لعبد الغني أبو العزم مادة (محسوبية).

لأحدهما، بل يجعل وجهته العدل بينهما، ومن القسط أداء الشهادة التي عندك علىٰ أي وجه كان، حتىٰ على الأحباب بل على النفس[١].

ومن هٰذا المنطلق نرى الإسلام لا يفرق بين سيد ومسود ولا بين حاكم ومحكوم الكل أمام تشريعات الله سواء. تطبق أحكامه علىٰ كل أفراد المجتمع دون تفرقة بين شريف وغير شريف.

*** ذم المحسوبية في السنة النبوية:**

١- عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما أَنَّ ٱمْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ في غَزْوَةِ الفَتْحِ فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلىٰ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ، قال عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقال: "**أَتُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ!**" قال أُسَامَةُ: ٱسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمَّا كَانَ العَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللهِ خَطِيبًا فَأَثْنَىٰ عَلَىٰ اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قال: "**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**" ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتِلْكَ المَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَتَزَوَّجَتْ قَالَتْ عَائِشَةُ فَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: وفيه ترك المحاباة في إقامة الحد علىٰ من وجب عليه ولو كان ولدًا أو قريبًا أو كبير القدر والتشديد في ذلك والإنكار علىٰ من رخص فيه أو تعرض للشفاعة فيمن وجب عليه[٣].

قال ابن عثيمين رحمه الله: فاطمة بنت محمد أشرف النساء سيدة نساء أهل الجنة بنت أفضل البشر لو سرقت لقطع يدها وهو أبوها، وتأمل

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٠٤).

(٣) فتح الباري (١٢/ ٩٦).

لقطعت يدها ولم يقل لأمرت بقطع يدها، فظاهره أنه هو الذي يباشر قطعها لو سرقت هٰذا العدل، وبهذا قامت السماوات والأرض ومن عدل الإمام أن يولي المناصب من هو أهل لها في دينه وفي قوته فيكون أمينًا وقويًّا أهلًا لما ولي عليه(١).

وقال أيضًا: وهٰذِه المرأة المخزومية دون فاطمة شرفًا ونسبًا ومع ذلك فإنه ﷺ قال: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ليسد باب الشفاعة والوساطة(٢).

٢- إن في حياة رسول الله ﷺ مواقف حطم فيها رسول الله ﷺ كل محاباة وكل مظاهر المحسوبية مع أقرب الناس إليه. فما أشد حاجة المسؤلين في المؤسسات إلىٰ أن يجعلوا رسول الله ﷺ قدوتهم، فكم من حقوق سلبت، وكم من أموال ضيعت، وكم من مصالح خربت بسبب تفشى المحسوبية والمحاباة حتىٰ بين الدول بعضها مع بعض، علاوة علىٰ محاباة الأفراد والأشخاص، من هٰذِه المواقف ما يلي:

- عن أبي هريرة ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال: **"يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا"**(٣).

٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ أَنَّ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ

---

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ٦٨).

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ٢٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦).

النَّبِيِّ ﷺ في شِرَاجِ الحَرَّةِ التِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ فقال الأنْصَارِيُّ سَرِّحْ المَاءَ يَمُرُّ فَأَبَىٰ عَلَيْهِ فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: "**أَسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلْ المَاءَ إِلىٰ جَارِكَ**" فَغَضِبَ الأنْصَارِيُّ فقال أَنْ كَانَ ابن عَمَّتِكَ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ قال: "**اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ احْبِسْ المَاءَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلى الجَدْرِ**" فقال الزُّبَيْرُ والله إِنِّي لَأَحْسِبُ هٰذِه الآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء: ٦٥][(١)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله معلقًا علىٰ هٰذا الحديث: فمجموع الطرق دال علىٰ أنه أمر الزبير أولًا أن يترك بعض حقه وثانيًا أن يستوفي جميع حقه[(٢)].

- عَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ ﵁ قال: أَنَّ رِجَالاً مِنْ الأنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالُوا ائْذَنْ لَنَا فَلْنَتْرُكْ لِابْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ، قال: "والله لَا تَذَرُونَ مِنْهُ دِرْهَمًا"[(٣)].

- وعن عبد الله بن عباس ﵄ قال: كان فداء كل واحد أربعين أوقية فجعل على العباس مائة أوقية وعلىٰ عقيل ثمانين فقال له العباس أللقرابة صنعت هٰذا؟ قال فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠] فقال العباس وددت لو كنت أخذت منىٰ أضعافها لقوله تعالىٰ: ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٩)، (٢٣٥٧).
(٢) فتح الباري (٥/ ٣٩).
(٣) أخرجه البخاري (٤٠١٧).
(٤) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح وعزاه لأبي نعيم في الأوائل وحسن إسناده (٧/ ٣٢٢).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: قيل والحكمة في ذلك أنه خشي أن يكون في ذلك محاباة له لكونه عمه لا لكونه قريبهم من النساء فقط(١).

٤- موقف النبي ﷺ مع عمه أبي طالب لما حضرته الوفاة وهٰذا الموقف من أكبر الأدلة وأوضحها علىٰ أن الإسلام لا يحابىٰ ولا يجامل أحدًا علىٰ حساب الحق.

لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه النبي ﷺ وقال له: **"يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله"** فأبىٰ أن يقولها ومات علىٰ ملة عبد المطلب ولما مات أرد النبي ﷺ أن يستغفر له فنهاه الله تعالىٰ عن ذلك.

يقول المسيب بن حزن ﷺ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ فقال النَّبِيُّ ﷺ: **"أَيْ عَمِّ قُلْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ"** فقال أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فقال النَّبِيُّ ﷺ: **"لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ"** فَنَزَلَتْ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣](٢).

بل لم يشارك النبي ﷺ في دفن عمه رغم حبه له وحرصه علىٰ إسلامه. قال علي ﷺ قُلْتُ لِلنَّبِي ﷺ إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ قَدْ مَاتَ. قَالَ: « **اذْهَبْ فَوَارِ أَبَاكَ ثُمَّ لاَ تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّىٰ تَأْتِيَنِىٰ** » فَذَهَبْتُ فَوَارَيْتُهُ وَجِئْتُهُ فَأَمَرَنِىٰ فَاغْتَسَلْتُ وَدَعَا لِىٰ(٣).

٥- وفي خطبة الوداع وقف النبي ﷺ موقفًا عظيمًا قضىٰ فيه على المحسوبية والوساطة والمجاملة أمام هٰذا الجمع الغفير معلمًا ومربيًا فقال:

---

(١) فتح الباري (٧/ ٣٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٧٥)، ومسلم (٢٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢١٤)، والنسائي (٢٠٠٥)، وأحمد (١٠٩٣)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٧١٧).

"وَرِبَا الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُهُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ"[(١)].

من هنا نتعلم أن الولاة مطالبون بأن يراقبوا الله في أموال المؤسسات التي يعملون فيها فلا يعبثون ولا يسرفون ولا ينفقون إلا فيما يجب الإنفاق فيه وبالقدر اللازم له ويتحاشون أن تمتد إليها أيديهم أو أيدي أقاربهم أو أيدي المقربين إليهم بغير حق.

*** موقف الخلفاء والأمراء من المحسوبية:**

لقد قام الخلفاء الراشدون -ﷺ- بمنع كل ما كان فيه محاباة، أو محسوبية أو مجاملة ليحفظوا على الأمة دينها ويعم النفع ويحصل الرخاء، ويشعر الناس بالأمن والأمان. ومن أعظم الأمثلة الدالة علىٰ ذلك:

١- منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهله من الاستفادة من المرافق العامة التي رصدتها الدولة لفئة من الناس، خوفًا من أن يحابي أهله بها:

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: اشتريت إبلًا وارتجعتها إلى الحمىٰ فلما سمنت قدمت بها قال: فدخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه السوق فرأىٰ إبلًا سمانًا فقال: لمن هٰذِه الإبل؟ قيل: لعبد الله بن عمر قال: فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر بخ بخ ابن أمير المؤمنين، قال: فجئته أسعىٰ فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين قال: ما هٰذِه الإبل؟ قال قلت: إبل أنضاء اشتريتها وبعثت بها إلى الحمىٰ أبتغىٰ ما يبتغى المسلمون، قال فقال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين! يا عبد الله بن عمر اغد علىٰ رأس مالك واجعل باقيه فىٰ بيت مال المسلمين[(٢)].

٢- محاسبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله رضي الله عنه لما اشترىٰ فيء جلولاء:

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨). (٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ (٦/ ١٤٧).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: شهدت جلولاء، فابتعت من المغنم بأربعين ألفًا، فلمَّا قدمت علىٰ عمر قال لي: لو عرضت على النار، فقيل لك، افده أكنت مفتديًا؟ قلت: والله ما من شيء يؤذيك إلا كنت مفتديك منه، فقال: كأني شاهد الناس حين تبايعوا، فقالوا: عبد الله بن عمر صاحب رسول الله ﷺ وابن أمير المؤمنين، وأحب الناس إليه، أنت كذلك فكان أن يرخصوا عليك بمائة أحب إليهم من أن يغلوا عليك بدرهم، وإني قاسم مسؤول، وأنا معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش، لك ربح الدرهم درهمًا، قال: ثم دعا التجار فابتاعوه منه بأربعمائة ألف فدفع إلي ثمانين ألفًا وبعث بالبقية إلىٰ سعد بن أبي وقاص فقال: اقسمه في الذين شهدوا الوقعة، ومن كان مات منهم فادفعه إلىٰ ورثته[1].

٣- تفضيل عمر بن الخطاب لأسامة بن زيد على ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في العطاء: كان عمر رضي الله عنه يقسم المال ويفضل بين الناس على السابقة والنسب ففرض لأسامة بن زيد رضي الله عنهما أربعة آلاف، وفرض لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ثلاثة آلاف، فقال: يا أبت فرضت لأسامة بن زيد أربعة آلاف، وفرضت لي ثلاثة آلاف؟ فما كان لأبيه من الفضل ما لم يكن لك! وما كان له من الفضل ما لم يكن لي! فقال عمر: إن أباه كان أحب إلىٰ رسول الله ﷺ من أبيك، وهو كان أحب إلىٰ رسول الله ﷺ منك[2].

* **أسباب انتشار المحسوبية:**

١- ضعف الوازع الديني في المجتمع، فهٰذا الضعف يؤدي إلى الجور والظلم، وإلىٰ تقصير الموظفين في عملهم المنوط بهم، والتفاخر والتكبر على الناس، مما يدفع أصحاب الحاجات إلى اللجوء إلى المجاملات

---

(١) الأموال لابن زنجويه (٢/ ٣١٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٥٤٩).

والمحسوبيات لحل مشاكله.

٢- غياب العقوبات الشرعية وعدم تطبيقها علىٰ أصحاب الوجاهات، وهٰذا بدوره يزيد من هٰذِه الآفات في المجتمعات.

٣- حب العلو والرفعة على الآخرين بغير حق.

٤- الكبرياء وهو ٱحتقار الناس ورد الحق.

٥- العجلة في تحصيل ما يريد ولو علىٰ حساب حق الغير.

ثالثًا: سوء الإدارة

لقد كانت الإدارة الجيدة في زمن النبي ﷺ وزمن الخلفاء الراشدين ﷺ سببًا من أهم الأسباب الرئيسية في إقامة دولة إسلامية عظيمة ٱزدهرت حضارتها، وكثر خيرها، وعم نفعها، فعاش الناس فيها في رخاء تام، وانبهرت قوى العالم بهٰذِه الدولة الإسلامية وحضارتها، ذلك لأن المسلمين في هٰذا الوقت نجحوا في إدارة دولتهم المترامية الأطراف، على الرغم من عدم توافر كثير من الوسائل الموجودة الآن.

ويرجع السبب الرئيسي في هٰذا النجاح إلىٰ أن الذين تولوا شئون البلاد توافرت فيهم الكفاءة والخبرة والديانة.

أما الآن ومع توافر الوسائل الحديثة للتواصل بين البلاد والمؤسسات وتسهيل كثير من الٱحتياجات؛ إلا أن الفساد الإداري يلحق كثيرًا من المؤسسات لضعف القائمين عليها وعدم كفاءتهم وقلة خبرتهم.

الإدارة في القرآن الكريم:

١- لقد بين الله تعالىٰ أنه لابد من تولية شؤون البلاد من يحسن إدارتها حتىٰ يستقيم أمرها فالله ﷻ لم يصطف طالوت علىٰ قومه إلا لأنه قد حاز علىٰ صفتين مطلوبتين قد توافرتا فيه، وتناسبتا مع مهامه وما يوكل إليه، ألا وهما صفتا العلم والحكمة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ

﴿وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

قال السعدي رحمه الله: أي: فضله عليكم بالعلم والجسم، أي: بقوة الرأي والجسم اللذين بهما تتم أمور الملك، لأنه إذا تم رأيه وقوي علىٰ تنفيذ ما يقتضيه الرأي المصيب، حصل بذلك الكمال، ومتىٰ فاته واحد من الأمرين ٱختل عليه الأمر، فلو كان قوي البدن مع ضعف الرأي، حصل في الملك خرق وقهر ومخالفة للمشروع، قوة علىٰ غير حكمة، ولو كان عالما بالأمور وليس له قوة علىٰ تنفيذها لم يفده الرأي الذي لا ينفذه شيئًا[1].

يتبين من ذلك أن تولية الجهال والسفهاء الوظائف والمناصب سبب عظيم من أهم أسباب سوء الإدارة لأنهم لا يستطيعون القيام بالمهام المنوطة بهم علىٰ أكمل وجه.

٢- وقد نوه القرآن الكريم بأن المسئوليات الكبيرة والصغيرة في المؤسسات لابد لها من أمناء وهم علىٰ علم نافع ودين مانع يقومون عليها حتىٰ يتحقق لها النجاح ويعم الخير ويحصل الرخاء، وبدونهم تكون الخيانة ويظهر الٱختلاس، وتضيع الحقوق وتنتشر المحسوبيات والوساطة والمجاملات وهٰذا هو عين الفساد الإداري.

فيوسف عليه السلام حينما رأىٰ أموال مصر تبعثر في غير فائدة بسبب عدم أهلية المسئولين للقيام عليها طلب من عزيز مصر أن يوليه شؤونها، وعلل ذلك بقوله: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

قال السعدي رحمه الله: أي: حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصًا من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة

---

(١) تفسيرالسعدي (١/ ١٠٧).

والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه، فلذلك طلب من الملك أن يجعله علىٰ خزائن الأرض، فجعله الملك علىٰ خزائن الأرض وولاه إياها[١].

قال ابن عاشور رحمه الله: وهٰذِه الآية أصل لوجوب عرض المرء نفسه لولاية عمل من أمور الأمة إذا علم أنه لا يصلح له غيره لأن ذلك من النصح للأمة، وخاصة إذا لم يكن ممن يتهم علىٰ إيثار منفعة نفسه علىٰ مصلحة الأمة[٢].

٣- ولقد بين القرآن الكريم أيضًا أن الأجراء الذين يعملون في أي وظيفة كانت، لابد من توافر الشروط المناسبة فيهم لتولي هٰذِه الوظيفة حتىٰ تتحقق الإدارة الجيدة وإلا فسدت الإدارة، فهٰذِه ابنة صاحب مدين الذي لجأ إليه موسىٰ ﵇ فارًّا بنفسه من فرعون، طلبت من أبيها أن يستأجر موسىٰ لرعاية أغنامهم وعللت ذلك بقولها: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

قال السعدي رحمه الله: أي: إن موسىٰ أولىٰ من ٱستؤجر، فإنه جمع القوة والأمانة، وخير أجير ٱستؤجر، من جمعهما، أي: القوة والقدرة علىٰ ما ٱستؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان، ينبغي ٱعتبارهما في كل من يتولىٰ للإنسان عملًا بإجارة أو غيرها. فإن الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد إحداهما، وأما باجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل[٣].

الإدارة في السنة النبوية:

١- لقد نصح النبي ﷺ أصحابه أن يتولوا الأعمال التىٰ يقدرون عليها بحيث تتوافر فيهم الشروط المناسبة حتىٰ لا تفسد إدارتهم فتقع المحرمات

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٤٠٠). (٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣/ ٩).

(٣) تفسير السعدي (١/ ٦١٤).

وتضيع الحقوق، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني قال: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي ثُمَّ قال: **"يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدى الذِي عَلَيْهِ فِيهَا"**(١).

وفي رواية أخرىٰ أن النبي ﷺ قال: : **"يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّىٰ أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّىٰ أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِىٰ فَلاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى ٱثْنَيْنِ وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ"**(٢).

قال النووي رحمه الله: هٰذا الحديث أصل عظيم في ٱجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلًا لها أو كان أهلًا ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالىٰ يوم القيامة ويفضحه ويندم علىٰ ما فرط وأما من كان أهلًا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة(٣).

٢- لقد علمنا النبي ﷺ أن ٱختيار الوظائف والمهمات يكون علىٰ وفق أصحاب المهارات والإدارة الجيدة وهو - ٱختيار الرجل المناسب في المكان المناسب - دون التفات لقرابة أو كبر سن أو غنىٰ أو أي لون من ألوان التمييز. فكان ﷺ عندما يعين الأمراء كان يضع صاحب الكفاءة الإدارية في مكانته التي تليق به، وإليك بعض الأمثلة علىٰ ذلك:

١- لقد ولىٰ رسول الله ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنه لكفاءته مع صغر سنه لمَّا رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة بعدما قضىٰ حجة التمام فتحلل به السير وضرب على الناس بعثًا وأمَّر عليهم أسامة بن زيد أمره أن يوطئ آبل الزيت من مشارف الشام بالأردن، فقال المنافقون في ذلك، ورد عليهم النبي ﷺ إنه لخليق لها أي حقيق بالإمارة ولئن قلتم فيه لقد قلتم في أبيه من قبله وإن كان لها لخليقًا(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٥).   (٢) أخرجه مسلم (١٨٢٦).

(٣) شرح النووي علىٰ مسلم (١٢/ ٢١٠).

٢- ولقد ولىٰ رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه علىٰ خيبر ووصفه بأنه يحب الله ورسوله، فعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ رضي الله عنه تَخَلَّفَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ في خَيْبَرَ وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ التِي فَتَحَهَا في صَبَاحِهَا فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ أَوْ قال لَيَأْخُذَنَّ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ**" فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ فَقَالُوا: هٰذَا عَلِيٌّ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ[1].

فلذلك كانت إدارة النبي ﷺ لشئون البلاد إدارة جيدة محكمة أرسىٰ في نفوس أصحابه قواعدها ومهماتها، وتحقق من خلالها كل خير للغني والفقير والصغير والكبير والرجل والمرأة.

إدارة الخلفاء والأمراء:

- عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يضع طرقًا وشروطًا فيمن يتولى الوظائف لأنهم هم الذين يقومون علىٰ إدارة المؤسسات، وكان يختار من يستعمله علىٰ عمل ويبحث عنه ويستشير الناس من حوله، قال يومًا لأصحابه: دلوني علىٰ رجل أستعمله علىٰ أمر قد أهمني من أمر المسلمين، قالوا: عبد الرحمن بن عوف قال: ضعيف قالوا: فلان قال: لا حاجة لي فيه: قالوا: مَن تريد قال: رجل إذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم، وإذا لم يكن أميرهم كأنه أميرهم قالوا: ما نعلمه إلا الربيع بن زياد الحارثي قال: صدقتم[2].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعزل الولاة بدون حرج إذا وجد من هم أفضل منهم فقد عزل عمر رضي الله عنه شرحبيل بن حسنة وعين بدله معاوية، فقال

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٦/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٧٥)، ومسلم (٢٤٠٧).

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (٦/١).

له شرحبيل: أمن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكني أريد رجلًا أقوىٰ من رجل[(١)].

وكان عمر رضي الله عنه حريصًا علىٰ أن لا يولي أحدًا من أقاربه رغم كفاية بعضهم وسبقه إلى الإسلام وهٰذا من حسن إدارته - رضي الله عنه - مثل سعيد بن زيد ابن عمه، وعبد الله بن عمر ابنه، وقد سمعه رجل من أصحابه يشكو إعضال أهل الكوفة به في أمر ولاتهم. وقول عمر: لوددت أني وجدت رجلًا قويًّا أمينًا مسلمًا أستعمله عليهم، فقال الرجل: أنا والله أدلك عليه، عبد الله بن عمر، فقال عمر: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهٰذا[(٢)].

- عمرو بن العاص رضي الله عنه ٱستطاع بعد فتح مصر أن ينجز العديد من المشاريع التنموية التي عادت بالنفع علىٰ أهل مصر، وكذلك علىٰ بيت المال، وقد كان عهد ولاية عمرو رضي الله عنه علىٰ مصر عهد رخاء وازدهار، فكان يحب شعبها ويحبونه، ونعموا في ظل حكمه بالعدل والحرية، وفيها قام بتخطيط مدينة الفسطاط[(٣)].

وأعاد حفر خليج أمير المؤمنين الموصل إلى البحر الأحمر لنقل الغنائم إلى الحجاز بحرًا[(٤)].

وأنشأ بها جامعًا سمي باسمه، وما يزال جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه قائمًا إلى الآن بمصر.

- عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان يشرف بنفسه علىٰ ما يتم في دولته من أعمال صغرت أو كبرت، وكان يتابع عماله في أقاليمهم وساعده علىٰ ذلك

---

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري (٢/ ٣٤١).
(٢) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي (١٠٨).
(٣) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي (١٠٥).
(٤) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي (١٧٩).

أجهزت الدولة التي طورها عبد الملك بن مروان، كالبريد، وجهاز الأستخبارات الكبير الممتد في أطراف الدولة والذي كان الخلفاء يستخدمونه في جمع المعلومات، وعلى الرغم من عناية عمر بن عبد العزيز في ٱختيار الولاة، إلا أن هٰذا لم يمنعه من العمل علىٰ متابعة أمر الرعية وتصريف شئون الدولة، وقد ٱشتهر عنه الدأب والجد في العمل حتىٰ أصبح شعاره لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، فقد قيل له: يا أمير المؤمنين لو ركبت فتروحت، قال: فمن يجزي عني عمل ذلك اليوم؟ قيل: تجزيه من الغد قال: فدحني عمل يوم واحد، فكيف إذ ٱجتمع علي عمل يومين(١).

مظاهر سوء الإدارة:

١- **تولية غير الأكفاء:** إن مما قررته نصوص الشريعة وبينه أهل العلم في قواعدهم: (أن تصرف الإمام منوط بالمصلحة) ومعناه أن من تولىٰ أمرًا من أمور المسلمين لابد أن ينظر فيه إلى المصلحة العامة للمسلمين ولا سبيل إلىٰ ذلك إلا للأكفاء الصالحين أصحاب القدرة والفهم والعلم والخبرة وليس غيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: تخير الإمام بين الأمرين تخيير رأي ومصلحة، لا تخيير شهوة ومشيئة وهكذا سائر ما يخير فيه ولاة الأمر ومن تصرف لغيره بولاية كناظر الوقف ووصي اليتيم والوكيل المطلق لا يخيرون تخيير مشيئة وشهوة، بل تخيير ٱجتهاد ونظر وطلب الجواز الأصلح. كالرجل المبتلىٰ بعدوَّين وهو مضطر إلى الأبتداء بأحدهما فيبتدئ بماله أنفع. كالإمام في تولية من يوليه من ولاة الحرب والحكم والمال يختار الأصلح فالأصلح للمسلمين. فمن ولىٰ رجلًا علىٰ عصابة وهو يجد فيهم مَن هو أرضىٰ لله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين(٢).

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٥/ ١٩٨).

٢- **المحسوبية والمجاملة**: ما أشد حاجة المسؤلين في المؤسسات إلىٰ أن يجعلوا رسول الله ﷺ قدوتهم فكم من حقوق سلبت وكم من أموال ضيعت وكم من مصالح خربت بسبب تفشى المحسوبية والمحاباة حتىٰ بين الدول بعضها مع بعض، علاوة علىٰ محاباة الأفراد والأشخاص.

٣- **الخيانة وضياع الأمانة**: قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لا تَخُونُوا الله وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

قال السعدي - رحمه الله -: فمن أدى الأمانة ٱستحق من الله الثواب الجزيل، ومن لم يؤدها بل خانها ٱستحق العقاب الوبيل، وصار خائنًا لله وللرسول ولأمانته، منقصًا لنفسه بكونه ٱتصفت نفسه بأخس الصفات، وأقبح الشيات، وهي الخيانة مفوتًا لها أكمل الصفات وأتمها، وهي الأمانة[(١)].

٤- **الإسراف والتبذير**:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

قال الطبري: السرف الذي نهىٰ الله عنه في هٰذِه الآية، مجاوزة القدر في العطية إلىٰ ما يجحف برب المال[(٢)].

وقال ابن كثير: قيل معناه: لا تسرفوا في الإعطاء فتعطوا فوق المعروف[(٣)].

وقال ابن عاشور: فبين أن الإسراف من الأعمال التي لا يحبها، فهو من الأخلاق التي يلزم الأنتهاء عنها[(٤)].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ**

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٤/ ١١٩).

(٢) تفسير السعدي (١/ ٣١٩).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٦١٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٣).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٢٣).

الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ»(١).

قال النووي: وأما إضاعة المال فهو صرفه في غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف وسبب النهي أنه إفساد والله لا يجب المفسدين ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس(٢).

٥- **الرشوة**: والرشوة منح أو تقديم شيء له قيمة (كالمال والهدايا وغيرهما) لأحد الأشخاص من ذوي المناصب العليا أو صغار الموظفين أو من في يده قضاء منفعة معينة للناس. وفي مقابل ذلك، يخل هٰذا الشخص بقيمته الإسلامية أو يخالف القانون من أجل أن يستفيد الراشي (المعطي). ووفقًا للقانون فإن رشوة الموظف العام أو من ينوب عنه تعد جريمة شرعية وقانونية في حق كل من الراشي والمرتشي.

لقد حارب الإسلام الرشوة ودعىٰ إلىٰ عفة الموظف العام، وقد شرع الإسلام قانونًا لمحاسبة صاحب الوظيفة العامة وهو ما يمكن أن نطلق عليه قانون من أين لك هٰذا؟ لقد سماها الله في محكم التنزيل سحتًا وباطلاً، فقال تعالىٰ عن اليهود: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢] وقال تعالىٰ-: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة: ١٨٨]، وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: « **لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّاشِي وَالمُرْتَشِي** »(٣).

٦- **سوء التخطيط**: التخطيط هو الخطوة الأولىٰ في العملية الإدارية حيث

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (٥٩٣).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (١٢/ ١١).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٥٨٠)، والترمذي (١٣٣٧)، وابن ماجه (٢٣١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١١٤).

تحدد فيه الإدارة ما تريد أن تعمل وماذا يجب عمله، وأين، وكيف، وما هي الموارد التي تحتاج إليها لإتمام العمل، وذلك عن طريق تحديد الأهداف ووضع السياسات المرغوب تحقيقها في المستقبل وتصميم البرامج وتفصيل الخطوات والإجراءات والقواعد اللازمة في إطار زمني محدد وبياني محسن في ضوء التوقعات للمستقبل والعوامل المؤثرة المحتمل وقوعها. ولقد ضرب لنا النبي ﷺ أروع الأمثلة في التخطيط منها: حادث الهجرة النبوية فإن المتأمل لها يرىٰ دقة التخطيط ودقة التنفيذ من ٱبتدائها إلى ٱنتهائها ومن مقدماتها إلىٰ ماجرىٰ بعدها يدرك أن التخطيط المسدد بالوحي في حياة الرسول ﷺ قائمًا وأن التخطيط جزء من السنة وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ما طولب به المسلم.

فما كان ٱختيار رسول الله ﷺ لدار الأرقم لمجرد ٱجتماع المسلمين فيها لسماع نصائح ومواعظ وإرشادات، وإنما كانت مركزًا للقيادة، ومدرسة للتعليم والتربية والإعداد والتأهيل للدعوة والقيادة، بالتربية الفردية العميقة الهادئة، وتعهد بعض العناصر والتركيز عليها تركيزًا خاصًا، لتأهيلها لأعباء الدعوة والقيادة، فكان الرسول المربي قد حدد لكل فرد من هٰؤلاء عمله بدقة وتنظيم حكيم[1].

٧- **سوء التنظيم**: إن سوء التنظيم داخل المؤسسات يؤدي إلىٰ إحداث خلل واضح في الإدارة، مما يسبب عدم الٱستقرار داخل المؤسسة وانهيارها وتفتتها. لٰكن التنظيم الجيد من تحديد المهام والواجبات وعلاقة كل فرد وأين موقعه وصلاحياته كل هٰذا يؤدي إلىٰ نجاح العمل الإداري.

إننا لو نظرنا في الهجرة النبوية والغزوات والبعوث ومخاطبة الملوك والرؤساء وتولية الولاة لوجدنا كيف نظم النبي ﷺ شؤون الدولة مما أدىٰ

---

(١) دولة الرسول من التكوين الى التمكين للدكتور كامل سلامة الدقس (٢٣٧).

إلىٰ قوتها وازدهارها.

٨- عدم مراقبة الله تعالىٰ في العمل: فإن مراقبة المسلم لنفسه هي أبرز ما يتسم به في عمله سواء كان علىٰ مستوى الفرد أو مستوى الجماعة، فإن جميع أفعاله إدارية أو دعوية مقياس لمدىٰ طاعته لأوامر الله، ثم محاسبة نفسه قبل أن يحاسبه خالقه، يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. وقال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢١٩].

وفي حديث جبريل -عليه السلام- لما سأل النبي ﷺ عن الإحسان أجابه النبي ﷺ بقوله: « **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** »(١).

٩- عدم وجود الرقابة الإدارية المحكمة: لابد من مراقبة سلوك العاملين بالدولة مثل مراقبة أخلاقهم مع الجمهور وسجلاتهم والأعمال المنوطة بهم، حتىٰ لا تنتشر العدوى الأخلاقية السلبية من أعلى السلطة إلىٰ أدناها، وهي أضبط كذلك وأيسر لمحدودية العدد، ولوجود إمكانية المراقبة الدائمة.

لقد كان النبي ﷺ ينزل إلى الأسواق ليراقب التجار، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَىٰ صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً فقال: "**مَا هٰذا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ**" قال أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ قال: "**أَفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**"(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٢).

رابعًا: تولية غير الأكفاء والصالحين:

تعريف الأكفاء في اللغة: الأكفاء جمع كفء والكفء هو النظير والمساوي[١].

وفي الاصطلاح: هو المماثل والقوي القادر علىٰ تصريف العمل[٢].

*** أهمية اختيار الأكفاء في الإسلام:**

إن العمل في ديننا الإسلامي له مكانة عالية، ومنزلة رفيعة سامية، لما له أهمية في بناء الأمم والحضارات، ورقي الأفراد والمجتمعات، فالأنبياء - عليهم السلام - وهم صفوة خلق الله أجمعين عملوا في شتى المجالات والميادين، فقد عمل بعضهم في رعي الغنم والتجارة، والحدادة والخياطة والنجارة، وما من نبي إلا عمل أو امتهن مهنة يكسب عيشه ورزقه منها، ولم يكن ذلك ليعيبهم، أو يقلل من شأنهم، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **"مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الغَنَمَ"**، فقال أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ، فقال: **"نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَىٰ قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ"**[٣].

إن العمل واجب على الإنسان القادر؛ ذلك لأن المجتمعات لن يكتب لها النجاح والرقي إلا بعمل أبنائها في مختلف المجالات، وتحفيزهم على البذل والعطاء ونبذ الاتكال، ولا شك أن الأعمال توجب علىٰ شاغلها مهام والتزامات، مقابل تمتع بحقوق مادية وامتيازات، أو رجاء الثواب الأخروي، فلابد أن نعلم أن العمل مسؤولية وأمانة عظيمة لا يقوم به إلا الأكفاء، ولا يستحقه إلا الصالحون الذين توافرت فيهم شروط القيام بالأعمال وحسن أدائها.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١/ ١٣٩).

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٧٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٦٢).

* **الحث علىٰ تولية الأكفاء:**

١- لقد حثت السنة المطهرة علىٰ مراعاة مبدأ الأحقية والكفاءة والامتياز في المجتمع المسلم، وقدمت ذويها علىٰ من دونهم تقديرا لتفوقهم واعترافا بأهليتهم.

فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ**"(١).

وعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه في قصة مشروعية الأذان أن النبي ﷺ قال له: "**قُمْ مَعَ بِلاَلٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ فَإِنَّهُ أَنْدىٰ صَوْتًا مِنْكَ**"(٢).

ولقد كان يمتحن الصحابة في القوة والرمي حال تجهيز الجيش للغزو، فيقدم الكفء القوي، ولذلك رد رافع بن خديج يوم بدر لصغر سنه وأجازه يوم أحد(٣).

٢- لقد وضع رسول الله ﷺ منهجًا عامًّا لمن يتولىٰ أي إمارة، فعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "**يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا**(٤).

٣- لقد نصح النبي ﷺ أصحابه أن يتولى الأعمالَ الأكفاءُ الذين يقدرون عليها، ويجنبوا غير الأكفاء، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني قال: **فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي ثُمَّ** قال: "**يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدى الذِي**

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٧)، وابن ماجه (٧٠٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥١٢).

(٣) الإصابة لابن حجر (٢/ ٤٣٦).

(٤) أخرجه البخاري (٦٧٢٢)، ومسلم (١٦٥٢).

عَلَيْهِ فِيهَا"[١].

وفي رواية أخرىٰ أن النبي ﷺ قال: "**يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّىٰ أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّىٰ أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِىٰ فَلاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى ٱثْنَيْنِ وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ**"[٢].

قال النووي رحمه الله: هٰذا الحديث أصل عظيم في ٱجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلًا لها أو كان أهلًا ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالىٰ يوم القيامة ويفضحه ويندم علىٰ ما فرط، وأما من كان أهلًا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة[٣].

٤- لقد علَّمنا النبي ﷺ أن ٱختيار الوظائف والمهمات يكون علىٰ وفق الكفاءات وليس فيه محسوبيات، فكان ﷺ عندما يعين الأمراء كان يضع صاحب الكفاءة الإدارية في مكانته التي تليق به، إذ لم يكن الأمير من المقربين من رسول الله ﷺ بقدر ما كان من المؤهلين علىٰ تولية الإمارات، فقد ولى النبي ﷺ إمارة اليمن لباذان بن ساسان - من ولد بهرام جور- أمره رسول الله ﷺ علىٰ أهل اليمن كلها بعد موت كسرىٰ، فهو أول أمير في الإسلام على اليمن، وأول من أسلم من ملوك العجم، ثم أمر رسول الله ﷺ بعد موت باذان ابنه شهر بن باذان علىٰ صنعاء وأعمالها، ثم قتل شهر، فأمر رسول الله ﷺ علىٰ صنعاء خالد بن سعيد بن العاص، وولىٰ رسول الله ﷺ المهاجر بن أبي أمية المخزومي رضي الله عنه كندة والصدف[٤].

حرص الخلفاء والأمراء على ٱختيار الأكفاء:

١- سبق ذكر طريقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ٱختيار الأمراء والولاة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٥). (٢) أخرجه مسلم (١٨٢٦).

(٣) شرح النووي علىٰ مسلم (١٢/ ٢١٠).

(٤) زاد المعاد لابن القيم (١/ ١٢٥).

٢- ولقد ٱستخلف نافع بن عبد الله الخزاعي رضي الله عنه عبد الرحمن بن أبزىٰ رضي الله عنه علىٰ مكة مع أنه كان من الموالي، ولمَّا راجعه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في ذلك بقوله: ٱستخلفت عليهم مولىٰ فقال له نافع بن عبد الله الخزاعي رضي الله عنه: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض، فعَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَىٰ مَكَّةَ فَقَالَ: مَنْ ٱسْتَعْمَلْتَ عَلَىٰ أَهْلِ الوَادِي فَقَالَ: ابن أَبْزىٰ قَالَ: وَمَنْ ابن أَبْزىٰ؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عز وجل وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالفَرَائِضِ قال عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صلى الله عليه وسلم قَدْ قَالَ: "**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بهٰذا الكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**"(١).

٣- لقد حرص الخلفاء الأمويون علىٰ تولية من ٱتصف بالعلم والصلاح والأمانة، فقد ولىٰ عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- قضاء مصر لابن خذامر الصنعاني، وكان ذلك بعد سابق معرفة وتأكد من قدرة ابن خذامر علىٰ تحمل أعباء هٰذِه المهمة الثقيلة، فقد ذكر الحافظ ابن حجر سبب تعيين عمر بن عبد العزيز لابن خذامر قوله: وفد من أهل مصر وفد علىٰ سليمان بن عبد الملك منهم ابن خذامر الصنعاني، فسألهم سليمان عن شيء من أهل المغرب، فأخبروه، وأبى ابن خذامر أن يتكلم، فلما خرجوا، قال له عمر بن عبد العزيز - رحمه الله: ما منعك من الكلام يا أبا مسعود؟ قال: خفت والله أن أكذب. فعرفها له عمر، فلما ولي كتب إلىٰ أيوب بن شراحبيل بولاية ابن خذامر القضاء، فولي القضاء من سنة مائة إلىٰ سنة خمس ومائة(٢).

٤- ولقد كان الخلفاء ينصحون ولاتهم عند بداية أعمالهم في ولاياتهم حرصًا منهم أن يكونوا علىٰ قدر المسئولية فقد ولىٰ عبد الملك بن مروان

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٧).

(٢) رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر (١/ ٨٧).

أخاه عبد العزيز إمارة مصر، فكان مما نصحه به: ٱبسط بشرك، وألن كنفك، وآثر الرفق في الأمور فهو أبلغ لك، وانظر حاجبك وليكن من خير أهلك فإنه وجهك ولسانك، ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه؛ لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده، فإذا خرجت إلىٰ مجلسك فابدأ جلساءك بالكلام يأنسوا بك، وتثبت في قلوبهم محبتك، وإذا ٱنتهىٰ إليك مشكل فاستظهر عليه بالمشورة فإنها تفتح مغاليق الأمور المبهمة، واعلم أن لك نصف الرأي ولأخيك نصفه، ولن يهلك ٱمرؤ عن مشورة، وإذا سخطت علىٰ أحد فأخر عقوبته فإنك على العقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك علىٰ ردِّها بعد إصابتها(١).

أقوال العلماء في تولية الأكفاء:

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: نخير الإمام بين الأمرين تخيير رأي ومصلحة، لا تخيير شهوة ومشيئة وهكذا سائر ما يخير فيه ولاة الأمر ومن تصرف لغيره بولاية كناظر الوقف ووصي اليتيم والوكيل المطلق لا يخيرون تخيير مشيئة وشهوة، بل تخيير ٱجتهاد ونظر وطلب الجواز الأصلح. كالرجل المبتلىٰ بعدوَّين وهو مضطر إلى الأبتداء بأحدهما فيبتدئ بماله أنفع. كالإمام في تولية من يوليه من ولاة الحرب والحكم والمال يختار الأصلح فالأصلح للمسلمين. فمن ولىٰ رجلًا علىٰ عصابة وهو يجد فيهم من هو أرضىٰ لله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين(٢).

- قال الشوكاني رحمه الله: ولا يولىٰ غير الكفء لأن فيه تهمة(٣).

إذا فالإسلام جعل للكفاءة والأهلية من المحل والعناية والاعتبار ما يكفل به لكل مجتمع واعٍ أن يحيا حياة الجد والاستقرار والتوازن في الٱحتياج

---

(١) تاريخ ابن خلدون (٣/ ٥٨).

(٢) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤/ ١١٩).

(٣) نيل الأوطار للشوكاني (٩/ ١٣١).

والإنتاج، ولأجل ذلك فإن المجتمع الذي يسوده ٱحترام بعضه بعضًا، وتقدير أصحاب الكفاءات، والاعتبار بالأولوية للأهلية وذوي الٱمتياز، ليعد مجتمعًا متكامل الرؤىٰ متحد المضامين، قد بنىٰ أسسه علىٰ شرعة من الحق والعدل والقيم والأخلاق.

ومن أهم أسباب التردي الذي يشهده معظم العالم العربي والإسلامي اليوم، هو وضع غير الأكفاء في مواقع ومناصب مهمة، فقد أصبحت المعايير والمؤهلات التي يختار علىٰ أساسها المسئولون هي ضعف الشخصية، والجبن، والقدرة على النفاق، والمكر، والمدح، والاستعداد للخضوع لصاحب المسئولية الأعلىٰ، والجاهزية لقبول إهاناته، وهي معايير ومؤهلات يبحث عنها المغرورون المتكبرون، غير المخلصين.

خامسًا: الحرص على الشهرة:

تعريف الحرص:

قال ابن فارس: الحرص: الجشع والإفراط في الرغبة[١].

وقال ابن منظور: هو شدة الإرادة والشره إلى المقصود[٢].

تعريف الشهرة:

قال ابن فارس: الشهرة: وضوح الأمر[٣].

وقال ابن منظور: الشهرة: ظهور الشيء في شنعة حتىٰ يظهره الناس[٤].

ومن هنا يمكن تعريف الحرص على الشهرة بأنها: شدة المحبة والحرص على الظهور بين الناس.

الأدلة من القرآن علىٰ ذم طلب الشهرة:

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٠).
(٢) لسان العرب لابن منظور (٧/ ١١).
(٣) مقاييس اللغة (٣/ ٢٢٢).
(٤) لسان العرب (٤/ ٤٣١).

١- قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

قال الطبري: يقول تعالىٰ ذكره: تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرًا عن الحق في الأرض وتجبرًا عنه ولا فسادًا. يقول: ولا ظلم الناس بغير حق، وعملًا بمعاصي الله فيها[١].

قال الحسن: لا يريدون علوًّا في الأرض قال: الشرف والعز، عند ذوي سلطانهم[٢].

وقال معاوية الأسود: لم ينازعوا أهلها في عزها التجبر والتكبر ولم يجزعوا من ذلها[٣].

٢- وقال تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: ١٨- ٢٠].

قال الطبري: يقول تعالىٰ ذكره: من كان طلبه الدنيا العاجلة ولها يعمل ويسعىٰ، وإياها يبتغي، لا يوقن بمعاد، ولا يرجو ثواباً ولا عقابًا من ربه علىٰ عمله ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ يقول: يعجل الله له في الدنيا ما يشاء من بسط الدنيا عليه، أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به، أو إهلاكه بما يشاء من عقوباته. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾ يقول: ثم أصليناه عند مقدمه علينا في الآخرة جهنم، ﴿مَذْمُومًا﴾ علىٰ قلة شكره إيانا، وسوء صنيعه فيما سلف من أيادينا عنده في الدنيا ﴿مَّدْحُورًا﴾ يقول: مبعدًا: مقصىً في النار[٤].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٦٣٧).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٣).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٣).
(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٤٠٩).

لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ [هود: ١٥].

قال القرطبي: وقيل: المراد بالآية المؤمنون، أي من أراد بعمله ثواب الدنيا عجل له الثواب ولم ينقص شيئًا في الدنيا، وله في الآخرة العذاب لأنه جرد قصده إلى الدنيا، وهٰذا كما قال ﷺ: "**إنما الأعمال بالنيات**" فالعبد إنما يعطىٰ علىٰ وجه قصده، وبحكم ضميره، وهٰذا أمر متفق عليه في الأمم بين كل ملة. وقيل: هو لأهل الرياء، وفي الخبر أنه يقال لأهل الرياء: " صمتم وصليتم وتصدقتم جاهدتم وقرأتم ليقال ذلك فقد قيل ذلك" ثم قال: " إن هٰؤلاء أول من تسعر بهم النار". رواه أبو هريرة، ثم بكىٰ بكاء شديدًا وقال: صدق رسول الله ﷺ، قال الله تعالىٰ: " من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها" وقرأ الآيتين(١).

٤- وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

قال الزحيلي: أي أن كل أعمالي ومقاصدي محصورة في طاعة الله ورضوانه، فهي آية جامعة لكل الأعمال الصالحة، وعلى المسلم أن يكون قصده وعمله وكل ما يقدمه من عمل هو وجه الله تعالىٰ، سواء في أثناء حياته، أو ما يعقبه من عمل صالح بعد مماته، هو لله، وإلىٰ الله، وفي سبيل الله، ولطاعة الله تعالىٰ(٢).

الأدلة من السنة:

١- عَنِ ابن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الأنْصَارِيّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا في غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى**

(١) تفسير القرطبي (٩/ ١٤)، والحديث أخرجه مسلم (١٩٠٥)، والترمذي (٢٣٨٢) واللفظ له.

(٢) التفسير المنير للزحيلي (٨/ ١٢٥).

المَالِ، وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ"[(١)].

قال ابن رجب: فهٰذا مثل عظيم جدًّا ضربه النبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين يأتيا في الغنم، وقد غاب عنها رعاؤها ليلًا، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها.

ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هٰذِه إلا قليل، فأخبر النبي ﷺ أن حرص المرء على المال والشرف، إفساده لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهٰذِه الغنم؛ بل إما أن يكون مساويًا وإما أكثر، يشير إلىٰ أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل، كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل.

فهٰذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا[(٢)].

وقال أيضًا: وأما حرص المرء على الشرف فهٰذا أشد هلاكًا من الحرص على المال فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها، والرياسة على الناس والعلو في الأرض أضر على العبد من طلب المال، وضرره أعظم، والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف[(٣)].

٢- وعن عَامِرِ بْن سَعْدٍ، قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ في إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابنهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَآهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بالله مِنْ شَرِّ هٰذا الرَّاكِبِ، فَنَزَلَ فقال لَهُ:

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٧٩٤)، والترمذي (٢٣٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٢٠).

(٢) شرح حديث ما ذئبان جائعان ضمن مجموع رسائل ابن رجب الحنبلي (١/ ٦٤) .

(٣) مجموع رسائل ابن رجب الحنبلي (١/ ٧٠-٧١).

أَنزَلْتَ في إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ المُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ في صَدْرِهِ، فَقَالَ: ٱسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: "**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ**"[(١)].

قال النووي: المراد بالغنىٰ غنى النفس هٰذا هو الغنى المحبوب لقوله ﷺ: ولكن الغنىٰ غنى النفس. وأشار القاضي إلىٰ أن المراد الغنىٰ بالمال وأما الخفي فمعناه الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه[(٢)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: الخفي: هو الذي لا يظهر نفسه، ولا يهتم أن يظهر عند الناس، أو يشار إليه بالبنان، أو يتحدث الناس عنه، تجده من بيته إلى المسجد، ومن مسجده إلىٰ بيته، ومن بيته إلىٰ أقاربه وإخوانه خفي، يخفي نفسه.

ولكن لا يعني ذلك أن الإنسان إذا أعطاه الله علمًا أن يتقوقع في بيته ولا يعلم الناس، هٰذا يعارض التقىٰ، فتعليمه الناس خيرٌ من كونه يقبع في بيته ولا ينفع الناس بعلمه، أو يقعد في بيته ولا ينفع الناس بماله.

لكن إذا دار الأمر بين أن يلمع نفسه ويظهر نفسه ويبين نفسه، وبين أن يخفيها، فحينئذ يختار الخفاء، أما إذا كان لا بد من إظهار نفسه فلا بد أن يظهرها، هٰذا ممن يحبه الله ﷻ، وفيه الحث علىٰ أن الإنسان يكون خفيًّا، يكون غنيًّا عن غيره عن غير الله ﷻ، يكون تقيًّا لربه ﷻ حتىٰ يعبد الله ﷻ في خير وعافية[(٣)].

٤- وعَنِ ابن عُمَرَ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ في الدُّنْيا، أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ القِيَامَةِ**"[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

(٢) شرح مسلم للنووي (١٨/ ١٠٠)بتصرف.

(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣/ ٥١٠-٥١١).

قال الطيبي: قوله: (ثوب شهرة): الشهرة ظهور الشيء في شنعة بحيث يشتهر به صاحبه.

والمراد بثوب شهرة ما لا يحل لبسه وإلا لما رتب الوعيد عليه، أو ما يقصد بلبسه التفاخر والتكبر على الفقراء، والإذلال بهم وكسر قلوبهم، أو ما يتخذه المساخر ليجعل به نفسه ضحكة بين الناس، أو ما يرائي به من الأعمال، فكنىٰ بالثوب عن العمل الصالح وهو الشائع. أقول: والوجه الثاني أظهر؛ لقوله ﷺ: **(ألبسه الله ثوب مذلة)**: أي يشمله بالذل كما يشمل الثوب البدن[١].

السلف الصالح وخوفهم وتحذيرهم من طلب الشهرة:

١- عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: شهدت خيبر، وكنت فيمن صعد الثلمة، فقاتلت حتىٰ رئي مكاني، وعلي ثوب أحمر، فما أعلم أني ركبت في الإسلام ذنبًا أعظم علي منه - أي: الشهرة[٢].

٢- عن إبراهيم بن يزيد النخعي والحسن قالا: كفىٰ بالمرء شرا أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصم الله، التقوىٰ ها هنا يومئ إلىٰ صدره ثلاث مرات[٣].

٣- وقال الأعمش: كان إبراهيم النخعي يتوقى الشهرة، فكان لا يجلس إلى الأسطوانة، وكان إذا سئل عن مسألة لم يزد عن جواب مسألته، فأقول له في الشيء يسأل عنه: أليس فيه كذا وكذا؟ فيقول: إنه لم يسألني عن هٰذا[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٥٦٦٤)، وابن ماجه (٣٦٠٧)، وحسنه الألباني في المشكاة (٤٣٤٦).

(٢) شرح الطيبي علىٰ مشكاة المصابيح (٩/ ٢٩٠١).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٤٧٠).

(٤) الحلية لأبي نعيم (٤/ ٢٣٢).

٤- وقال ثابت: قال لي محمد بن سيرين: " يا أبا محمد لم يكن يمنعني من مجالستكم إلا مخافة الشهرة، فلم يزل بي البلاء حتىٰ أقمت على المصطبة فقيل: هٰذا محمد بن سيرين أكل أموال الناس " وكان عليه دين كثير[١].

٥- وقال بشر بن الحارث: إذا عرفت في موضع فاهرب منه، وإذا رأيت الرجل إذا اجتمعوا إليه في موضع لزمه واشتهر ذاك فهو يحب الشهرة[٢].

٦- وقال إبراهيم بن أدهم: ما صدق الله عبد أحب الشهرة[٣].

٧- وقال أبو بكر بن عياش: أدنىٰ نفع السكوت السلامة، وكفىٰ بالسلامة عافية وأدنىٰ ضرر النطق الشهرة، وكفىٰ بالشهرة بلية[٤].

٨-عن الحسين بن محمد البغدادي قال: سمعت أبي يقول: زرت بشر بن الحارث فقعدت معه مليًّا، فما زادني علىٰ كلمة، قال: ما اتقىٰ الله من أحب الشهرة[٥].

مظاهر الحرص على الشهرة:

١- حب الظهور.

٢- حب الرياسة.

٣- حب اطلاع الناس على العمل.

٤- حب السلطة الإمارة.

٥- حب التصدر.

٦- المراءاة والتسميع بالأعمال.

---

(١) الحلية لأبي نعيم (٤/ ٢١٩).

(٢) الحلية لأبي نعيم (٢/ ١٧١).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٠/ ٢٠٦).

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٨/ ٣١).

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (٨/ ٣٠٣).

(٦) تاريخ دمشق لابن عساكر (٨/ ٣٤٦).

٧- افتعال المواقف ليرىٰ بين الناس.

٨-أن ينسب لنفسه أعمالًا لم يقم بها.

٩- أنتقاص الآخرين طلبًا لرفعة النفس.

١٠- لبس ملابس الشهرة.

١١-دائم الحديث عن نفسه في كل مجلس.

سادسًا: رؤية العمل

رؤية العمل آفة قلبية هي إحدىٰ مظاهر داء العجب بالنفس.

وهي آفة تتناقض مع الإخلاص، وقد ذم الله المرائين بأعمالهم، وهٰذِه بعض الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدثر: ٦].

قال الطبري: وأولى الأقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال: معنىٰ ذلك: ولا تمنن علىٰ ربك من أن تستكثر عملك الصالح.

عن الحسن في قوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ قال: لا تمنن عملك تستكثره علىٰ ربك.

عن الربيع بن أنس ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ قال: لا يكثر عملك في عينك، فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل[١].

قال القرطبي: عن مجاهد والربيع: لا تعظم عملك في عينك أن تستكثر من الخير، فإنه مما أنعم الله عليك، وقال ابن كيسان: لا تستكثر عملك فتراه من نفسك، إنما عملك منة من الله عليك، إذ جعل الله لك سبيلًا إلىٰ عبادته[٢].

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (٢٣/ ١٥-١٦)بتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/ ٦٧).

٢- وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

قال أبو السعود: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ لترتيب النهي عن تزكية النفس علىٰ ما سبق من أن عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالىٰ مع علمه بصدوره عنكم أي إذا كان الأمر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية أو بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير، بل ٱشكروا الله تعالىٰ علىٰ فضله ومغفرته .﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ المعاصي جميعًا، وهو ٱستئناف مقرر للنهي ومشعر بأن فيهم من يتقيها بأسرها، وقيل: كان ناس يعملون أعمالًا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهٰذا إذا كان بطريق الإعجاب أو الرياء فأما من ٱعتقد أن ما عمله من الأعمال الصالحة من الله تعالىٰ وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم فإن المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر[١].

ومن السنة:

١- عَنِ ابن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُنَجِّيَاتٍ، وَثَلَاثٌ كَفَّارَاتٌ، وَثَلَاثٌ دَرَجَاتٌ. فَأَمَّا المُهْلِكَاتُ: فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوىٰ مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ. وَأَمَّا المُنَجِّيَاتُ: فَالعَدْلُ في الغَضَبِ، وَالرِّضَىٰ، وَالقَصْدُ في الفَقْرِ، وَالغِنَىٰ، وَخَشْيَةُ اللهِ في السِّرِّ، وَالعَلَانِيَةِ...**"[٢].

قال المناوي: (وإعجاب المرء بنفسه) أي تحسين كل أحد نفسه علىٰ غيره وإن كان قبيحًا. قال القرطبي: وإعجاب المرء بنفسه هو ملاحظة لها بعين الكمال مع النسيان لنعمة الله والإعجاب وجدان شيء حسنا، قال تعالىٰ في قصة قارون ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ قال الله تعالىٰ ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ﴾ فثمرة العجب الهلاك قال الغزالي: ومن آفات العجب أنه يحجب عن التوفيق

(١) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٨/ ١٦٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٧٥٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٠٢).

والتأييد من الله تعالىٰ فإن عجب مخذول فإذا ٱنقطع عن العبد التأييد والتوفيق فما أسرع ما يهلك قال عيسىٰ عليه الصلاة والسلام: يا معشر الحواريين كم سراج قد أطفأته الريح وكم عابد أفسده العجب[١].

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ**" قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "**وَلاَ أَنَا، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا**"[٢].

قال ابن حجر: قال الرافعي: في الحديث أن العامل لا ينبغي أن يتكل علىٰ عمله في طلب النجاة ونيل الدرجات لأنه إنما عمل بتوفيق الله وإنما ترك المعصية بعصمة الله فكل ذلك بفضله ورحمته.

٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذْنِبُونَ خَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ العُجْبَ العُجْبَ**"[٣].

قال المناوي: (لو لم تكونوا تذنبون لخفت عليكم) وفي رواية لخشيت (ما هو أكبر من ذلك العجب العجب) لأن العاصي يعترف بنقصه فترجىٰ له التوبة، والمعجب مغرور بعمله فتوبته بعيدة ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ولأن دوام الطاعة يوقع فيه ولهٰذا قيل: أنين المذنبين أحب إلىٰ الله من زجل المسبحين؛ لأن زجلهم يشوبه الٱفتخار وأنين أولئك يشوبه الٱنكسار والافتقار، والمؤمن حبيب الله يصونه ويصرفه عما يفسده إلىٰ ما يصلحه، والعجب يصرف وجه العبد عن الله والذنب يصرفه إليه، والعجب يقبل به علىٰ نفسه، والذنب يقبل به علىٰ ربه؛ لأن العجب ينتج الٱستكبار والذنب ينتج الٱضطرار ويؤدي إلى الٱفتقار وخير أوصاف العبد ٱفتقاره واضطراره

---

(١) فيض القدير للمناوي (٣/ ٣٠٧)

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٣)بلفظه، ومسلم (٢٨١٦) بنحوه.

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٦٨٦٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٠٣).

إلىٰ ربه فتقدير الذنوب وإن كانت سترًا ليست لكونها مقصودة لنفسها بل لغيرها وهو السلامة من العجب.

مسائل متفرقة في العجب:

*** هل السرور بالعمل والفرح به يدخل في العجب؟**

قال ابن عقيل: الإعجاب ليس بالفرح والفرح لا يقدح في الطاعات لأنها مسرة النفس بطاعة الرب ﷻ، ومثل ذلك مما سر العقلاء وأبهج الفضلاء،... وإنما الإعجاب ٱستكثار ما يأتي به من طاعة الله ﷻ ورؤية النفس بعين الٱفتخار[١].

وقال العز بن عبد السلام: ومن فرح بالعمل بكونه منة من الله تعالىٰ واستعظمه لما يرجو عليه من ثواب الله ﷻ ولم يضف ذلك إلىٰ نفسه ولم يحمدها عليه فليس بمعجب. وكذلك إذا علمت أن كل نعمة من الله ثم ٱستعظمت شيئًا من أعمالك ناسيًا غافلًا عن كونه من الله تعالىٰ ومن نفسك غير حامد لنفسك عليه فلست بمعجب ولو ٱستحضرت كونها من الله تعالىٰ كان ذلك أفضل. فالفرح بنسبة النعم إلىٰ الله تعالىٰ مأمور به في كتاب الله في قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ وإنما الشر والإعجاب في نسبة تلك النعم إلى النفس ونسيان كونها من الله تعالىٰ وما أجدر من فعل ذلك أن يكله الله ﷻ إلىٰ نفسه كما فعل بأصحاب رسول الله ﷺ تسليمًا يوم حنين إذ أعجبتهم كثرتهم فنسبوا النصر إلى الكثرة ونسوا نسبته إلىٰ الله تعالىٰ: ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ فخذلوا فهزموا مع أنهم خير خلق الله[٢].

*** بيان منشأ العجب، وأنه ليس من شأن العقلاء:**

قال السفاريني: العجب إنما يكون ويوجد من الإنسان لاستشعار وصف

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ١٣٣).

(٢) مقاصد الرعاية للعز بن عبد السلام (ص١٣١-١٣٢).

كمال، ومن أعجب بعمله ٱستعظمه فكأنه يمن علىٰ الله ﷻ بطاعته، وربما ظن أنها جعلت له عند الله موضعًا، وأنه قد ٱستوجب بها جزاء، ويكون قد أهلك نفسه، فقد قال عليه الصلاة والسلام ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوىٰ متبع، وإعجاب المرء بنفسه وربما منعه عجبه من الاٌزدياد، ولهٰذا قالوا: عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله، وما أضر العجب بالمحاسن.

وسبب العجب وعلته الجهل المحض، ومن أعجب بطاعته مثلًا فما فهم أنها بالتوفيق حصلت.

فإن قال: رآني أهلا لها فوفقني، قيل له: فتلك نعمة من منه وفضله فلا تقابل بالإعجاب[1].

مهالك العجب:

قال العز بن عبد السلام: واعلم أنك إذا ٱستقمت وقمعت نفسك ٱستعظمت أفعالك فأعجبت بذلك فألقتك في مهالك العجب الذي أهلك كثيرًا من العالمين والعابدين والزاهدين؛ لأن من أعجب بعمله: لم ير لنفسه ذنبًا فيتوب منه، ولم ير لنفسه تقصيرًا فيقلع عنه.

فالعجب: معمٍ لأكثر الذنوب والعيوب، موجب لاستعظام الطاعات والإدلال بها علىٰ رب السماوات مفضٍ إلى العزة والكبر والتعظيم على العباد حتىٰ يصير المعجب كأن له منة علىٰ الله تعالىٰ لاستعظامه أعماله، وكذلك يمن علىٰ عباد الله بما يسديه إليهم من معروفه وإحسانه في زعمه فما أجدره بأن يحبط الله عمله بإعجابه ويكله ربه علىٰ نفسه[2].

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٢٢٥).

(٢) مقاصد الرعاية للعز بن عبد السلام (ص١٢٩-١٣٠).

سابعًا: غياب الترشيد في النفقات (الإسراف في غير محله)

تعريف الإسراف في اللغة:

قال ابن منظور: السرف والإسراف: مجاوزة القصد، وأسرف في ماله: عجل من غير قصد، وأما السرف الذي نهىٰ الله عنه، فهو ما أنفق في غير طاعة الله، قليلا كان أو كثيرًا.

والإسراف في النفقة: التبذير[١].

تعريف الإسراف في الاْصطلاح والفرق بينه وبين التبذير:

* الإسراف: هو إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس.

* الإسراف: تجاوز الحد في النفقة، وقيل: أن يأكل الرجل ما لا يحل له، أو يأكل مما يحل له فوق الاْعتدال، ومقدار الحاجة.

* وهو أيضًا: صرف الشيء فيما ينبغي زائدًا علىٰ ما ينبغي؛ بخلاف التبذير: فإنه صرف الشيء فيما لا ينبغي[٢].

قال الحافظ ابن حجر: والإسراف مجاوزة الحد في كل فعل أو قول وهو في الإنفاق أشهر[٣].

القصد بين الإسراف والتقتير:

قال الراغب: الإنفاق ضربان: ممدوح ومذموم.

فالممدوح: منه ما يكسب صاحبه العدالة، وهو بذل ما أوجبت الشريعة بذله، كالصدقة المفروضة، والإنفاق على العيال، ومنه ما يكسب صاحبه

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٩/ ١٤٨).

(٢) التعريفات للجرجاني (ص٢٣-٢٤)، وانظر: التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي (ص٥٠)، الكليات للكفوي (ص١١٣)، المفردات للراغب الأصفهاني (ص٤٠٧-٤٠٨).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٥٣).

أجرًا وهو الإنفاق علىٰ من ألزمت الشريعة الإنفاق عليه، ومنه ما يكسب صاحبه الحرية، وهو بذل ما ندبت الشريعة إلىٰ بذله، فهٰذا يكتسب من الناس شكرًا، ومن ولي النعمة أجرًا.

والمذموم ضربان:

إفراط: وهو التبذير والإسراف، وتفريط: وهو التقتير والإمساك، وكلاهما يراعىٰ فيه الكيفية والكمية.

فالتبذير من جهة الكمية: أن يعطي أكثر مما يحتمله حاله، ومن جهة الكيفية: فبأن يضعه في غير موضعه، والاعتبار فيه بالكيفية أكثر منه بالكمية، فرب منفق درهمًا من ألوف وهو في إنفاقه مسرف وببذله مفسد ظالم، كمن أعطىٰ فاجرة درهمًا، أو ٱشترىٰ خمرًا.

ورب منفق ألوفًا لا يملك غيرها هو فيها مقتصد وببذلها مجتهد، كما روي في شأن الصديق أبي بكر رضي الله عنه.

وقد قيل لحكيم: متىٰ يكون بذل القليل إسرافًا والكثير ٱقتصادًا، قال: إذا كان بذل القليل في باطل وبذل الكثير في حق.

والتقتير من جهة الكمية أن ينفق دون ما يحتمله حاله، ومن حيث الكيفية أن يمنع من حيث يجب، ويضع حيث لا يجب...

وليس الإسراف متعلقًا بالمال فقط، بل بكل شيء وضع في غير موضعه اللائق به، ألا ترىٰ أن الله تعالىٰ وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر في غير المحرث، فقال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾[1].

الأدلة من القرآن علىٰ ذم الإسراف:

١- قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

---

(١) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (ص٢٨٥-٢٨٦) بتصرف يسير.

قال الطبري: السرف الذي نهىٰ الله عنه في هٰذِه الآية، مجاوزة القدر في العطية إلىٰ ما يجحف برب المال[١].

وقال ابن كثير: قيل معناه: لا تسرفوا في الإعطاء فتعطوا فوق المعروف[٢].

وقال ابن عاشور: فبين أن الإسراف من الأعمال التي لا يحبها، فهو من الأخلاق التي يلزم الأنتهاء عنها[٣].

٢- ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال السعدي: والإسراف إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي والشره في المأكولات الذي يضر بالجسم، وإما أن يكون بزيادة الترفه والتنوق في المآكل والمشارب واللباس، وإما بتجاوز الحلال إلى الحرام.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ فإن السرف يبغضه الله، ويضر بدن الإنسان ومعيشته، حتىٰ إنه ربما أدت به الحال إلىٰ أن يعجز عما يجب عليه من النفقات[٤].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

قال السعدي: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ﴾ النفقات الواجبة والمستحبة ﴿لَمْ يُسْرِفُواْ﴾ بأن يزيدوا على الحد فيدخلوا في قسم التبذير وإهمال الحقوق الواجبة، ﴿وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ فيدخلوا في باب البخل والشح ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بين الإسراف والتقتير ﴿قَوَامًا﴾ يبذلون في الواجبات من الزكوات والكفارات والنفقات الواجبة، وفيما ينبغي على الوجه الذي ينبغي من غير ضرر ولا ضرار وهٰذا من عدلهم واقتصادهم[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٦١٤).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٣).
(٣) التحرير والتنوير (٨/ ١٢٣).
(٤) تفسير السعدي (ص٢٨٧).
(٥) تفسير السعدي (٥٨٦).

٤- وقال تعالىٰ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

قال ابن كثير: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ لما أمر بالإنفاق نهىٰ عن الإسراف فيه، بل يكون وسطا، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧﴾ الفرقان: ٦٧].

ثم قال: منفرا عن التبذير والسرف: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي: أشباههم في ذلك.

وقال ابن مسعود: التبذير: الإنفاق في غير حق. وكذا قال ابن عباس.

وقال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق، لم يكن مبذرًا، ولو أنفق مدًّا في غير حقه كان تبذيرًا.

وقال قتادة: التبذير: النفقة في معصية الله تعالىٰ، وفي غير الحق وفي الفساد(١).

الأدلة من السنة:

١- عَنِ المُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: قال النَّبِيُّ ﷺ: "**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ**"(٢).

قال القاضي عياض: وأما "إضاعة المال" يكون في تعطيله، وترك القيام عليه، أو مصلحته، مصلحة دنياه، ومصلحة دنياه صلاح دينه بتفرغ باله له، وتركه التعرض لما في أيدي الناس. وقد تكون إضاعته إنفاقه فىٰ غير وجوهه والإسراف فىٰ ذلك(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (٥٩٣).

(٣) إكمال المعلم للقاضي عياض (٥/ ٥٦٩).

وقال النووي: وأما إضاعة المال فهو صرفه في غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف وسبب النهي أنه إفساد والله لا يجب المفسدين ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس[(١)].

وقال ابن حجر: قوله وإضاعة المال تقدم في الاستقراض أن الأكثر حملوه على الإسراف في الإنفاق، وقيده بعضهم بالإنفاق في الحرام، والأقوىٰ أنه ما أنفق في غير وجهه المأذون فيه شرعًا سواء كانت دينية أو دنيوية فمنع منه لأن الله تعالىٰ جعل المال قيامًا لمصالح العباد، وفي تبذيرها تفويت تلك المصالح إما في حق مضيعها وإما في حق غيره، ويستثنىٰ من ذلك كثرة إنفاقه في وجوه البر لتحصيل ثواب الآخرة ما لم يفوت حقًا أخرويًا أهم منه.

والحاصل في كثرة الإنفاق ثلاثة أوجه:

الأول: إنفاقه في الوجوه المذمومة شرعا فلا شك في منعه.

والثاني: إنفاقه في الوجوه المحمودة شرعًا فلا شك في كونه مطلوبًا بالشرط المذكور.

والثالث: إنفاقه في المباحات بالأصالة كملاذ النفس فهٰذا ينقسم إلىٰ قسمين:

أحدهما: أن يكون علىٰ وجه يليق بحال المنفق وبقدر ماله فهٰذا ليس بإسراف.

والثاني: ما لا يليق به عرفًا، وهو ينقسم أيضًا إلىٰ قسمين: أحدهما ما يكون لدفع مفسدة إما ناجزة أو متوقعة فهٰذا ليس بإسراف.

والثاني: ما لا يكون في شيء من ذلك فالجمهور علىٰ أنه إسراف[(٢)].

---

(١) شرح مسلم للنووي (١٢/ ١١).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٤٠٨).

٢- عَنْ عبد الله بن عمرو، قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالبَسُوا في غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلاَ مَخِيلَةٍ**"[١].

قال ابن حجر: والإسراف مجاوزة الحد في كل فعل أو قول وهو في الإنفاق أشهر،...

قال الموفق عبد اللطيف البغدادي: هٰذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه، وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة، فإن السرف في كل شيء يضر بالجسد ويضر بالمعيشة فيؤدي إلى الإتلاف ويضر بالنفس إذ كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال والمخيلة تضر بالنفس حيث تكسبها العجب وتضر بالآخرة حيث تكسب الإثم وبالدنيا حيث تكسب المقت من الناس[٢].

٣- وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قال النَّبِيُّ ﷺ: "**لاَ حَسَدَ إِلاَّ في ٱثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**"[٣].

قال العيني: قوله: (فسلط علىٰ هلكته) في هٰذِه العبارة مبالغتان: إحداهما: التسليط فإنه يدل على الغلبة وقهر النفس المجبولة على الشح البالغ، والأخرىٰ: لفظ: علىٰ هلكته، فإنه يدل علىٰ أنه لا يُبقي من المال شيئًا، ولما أوهم اللفظان التبذير، وهو صرف المال فيما لا ينبغي، ذكر قوله: (في الحق)، دفعًا لذلك الوهم[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٦٦٩٥)، والنسائي (٢٥٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٠٥).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣) ومسلم (٨١٦).

(٤) عمدة القاري للعيني (٢/ ٥٨).

الوسائل المعينة لترك الإسراف والتبذير:

١ - الٱعتدال في النفقة:

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

قال ابن كثير: أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء علىٰ أهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلا خيارًا، وخير الأمور أوسطها[(١)].

٢ - البعد عن مجالسة المسرفين والمبذرين:

ويكون بالانقطاع عن صحبة المسرفين، مع الٱرتماء في أحضان ذوى الهمم العالية والنفوس الكبيرة، الذين طرحوا الدنيا وراء ظهورهم، وكرَّسوا كل حياتهم من أجل ٱستئناف حياة إسلامية كريمة، تصان فيها الدماء والأموال والأعراض، ويقام فيها حكم الله ﷻ في الأرض، غير مبالين بما أصابهم ويصيبهم في ذات الله، فإن ذلك من شأنه أن يقضي علىٰ كل مظاهر السرف والدعة والراحة، بل ويجنبنا الوقوع فيها مرة أخرىٰ، لنكون ضمن قافلة المجاهدين وفي موكب السائرين[(٢)].

٣ - قراءة سيرة النبي ﷺ:

كان رسول الله ﷺ زاهدًا عن هٰذِه الدنيا وكان يحذر أمته عن الإسراف والتبذير، ويحثهم على المثابرة والتقشف، عَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابن أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إلى الهِلاَلِ، ثُمَّ الهِلاَلِ، ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ في شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ في أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ، فَقُلْتُ يَا خَالَةُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: " الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٢٤).

(٢) آفات على الطريق للسيد محمد نوح (١ / ٤٦).

ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ البَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا "[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**مَا شَبعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ طَعَامٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّىٰ قُبِضَ**»[٢].

٤ - قراءة سيرة السلف الصالح:

فالصحابة من سلف هٰذِه الأمة والتابعين لهم كانت نظرتهم لهٰذِه الدنيا أنها دار ممر لا دار مقر، وأنهم غرباء مسافرون عنها ولذلك كان عيشهم كفافًا، فقد روي عن عمر بن الخطاب أنه دخل على ابنه عبد الله رضي الله تعالىٰ عنهما فرأي عنده لحمًا، فقال: ما هٰذا اللحم؟ قال: أشتهيه قال: وكلما ٱشتهيت شيئًا أكلته؟ كفي بالمرء سرفًا أن يأكل كل ما ٱشتهاه.

ودخل سلمان علىٰ أبي بكر وهو في سكرات الموت، فقال: أوصني، فقال: إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغًا[٣].

٥ - أن يفكر في عواقب الإسراف والتبذير:

فالذي يعلم أن عاقبة الإسراف والتبذير سيئة وغير محمودة يتجنبه ولا يتمادىٰ في هٰذا الطريق.

٦ - تذكر الموت والدار الآخرة:

فالمسلم حينما يتذكر الموت وأهوال يوم القيامة لا شك أنه سيعينه علىٰ ترك الإسراف والبذخ، وسيتقرب إلىٰ الله بإنفاق ما زاد عن حاجاته، والاستعداد ليوم القيامة.

ومن العبارات والأمثلة البليغة في هٰذا الباب:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٧٤).

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٤٧٦).

- قول ابن القيم : العدل وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به فإنه متىٰ خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه أو نقص عنه ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك، وكذلك الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك إذا كانت وسطًا بين الطرفين المذمومين كانت عدلًا ، وإن ٱنحرفت إلىٰ أحدهما كانت نقصًا وأثمرت نقصًا[١].

- قول الثعالبي : من أصلح ماله فقد صان الأكرمين : الدين، والعرض. ما عال مقتصدٌ. أصلحوا أموالكم لنَبْوة الزمان، وجَفْوة السلطان. الإصلاح أحد الكاسبين. لا عيلة علىٰ مصلح، ولا مال لأخرق، ولا جود مع تبذير، ولا بخل مع ٱقتصاد. التدبير يثمر اليسير، والتبذير يبدد الكثير. حسن التدبير مع الكفاف أكفىٰ من الكثير مع الإسراف. القصد أسرع تبليغًا إلى الغاية وتحصيلًا للأمر. إن في إصلاح مالك جمال وجهك، وبقاء عزك، وصون عرضك، وسلامة دينك. التقدير نصف الكسب. أفضل القصد عند الجدة. عليك من المال بما يعولك ولا تعوله. من لم يحمد في التقدير، ولم يذم في التبذير، فهو سديد التدبير[٢].

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص١٤١).

(٢) التمثيل والمحاضرة للثعالبي (١/ ٤٢٨).

الموارد المالية
للعمل التطوعي

تمهيد

إن العمل التطوعي يقوم علىٰ عدة أسس ومقومات لا بد منها لقيامه وازدهاره، ومن أهم مقومات قيام الأعمال التطوعية وازدهارها واستمرارها المال، فالمال بالنسبة للعمل التطوعي أساس كبير تقوم عليه جل الأعمال التطوعية، فالدعوة تحتاج مع العلم إلى المال، والخدمات الاجتماعية من كفالة يتيم وإعانة فقير ومسكين ورعاية طبية وحياتية وكل مجالات العمل الخدمي عمادها يقوم على المال.

لذا فمن الضروري لكل مؤسسة خيرية وكذلك للأفراد القائمين علىٰ نشر الخير وإعانة المحتاجين الاهتمام الكبير بموارد مالية للعمل التطوعي.

وهٰذا الاهتمام يتناول:

أولاً: معرفة نوع هٰذِه الموارد حتىٰ يتم وضع آلية لتحصيلها وجمعها.

ثانيًا: تقسيمها وتوزيعها بحسب كل نوع منها وفصل كل قسم منها بحسب المصرف الخاص به.

ثالثًا: معرفة مصارف كل نوع من المال فالزكاة لها مصارفها المحددة والصدقات لا بد من معرفة أمثل موضع لها.

رابعًا: البحث والنظر في الحفاظ علىٰ هٰذِه الموارد وإنفاقها في وجهها.

خامسًا: التعاون مع الجهات الرسمية وغير الرسمية للتنسيق بينها لتوعية أصحاب الأموال والراغبين في التصدق لوضع المال في أوجهه والدعاية لهٰذا العمل لتحفيز المسلمين وبيان أهمية المال لقيام الكثير من الأعمال الضرورية للمسلمين من المحتاجين والمنكوبين.

أولا: تعريف الموارد:

الموارد لغة: هي الطرق،[١] وأكثر ما تطلق علىٰ مناهل الماء[٢]، والموارد جمع مورد، وهو موضع الورود، والورود الإتيان إلى الشيء[٣].

قال الراغب الأصفهاني: أصله قصد الماء ثم يستعمل في غيره[٤].

وفي التنزيل قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فاوْرَدَهُمُ النّارَ وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]، وعن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**اتَّقُوا المَلاَعِنَ الثلاث: البَرازَ في المَوارِدِ** ...)[٥] أي: المَجاري والطُّرُق إلى الماء[٦].

الموارد في **ٱصطلاح الاٌقتصاديين** تعرف بأنها: كل الهبات أو المنح أو الأصول أو الكنوز التي تحتوي ثروة، ويمكن أن تتحول بواسطة المجهود البشري من مجرد محتوىٰ ثروة إلىٰ ثروة فعلية في شكل سلع أو خدمات[٧].

ولا شك أن الأعمال التطوعية تعتمد ٱعتمادًا كليًّا علىٰ موارد بشرية وموارد مالية تتعاون بعضها مع بعض لتخرج إلى المجتمع في صورة خدمات، عبارة عن مساعدات إنسانية وتعليمية، هدفها تحقيق الحياة الكريمة للجنس البشري.

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١٠٥).

(٢) المناهل: جمع منهل، والمَنْهَلُ المَوْرِد وهو عين ماء ترِده الإبل في المراعي، وتُسمى المنازِل التي في المفاوِز علىٰ طُرُق السُّفار مَنَاهِلَ لأن فيها ماء. الصحاح للجوهري (٥/ ١١٥)، المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى الزيات (٢/ ١٠٢٤).

(٣) التعاريف للمناوي (١/ ٦٧٧).

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني (١/ ٥١٩).

(٥) أخرجه أبو داود (٢٦)، وابن ماجه (٣٢٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١١٣).

(٦) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/ ٣٨١).

(٧) جغرافية الموارد الاٌقتصادية للسيد نصر (١/ ٥٠).

أهمية الموارد المالية في الأعمال التطوعية:

لا مراء أن الموارد المالية من الأهمية بمكان، وهي تأتي في الدرجة الثانية، بعد أهمية الموارد البشرية، لذلك كانت تنمية الموارد المالية من المشروعات الأساسية لتنمية مصادر التمويل في الإسلام، وهي وفيرة، وقد حثت الشريعة الإسلامية على ٱستثمار الأموال، ودعت إلىٰ ذلك، لكسب ما يشبع حاجات الناس، فهي تؤكد على الٱستفادة منها بجميع الطرق الممكنة والمباحة شرعًا، وذلك أنها كلما تحسنت أموال الجمعيات الخيرية، كانت أقدر علىٰ أداء دور إيجابي فعّال في مشاريعها، وخاصة في الإنفاق على الأيتام، والفقراء، والأرامل، وحلقات التحفيظ، ومساعدة المعسرين، ومن يقصد العفاف - بالزواج -[١].

ويعتبر التمويل عصب الحياة للمنظمات غير الحكومية، فكلما أمكن التغلب علىٰ مشكلة شح الموارد المالية وتوفيرها من مصادرها المختلفة، كلما ٱستطاعت هٰذِه المنظمات أن تحقق الدور المنوط بها، ولقد أثبتت كثير من الدراسات الميدانية التي طبقت على المنظمات غير الحكومية أن مشكلة التمويل هي من أهم المشاكل التي تعاني منها هٰذِه المنظمات وبصورة عامة يتم تمويل المنظمات من ثلاث مصادر أساسية تتمثل في التمويل العام الحكومي، والتمويل الذاتي من خلال مساهمات واشتراكات الأعضاء والهبات والوصايا إضافة إلىٰ ممارسة الأنشطة المولدة للدخل، أما المصدر التمويلي الثالث فهو التمويل الخارجي ممثلا في معونات نقدية أو عينية، تقدمها دول أو منظمات[٢].

---

(١) الجوانب الشرعية في تنمية الموارد البشرية والمالية في الجهات الخيرية للدكتور/ أحمد بن موسى السهلي.

(٢) دور المنظمات غير الحكومية في ظل العولمة ص (٣٤) لنجوىٰ سمك والسيد صدقي.

*** مسيرة موارد العمل الخيري:**

إن المتتبع لتاريخ ومسيرة العمل الخيري يلاحظ أنه نشأ بنشأة الإنسان، فقد ظهر في كل مجتمع إنساني، وفي كل مكان نشأت فيه حضارة من الحضارات أو رسالة من الرسالات، والعمل الخيري تطور ويتطور بتطور المجتمعات الإنسانية، وهٰذِه إشارة إلىٰ بعض موارد العمل الخيري في بعض الحضارات والرسالات:

١- العمل الخيري في الحضارة الفرعونية عند قدماء المصريين:

تبرز بعض الرسوم والصور المبثوثة علىٰ جدران معابد القدماء المصريين وقبورهم ما يدل علىٰ وجود بصمات العمل الخيري والتطوعي عندهم، والذي يتمثل في مساعدة الفقراء، وقد كانت المعابد تتلقى المساعدات والتبرعات من محاصيل الأرض ومنتجات الماشية، وكان يتكلف الكهنة بتوزيعها.

٢- العمل الخيري عند الإغريق:

لقد كان ٱهتمام أغنياء اليونان القدامىٰ موجه لرعاية أبناء السبيل، وتوفير الطعام والمأوىٰ للغرباء، وتقديم المساعدات للمحتاجين، وكما تثبت المصنفات التاريخية والفلسفية أن خزينة الدولة اليونانية كانت هي نفسها تقوم بالرعاية الٱجتماعية.

٣- العمل الخيري عند الرومان:

إن تاريخ الرومان وضح لنا أن مجتمعهم ٱنقسم إلىٰ أشراف وعامة، وأن الطبقية الٱجتماعية آنذاك، ولدت فوارق واضحة، إلا أن نضال العامة حقق بعض المساواة، والمتفحص لتاريخهم يرىٰ أن الدولة الرومانية ٱهتمت بالعمل الخيري التطوعي والإغاثي المتمثل عند طبقة النبلاء التي كانت تساعد الفقراء خصوصًا عندما يشتد القحط والجفاف.

٤- العمل الخيري عند العرب قبل الإسلام:

الكل يعلم أن العرب في جاهليتهم ٱتصفوا بخصال حميدة ومحمودة

متعددة، منها إغاثة الملهوف، ومساعدة المحتاج، ونصرة المظلوم وغيرها من الصفات. وحلف الفضول الذي عقده بعض عشائر قريش لنصرة المظلوم خير دليل وأنصع صورة على العمل الخيري التطوعي في ذلك العصر، فقد اتفق المؤتمرون علىٰ أن لا يجدوا بمكة مظلومًا من سائر الناس إلا نصروه حتىٰ ترد مظلمته، وحضر هٰذا الحلف الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، وقال عنه بعد ظهور الإسلام: (**لَقَدْ شَهِدْتُ في دارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعانَ حِلْفًا ما أُحِبُّ أَنَّ لِيَ بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوِ أُدْعَىٰ بِهِ في الإِسْلامِ لأَجَبْتُ**)[١].

٥- العمل الخيري عند أصحاب الرسالات السماوية:

أ- العمل الخيري عند اليهود (اليهودية):

إن نصوص العهد القديم توضح بعض الأعمال الخيرية، والرعاية الاجتماعية، والدليل علىٰ ذلك الوصايا العشر التي نزلت علىٰ نبي الله موسىٰ عليه السلام ومنها علىٰ سبيل التمثيل:

طوبىٰ لمن ينظر للمساكين في يوم الشر ينجيه الرب.

افتح يدك لأخيك المسكين والفقير في أرضك.

من يرحم الفقير يقرض الرب، وعن معروفه يجازيه.

من الضروري تقديم يد العون والمساعدة للفقير والمسكين والمضطر، لا ينهر الفقير ولا يحقر المسكين[٢].

ب- العمل الخيري عند النصارىٰ (النصرانية):

جاء في العهد الجديد «الإنجيل» بعض النصوص التي تبرز الأصول الأولىٰ للرعاية الاجتماعية والعمل الخيري ومنها:

- من سألك أعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده[٣].

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ (١/ ٣٦٧).

(٢) العمل الاجتماعي التطوعي لعبد الله العلي.

(٣) إنجيل متىٰ (٥/ ٤٢).

- لاَ تَسْلُبِ الفَقِيرَ لِكَوْنِهِ فَقِيرًا، وَلاَ تَسْحَقِ المِسْكِينَ فِي البَابِ، **٢٣** لأَنَّ الرَّبَّ يُقِيمُ دَعْوَاهُمْ، وَيَسْلُبُ سَالِبِي أَنْفُسِهِمْ[(١)].

- ٱقْضِ بِالْعَدْلِ وَحَامِ عَنِ الفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ[(٢)].

قد ٱهتم النصارىٰ عبر التاريخ بالعمل الخيري المتمثل في رعاية الأيتام والأرامل وإنشاء الملاجئ ولا زال أثر ذلك حتى اليوم وبخلفيات متعددة واضحة للعيان.

والعمل الخيري والتطوعي عند الغرب ٱنطلق من دوافع دينية عقدية؛ إلا أنه نظرًا لتحولاتهم الاجتماعية غاب المنحى الديني في العمل الخيري في الغرب فترات طويلة. . . ولكن بدأت المناداة مؤخرًا، بالعودة للدين في الخدمة الاجتماعية، أي بدأت المطالبة بالاهتمام بالجوانب الروحية في الخدمات الاجتماعية والمجتمعية[(٣)].

ولكن في ظل تكثيف العمل الخيري الاجتماعي أخذ بعدًا دينيًا كبيرًا عندهم فأصبح مرتبطًا بجهات التنصير المختلفة التابعة للكنيسة، وأصبحت الدعوة للتنصير غالبة في المجال الخيري النصراني.

وأتى الإسلام بتشريعاته المحكمة والشاملة لكل نواحي الحياة فأولى العمل الخيري ٱهتماما كبيرا فتنوعت في الإسلام مصادره وكثر خيره وزاد عطاؤه بما لا ترىٰ مثيلا له في الشرائع السابقة.

---

(١) الأمثال (٢٢/ ٢٢-٢٣). (٢) الأمثال (٣١/ ٩).

(٣) العمل الخيري الإسلامي بين التأصيل وإمكانات التفعيل، للدكتورة: فاتحة فاضل العبدلاوي.

★ **المصادر الأساسية في تمويل العمل الخيري:**

أولا: بيت المال

يُعتبر النظام المالي الإسلامي من أكثر الأنظمة ٱستقلالًا، وأنبلها غاية في حضارتنا، وقد قرر القرآن الكريم هٰذا في قوله تعالىٰ: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧] فهدفت الحضارة الإسلامية إلىٰ وجوب تداول الأموال بين الناس جميعًا، وعدم ٱقتصار ذلك علىٰ فئة الأغنياء؛ لأن ذلك مما يسبب حرجًا في المجتمع الإسلامي، وإعلاءً لطبقة بعينها دون وجه حق.

- **وظيفة بيت المال:**

بيت المال هو المؤسسة التي تشرف علىٰ ما يرد من الأموال، وما يخرج منها في أوجه النفقات المختلفة؛ لتكون تحت يد الخليفة أو الوالي، يضعها فيما أمر الله به أن توضع بما يصلح شئون الأمة في السلم والحرب[(١)]

- **واردات بيت المال:**

أهم واردات بيت المال: الزكاة، والخراج، والجزية، والغنيمة، والفيء، والأوقاف.

- **اختصاصات بيت المال:**

يقول الماوردي: كل مالٍ ٱستحقَّه المسلمون، ولم يتعيَّن مالكه منهم فهو من حقوق بيت المال، وكل حقٍّ وجب صرفه في مصالح المسلمين فهو حقٌّ علىٰ بيت المال[(٢)].

وبناء علىٰ هٰذا التعريف فإن بيت المال من أهم المؤسسات الحضارية الإسلامية، فهو الجهة الوحيدة المخولة للصرف علىٰ مصالح المسلمين المتفاوتة؛ ولذلك فهو يجمع ٱختصاصات وزارة المالية والبنك المركزي

---

(١) مؤسسة بيت المال في صدر الإسلام (ص٤٧) لمنير حسن عبد القادر.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي (ص٤٢٩).

في عصرنا الحاضر.

- **مصروفات بيت المال:**

١- رواتب الولاة والقضاة، وموظفي الدولة، والعمال في المصلحة العامة، ومن هٰؤلاء أمير المؤمنين، أو الخليفة نفسه.

٢- رواتب الجند والعسكر.

٣- تجهيز الجيوش وآلات القتال من سلاح، وذخائر، وخيل، وما يقوم مقامهما.

٤- إقامة المشروعات العامة من جسور، وسدود، وتمهيد الطرق، والمباني العامة، ودور الٱستراحة.

٥- مصروفات المؤسسات الٱجتماعية؛ مثل: المستشفيات، دور الأيتام، وغير ذلك من مرافق الدولة.

٦- توزيع الأرزاق على الفقراء واليتامىٰ والأرامل، وكل من لا عائل له، فالدولة تعوله وتكفله[١].

- **بيت المال في عهد النبي ﷺ:**

لقد ٱعتنى النبي ﷺ ببعض وظائف بيت المال، ومنها:

١- **تعيين العمال**: لقد كان النبي ﷺ يُعين الأمراء وعمال الأقاليم، وكانت مهمة كل أمير أن يقوم بجمع الصدقات والجزية وأخماس الغنائم والخراج، وأحيانًا كان النبي ﷺ يرسل عاملًا مختصًا بالنواحي المالية، تنحصر مهمته بجمع مستحقات الدولة من الأموال مثل: (الخراج، والجزية، والعشور، والصدقات) ويدفعها إلى النبي ﷺ، كما فعل رسول الله ﷺ مع معاذ بن جبل، حينما بعثه إلى اليمن لقبض الصدقات من عمالها[٢]، ومع أبي عبيدة

---

(١) بيت المال في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، لراغب السرجاني.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٢) واللفظ له، ومسلم (١٩).

بن الجراح حينما أرسله إلى البحرين ليأتيه بجزيتها[١].

٢- جمع المال وتوزيعه: فقد كان رسول الله ﷺ، يقسم مال الصدقات في مواضع منها المسجد، كما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رضي الله عنه، قالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِمالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَقالَ: "**انْثُرُوهُ في المَسْجِدِ**" وَكانَ أَكْثَرَ مالٍ أُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى الصَّلاَةِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَلَمّا قَضى الصَّلاَةَ جاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَما كانَ يَرىٰ أَحَدًا إِلّا أَعْطاهُ، إِذْ جاءَهُ العَبّاسُ، فقال يا رَسُولَ اللهِ: أَعْطِنِي، فإِنِّي فادَيْتُ نَفْسِي وَفادَيْتُ عَقِيلًا، فقال لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**خُذْ فَحثا في ثَوْبِهِ**"، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، اؤْمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ إِلَيَّ، قالَ: "**لاَ**" قالَ: فارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قالَ: "**لاَ فَنَثَرَ مِنْهُ**"، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ، فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، اؤْمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ عَلَيَّ، قالَ: "**لاَ**" قالَ: فارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قالَ: لاَ فَنَثَرَ مِنْهُ، ثُمَّ احْتَمَلَهُ، فألقاهُ عَلَىٰ كاهِلِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ، فَما زالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُتْبِعُهُ بَصَرَهُ حَتَّىٰ خَفِيَ عَلَيْنا - عَجَبًا مِنْ حِرْصِهِ - فَما قامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَثَمَّ مِنْها دِرْهَمٌ"[٢].

وإما في حجرة من حجر زوجاته، كما جاء عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: (صَلَّيْتُ وَراءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالمَدِينَةِ العَصْرَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّىٰ رِقابَ النّاسِ إِلىٰ بَعْضِ حُجَرِ نِسائِهِ، فَفَزِعَ النّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرأىٰ أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقالَ: «**ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ**»[٣].

ثم لما كثر المال كانت الحاجة ماسة إلىٰ تأسيس بيت المال لجمع شتىٰ أنواع الصدقات ورتب لبيت المال عمال يقومون علىٰ حفظه كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٦٥) معلقاً. (٣) أخرجه البخاري (١٢٢١).

آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ[(١)].

إن تأسيس بيت مال المسلمين منذ عهد النبي ﷺ يُدلل علىٰ دقة النظم المالية الإسلامية منذ هٰذا العهد المبكر، ولذلك كان من الطبيعي أن تتقدم مؤسسة بيت المال وتتطور تبعًا للعصور المختلفة.

- بيت المال في عهد الخلفاء الراشدين:

لقد ٱهتم الخلفاء الراشدون ﷺ بجلب الأموال لبيت مال المسلمين، وحرصوا علىٰ ذلك حرصًا شديدًا، وتنوعت السياسات المالية بين الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، وهي بالجملة تشكل نبراسًا منيرًا للتكافل الٱجتماعي في الإسلام، وفيما يلي موجز عام عن ٱهتمام الخلفاء الراشدين ﷺ بجلب الأموال لبيت المال:

١- أهم الموارد في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

- مورد الزكاة:

إن ما يميز عهد الصدّيق هو موقفه من المرتدين ومن مانعي الزكاة حيث أبان الفهم السليم والدقيق للإسلام عند أبي بكر، وذلك عندما عالج مسألة مانعي الزكاة؛ لأن الزكاة أهم الموارد المالية المساعدة للدولة، ووقف موقفًا لا ينساه التاريخ له أبدًا، فقاتل مانعي الزكاة، وقال: والله لأقاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ والزَّكاةِ، فإنَّ الزَّكاةَ حَقُّ المالِ، والله لَوْ مَنَعُونِي عَناقًا كانُوا يُؤَدُّونَها إلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِها[(٢)].

- مورد الغنائم والفيء:

لقد جاءت الفتوحات بغنائم كثيرة، وبدأت تلك الغنائم مع حروب الردة، وخاصة بعد معركة اليمامة، فكانت تأتي الأموال إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه فيضعها في

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٢٤)، (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠).

بيت المال ويقوم علىٰ توزيعها. وقد روى ابن سعد في الطبقات من طرق أن أبا بكر قدم عليه مال من معدن القبلية ومن معادن جهينة كثير وانفتح معدن بني سليم في خلافة أبي بكر، فقدم عليه منه بصدقته فكان يوضع ذلك في بيت المال، فكان أبو بكر يقسمه على الناس نفرًا نفرًا، فيصيب كل مائة إنسان كذا وكذا، وكان يسوي بين الناس في القسم، الحر والعبد والذكر والأنثىٰ والصغير والكبير فيه سواء، وكان يشتري الإبل والخيل والسلاح فيحمل في سبيل الله، واشترىٰ عامًا قطائف أتىٰ بها من البادية ففرقها في أرامل أهل المدينة في الشتاء[1].

لقد حرص أبو بكر ﷺ علىٰ أن تكون الفتوحات الإسلامية محمَّلة بالرحمة والحضارة، حيث كان يوصي الجيش قبل مغادرته بكل خير للأمة وللبلاد التي يتم فتحها، ومن ذلك الوصية التي أوصىٰ بها أسامة بن زيد تنفيذًا لأمر رسول الله ﷺ جاء فيها: (**لا تخونوا ولا تغدروا، ولا تغلّوا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخًا كبيرًا، ولا ٱمرأة، ولا تعزقوا نخلًا، ولا تحرّقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة إلا للأكل، وإذا قرّب إليكم طعام فاذكروا ٱسم الله..**)[2].

- **مورد الجزية:**

أرسل أبو بكر ﷺ إلىٰ خالد بن الوليد ﷺ وهو باليمامة يأمره بالمسير إلى العراق، وقيل بل قدم المدينة من اليمامة فسيره أبو بكر ﷺ إلى العراق، فسار حتىٰ نزل ببانقيا وباروسما وأليس، وصالحه أهلها وكان الذي صالحه عليها ابن صلوبا علىٰ عشرة آلاف دينار سوىٰ حرزة كسرىٰ، وكانت علىٰ كل رأس أربعة دراهم، وأخذ منهم الجزية ثم سار حتىٰ نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها مع إياس

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢١٣).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢/ ٧٥).

بن قبيصة الطائي وكان أميرًا عليها بعد النعمان بن المنذر، فدعاهم خالد إلى الإسلام أو الجزية أو المحاربة فاختاروا الجزية فصالحهم علىٰ تسعين ألف درهم، فكانت أول جزية أخذت من الفرس في الإسلام هي والقريات التي صالح عليها[(١)].

وأهدى الفرس لخالد رضي الله عنه هدايا، وبعث بالفتح والهدايا إلىٰ أبي بكر رحمه الله مع الهذيل الكاهلي فقبلها أبو بكر من الجزاء، وكتب إلىٰ خالد أن أحسب لهم هديتهم من الجزاء إلا أن تكون من الجزاء وخذ بقية ما عليهم فقو بها أصحابك[(٢)].

٢- أهم الموارد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

- مورد الصدقات والزكوات:

سار عمر بن الخطاب رضي الله عنه علىٰ نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث نظم مؤسسة الزكاة وحرص علىٰ أموالها كأمانة في يد موظفيها، وأرسل العمال لجباية مال الزكاة في أرجاء البلاد.

وأسلم الكثير من سكان الأقطار المفتوحة، ونمت رؤوس أموال المسلمين في خلافته نتيجة الفتح ومكاسبه والتجارة الحرة في ظل الأمن وقوة الدولة الإسلامية، ولاشك أن هٰذِه العوامل أدت إلىٰ زيادة عظيمة في مقادير الزكاة[(٣)].

قد توسعت ملكية الرقيق والخيل في أيدي المسلمين، فاقترح الصحابة فرض الزكاة على الرقيق والخيل، فعد عمر الرقيق والخيل من أموال التجارة، وفرض على الرقيق الصبيان والكبار دينارًا، وعلى الخيل العربية عشرة دراهم، والبراذين الخيل غير العربية خمسة دراهم[(٤)].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ٢٣٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٣٣٧). .

(٢) تاريخ الرسل والملوك للطبري (٢/ ٣١٦).

(٣) عصر الخلافة الراشدة لأكرم ضياء العمري (١/ ٢١٢).

(٤) أخرجه ابن زنجويه في الأموال (١٤٩١).

لقد أنكر عمر رضي الله عنه علىٰ عامل من عمال الصدقة أخذه شاة كثيرة اللبن ذات ضرع عظيم، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: مُرّ علىٰ عمر بغنم الصدقة فرأىٰ فيها شاةً حافلًا ذات ضرع عظيم. فقال عمر: ما هٰذِه الشاة؟ فقالوا: شاة من الصدقة، فقال عمر رضي الله عنه: ما أعطىٰ هٰذِه أهلها وهم طائعون، لا تفتنوا الناس، لا تأخذوا حزرات المسلمين، نكّبُوا عن الطعام[1].

ولقد حرص رضي الله عنه علىٰ تشغيل أموال اليتامىٰ لئلا تذهب مع تعاقب الأعوام بالزكاة، وكان رضي الله عنه يقول: ٱتّجروا في أموال اليتامىٰ لا تأكلها الزكاة[2].

- مورد الجزية:

قام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإجراء تنظيمات جديدة، وترتيب مدروس للجزية، وتحديد مقاديرها فزادها، وحدد فئات الأشخاص الذين تؤخذ منهم، ومن يعفىٰ منهم، ومواعيد دفعها التي حددها بموسم الحصاد، ونضوج الثمار من كل سنة، وتم إحصاء من تجب عليهم، وتدوين أسمائهم[3].

لقد ٱستشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابة، أيأخذ الجزية من المجوس أم لا؟ فكتب إلىٰ جزء بن معاوية: ٱنظر مجوس من قِبَلك، فخذ منهم الجزية؛ فإن عبد الرحمن بن عوف أخبرني أن رسول الله أخذها من مجوس هجر[4] فأخذها عمر من أهل سواد العراق[5] ومجوس فارس[6]

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٦٠٢). (٢) أخرجه مالك في الموطأ (٥٨٨).

(٣) سياسة المال في الإسلام في عهد عمر بن الخطاب ومقارنتها بالأنظمة الحديثة ص (٦٧) لعبد الله جمعان السعدي.

(٤) أخرجه البخاري (٣١٥٦)، (٣١٥٧).

(٥) الأموال لابن زنجويه (١١٣). (٦) الأموال لأبي عبيد (٧٠).

فقد وضع عمر ﷺ علىٰ أهل السواد، ثمانية وأربعين درهمًا، وأربعة وعشرين، واثني عشر[١]. وضرب عمر ﷺ الجزية علىٰ أهل الذهب أربعة دنانير، وأرزاق المسلمين من الحنطة مدين، وثلاثة أقساط زيت، لكل إنسان كل شهر، وعلىٰ أهل الورق أربعين درهمًا، وخمسة عشر صاعا لكل إنسان، ومن كان من أهل مصر فإردب كل شهر لكل إنسان[٢].

وكان عمر يأمر جباة الجزية بأن يرفقوا بالناس في جبايتها، وعندما أتي عمر بمال كثير فقال: إني لأظنكم قد أهلكتم الناس، قالوا: لا والله، ما أخذنا إلا عفوًا صفوًا، قال: بلا سوط ولا نوط؟ قالوا: نعم قال: الحمد لله الذي لم يجعل ذلك علىٰ يدي ولا في سلطاني[٣].

- **مورد الفتوحات:**

يقصد بمورد الفتوحات: ما جاء إلىٰ بيت مال المسلمين من فتوحات عظيمة في زمن الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ وتشمل هٰذِه الفتوحات الفيء والغنائم والخراج.

حيث زادت الغنائم وكثر الفيء في عهد عمر بن الخطاب ﷺ عما كانت عليه في زمن الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ، وذلك بسبب:

- اتساع المناطق المفتوحة والتي كانت تتمتع بذخر ٱقتصادي كبير.
- كثرة ٱهتمام قادة الفرس والروم بمظاهر الأبهة والعظمة.
- أملاك كسرىٰ وأهله، حيث جعلت لبيت مال، ويقال: إن غلتها بلغت سبعة ملايين درهم، ومنها بساط كسرىٰ وهو (٣٦٠٠) ذراع مربعة، أرضه مفروشة بالذهب وموشىٰ بالفصوص، وفيه رسوم ثمار بالجواهر، وورقها بالحرير، وفيه رسوم للماء الجاري بالذهب، وقد بيعت بعشرين ألف درهم.

---

(١) الأموال لابن زنجويه (١٣٦).
(٢) الأموال لأبي عبيد (٨٨).
(٣) الأموال لأبي عبيد (٩٩).

- الذهب والفضة والمجوهرات العظيمة من غنائم جلولاء وغيرها حيث بلغ خُمس جلولاء ستة ملايين درهم.

لقد فتحت المدن العظيمة آنذاك، وحاز المسلمون أموالًا عظيمة. وأعظم الغنائم هي أرض السواد التي وقفها عمر للدولة ولم يقسمها رضي الله عنه[1].

- **مورد العشور:**

أدخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه موردًا جديدًا لبيت المال لم يكن موجودًا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته أبي بكر رضي الله عنه، فلما ٱتسعت الدولة في عهد عمر وامتدت حدودها وأصبح التبادل التجاري ضرورةً للمصلحة العامة للأمة، وضع عمر رضي الله عنه جباية العشور علىٰ حدود الدولة معاملة بالمثل.

وفرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك الأموال على الوافدين إلىٰ دار الإسلام كما كان أهل الحرب يأخذونها من تجار المسلمين القادمين إلىٰ بلادهم معاملة بالمثل، وقد نبه عمر رضي الله عنه زياد بن حدير عامله على العشور أن لا تعشر في السنة إلا مرة واحدة، وكان يعشر كل من أقبل وأدبر وكان مقدار الضريبة العشرية درهما واحدًا من كل عشرة دراهم[2]. وقد شمل ذلك تجار النبط، ولكنه جرى التخفيف عليهم إذا جلبوا الحنطة والزيت فأخذ منهم نصف العشر لحاجة الناس إليهما، وأما إذا جلبوا العدس والحمص واللوبيا وما شاكلها مما لا تشتد الحاجة إليه لتوفره محليا فكان يؤخذ منهم العشر[3].

٣- أهم الموارد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه:

- **مورد الزكاة:**

في خلافة عثمان رضي الله عنه جرىٰ تعديل علىٰ جباية الزكاة، حيث ترك للناس

---

(١) عصر الخلافة الراشدة لأكرم ضياء العمري (١/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠٦٩١)، الأموال لأبي عبيد (١١٤٢).

(٣) الأموال لأبي عبيد (١١٣٩)، (١٠١١).

إخراج زكاة الأموال الظاهرة العين وهي الذهب والفضة دون تسليمها للدولة، ويعلل ذلك بأنه أراد رفع المشقة والحرج عن الناس من تفتيش سعاة السوء، ففوض الناس بإخراجها. أما زكاة المواشي والنخل فاستمرت الدولة بجبايتها.

ولابد أن هٰذا الإجراء قلص موارد بيت المال من الزكاة، ولكنه ما كان ليؤثر كثيرًا في التكافل الاجتماعي بين الناس حيث إن الزكاة فريضة دينية، والمجتمع كان علىٰ وعي كبير بالإسلام ورغبة صادقة في تنفيذ تعاليمه[١].

وكان عثمان ﷺ ينادي في الناس بأن يدفعوا زكاة أموالهم ويقول: هٰذا شهر زكاتكم، فمن كان عليه دين فليؤده، حتىٰ تخرجوا زكاة أموالكم، ومن لم يكن عنده لم يطلب منه حتىٰ يأتي به تطوعا، ومن أَخَذ منه ولم يؤخذ منه حتىٰ يأتي هٰذا الشهرُ من قابل[٢].

- **مورد الجزية:**

لم يغيّر عثمان ﷺ من سياسة عمر ﷺ المالية بل استمرت دون تغيير يذكر في المناطق المفتوحة، ومنها ظاهرة تتمثل في تحديد مبلغ من المال تدفعها المنطقة المفتوحة بالتضامن بين سكانها، وتجبيه السلطة المحلية، وتقدمه إلى الدولة الإسلامية وهٰذا ما يعرف بولاية العهد، فالولاية معاهدة للدولة الإسلامية[٣]، ومن ذلك:

أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح صالح بطريق أفريقية تونس علىٰ ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار[٤].

استعمل عثمان بن عفان ﷺ الوليد بن عقبة على الكوفة، عزل عتبة بن

---

(١) عصر الخلافة الراشدة لأكرم ضياء العمري (١/ ٢١٦)، والسياسات المالية في عهد الخلفاء الراشدين ص (٣٦) لعامر محمد نزار.

(٢) الأموال لابن زنجويه (١٣٧٣)، والأموال لأبي عبيد (٩١٧).

(٣) عصر الخلافة الراشدة لأكرم ضياء العمري (١/ ١٩٤).

(٤) فتوح البلدان للبلاذري (١/ ٢٦٨).

فرقد عن أذربيجان فنقضوا فغزاهم الوليد بن عقبة سنة خمس وعشرين وعلىٰ مقدمته عبد الله بن شبيل الأحمسي، فأغار علىٰ أهل موقان والتبريز والطيلسان فغنم وسبا، ثم صالح أهل أذربيجان علىٰ صلح حذيفة علىٰ ثمانمائة ألف درهم، وصالح معظم مدن إيران وخراسان علىٰ مبالغ محددة تدفعها المدينة أو الإقليم بالتضامن، وتشتمل على الجزية والخراج معا(١).

كما يلاحظ حصول زيادة كبيرة في جباية مصر من الجزية والخراج في خلافة عثمان رضي الله عنه، ولعل الزيادة الكبيرة الحاصلة ترجع إلىٰ دخول قرىٰ ومدن جديدة في ولاية ابن أبي سرح من ناحية، كما ترجع إلى النمو السكاني والإصلاحات الزراعية واستقرار الأمن مما أدىٰ إلى الازدهار الاقتصادي وارتفاع عوائد الجباية.

٤- أهم الموارد في خلافة علي رضي الله عنه:

- مورد الزكاة:

ظلت الزكاة موردًا مساعدًا لبيت المال في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكنها كانت أقل قدرًا مما كانت في زمن من سبقه من الخلفاء وذلك ضمن الجبايات العامة لها، وعكف كثير من الناس إلىٰ أدائها بمفردهم، وما ذلك إلا بسبب تزعزع ثقتهم في دفع صدقاتهم لبيت المال، وذلك إبّان الفتنة التي أدت إلى ٱستشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم إلىٰ نهب بيت المال(٢).

قال محمد بن سيرين: كانت الصدقة ترفع أو قال: تدفع إلى النبي ﷺ، أو من أمر به، وإلىٰ أبي بكر، أو من أمر به، وإلىٰ عمر، أو من أمر به، وإلىٰ عثمان، أو من أمر به، فلما قتل عثمان ٱختلفوا، فكان منهم من يدفعها إليهم، ومنهم من يقسمها، وكان ممن يدفعها إليهم ابن عمر، قال ابن سيرين: إن

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري (١/ ١٢٩).

(٢) السياسات المالية في عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٩) لعامر محمد نزار.

قسمها رجل فليتق الله، ولا يعتبن علىٰ قوم شيئا، ثم يأتي مثله أو شرا منه[(١)].

وكان علي بن أبي طالب ﷺ يضع معادلة يربط فيها بين شبع وكفاية الفقراء وبين أداء الأغنياء لتلك النسبة المالية المتوازنة التي لا تنقص من أموال الأغنياء؛ بل هي نسبة كافية لكفاية الفقراء، فكان ﷺ يقول في الزكاة: إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم، فإن جاعوا أو عروا أو جهدوا فبمنع الأغنياء، وحق علىٰ الله ﷻ أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه[(٢)].

- مورد الخراج:

في عهد علىٰ بن أبي طالب ﷺ لم يحدث تغيير يذكر في السياسة المالية للدولة الإسلامية، إلا أن أمير المؤمنين علي ﷺ رجع إلىٰ ما كان عليه أبو بكر الصديق في التسوية في العطاء فلم يفضل أحدًا، فأعطى الموالي كما أعطى السادة.

كان الخراج في بعض الأمصار موكولًا إلى الولاة أنفسهم، ففي مصر كان قيس بن سعد بن عبادة الوالي العام مسئولًا عن الخراج فيها، وكتب علي ﷺ إلى الأشتر النخعىٰ وكان واليًا علىٰ مصر: وليكن نظرُك في إعمار الأرض أبلغَ من نظرك في ٱستجلاب الخراج؛ لأن ذلك يُدَركُ بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أضر بالبلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلًا، فإن شكوا ثقلًا أو علة أو ٱنقطاع شرب، أو إحالة أرض ٱغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش، خفَفتَ عنهم بما ترجوا أن يصلح به أمرهم. فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما إعوازها أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع

(١) الأموال لأبي عبيد (١١٩٢).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ١٠٩).

وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة ٱنتفاعهم بالعِبر[١].

وكان علي رضي الله عنه ٱتبع سياسة التحذير لمن يؤخر الخراج من العمال، وسياسة التحفيز لمن يوفيه، وكان قد كتب إلىٰ يزيد بن قيس الأرحبي: أما بعد، فإنك أبطأت بحمل خراجك، وما أدري ما الذي حملك علىٰ ذلك. غير أني أوصيك بتقوىٰ الله وأحذرك أن تحبط أجرك وتبطل جهادك بخيانة المسلمين، فاتق الله ونزه نفسك عن الحرام، ولا تجعل لي عليك سبيلًا، فلا أجد بدًا من الإيقاع بك، واعزز المسلمين ولا تظلم المعاهدين، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، أحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المفسدين[٢].

وكان رضي الله عنه يحض ولاته علىٰ أخذ الحق في الخراج كما قال لقيس بن سعد وهو علىٰ أذربيجان: أما بعد، فأقبل علىٰ خراجك بالحق، وأحسن إلىٰ جندك بالإنصاف[٣].

وكتب إلىٰ سعد بن مسعود، وهو على المدائن: أما بعد، فإنك قد أديت خراجك، وأطعت ربك، وأرضيت إمامك، فعل المبر التقي النجيب، فغفر الله ذنبك، وتقبل سعيك، وحسن مآبك[٤].

---

(١) الولاية على البلدان لعبد العزيز العمري (١٥٣ - ١٦٣).
(٢) تاريخ اليعقوبي (١/ ١٨٨).
(٣) تاريخ اليعقوبي (١/ ١٨٩).
(٤) تاريخ اليعقوبي (١/ ١٨٩).

ثانيًا: الزكاة

إن مصادر العمل الخيري في الإسلام كثيرة، ويأتي في المرتبة الأولى الزكاة، باعتبارها أول وأهم عمل خيري إلزامي، قال الله تعالىٰ آمرًا رسوله ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٠٣﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس: ٩] أي طهرها من الآثام، وقال تعالىٰ: ﴿وَما آتَيْتُم مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ في أَمْوالِ النّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ الله وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ الله فاولَئِكَ هُمُ المُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩] وقال تعالىٰ: ﴿وَقُولُوا لِلنّاسِ حُسْنًا وأَقِيمُوا الصَّلاةَ واتُوا الزَّكاةَ﴾ [البقرة: ٨٣].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **(بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهادَةِ أَنْ لا إِلٰه إِلاّ الله وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وأَقامِ الصَّلاةِ، وإِيتاءِ الزَّكاةِ، والحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضانَ)**[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ بَعَثَ مُعاذًا رضي الله عنه إلى اليَمَنِ فَقالَ: **(ادْعُهُمْ إِلىٰ شَهادَةِ أَنْ لا إِلٰه إِلاّ الله وأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ ٱفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَواتٍ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله ٱفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً في أَمْوالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرائِهِمْ)**[٢].

والزكاة واجبة في كلِّ مال نام بلغ نصابًا فاضلًا عن الحوائج الأصلية لصاحبه، سالمًا من الدين، كما أنها تجب في كل حول (سنة قمرية) مرة واحدة. كما تجب عند الحصاد في الزروع والثمار، وما يلحق بها.

وهي تمثل ٢,٥ من السيولة النقدية ومن قيمة عروض التجارة التي يملكها

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٥).

الأفراد أو الشركات، من رأس المال والربح معًا، ونحوها من الثروة الحيوانية، و١٠ من الزروع والثمار التي تُسقىٰ بالمطر أو بغير آلة، و٥ مما يسقىٰ بالآلات ونحوها، و**٢٠ من الركاز.**

والأصل فيها أن تشرف الدولة عليها، بواسطة (العاملين عليها)، ومن هنا نرىٰ أن الإسلام جعل علىٰ أداء هٰذِه الفريضة حرّاسا ثلاثة.

الأول: حارس الإيمان في ضمير المسلم، وهو حارس لا ينام ولا يني، ما دام الإيمان باقيا.

والثاني: حارس الضمير الاْجتماعي لدي المجتمع المسلم، الذي جعل الله بعضهم أولياء بعض، وفرض عليهم أن يتناصحوا ويذكر بعضهم بعضًا، وينبه بعضهم بعضًا إذا قصَّر في فرض، أو أقدم علىٰ محظور.

والثالث: حارس السلطان، الذي يزع الله به ما لا يزع بالقرآن، أي حارس القانون وسلطة الدولة. فمن ضعف حارس الإيمان في قلبه، نبَّهه حارس المجتمع وذكره وأمره بها، فمن لم يرتدع بذلك: جاء حارس القانون، فأخذها منه كرهًا إن لم يدفعها طوعًا.

وإذا وجدت فئة ذات شوكة، وامتنعت عن أداء الزكاة، أنذرها ولي الأمر، فإن لم تستجب، وتمرَّدت على السلطة الشرعية: قاتلها حتىٰ تؤتي حق الله وحق الفقراء. والدولة الإسلامية كانت هي أول دولة في التاريخ تجيش الجيوش، وتعلن الحرب، من أجل اْنتزاع حقوق الفقراء من براثن الأغنياء.

وقال في ذلك الخليفة الأول أبو بكر الصديق: (والله لَوْ مَنَعُونِي عِقالًا كانُوا يُؤَدُّونَهُ إلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهِ)[1][2].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠).

(٢) مصادر تمويل العمل الخيري للدكتور/ يوسف القرضاوي.

*** الزكاة مصدر آساسي لا يمكن الاستغناء عنه لقيام الجمعيات الخيرية بأنشطتها المختلفة:**

لما كان القطاع الخيري بمؤسساته هو الآلية المعاصرة لإدارة أحوال الفقراء وأصحاب الحاجات، ويقوم بكثير من الأنشطة التي تخدم حركة المجتمع وأفراده؛ كان لابد من دعم وتمويل هٰذِه المؤسسات من أموال الزكاة؛ لأنها تكون بمثابة الوكيل الشرعي عن المزكّي من جهة، ولأنها تحقق أعظم أهداف الزكاة من جهة أخرىٰ وهي مساعدة الفقراء، ومعونة ذوي الحاجات ولا شك أن ذلك يوطد دعائم المحبة والمودة بين الفقراء والأغنياء، وينزع من القلوب الحسد والحقد؛ لأن القلوب جبلت علىٰ حب من أحسن إليها، وبذلك ينشأ المجتمع قويًا سليمًا متماسكًا كالجسد الواحد، تربطه روابط الألفة، والأخوة، والتكافل.

ويقوم علىٰ تحقيق العديد من الأغراض الخلقية والاجتماعية والاقتصادية ومن ثَمَّ يظهر دور الزكاة التنموي، في بناء المستشفيات والمدارس والطرقات والقناطر والملاجئ ودور الأيتام، وعموم المصالح العامة، وكل هٰذا يدخل في صنف قوله تعالىٰ: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠]، وسبل الله كثيرة.

* والزكاة ليست إحسانًا فرديًا وإنما هي تنظيم ٱجتماعي تشرف عليه الدولة أو من ينوب عنها مثل الجمعيات الخيرية، ويتولاه جهاز إداري ينظم جباية ممن تجب عليهم وصرفًا إلىٰ من تجب لهم:

لذلك ٱهتم النبي ﷺ بجباية الزكاة فكان يرسل الجباة إلى الأمصار المفتوحة لجمع الزكاة.

وقام ﷺ بدوره الإداري من توزيعها علىٰ مستحقيها، ومراعاة أحوال الناس فيها، وكان ﷺ يوصى الجباة بالرفق والاعتدال، وكان يختارهم من خيرة أصحابه.

فلقد ٱستعمل النبي ﷺ معاذ بن جبل على اليمن، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن

النبي ﷺ بَعَثَ مُعاذًا رضي الله عنه إلى اليَمَنِ فَقالَ: **(ادْعُهُمْ إلىٰ شَهادَةِ أنْ لا إلٰه إلاّ الله وأنِّي رَسُولُ اللهِ فإنْ هُمْ أَطاعُوا لِذَلِكَ فاعْلِمْهُمْ أَنَّ الله قَدْ ٱفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَواتٍ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فإنْ هُمْ أَطاعُوا لِذَلِكَ فأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله ٱفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً في أَمْوالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرائِهِمْ فإذا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرائِمَ أَمْوالِ النّاسِ)**[١].

واستعمل النبي ﷺ ابن اللتبية علىٰ صدقات بني سليم:

فعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السّاعِدِيِّ رضي الله عنه، قالَ: ٱسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنَ الأزْدِ، يُقالُ لَهُ ابن الأُتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمّا قَدِمَ قالَ: هٰذا لَكُمْ وهٰذا أُهْدِيَ لِي، قالَ: **"فَهَلّا جَلَسَ في بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ، فَيَنْظُرَ يُهْدىٰ لَهُ أَمْ لاَ؟ والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يأخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إلاّ جاءَ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، إنْ كانَ بَعِيرًا لَهُ رُغاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَها خُوارٌ، أَوْ شاةً تَيْعَرُ ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّىٰ رأَيْنا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلاثًا"**[٢].

وأيضًا ٱسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُبادَةَ بْنَ الصّامِتِ عَلَى الصَّدَقَةَ، ثُمَّ قال لَهُ: ٱتَّقِ يا أَبا الوَلِيدِ أَنْ تأتِيَ يَوْمَ القِيامَةِ بِبَعِيرٍ تَحْمِلُهُ عَلَىٰ رَقَبَتِكَ لَهُ رُغاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَها خُوارٌ، أَوْ شاةٌ لَها ثُؤاجٌ، قالَ: يا رَسُولَ اللهِ وإنَّ ذا لِكَذا؟ قالَ: نَعَمْ، قال عُبادَةُ: فَوالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لا أَعْمَلُ عَمَلًا عَلَى ٱثْنَيْنِ أَبَدًا[٣].

وشعورًا من الخلفاء بعد الرسول ﷺ بأن الزكاة واجب من واجباتهم، كانوا يرسلون الرسل إلى الأمصار، كان ذلك علىٰ عهد عمر وعثمان وعلي وغيرهم، حتىٰ أنه يروىٰ أن عمر بن عبد العزيز أرسل الرسل إلىٰ إفريقية لجمع الزكاة وتوزيعها على المحتاجين هناك.

إن قيام الدولة بجمع الزكاة إنما يندرج في سياق حفظ كرامة الفرد،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٢)، واللفظ له، ومسلم (١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٩٧)، ومسلم (١٨٣٢).

(٣) أخرجه الحميدي في مسنده (٨٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٩).

ومراعاة شعور أبناء المجتمع[١].

وهٰذا يدل دلالة واضحة علىٰ مدىٰ حاجة المؤسسات الخيرية إلىٰ جلب أموال الزكاة؛ لأنها مورد أساسي من مواردها.

ثالثا: الدعم الحكومي:

يعتبر التمويل للمنظمات غير الحكومية هو الشريان الحيوي لاستمرارها وديمومتها، فكلما أمكن التغلب علىٰ مشكلة قلة الموارد المالية وتوفيرها من مصادرها المختلفة، كلما ٱستطاعت هٰذِه المنظمات أن تحقق الدور المنوط بها ولقد أثبتت كثير من الدراسات الميدانية التي طبقت على المنظمات غير الحكومية أن مشكلة التمويل هي من أهم المشاكل التي تعاني منها هٰذِه المنظمات. لذلك كان للتمويل الحكومي دور مهم في دعم الجمعيات الخيرية.

لقد بدأت الحكومات العربية ولا سيما في السنوات الأخيرة تراعي في أنظمتها دعم وتشجيع المؤسسات غير الحكومية الربحية، سواءً كانت تقوم بعمل ٱجتماعي أو علمي أو ثقافي أو فني أو رياضي. . . الخ، إلا إن الدعم الحكومي أصبح يشهد تراجعًا في الآونة الأخيرة ولا يجب النظر إلىٰ حكومة في الوقت الحاضر كأكثر مصادر التمويل أهمية، لأن الدعم الذي تقدمه للعمل الخيري لا يشكّل إلاّ نسبة ضئيلة من مصادر التمويل الأخرىٰ.

والمعروف أن العمل الاْجتماعي ومؤسساته في أغلب الدول العربية قد ٱعتادت الاْعتماد على الدولة في تنفيذ أنشطته وبرامجه خلال العقود الماضية، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ بروز إشكالية أحادية التمويل لمشاريع

---

(١) الزكاة من منظور ٱقتصادي للدكتور/ عبد المجيد قدي.

وبرامج وأنشطة العمل الاجتماعي وضعف المصادر التمويلية الأخرىٰ، وأثرها بالتالي علىٰ فاعلية مؤسسات العمل الاجتماعي؛ مما حال دون تنمية مواردها وتفعيل مساهماتها الاجتماعية. ولكن الحال يختلف بالنسبة للعمل الخيري إذ لا يشكل الدعم الحكومي لها سوىٰ نسبة ضئيلة جدًا، فضلًا عن أن بعض الجمعيات الخيرية لا تأخد أي دعم مالي من الحكومة، حيث إنها تكتفي بمصادرها الذاتية ومصادر التمويل الأخرىٰ غير الحكومية[١].

رابعا: الصدقات بمختلف أنواعها:

تأتي الصدقات بعد الزكاة من حيث الأهمية في تمويل العمل الاجتماعي والإنساني. فهناك الكثير من الصدقات الواجبة والمندوبة التي يخرجها المسلم يتقرب بها إلىٰ الله تعالىٰ، ويشارك المسلم بها أخاه المسلم في ما يمر به من مصائب ومحن، ومن هٰذِه الصدقات:

- صدقة الفطر:

صدقة الفطر تجب علىٰ كل إنسان من المسلمين ذكرًا كان أم أنثىٰ، صغيرًا أم كبيرًا، سواء كان صائمًا أم لم يصم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: **(فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ، صاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى العَبْدِ والحُرِّ والذَّكَرِ والأُنْثَىٰ والصَّغِيرِ والكَبِيرِ مِنْ المُسْلِمِينَ، وأَمَرَ بِها أَنْ تُؤَدىٰ قَبْلَ خُرُوجِ النّاسِ إلى الصَّلاةِ)**[٢].

أهم مقاصدها:

أنها عون للمحتاج، وطعمة للمساكين يستغنون بها يوم العيد[٣]، فهي

(١) تمويل العمل الخيري العربي المعاصر ومؤسساته، لمحمد بكار حيدر
(٢) أخرجه البخاري (١٠٥٣)، ومسلم (٩٨٤).
(٣) فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/ ٧٤).

للمحتاجين إلى المعونة، وبخاصة في يوم العيد، كي يشعروا بالفرح والسرور، كما يفرح غيرهم من الناس، ولذلك كان من الأوقات المُتخيرة لإخراج زكاة الفطر صبيحة يوم العيد وقبل الاجتماع للصلاة، حتىٰ يستقبل الجميع يومهم مسرورين، ولا يحتاج الفقراء إلى التطواف علىٰ أبواب الأغنياء ليعطوهم ما يشعرهم ببهجة هٰذا اليوم.

ومما يؤكد ما تضمنته زكاة الفطر من المقاصد السامية العليا: أن الشريعة الإسلامية حققت بها توفير الطعام لجميع أفراد المجتمع في أيام العيد وربما ما بعدها، بما تعجز عنه جميع النظم والقوانين، فلو أرادت أي هيئة دولية اليوم أن توفر الطعام ولو في حده الأدنىٰ ليوم واحد لجميع أفراد دولة واحدة لحدث إخفاق كبير، ولٰكن في الشريعة الإسلامية السمحة يتحقق ذلك للأمة كلها، حيث فرضت واجبات لا يسمح لأحد بخرقها: فالزكاة واجبة علىٰ جميع من فضل شيء من قوت يومه صغيرًا أو كبيرًا ذكرًا أو أنثىٰ، وتم تحديد وقت يتحقق معه وجود الطعام بين أيدي الفقراء والمساكين[(١)].

- **صدقة الأضحية:**

الأضحية شعيرة من شعائر الدين، سنَّها خاتم المرسلين، تقربًا إلىٰ الله رب العالمين، وامتنانًا لما أسبغ به علىٰ عباده المؤمنين، واقتداء بخليل الله إبراهيم عليه السلام، فهي سنة مؤكدة عن النبي ﷺ.

دل عليها القرآن والسنة، قال الله تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٦، ٣٧].

---

(١) زكاة الفطر والمقاصد السامية، للدكتور/ خالد الشايع.

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: (ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ، فَرَأَيْتُهُ واضِعًا قَدَمَهُ عَلَىٰ صِفاحِهِما يُسَمِّي وَيُكَبِّرُ فَذَبَحَهُما بِيَدِهِ)[1].

أهم مقاصدها:

التوسعة علىٰ أهل المضحِّي، وعلىٰ أقاربه وجيرانه والفقراء من حوله.

ويحرص المسلمون كثيرا علىٰ إحياء سنة (الأضحية)، وينبغي الاستفادة من هٰذا التوجه العام، لإفادة البلاد الفقيرة، والبلاد المتضرِّرة من هٰذِه السنة أو الشعيرة[2].

لذلك كان لابد من دعم الجمعيات الخيرية بلحوم وجلود الأضاحي، حيث تقوم الجمعيات بجهد مشكور في هٰذِه الناحية حيث تقوم بجمع اللحوم وتوزيعها، وسد حاجات الفقراء فهي أدق في الحصر والمعرفة للفقرآء والبلدان التي فيها شدة فقر وحاجة عن غيرها. كما تلجأ بعض الجمعيات الخيرية لجمع جلود الأضاحي التي يتبرع بها بعض الناس لها لتمويل أنشطتها الخيرية.

خامسًا: الوقف الخيري

لقد ساهم نظام الوقف الخيري علىٰ مر التاريخ الإسلامي في سد حاجات الفقراء والمساكين وتوفير الضروريات لهم، فهو نظام متوازن يقوم على استثمار المال والاستفادة من عائده لصالح الفقراء والمحتاجين وبذلك يضمن استمرارية ودوام الإفادة منه بإذن الله، فالوقف الخيري يوفر دعمًا ومصدرًا مستدامًا لدعم مسيرة العمل الخيري، ذلك لأن حاجات المجتمع تزداد نتيجة تطور الحياة واتساع احتياجاتها، ومن هنا جاءت فكرة الاهتمام بهٰذا العنصر والحض

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥٨)، ومسلم (١٩٦٦).

(٢) مصادر تمويل العمل الخيري، للدكتور/ يوسف القرضاوي.

علىٰ توظيفه وإعادة الٱعتبار له، والاهتمام به أكثر، وتشجيع جمعيات المجتمع المدني على النهوض به وإحيائه وفق منظور جديد للنهوض بمشروعات الوقف الخيري.

ولقد ٱتفق جمهور علماء السلف علىٰ جواز الوقف وصحته ولقد حث القرآن الكريم في آيات عدة علي فعل الخير والبر والإحسان وهو ما يرمي إليه الوقف، ومن ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وجاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أَنْ عُمَرَ بْنَ الخَطّابِ أَصابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ فأَتى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتأْمِرُهُ فِيها، فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ فَما تأْمُرُ بِهِ، قالَ: **(إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَها وَتَصَدَّقْتَ بِها، قالَ: فَتَصَدَّقَ بِها عُمَرُ أَنَّهُ لا يُباعُ، وَلا يُوهَبُ، وَلا يُورَثُ، وَتَصَدَّقَ بِها في الفُقَراءِ وَفِي القُرْبَىٰ وَفِي الرِّقابِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وابْنِ السَّبِيلِ والضَّيْفِ، لا جُناحَ عَلَىٰ مَنْ وَلِيَها أَنْ يأْكُلَ مِنْها بِالمَعْرُوفِ وَيُطْعِمَ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ)**[1].

قال النووي: وفي هٰذا الحديث دليل علىٰ صحة أصل الوقف، وأنه مخالف لشوائب الجاهلية، وهٰذا مذهبنا ومذهب الجماهير ويدل عليه أيضا إجماع المسلمين علىٰ صحة وقف المساجد والسقايات، وفيه أن الوقف لا يباع ولا يوهب ولا يورث إنما يتبع فيه شرط الواقف، وفيه صحة شروط الواقف، وفيه فضيلة الوقف وهي الصدقة الجارية، وفيه فضيلة الإنفاق مما يحب وفيه فضيلة ظاهرة لعمر رضي الله عنه[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٧)، ومسلم (١٦٣٢).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (١١/ ٨٦).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا ماتَ الإنْسانُ ٱنْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلاّ مِنْ ثَلاثَةٍ: إلاّ مِنْ صَدَقَةٍ جارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صالِحٍ يَدْعُو لَهُ)**[١].

- أهمية الوقف في دعم الجمعيات الخيرية:

الأول: أن الوقف يحول الخير والإحسان إلىٰ مؤسسات مكتفية الموارد، واضحة المصارف، مقيدة الأنظمة والتصرفات[٢].

الثاني: ٱستقلالية هٰذِه المؤسسات بمواردها المالية تحقق لها القوة والاستقلال في إدارة شؤونها، والتوجه نحو مصالحها المحددة.

الثالث: ديمومة هٰذِه المعاني التكافلية، واستمرار نفعها ضمن ما تضمنه صورة الوقف من تأبيد ٱستمرار التدفق التكافلي من الذين يملكون للذين لا يملكون[٣].

الرابع: أن ريع الأوقاف وإن ظهر قليلًا على المدى القريب، لكنه في مجموعه المتراكم يثري الأعمال الخيرية أكثر من غيره من الموارد المنقطعة[٤].

الخامس: الموارد المالية الثابتة هي عصب العمل الخيري وسر ٱستقراره وقوته، مما يقاس به وعي الجمعيات الخيرية مدىٰ حرصها على الموارد الثابتة كالأوقاف، والتي تعد من دلائل وعي القائمين على الجمعية وبعد نظرهم، وبعدهم عن الحلول الآنية باقتصارهم على التبرعات الخيرية المقطوعة[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٢) الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر ص (٤٢) لسليم منصور.

(٣) الوقف مفهومه ومقاصده، لعبد الوهاب أبو سليمان.

(٤) الموارد المالية لمؤسسات العمل الخيري المعاصر ص (٣٨٥ - ٣٨٦) لطالب بن عمر الكثيري.

(٥) الأوقاف الخيرية داعم أساسي لموارد الجمعيات، للدكتور/ يحيىٰ اليحيىٰ.

- **تحقيق الأوقاف مصالح للجهات الخيرية ومنها:**

أ- تطوير العمل الخيري، وضمان سير الخطط بعيدة المدىٰ والانطلاق مع الأهداف المرسومة له، إذ إن الخطط السليمة تعتمد علىٰ موارد مالية ثابتة، وعدم ٱستقرار الموارد المالية يشل الحركة الخيرية، ويقتل الإبداع فيها، ويغلق منافذ التفكير، ويزرع الخوف والشك والقلق لدى العاملين لعدم توفر المال الذي يغطي مصارفهم الأساسية.

ب- طمأنة العاملين بسلامة مسار الجهة الخيرية في تغطيتها المصاريف التشغيلية الثابتة.

ج- بقاء مصداقية الجمعية في تغطيتها للبرامج الثابتة والتي يترتب عليها خلل كبير في ٱنقطاعها، مثل البرامج التعليمية والتربوية والدعوية.

ح- فتح آفاق القائمين على العمل الخيري واكتسابهم القدرة علىٰ وضع خطط عملية مستقبلية للجمعية، مما ينتج عنه فتح آفاق جديدة للعمل الخيري.

خ- حمايتها وصيانتها من الهزات الٱقتصادية والاجتماعية السياسية التي تمر بالدولة والمجتمعات.

د- القدرة علىٰ جذب الطاقات المتميزة للجهات الخيرية والإفادة من خبراتهم وقدراتهم.

ذ- تغذية الأنشطة المهمة والمهجورة في الجهات الخيرية بسبب ضعف الموارد الثابتة[١].

- **ميزات الوقف الإسلامي:**

- التعلق الشعبي به، وامتداد رواقه ومظلته إلىٰ أمور تشف عن حس إنساني رفيع.

- عدم ٱقتصار الوقف علىٰ أماكن العبادة كما هو في الش الرائع السابقة؛

---

(١) السابق.

بل ٱمتد في نفعه إلىٰ عموم أوجه الخير في المجتمع.

- شمول منافع الوقف حتىٰ علىٰ غير المسلمين من أهل الذمة، فيجوز أن يقف المسلم على الذمي[١].

- أن دافع الإنفاق فيه الإيمان، واحتساب الأجر والثواب، وهٰذا سبب عظيم من أسباب سخاء النفس الإنسانية وبذلها، ذلك أن المسلم يدرك الآثار الكثيرة للصدقة الواردة في الكتاب والسنة. والوقف ليس صدقة فحسب، وإنما هو صدقة جارية يتطلع المحتسب إلىٰ طول أمدها، ويبذل الأسباب لذلك.

- أن الأوقاف سبب من أسباب سد حاجات المسلمين، ودعم الأنشطة الدعوية، وسائر الوجوه الشرعية الخيرية التي يحتاج فيها إلى المال باستمرار دون ٱنقطاع[٢].

سادسًا: الكفارات والنذور[٣]

جاءت الكفارات والنذور لتعالج عقدة الشعور بالذنب والتقصير، ولتربي المكلف علىٰ خصال تقوية الإرادة، وانضباط السلوك، ومعاني الصبر على التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل.

وكثيرًا ما تكون آثار التكفير والإيفاء بالمنذور آثارًا مالية، تعود على المجتمع بالإحسان وكفاية الحاجات، وهٰذا ما جعلها تصب في موارد المؤسسات الخيرية، وتسهم في مسيرة أعمالها، وتغطية مصارفها[٤].

---

(١) الوقف من منظور ٱجتماعي، لعبد الله السدحان.

(٢) تنمية الموارد البشرية والمالية في المنظمات الخيرية (ص٤٠) لسليمان العلي.

(٣) هٰذِه الأبواب سيفرد لها مباحث تفصيلية في باب الفقه من هٰذِه الموسوعة، وما هٰذا إلا إشارات عامة.

(٤) الموارد المالية لمؤسسات العمل الخيري المعاصر ص (٣٤٥) لطالب بن عمر الكثيري.

ولما تعددت وتنوعت صور ٱستفادة الجمعيات الخيرية من هٰذِه الموارد المالية، واتسمت هٰذِه الموارد بضيق مصارفها بحسب مقصد الشارع، أو مقصد المكلف، كان لابد من بيان أنواع الكفارت والنذور التي يمكن أن تكون موردًا للجمعيات الخيرية:

- **كفارة اليمين:**

هي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة. دل علىٰ ذلك القرآن والسنة والإجماع، قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة: ٨٩].

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: (**وإذا حلفْتَ علَىٰ يَمِينٍ فَرأيْتَ غَيْرَها خَيْرًا مِنْها فأتِ الذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ**)[١].

وأجمع المسلمون علىٰ مشروعية الكفارة في اليمين بالله تعالىٰ[٢].

- **كفارة الجماع في نهار رمضان:**

والأصل في الكفارة عتق رقبة فإن عجز ٱنتقل إلىٰ صيام شهرين متتابعين، فإن عجز عن الصيام كأن يكون مريضًا مرضًا لا يرجىٰ زواله، ٱنتقل إلى الإطعام فيطعم ستين مسكينًا[٣]؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقالَ: هَلَكْتُ، قالَ: "**وما شأْنُكَ؟**" قالَ: وَقَعْتُ عَلَى ٱمْرأتِي في رَمَضانَ، قالَ: (**هَلْ تَجِدُ ما تُعْتِقُ رَقَبَةً؟**) قالَ: لا، قالَ: (**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ**

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٧).

(٢) المغني لابن قدامة (٨/ ٧٣٣).

(٣) المغني لابن قدامة (٣/ ٦٦).

تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ؟) قالَ: لا، قالَ: **(فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟...)**[(١)].

- **كفارة الظهار:**

والظهار أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي، وقد بين القرآن وكذا السنة كفارة الظهار، ففي القرآن قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٣، ٤].

وفي السُّنة أن سلمة بن صخر رضي الله عنه ظاهر من ٱمرأته فأخبر النبي ﷺ بما وقع منه، فقال له النبي ﷺ: **(حَرِّرْ رَقَبَةً)**، قُلْتُ: والَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ ما أَمْلِكُ رَقَبَةً غَيْرَها وَضَرَبْتُ صَفْحَةَ رَقَبَتِي، قالَ: **(فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ)** قالَ: وَهَلْ أُصِبْتُ الذِي أُصِبْتُ إلا مِنَ الصِّيامِ؟ قالَ: **(فَأَطْعِمْ وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ بَيْنَ سِتِّينَ مِسْكِينًا)** قُلْتُ: والَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَقَدْ بِتْنا وَحْشَيْنِ ما لَنا طَعامٌ، قالَ: **(فانْطَلِقْ إلىٰ صاحِبِ صَدَقَةِ بَنِي زُرَيْقٍ فَلْيَدْفَعْها إِلَيْكَ فأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ، وَكُلْ أَنْتَ وَعِيالُكَ بَقِيَّتَها)**، فَرَجَعْتُ إلىٰ قَوْمِي فَقُلْتُ: وَجَدْتُ عِنْدَكُمُ الضِّيقَ وَسُوءَ الرأْيِ، وَوَجَدْتُ عِنْدَ النَّبِي ﷺ السَّعَةَ وَحُسْنَ الرأْيِ، وَقَدْ أَمَرَنِي بِصَدَقَتِكُمْ[(٢)].

- **فدية ٱرتكاب محظور من محظورات الإحرام:** لعذرٍ من مرض، أو دفع أذىٰ، أو قتل صيدًا فإن عليه الفدية، فأما فدية المرض أو دفع الأذىٰ فإنه يتخير فيها: إما أن يذبح هديًا، أو يتصدق بإطعام ستة مساكين، أو يصوم ثلاثة أيام،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧١١)، ومسلم (١١١١).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٢١٣)، والترمذي (٣٢٩٩). وصححه الألباني في الإرواء (٢٠٩٠).

وقد بين ذلك القرآن والسنة.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وأما فدية قتل الصيد فقد قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة: ٩٥].

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: أَتَىٰ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ زَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ والقَمْلُ يَتَناثَرُ عَلَىٰ وَجْهِي فَقالَ: أَيُؤْذِيكَ هَوامُّ رأسِكَ قُلْتُ: نَعَمْ قالَ: **(فاحْلِقْ، وَصُمْ ثَلاثَةَ أيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَساكِينَ، أَوْ انْسُكْ نَسِيكَةً)**(١).

- **فدية الصيام**: ولا يصار إلى الفدية في الصيام إلا عند اليأس من إمكان قضاء الأيام التي أفطرها لكبر لا يقدر معه على الصيام، أو مرض لا يرجىٰ برؤه، فيطعم عن كل يوم مسكينا، لقول الله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ﴾ [البقرة: ١٨٤]، والمراد من يشق عليهم الصيام.

وعَنْ عَطاءٍ: سَمِعَ ابن عَبّاسٍ يَقْرأ: "وَعَلَى الذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فَلا يُطِيقُونَهُ" ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ﴾ قال ابن عَبّاسٍ: لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ هُوَ الشَّيْخُ الكَبِيرُ والمَرْأَةُ الكَبِيرَةُ لا يَسْتَطِيعانِ أَنْ يَصُوما فَيُطْعِمانِ مَكانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا(٢).

- **النذور التي يقصد بها القربة إلىٰ الله تعالىٰ:**

من ذبائح وأموال وغير ذلك، فمن نذر ذلك لزمه الوفاء لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، ولقوله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]، فمدح سبحانه الموفين بالنذر.

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٩٠)، ومسلم (١٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٠٧).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلا يَعْصِهِ)**[١]

سابعًا: الهبة والهدية

لما كان تعريف الهبة هو: تمليك العين بلا عوض حال الحياة تطوعًا[٢] كانت من أهم مصادر تمويل العمل الخيري في الإسلام، حيث تفتح للمسلم آفاقًا في العطاء وخاصة لأولئك الذين لا يسألون الناس إلحافًا. فكم من مستور الحال يشكو إلىٰ الله فقره وهو غني في أعين الناس، فمثل هٰؤلاء تكون الهدية والهبة إعانة لهم وحفظًا لمشاعرهم في نفس الوقت[٣].

ولقد حث الإسلام علىٰ تبادل الهدايا والهبات، ذاكرًا دورها في تقوية النسيج الاجتماعي وإشاعة روح الألفة والمودة بين أفراد المجتمع، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان: ٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(تهادُوا تحابُّوا)**[٤].

ثامنًا: التبرعات

التبرعات من أهم مصادر تمويل العمل التطوعي، وهي دعم مهم جدًا للجمعيات الخيرية، وتتنوع صور التبرعات لتستوعب رغبات المتبرعين مهما تعددت، وتقبل صدقات المحسنين مهما قلت، فشملت التبرع بعين المال أو منفعته، تنجيزًا أو تعليقًا، تأبيدًا أو توقيتًا، وليستبين حجم هٰذا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦).

(٢) الكافي لابن قدامة (٢/ ٢٧٩)، والمجموع للنووي (١٨/ ٨٤).

(٣) تنمية الموارد المالية في المؤسسات الخيرية، لصالح البنا.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٦٠١).

التنوع نعرض بعض صورها:

الأولىٰ: التبرع بالأعيان:

١- التبرع بكل ما زاد عن الحاجة، وهي صورة بذل الفضل، يقول سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**مَنْ كانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ علَىٰ مَنْ لا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لا زادَ لَهُ**) قالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنافِ المالِ ما ذَكَرَ حَتَّىٰ رأيْنا أَنَّهُ لا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنّا في فَضْلٍ[(١)].

ومن هٰذا الباب التبرع بالملابس والأثاث التي تزيد عن حاجة أصحابها.

٢- تبرع بشرط رد البدل وهي صورة القرض الحسن، فيتبرع المقرض بماله لفترة محدودة ٱبتغاء نفع إخوانه المحتاجين، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: (**كُلُّ قَرْضٍ صَدَقَةٌ**)[(٢)]، ومن ذلك صناديق الإقراض للراغبين في الزواج، أو لتمويل المشروعات الصغيرة، أو لفك الكربات وسد الحاجات.

٣- تبرع معلق بما بعد الموت، وهي صورة الوصية، فيتنعم الموصي بماله مدة حياته، إن ٱحتاجه أنفقه، وإن مات عنه تصدق بثلثه في أبواب الخير، يقول سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٨٠﴾ [البقرة: ١٨٠]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إنَّ الله تَصَدَّقَ عَلَيْكُمْ عِنْدَ وَفاتِكُمْ بِثُلُثِ أَمْوالِكُمْ، زِيادَةً لَكُمْ في أَعْمالِكُمْ**)[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٢٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٤٩٨)، وقال الألباني: حسن لغيره. ٱنظر صحيح الترغيب والترهيب (٨٩٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٧٠٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٣٣).

الثانية: التبرع بالمنافع:

١- التبرع بالمنفعة والغلة، وهي صورة المنيحة، والمنيحة الشاة ذات اللبن يتصدق بها أهلها علىٰ من ينتفع بلبنها، ثم يردها، وهي صورة من صور التصدق بمنتجات الأعيان.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **(أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاهُنَّ مَنِيحَةُ العَنْزِ، ما مِنْ عامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْها رَجاءَ ثَوابِها وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِها إلاّ أَدْخَلَهُ اللهُ بِها الجَنَّةَ)**[١].

ومن ذلك: تنسيق بعض الجهات الخيرية لترتيب سكن الطلبة الجامعيين في البيوت، أو الشقق التي يستغني عنها أصحابها مؤقتًا، أو تبرع أولئك بإيجارها ليصرف في مشاريع خيرية.

٢- التبرع بالمنفعة بشرط الرد، وهي صورة العارية، والعارية تبرع بمنافع الأعيان لمن ينتفع بها، ثم يردها، كالتبرع بالآلات والمعدات لمن ينتفع بها في حرفته.

٣- التبرع بمنافع لا يتضرر المتبرع بدفعها، وهي صورة بذل الماعون، وهو التصدق بكل ما ينفع الغير ولا يضر المتصدق، كإعارة القدر والحبل والدلو، ومع صغر هٰذِه المنافع إلا أن الله تعالىٰ ذم من يمنعها، موجهًا عباده لنبذ الشح، وفطم النفوس علىٰ أن تتربىٰ علىٰ منع المعروف دون سبب، قال سبحانه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون][٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٣١).

(٢) الموارد المالية لمؤسسات العمل الخيري المعاصر ص (٤٤٣ - ٤٤٦) لطالب بن عمر الكثيري. بتصرف يسير.

تاسعًا: الأسواق الخيرية

من مصادر تمويل العمل الخيري إقامة أسواق خيرية تباع فيها بعض السلع، وتُسوَّق فيها بعض منتجاتها، كوسيلة من الوسائل المتاحة لجمع التبرعات، ولدعم مشروعاتها الخيرية، وقد تكون هٰذِه السلع المعروضة مثل:

١- الملابس الصيفية والشتوية.

٢- الخرداوات بكافة أنواعها.

٣- الكتب العلمية.

٤- الأضاحي.

٥- مقتنيات البيوت الزائدة عن الحاجة من أثاث وغير ذلك.

وقد تباع هٰذِه السلع من خلال معارض للبيع، أو من خلال مزاد علني يزايد فيه لشراء السلع، وغالبًا ما تقام هٰذِه المزادات في مناسبة معينة تنظمها المؤسسة الخيرية، أو تفاعلًا مع إقبال الناس علىٰ مواسم معينة مثل: الدراسة، أو دخول فصل الصيف والشتاء، أو عيد الفطر والأضحىٰ، أو دخول شهر رمضان، ونحو ذلك[١].

عاشرًا: مشاريع الإعلانات

من مصادر تمويل العمل الخيري مشاريع الإعلانات وذلك بترويج الاسم التجاري من خلال بعض مشاريع المؤسسات الخيرية، فإن التبرعات التي تقدمها شركات القطاع الخاص للمؤسسات الخيرية تكون بمحض الإحسان تارة، أو باشتراط القيام ببعض الأعمال الدعائية تارةً أخرىٰ ولهٰذا صورتان:

الصورة الأولىٰ: إعلان الشركات التجارية عن خصم جزء من ريع مبيعاتها

---

(١) الموارد المالية لمؤسسات العمل الخيري المعاصر ص (٦١٦) لطالب بن عمر الكثيري. بتصرف يسير.

لصالح الأعمال الخيرية، وهٰذِه الصورة تعد من تبرع الشركة ببعض كسبها لصالح الأعمال الخيرية، ومثال ذلك أن تعلن الشركة التجارية في وسائل الإعلام، أو أن تكتب علىٰ سلعها المعروضة أن مبلغًا محددًا، أو نسبة معينة من الربح - كـ(١٠ ٪) مثلًا - ستصرف في الأعمال الخيرية[١].

الصورة الثانية: الرعاية الرسمية لبعض المشاريع الخيرية، ومثال ذلك: أن ترتبط المؤسسة الخيرية مع بعض الجهات التجارية بعقد تتكفل بموجبه الجهة التجارية بدفع مبلغ معين من المال مقابل رعايتها لبعض المشاريع الخيرية، وتلتزم المؤسسة الخيرية بتقديم مجموعة من الخدمات الإعلانية للجهة التجارية، ومن أمثلة تلك الخدمات:

١- طباعة ٱسم وشعار الراعي علىٰ دعوات المؤتمر، وكذلك اللوحات الإعلانية، والمطبوعات التعريفية الخاصة بالمشروع الخيري.

٢- تخصيص مساحة إعلانية لتسويق خدمات الجهة الراعية في دليل المشاركين، ومواقع المشروع الخيري على الإنترنت.

٣- إتاحة الفرصة للجهة الراعية لحضور الحفل الأفتتاحي أو الختامي للمشروع، أو إلقاء كلمة خلاله، أو المشاركة في اللقاءات الصحفية والإعلامية[٢].

وهٰذا التبرع جائز بشرط أن تتحرى الشركات في هٰذِه الصور الإخلاص لله، والقصد لنفع الناس، لا مجرد التكسب وترويج السلع، وبشرط عدم زيادة أثمان السلع أو تغيير جودتها، وأن تلتزم كذلك بوفاء التبرع بالنسبة التي حددتها[٣].

---

(١) تنمية الموارد البشرية والمالية ص (١٧٥)، لسليمان العلي.

(٢) الموارد المالية لمؤسسات العمل الخيري المعاصر (ص٦٣٢ - ٦٤٨)، بتصرف يسير.

(٣) أحكام المسابقات التجارية (ص٤٠) لفضيلة الشيخ/ عبد الله الجبرين.

حادي عشر: الجزية

وهي الأموال التي تؤخذ من البالغين من رجال أهل الذمة والمجوس مقابل ما يتمتعون به من حقوق، وهي في مقابل عدم أخذ الزكاة من مالهم، وهي لا تجب إلا مرة في السنة ويراعىٰ فيها العدل والرحمة وعدم تكليفهم فوق طاقتهم[١].

والأصل فيها قول الله تعالىٰ: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩].

وثبت أن النبي ﷺ أخذها، فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أَخَذَها - يعني الجزية - مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بَعَثَ خالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إلىٰ أُكَيْدِرِ دُومَةَ فأَخِذَ فأَتَوْهُ بِهِ فَحَقَنَ لَهُ دَمَهُ وَصالَحَهُ عَلَى الجِزْيَةِ[٣].

لذلك فإن الجزية تعد موردًا أساسيًا من موارد الدولة، وهي التي تقوم بجمعها وإنفاقها علىٰ مصالح الدولة حيث لم يرد ذكر مصارف الجزية في القرآن، بل الأمر مصروف إلى ٱجتهاد الإمام في أي جهة خيرية.

يقول ابن رشد: (فإنهم ٱتفقوا علىٰ أنها - الجزية- مشتركة لمصالح المسلمين من غير تحديد كالحال في الفيء عند من رأىٰ أنه مصروف إلى ٱجتهاد الإمام)[٤].

ولذا فإن مصرف الجزية يكون للصالح العام كبناء المدارس، والمساجد،

---

(١) المغني لابن قدامة (٥٥٧)، الأحكام السلطانية للماوردي (٢٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٥٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٠٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣٠٧٣).

(٤) بداية المجتهد لابن رشد (١/ ٤٠٧).

ودور العلم، وتدفع كرواتب للجند والعاملين في الدولة علىٰ شتىٰ أصنافهم، ويدعم بها الجمعيات الخيرية.

ثاني عشر: الخراج

هو ما وضع علىٰ رقاب الأرض من حقوق تؤدىٰ عنها، أو هو نسبة من المال تؤخذ على الأراضي التي فتحها المسلمون ووزعت عليهم تقسيما كتقسيم الغنائم، أو أقرها الإمام وتركها لأصحابها من غير المسلمين. فعلىٰ من أخذ أرضًا من هٰذِه دفع نسبة من المال مقابل زراعة هٰذِه الأرض والاستفادة منها بحسب ما يتفق عليه مع الحاكم المسلم أو من ينوب عنه[١].

ويلاحظ أنَّ إلزام غير المسلمين بدفع الخراج عما تنتجه أراضيهم يحقق العدالة والتوازن، فإن المسلم يدفع في مقابل ذلك زكاة ما يخرج من أرضه من مزروعات.

لقد حرص الخلفاء الراشدون علىٰ جمع الأموال المستحقة لبيت المال، وكتبوا إلىٰ عمالهم بذلك؛ ليصل التكافل الٱجتماعي بين الناس، فكان أول من وظف الخراج هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما فتحت العراق، كتب إلىٰ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حين ٱفتتح العراق: أما بعد: فقد بلغني كتابك تذكر أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم، وما أفاء الله عليهم، فإذا جاءك كتابي هٰذا فانظر ما أجلب الناس عليك إلى العسكر من كراع أو مال، فاقسمه بين من حضر من المسلمين، واترك الأرضين والأنهار لعمالها، ليكون ذلك في أعطيات المسلمين، فإنك إن قسمتها بين من حضر، لم يكن لمن بقي بعدهم شيء، وقد كنت أمرتك أن تدعو الناس ثلاثة أيام، فمن ٱستجاب لك،

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي (١/ ٢٩٦).

وأسلم قبل القتال، فهو رجل من المسلمين، له ما لهم، وله سهم في الإسلام، ومن ٱستجاب لك بعد القتال، وبعد الهزيمة، فهو رجل من المسلمين، وماله لأهل الإسلام، لأنهم قد أحرزوه قبل إسلامه، فهٰذا أمري، وعهدي إليك، ولا عشور علىٰ مسلم، ولا علىٰ صاحب ذمة، إذا أدى المسلم زكاة ماله، وأدىٰ صاحب الذمة جزيته التي صالح عليها، إنما العشور علىٰ أهل الحرب، إذا ٱستأذنوا أن يتجروا في أرضنا، فأولئك عليهم العشور[(١)].

ثالث عشر: الغنائم

وهي ما أخذ من أموال الكفار بقتال[(٢)].

وقد سمّاها الله تعالىٰ أنفالًا لأنها زيادة في أموال المسلمين، لقوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ [الأنفال: ١][(٣)].

والأصل فيها من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنفال: ٦٩].

ومن السنة حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قالَ: "**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فأَيُّما رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لِي المَغانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وأَعْطِيتُ الشَّفاعَةَ، وَكانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلىٰ قَوْمِهِ خاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلى النّاسِ عامَّةً**"[(٤)].

(١) الخراج ليحيىٰ بن آدم (١/ ٩٩)، والأموال لأبي عبيد (١/ ١٥٢).
(٢) بدائع الصنائع للكاساني (٧/ ١١٧)، حاشية ابن عابدين (٤/ ١٣٧)، والمجموع للنووي (١٩/ ٣٧١).
(٣) السياسة الشرعية لابن تيمية (١/ ٥٣).
(٤) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

والواجب في المغنم تخميسه، وصرف الخمس إلىٰ من ذكره الله تعالىٰ وقسمة الباقي بين الغانمين لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

وبيان تقسيم الغنيمة كالتالي:

يقسم الإمام الغنيمة خمسة أخماس الخمس الأول: لله ولرسوله، ولذي القربىٰ، واليتامىٰ، والمساكين، وابن السبيل، ثم يقسم الأخماس الأربعة الباقية على الغانمين، وإليك بيان ذلك:

الخمس الأول:

١- سهم لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ: وكان هٰذا السهم له ﷺ في حياته يضعه في مصارفه التي يراها، ثم صار من بعده ﷺ يصرف في الكراع والسلاح ومصالح المسلمين، كسد الثغور، وشحنها بالعدد، والمقاتلة، وكعمارة المساجد، والقناطر، والحصون، وأرزاق القضاة، والأئمة، والعلماء بعلومٍ تتعلق بمصالح المسلمين، لأن بالثغور حفظ المسلمين، ولئلا يتعطل من ذكر بالاكتساب عن الاشتغال بهٰذه العلوم وعن تنفيذ الأحكام وعن التعليم والتعلم، فيرزقون ما يكفيهم ليتفرغوا لذلك، ويقدم الأهم فالأهم وجوبًا.

٢- سهم لذي القربىٰ: وهم بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف وهو المراد بقول الله تعالىٰ: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ دون غيرهم.

٣- سهم لليتامىٰ: وهم الذين مات آباؤهم ولم يبلغوا الحلم، فإن بلغوا الحلم لم يكونوا يتامىٰ.

٤- سهم للمساكين: وهم أهل الحاجة، ويدخل فيهم الفقراء، فالمساكين والفقراء في الاستحقاق من هٰذا السهم صنف واحد.

٥- سهم لابن السبيل: هم المسافرون الذين انقطع بهم السفر، فيعطون

ما يوصلهم إلىٰ سفرهم[١].

الأخماس الأربعة الباقية:

يقسم الإمام الأخماس الأربعة الباقية علىٰ كل من شهد الوقعة سواء باشر القتال أم لم يباشر لقول عمر بن الخطاب ﷺ: الغنيمة لمن شهد الوقعة[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهم الذين شهدوها للقتال سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا[٣].

كيفية التقسيم:

أن يعطي الإمام للراجل سهمًا، وللفارس ثلاثة أسهم، سهم له، وسهمان لفرسه؛ لأنه ﷺ أسهم يوم خيبر للفارس ثلاثة أسهم: سهمان لفرسه، وسهم له[٤]. وأما النساء والعبيد والصبيان إذا حضروا الوقعة، فالصحيح أنه يُرْضَخ لهم ولا يقسم لهم[٥]، لقول ابن عباس ﷺ لمن سأله: كَتَبْتَ تَسْأَلُنِي هَلْ كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَغْزُو بِالنِّساءِ؟ وَقَدْ كانَ يَغْزُو بِهِنَّ، فَيُداوِينَ الجَرْحَىٰ، وَيُحْذَيْنَ مِنَ الغَنِيمَةِ، وأمّا بِسَهْمٍ فَلَمْ يَضْرِبْ لَهُنَّ[٦].

ولقد تولىٰ رسول الله ﷺ تقسيم الغنائم بنفسه فقسم غنائم بدر، وخيبر وهوازن بين المسلمين، وقسم الصحابة غنائم الشام والعراق، وأول غنيمة قسمت في الإسلام: غنيمة بدر بعد أن جعلها الله تعالىٰ لرسوله فقسمها

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ١٢)، وجامع البيان لابن جرير الطبري (١٣/ ٥٥٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٥٩)، وأضواء البيان للشنقيطي (٩/ ١٣)، وتفسير السعدي (٣٢١).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن (٩/ ٨٦).

(٣) السياسة الشرعية لابن تيمية (١/ ٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٢٨).

(٥) الإنصاف للمرداوي (٤/ ١٢٨)، الكافي لابن قدامة (٤/ ١٤٢).

(٦) أخرجه مسلم (١٨١٢).

بين أصحابه، وأول غنيمة خمِّست غنيمة بني قينقاع، وكانت في نصف شوال سنة ٱثنتين من الهجرة بعد وقعة بدر بقريب من شهر(١).

وكانت الغنائم تقسم بين الغانمين في دولة بني أمية وبني العباس لما كان المسلمون يغزون الروم والترك والبربر(٢).

رابع عشر: الفيء

هو كل مال منقول أخذ من الكفار بغير قتال، وبلا إيجاف خيل ولا ركاب(٣).

وسمي فيئًا لأن الله أفاءه على المسلمين أي رده عليهم من الكفار، فإن الأصل أن الله تعالىٰ إنما خلق الخلق لعبادته، فالكافرون به أباح أنفسهم التي لم يعبدوه بها وأموالهم التي لم يستعينوا بها علىٰ عبادته لعباده المؤمنين الذين يعبدونه وأفاء إليهم ما يستحقونه(٤).

وقد كان الفيء لرسول الله خاصة يتصرف فيه كيف شاء يختصه لنفسه أو يفرقه فيمن شاء قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحشر: ٦].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: كانَتْ أَمْوالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمّا أَفاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ مِمّا لَمْ يُوجِفْ المُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلا رِكابٍ، فَكانَتْ لِرَسُولِ اللهِ

(١) تحرير الأحكام لابن جماعة (١/ ١٨٨).

(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية (١/ ٥٣).

(٣) بدائع الصنائع للكاساني (٧/ ١١٥)، حاشية ابن عابدين (٤/ ١٣٧)، والمجموع للنووي (١٩/ ٣٧٥)، والمغني لابن قدامة (٧/ ٢٩٧).

(٤) السياسة الشرعية لابن تيمية (١/ ٦٢).

ﷺ خاصَّةً، يُنْفِقُ عَلَىٰ أَهْلِهِ مِنْها نَفَقَةَ سَنَتِهِ، ثُمَّ يَجْعَلُ ما بَقِيَ في السِّلاحِ والكُراعِ عُدَّةً في سَبِيلِ اللهِ(١).

ولقد بين الله تعالىٰ كيف يقسم الفيء، فقال تعالىٰ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]

وعلىٰ هٰذا فيصرف الفيء بعد وفاة النبي ﷺ في جميع مصالح المسلمين، ومنها الإنفاق علىٰ ذوي الحاجات ودفع الأرزاق للجند والعلماء والقضاة وسائر موظفي الدولة، كما يعطىٰ منه إلىٰ عموم المسلمين، وهٰذا هو المأثور عن الخلفاء الراشدين ﷺ في سيرتهم وهديهم، ولذلك قال عمر بن الخطاب ﵁: والله ما أحد أحق بهٰذا المال من أحد، والله ما من المسلمين أحد إلا وله في هٰذا المال نصيب إلا عبدًا مملوكًا، ولكنا علىٰ منازلنا من كتاب الله تعالىٰ وقسمنا من رسول الله ﷺ فالرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته والله لئن بقيت لهم إلىٰ قابل ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظَّه من هٰذا المال وهو يرعىٰ مكانه(٢).

ويفهم من هٰذا كله أن عموم المسلمين لهم نصيب من مال الفيء، فيعطون منه بعد سد النفقات الضرورية للدولة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ثم إنه يجتمع من الفيء جميع الأموال السلطانية التي لبيت مال المسلمين: كالأموال التي ليس لها مالك معين

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٥)، ومسلم (١٧٥٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٩٥٠)، وأحمد (٢٩٢) واللفظ له، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر.

مثل من مات من المسلمين وليس له وارث معين، وكالغصوب والعواري والودائع التي تعذر معرفة أصحابها، وغير ذلك من أموال المسلمين العقار والمنقول فهٰذا ونحوه مال المسلمين[1].

***

(١) السياسة الشرعية لابن تيمية (١/ ٦٢).

العمل التطوعي
في المجتمعات الغربية
والدعم المقدم له

نبذة عن العمل التطوعي في المجتمعات الغربية والدعم المقدم له

لقد ٱهتمت الدول الغربية ٱهتمامًا بالغا بالعمل الخيري، وأدركت أن الدول لا غنىٰ لها عن قيام مؤسسات أهلية تسد عجز الحكومات في رفع العبء عنها، ومساهمة من المجتمع بكل أطيافه في المشاركة الٱجتماعية الفاعلة، ولعل بعض المسلمين لا يدرك أن الدول الغربية تولي ٱهتمامًا بالغًا بإنجاح العمل التطوعي، وتساهم بشكل فعال في إنجاحه، وإزالة العقبات أمام ٱستمراره وتجدده، والواقع يشهد أن الدول الكبرىٰ في العالم اليوم قد ركزت علىٰ قيام هٰذِه المؤسسات الخيرية، ودعمتها بكل أنواع الدعاية والتسهيل والرعاية حتىٰ تفوق العمل الخيري في هٰذِه المجتمعات علىٰ بعض دول الإسلام، والتي كان ينبغي أن تكون رائدة في تصدير العمل الخيري وتعليم هٰذِه الدول أصوله ومبادئه.

ولابد من إلقاء نظرة سريعة علىٰ بعض الجهود المبذولة في دول الغرب؛ لنلفت ٱنتباه القاريء الكريم إلىٰ مدىٰ عناية هٰذِه الدول لهٰذِه المؤسسات.

الاتجاهات العالمية في العمل الخيري:

يسير العمل التطوعي من خلال ثلاثة ٱتجاهات رئيسة، وهي:

أولًا: الٱتجاه الماركسي والاشتراكي وهو ضعيف وغير مؤثر.

ثانيًا: الٱتجاه الليبرالي الغربي وهو السائد.

ثالثًا: الٱتجاه الديني: وهو متنوع ومتسع، ويختلف من بلد إلىٰ آخر، قوة وضعفًا.

أولًا: الاتجاه الماركسي والاشتراكي في العمل الخيري:

وهو ٱتجاه ضعيف جدًّا، في العمل الخيري، ولا يكاد يكون موجودًا؛ لأن الدول الماركسية والشيوعية لديها موقف مُعاد للعمل الخيري، وسجلت في الصين سبع جمعيات لها نشاط ملموس، منها الجمعية البوذية، والجمعية الكاثوليكية، وإن كان يقدر عدد المنظمات الخيرية **١٨٦** ألف منظمة منها ما هو معترف به ومنها غير معترف به، وهٰذا عدد ضعيف جدًا بالمقارنة بعدد السكان في الصين الذي يقارب المليار ونصف نسمة؛ ولذلك فإن الأتجاه الماركسي لم يقدم الكثير للعمل الخيري، لتحكم الدولة والحزب الشيوعي في جميع الأنشطة.

ثانيا: الاتجاه الليبرالي الغربي وهو السائد:

أما عن الأتجاه "الليبرالي" فينطلق في العمل الخيري من خلال عدة محاور وهي:

أولاً: إسناد مهمات إنسانية وغير إنسانية للمنظمات الخيرية، مثل: "الأوكسفام" البريطانية وهي عبارة عن ٱتحاد لـ**١٣** منظمة تعمل في أكثر من مائة دولة لمعالجة الفقر، وتشارك معها الحكومة البريطانية في مهمات إنسانية وغير إنسانية.

وأيضا منظمة (فرق السلام) وهي منظمة فيدرالية أمريكية وليست أهلية وتستوعب المتطوعين، فقد خدم فيها **١٩٠** ألف متطوع، ونشاطها وصل إلىٰ **١٣٩** دولة.

ثانيًا: تطوير الجمعيات الخيرية وتسهيل إجراءات الترخيص.

ثالثًا: وضع الأنظمة للجمعيات الخيرية وإنشاء وتفعيل أجهزة رسمية لمتابعة العمل، ويظهر هٰذا الأتجاه بجلاء في بريطانيا، التي وضعت أنظمة لمتابعة العمل الخيري تقوم به "الأوكسفام".

رابعًا: إمكانات الأمم المتحدة ومنظماتها في دعم العمل الإنساني، يبرز دور (المجلس الاقتصادي والاجتماعي) بالأمم المتحدة، وهٰذا المجلس يهيمن عليه التوجه الليبرالي، بل واستطاعت منظمات الشواذ أن تسخره لمصلحتها ولأهدافها، حتىٰ في مؤتمرات مكافحة الإيدز التي نظمت تحت مظلة الأمم المتحدة طوعها الشواذ لأهدافهم.

والمجلس الاقتصادي والاجتماعي يضم **١٦٧٧** منظمة منها فقط **١٧٧** منظمة عربية.

خامسًا: اعتبار أمريكا وأوروبا العمل الخيري والإنساني جزءًا من منظومة الديمقراطية، وتسخير الدعم الذي يقدم من خلال هٰذِه المنظمات لأحداث سياسية، وربطه ببرامج معينة لنشر الفكر التغريبي.

سادسًا: تطوير أدبيات العمل الخيري وفتح مجالات واسعة له محليًّا ودوليًّا، فهناك دعم كبير من الدول الغربية للمنظمات الخيرية، وفتح باب التطوع للعمل في هٰذِه المنظمات، وبسبب هٰذا الدعم، والإمكانات المادية الكبيرة نجد المنظمات الغربية في كل مكان، وفي أي بقعة من الأرض، ويعكس التوجه الغربي الليبرالي الذي يشكل منظومة عملها.

وهٰذِه نماذج تفصيلية للعمل التطوعي في بعض الدول الكبرىٰ:

١- أمريكا:

إن كل العمل التطوعي والخيري في أمريكا يندرج تحت ما يسمىٰ بالجمعيات اللاربحية واللاحكومية:

Non Profit Organization (Non Government Organization

وتختصر بعبارة (NGO) (NPO) وإذا دخلت شبكة الإنترنت وحدها تجد هناك قرابة **٢** مليون موقعًا تحت كلمة (NGO)، وتشكل الجمعيات اللاربحية عاملًا فعالًا في خدمة الناتج المحلي للاقتصاد الأمريكي (GDP) وحتىٰ نشعر بأهمية هٰذا الدور أقدم الأرقام الآتية لعام (١٩٩٨م)

وهي الإحصائية المتوفرة لدي حاليًا من ورقة عمل قدمتها جمعية NCRP الأمريكية ومقرها واشنطون لدعم العمل التطوعي في منطقة الخليج وجاء فيها:

قد بلغ حجم التبرعات الخيرية لعام (١٩٩٨م) ١٧٥ بليون دولار يذهب تسعة أعشار هٰذا المبلغ لدعم الكنائس والأنشطة الدينية الأخرىٰ والنواحي التعليمية المؤسسات الصحية، بينما **٣ فقط لجمعيات البيئة وحماية الحياة الفطرية، في حين يذهب ٦ فقط من ذاك المبلغ لجمعيات حماية المستهلكين وجمعيات مكافحة العنصرية والتفرقة العرقية.**

يبلغ عدد الجمعيات الخيرية في أمريكا ١.٤مليون جمعية طبقًا لإحصاءات عام ٢٠٠٦م، ودخلها تجاوز ٢٩٥ مليار دولار، وهناك تسهيلات كثيرة لهٰذِه الجمعيات.

مجالس العمل الخيري:

لن يستغرب المرء إذا عرف أن الذي يدفع بالعمل الخيري التطوعي في الولايات المتحدة نظام متطور جدًّا، فهٰذِه المؤسسات والمنظمات العملاقة منضمة إلىٰ مجالس واتحادات، بحيث يضم المجلس أو الاتحاد عدة منظمات ينسق الجهود فيما بينها [التنصير، الرعاية الصحية، الكوارث والنزاعات. . إلخ] وأهم هٰذِه المجالس:

١. المركز القومي للإحصاءات الخيرية .NCCS

٢. مجلس الرابطة الأمريكية لتنمية الموارد والوقوف الخيرية، ويضم ٥٢ مؤسسة وشركة وقف.

٣. القطاع المستقل، تأسس عام ١٩٨٠م ويضم ٨٣٠ مؤسسة ومنظمة وشركة تعمل كلها في مجالات حيوية مختلفة.

٤. المجلس القومي للمنظمات التطوعية، تأسس عام ١٩٨٤م ويضم ١٦٠ منظمة.

٦. المجمع الكنسي الكاثوليكي الوطني لقيادات العناية الصحية.

٧. مجلس المركز الأكاديمي غير الربحي، ويتكون من الجامعات التي بها مراكز الدراسات للقطاع الخيري [٤٠ جامعة! !] ويعمل حاليا ليضم له ١٠٠ جامعة تعمل مراكزها علىٰ دراسات العمل الخيري.

نماذج لشخصيات أمريكية ساهمت ببذل كبير في العمل التطوعي:

(وارن أدوارد بافيت (Warren Buffett مستثمر ورجل أعمال أمريكي يبلغ من العمر ٧٧ عامًا، جاء ليتربع علىٰ عرش "البليونيرية"، بعد أن ٱحتكرها قبله وعلىٰ مدىٰ ١٣ عامًا (بين عامي ١٩٩٥ و٢٠٠٧) زميله "بيل جيتس" فقد قدرت ثروته عام ٢٠٠٧ بحوالي ٦٢ مليار دولار، وبهذا تم تصنيفه بأنه أغنىٰ رجل في العالم بحسب مجلة فوربس .Forbes

تحوي سيرة "بافيت" جوانب عجيبة، لٰكن نتوقف عند تصنيف تبرعه للأعمال الخيرية بأنه الأكبر في التاريخ المعاصر.

استطاع هٰذا المستثمر أن يجمع ثروة طائلة عبر عدد من الٱستثمارات، وكان تتويجها تحت إدارة شركة قابضة تحمل ٱسم: "بيركشاير هاثاواي: Berkshire Hathaway وهو أكبر مساهميها ومديرها التنفيذي.

وقد كان من اللافت للأنظار والمثير للدهشة أن "بافيت" أعلن في يونيو ٢٠٠٦ تعهده بالتبرع بالجزء الأكبر من ثروته من خلال تخصيص ٨٣ **منها إلىٰ مؤسسة "بيل وميليندا جيتس فاونديشن" الخيرية. وقد بلغت قيمة هٰذا التبرع نحو ٣٠. ٧ مليار دولار، فاعتبره المراقبون أكبر تبرع خيري في التاريخ المعاصر. وسيكون هٰذا التبرع مخصصا بحسب ما أعلن لدعم الأبحاث الطبية ومساعدة الفقراء والمرضىٰ، فضلا عن تشجيع التعليم والتربية في البلدان الفقيرة.**

وتضمن هٰذا الإعلان التأكيد على المبادرة بتقديم التبرع وجدولته بحيث تتسلم المؤسسة المذكورة ٥ **من إجمالي التبرع علىٰ أساس سنوي في كل**

يوليو، اعتبارًا من عام ٢٠٠٦م. كما تضمن إعلان "بافيت" انضمامه إلىٰ مجلس إدارة مؤسسة "جيتس الخيرية"، رغم أنه لا يعتزم أداء دور نشط في إدارة المؤسسة.

كما أعلن "بافيت" عن خطط تقضي بالمساهمة بأسهم إضافية من أسهم شركة "بيركشاير" تقترب قيمتها من ٦. ٧ مليار دولار لمؤسسة "سوزان تومبسون بافيت" وغيرها من المؤسسات الخيرية التي يترأسها ثلاثة من أولاده.

وغير بعيد عنه "بيل جيتس: William Henry Gates III مؤسس شركة مايكروسوفت المنافس لـ "بافيت" في قمة الثراء المالي حيث سبقه إلىٰ ميدان التبرع الخيري عندما ساهم بـ٢٠ مليار دولارمن ثروته لإنشاء "مؤسسة بيل وميليندا جيتس للأعمال الخيرية: Melinda Gates 'Bill Foundation " وهي مؤسسة خيرية حول العالم، والأهداف الرئيسية لها على الصعيد العالمي هي تعزيز الرعاية الصحية والحد من الفقر المدقع؛ وأما في الولايات المتحدة، فأهدافها توسيع فرص التعليم والوصول إلىٰ تكنولوجيا المعلومات. و"ميلندا" هٰذِه هي مديرة سابقة في "مايكروسوفت" وزوجة "بيل غيتس".

ثم أعلن "جيتس" استقالته من منصبه علىٰ رأس شركة "مايكروسوفت" وتفرغه تماما لإدارة مؤسسته الخيرية، ومقتضىٰ ذلك أن يضع ثروته كلها لخدمة المؤسسة وهٰذا سيوسع دائرة نشاطها لتصل إلىٰ من استهدفتهم من الفقراء والمحتاجين في كثير من أنحاء العالم(١).

٢- بريطانيا:

أنشأت بريطانيا قبل أكثر من ١٥٠ سنة ما يسمىٰ بالمفوضية الخيرية (Commission Charity) وهي جهة حكومية متخصصة تقوم بتسجيل

---

(١) أكبر تبرع خيريّ في التاريخ، د. خالد بن عبد الرحمن الشايع.

كل الجمعيات الخيرية في بريطانيا وتنظم أعمالها.

ويشرف علىٰ هٰذِه المفوضية ثلاث إلىٰ خمس شخصيات ممن يحملون شهادة في القانون ولديهم خبرة واسعة في العمل الخيري.

ولكي تحصل الجمعية الخيرية علىٰ رخصة عمل فلا بد لها أن تقدم للمفوضية دستورًا خاصًّا بها يتضمن أهدافها ومجالات عملها وأسماء أمنائها وأنشطتها الخاصة بجمع التبرعات.

وبعيدًا عن العراقيل والعقبات التي تواجهها الجمعيات الخيرية العربية في عملها فقد كان الهدف العام لهٰذِه المفوضية: تقديم أفضل تنظيم ممكن للجمعيات الخيرية في بريطانيا، لزيادة كفاءتها وفاعليتها وثقة الناس بها، ويفسر هٰذا الهدف العلاقة المنظمة والمنطقية بين الحكومة والجمعيات الخيرية.

وتترجم المفوضية هدفها العام في ثلاثة محاور عمل أساسية:

أ - تشجيع وتطوير الطرق الأفضل لإدارة الجمعيات الخيرية.

ب - تزويد القائمين على الجمعيات الخيرية بالمعلومات والنصح في أي أمر له تأثير في عمل جمعياتهم.

جـ - التحقيق والتحري في حالات سوء ٱستغلال العمل الخيري.

ومع أن الرقابة المالية هي من أهم الأعمال التي تمارسها المفوضية من خلال مطالبتها الجمعيات الخيرية بتقديم تقارير مالية سنوية مدققة من قبل جهات محاسبية معترف بها إلا أن دورها تعدىٰ ذلك إلى السعي الجاد في توفير بيئة منظمة ونقية لتمارس الجمعيات الخيرية البريطانية رسالتها بيسر وسهولة، وتوفير سبل تطوير أداء هٰذِه الجمعيات والعاملين فيها؛ ولذلك يجد المطلع علىٰ نشاط المفوضية كما هائلا من الدورات والدراسات والأبحاث؛ فقد أصدرت المفوضية أكثر من ٧٠ بحثًا حول قضايا إدارية وقانونية تتعلق بعمل الجمعيات الخيرية، كما تصدر دورية فصلية عن شؤون العمل الخيري.

ولقد ٱنعكست هٰذِه الرعاية والمساندة من قبل الحكومة علىٰ مجالات عدة في قطاع العمل الخيري في بريطانيا؛ فقد بلغ عدد الجمعيات الخيرية البريطانية حتىٰ ديسمبر عام **٢٠٠٣**م: **١٦٤٧٨١** جمعية خيرية وهي تنمو بمعدل (**١٠٠٠**) جمعية تقريبًا بشكل سنوي، كما ٱستطاعت هٰذِه الجمعيات أن تجمع خلال عام **٢٠٠٣**م أكثر من (**٣١**) واحد وثلاثين مليار جنية إسترليني، وقد بلغت أكثر من **١٩٠** ألف جمعية مسجلة لدى المفوضين الخيرية في عام **٢٠٠٦**م ودخلها يتجاور **٤٠** مليار جنيه إسترليني. تصب في أعمال خيرية متنوعة داخل وخارج بريطانيا.

وقد تنوعت خدمات هٰذِه الجمعيات وتعدت الإنسان لتصل إلى الحيوان والنبات والبيئة، كما ٱستطاعت هٰذِه الجمعيات ٱستقطاب أهل الكفاءات ليقدموا خدمات طوعية مجانية لمجالات تجذب ٱهتمامهم، ويستفيد منها المجتمع.

وقد بلغ عدد البالغين الذين يمارسون نشاطًا تطوعيًّا منظما في بريطانيا أكثر من **٢٠** مليون شخص.

وبالرغم من أن عمل المفوضية في تنظيم قطاع الجمعيات الخيرية تعرض لبعض التغييرات في الفترة الأخيرة إلا أن المفوضية ما زالت تؤكد علىٰ مبدأ أن الجمعيات الخيرية يجب أن تكون حرة ومستقلة عن الحكومة[١].

وهٰذِه بعض الجهات القوية والتي تمثل عاملًا كبيرًا في الأعمال التطوعية[٢]:

---

(١) تجربة بريطانيا في إدارة العمل الخيري إبراهيم بن سليمان الحيدري، البيان السعودية ربيع الآخر ١٤٢٥، يونيو ٢٠٠٦ بتصرف.

(٢) تجارب مميزة للمؤسسات المانحة البريطانية، إعداد مؤسسة عبد الرحمن بن صالح الراجحي صـ ٢٦- ٢٨.

* **أوكسفام** - Oxfam

- تعد أكبر المؤسسات المانحة في العالم.
- تعنىٰ بالأنشطة الإغاثية.
- يبلغ عدد موظفيها **٤٣٥٠** موظفًا يتوزعون علىٰ **٦٠** دولة.
- يتعاون مع المنظمة **٢٠٠٠٠** متطوع في **٧٠٠** متجر تابع لها.
- تبلغ إيرادات التبرعات المنتظمة ٤٠ مليون جنيه إسترليني سنويًّا تشارك في حوالىٰ **٢٠٠٠** مشروع.

* **معهد العمل الخيري** - Institute for philanthropy

- يهدف الىٰ توعية المانحين وتأهيلهم.
- يتعاون مع **٢٠٠** عائلة غنية في أمريكا الشمالية وأوروبا وآسيا وإفريقيا.
- يعلم قرابة **١٠٠٠٠** طالب وطالبة في حوالىٰ **١٠٠** مدرسة بريطانية.

* **مؤسسة نافيلد- لندن** - The Nuffield Foundation

- مؤسسة مانحة في مجال البحوث والدراسات.
- يقدر حجم وقفية المؤسسة بقرابة **٢٥٠** مليون جنيه ٱسترليني.
- يبلغ دخلها السنوي حوالي **٩** مليون ج ٱسترليني.

* **رابطة المؤسسات المانحة** -
Association Charitable Foundation

- تهتم بتنظيم عمل المؤسسات المانحة.
- بلغت المنح المقدمة عن طريق الرابطة ١. ٢ بليون ج ٱسترليني في عام **٢٠٠٥**م.
- يبلغ عدد الأعضاء **٣٠٠** مؤسسة.

* **وقف ساتون** - Sutton Trust

- تقدم منحًا في مجال التعليم.
- بلغ إنفاق الوقفية في عام **١٩٩٨**م حوالي **٢١. ٨** مليون ج ٱسترليني.

- حجم الأنفاق السنوي قرابة ١٠ مليون ريال لا شيء مقارنة بغيرها.

٣- العمل التطوعي في روسيا:

تختلف حركة العمل التطوعي في روسيا عن نظيراتها في الخارج. فقد ٱختلف جذريا مفهوم التطوع عما كان عليه قبل قرنين وحتىٰ عشرين سنة من الآن، فالمتطوعين الذين يتعهدون بعناية العذارىٰ أو الصحاري الشمالية للاتحاد السوفيتي، أو يتولون بناء سكة حديد، يحصلون علىٰ رواتب مقابل أعمالهم وتعوضهم الدولة عن الأوضاع الصعبة في حياتهم، فالناس في جميع الأجيال قاموا بأعمال خيرية في أيام إجازاتهم يحصدون أو يلتحقون بعمل تعليمي واجتماعي في المدارس أو رياض الأطفال.

في البيئة الحديثة فهم العمل التطوعي في روسيا علىٰ أنه طريقة حياة خاصة، وجهة النظر التي أشغلت المجهودات من الإبداع لقرون كثيرة في المجتمع الإنساني في مجال العلاقات الٱجتماعية.

وبحسب الأبحاث الٱجتماعية فإن نصف المتطوعين الروس من الفتيات ونصف المتطوعات من النساء لم يتجاوزن الأربعين سنة، نصفهم حصل على التعليم العالي وربعهم من المتقاعدات.

توزيع حركات العمل التطوعي الروسية علىٰ ثلاث مجموعات:

الأولى: الأكثر عددًا تعمل علىٰ مكافحة الإيدز والأمراض الأخرىٰ.

الثانية: تتعامل مع مجموعات معينة من المجتمع، غالبًا ما يكونون من العاجزين وأطفال الأسر غير الناجحة.

الثالثة: (التوجه الجديد) ٱستهداف النشاط التربوي لصياغة ثقافة طريقة صحيحة للحياة.

إن مفهوم العمل التطوعي مشابه لمفهوم العمل الخيري بالنسبة للشعب الروسي. فالتاريخ الروسي غني بأمثلة الأعمال الخيرية، الإمبراطورة العظيمة كاترينا فيليكايا وبعد ذلك الإمبراطورة فدوروفنا نصبتا نفسيهما

كمحسنتين. فالعديد من المعاهد الخيرية التي نظماها وضعت الأساس لنظام الجمعيات الخيرية الروسية، وأصبحت رعاية المعاهد الخيرية هي الوظيفة الأساسية العامة للفتيات من دائرة المحكمة وزوجات أصحاب المستوى العالي من رجالات الدولة، وأصبحت الأميرة ماريا دوندا كوف - كورساكوفا رمزا للرحمة الأنثوية حيث ٱشتهرت بقصة عدم تمكنها من الحصول علىٰ إذن لزيارة سجناء سجن ستبيتر سبارق المركزي فتقدمت بطلب وضعها فيه كشخص مدان.

تعد المساهمة في بناء مشترك لمنزل جديد، وجمع التبرعات لبناء المدارس والمستشفيات والمساجد والمعابد الأورثودوكسية عادة منتشرة في روسيا. فقد ٱفتتحت دورات التعليم العالي للإناث في موسكو وكازان وكييف وساينت بيترسبرق وذلك في سبعينيات القرن ١٩. كما حصلت الجمعية الروسية النسائية على الميدالية الذهبية للأعمال الخيرية وذلك في باريس عام ١٩٠٠م في السوق الخيرية العالمية. وفي واحدة من أكبر منظمات موسكو الخيرية (جمعية رعاية الأطفال المطلوبين) جمع المتطوعون التبرعات وزاروا الفقراء. وفي موسكو عام ١٨٩٤م تم تنظيم إنشاء جمعية المدينة الخيرية للفقراء في مبادرة لبروفيسور جامعة ولاية موسكو فالديميرجري. وفي القرنين ١٩ و٢٠ ميلادي وجدت ١٤٨٥٤ جمعية خيرية تعمل في روسيا، وعقدت ثلاث مؤتمرات (١٨٨٦، ١٩١٠، ١٩١٤) متعلقة بالعمل الأجتماعي العام. واليوم في روسيا أقر النشاط التطوعي في القانون الفيدرالي المتعلق بالنشاط التطوعي والمنظمات الخيرية في ٧ يوليو من عام ١٩٩٥م، وفي ٢٠٠٩م تقوم بترتيب إنشاء هيئة تطوعية أولمبية.

واليوم في روسيا تولي المعاهد الحكومية ٱهتمامًا كبيرًا بالحركة التطوعية. ففي مارس ٢٠٠٩ تحدث وزير الرياضة وشؤون الشباب فوتكو أمام البرلمان

بولاية داما عن ضرورة تطوير حركة التطوع في روسيا. وبحسب الإحصاءات الٱجتماعية فإن حوالي مليونَي شاب يشتركون بدوام كامل في النشاط التطوعي وحوالي **٧** ملايين منهم بدوام جزئي.

ولاحقا أصبح عمل المتطوعين مصدرًا مهمًّا جدا لتطوير الٱقتصاد وخاصة خلال فترة الأزمة الٱقتصادية العالمية. وتساهم حركة التطوع في روسيا في حل العديد من المشاكل. فهي تقدم الدعم للأيتام والعاجزين ومرضى السرطان والإيدز والمشردين والمحتاجين.

٤- دراسات إجمالية لدول كثيرة:

وفي كندا طبقًا لإحصاءات عام **٢٠٠٣**م، توجد **١٦١** ألف جمعية خيرية، يعمل فيها مليونا موظف.

وتشير دراسات أخرىٰ إلىٰ أن:

- مشاركة المتطوعين في سنغافورة ٱرتفعت بنسبة **٦٠** في المائة بين عامي **٢٠٠٠** و **٢٠٠٢**م.

- العمل التطوعي في النرويج يوفر أكثر من ٦ في المائة من الناتج الوطني الإجمالي.

- المتطوعين في جنوب أفريقيا يشكلون **٤٣** في المائة من القوة العاملة في القطاع غير الربحي.

- جامعة سان كارلوس في غواتيمالا قد أنشأت مدرسة تعنىٰ بالعمل التطوعي الٱجتماعي.

- الصين قد أنشأت معهدا لبحوث العمل التطوعي والرفاه الٱجتماعي يقدم المشورة لمسئولي الحكومة فيما يتعلق بالسياسات المؤيدة للمتطوعين.

نمو وانتشار المنظمات غير الحكومية وتوسع نشاطاتها عبر الحدود:

ففي روسيا هناك ما يقارب من **٦٥٠٠٠** منظمة، وفي الهند هناك أكثر من مليون منظمة تطوعية مسجلة، وأكثر من **٢٠٠٠٠٠** منظمة غير حكومية في

السويد، وأكثر من ٢١٠٠٠٠ منظمة في البرازيل، أما في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية فهناك أكثر من ٥٠٠٠٠٠ منظمة، وفي كينيا مثلا ينشأ كل سنة ما لا يقل عن ٢٤٠ منظمة غير حكومية.

أما فيما يخص إنشاء المنظمات غير الحكومية في معظم دول الجنوب، فيتم بالتعاون مع المنظمات العالمية والهيئات الدولية، حيث تساهم الأمم المتحدة في قيام هٰذِه المنظمات بالتمويل والدعم كما ساهمت في ربط بعضها البعض، وهكذا أصبحت المنظمات غير الحكومية أحد الأدوات التنفيذية لبرنامج الأمم المتحدة ويدها الطولىٰ في تنفيذ سياستها للتغيير في دول العالم، خاصة في العالم الثالث.

إضافة إلىٰ هٰذا، فإن المنظمات التمويلية العالمية، وكثير من الحكومات الغربية، تجد الثقة في المنظمات غير الحكومية لتمويل برامجها، في حين أنها تشكك في مصداقية الحكومات وكفاءة ٱستثمارها للأموال المقدمة لها في تحقيق برامجها، بل إن المنظمات غير الحكومية بدأت تعمل في الكثير من الأحيان بدلا عن الوكالات الدولية للتنمية والإغاثة في حالات الطوارئ، فمعظم المواد الغذائية التي قدمها برنامج الغذاء العالمي (WFP) إلىٰ " ألبانيا " سنة١٩٩٩ تم توزيعها عن طريق منظمات غير حكومية.

أما في إفريقيا، فقد حولت الدول الغربية مساعداتها إلى المنظمات غير الحكومية، فالمساعدات الأمريكية البالغة (٧١١) مليون دولار سنة ١٩٩٩، تذهب بشكل متزايد إلى المنظمات غير الحكومية من خلال منظمة (USA AID)، وبين عامي ١٩٩٠-١٩٩٤ ٱرتفعت نسبة مساعدات الإغاثة التي يقدمها الٱتحاد الأوربي عن طريق المنظمات غير الحكومية، من٤٧ إلىٰ ٦٧.

واستجابة لتزايد الطلب العالمي علىٰ خدمات هٰذِه المنظمات وتوسع أنشطتها وتنوع ٱهتماماتها وأهدافها، فقد رصدت لها أموالا ضخمة، حيث قدمت هٰذِه المنظمات ما مجموعه عشرة ملايين دولار من أصل ٦٠ مليار

دولار مساعدات عبر البحار، و أصبحت هٰذِه المنظمات تؤتمن علىٰ مبالغ كبيرة يتم توزيعها عبر العالم[١].

ثالثًا: الاتجاه الديني: وهو متنوع ومتسع، ويختلف من بلد إلى آخر، قوة وضعفًا:

⋆ اليهود والعمل التطوعي:

تقوم ميزانية العدو الإسرائيلي علىٰ عدة مصادر في مقدمتها الٱعتماد علىٰ صناعة التقنية في المجالات المختلفة وعلى الأخص العسكرية منها بالإضافة إلى الصناعات الأخرىٰ ويأتي في المرتبة الثانية بعد تلك الصناعات المساعدات المالية التي تقدمها كل من الولايات المتحدة الأمريكية والتي تصل إلىٰ أكثر من٢.٥مليار دولار سنويًا بالإضافة الى القروض المعفاة من الفوائد والتي تنتهي غالبًا إلى الإعفاء أو عدم السداد. ناهيك عن التسليح والتدريب وتزويدهم بأحدث ما توصلت إليه التقنية من ٱكتشافات ثم التمويل الذي تتلقاه إسرائيل من اليهود المقيمين خارج إسرائيل وخصوصًا في الولايات المتحدة الأمريكية والذي يقدر سنويًا بأكثر من ١.٥مليار دولار، والدعم المالي اليهودي يتم جمعه بإحدىٰ طريقتين:

إما من الهبات التي تأتي بالدرجة الأولىٰ من حملات ٱتحاد النداء اليهودي، أو من فوائد الأموال المستثمرة لفترات زمنية طويلة والتي تقوم بترتيبها منظمة السندات الإسرائيلية. وهٰذِه الأموال مهمة جدًّا بالنسبة لإسرائيل حيث يتم الٱعتماد عليها لحقن الٱقتصاد الإسرائيلي بالمال خصوصًا في وقت الأزمات مثل تلك التي سبقت حرب ١٩٦٧م وكذلك الفترات التي يسودها التوتر مثل تلك الأيام التي سبقت حرب الأيام الستة

(١) المنظمات غير الحكومية و دورها في عولمة النشاط الخيري والتطوعي.

وما بعدها، وكذلك تلك التي رافقت ٱجتياح إسرائيل لجنوب لبنان عام ١٩٨٢م وكذلك ما هو حادث الآن في إسرائيل نتيجة الجهاد الفلسطيني.

ويصب المال الذي تتم جبايته مباشرة في ميزانيةإسرائيل للتنمية ويشكل جزءًا لا يستهان به منها، وعلى الرغم من أن إسرائيل تدعي أن هٰذا المال مخصص للأغراض الإنسانية والإنمائية فقط إلا أنها تستخدم جزءًا منه للإنفاق العسكري.

ولجمع المال من اليهود الذين يقيمون في بلاد الشتات علىٰ حد تعبيرهم قيمة رمزية عالية فهو رمز قوي وواضح يدل على ٱنتماء يهود الشتات إلىٰ يهود إسرائيل ودليل على ٱهتمامهم بما يجري فيها، وبصرف النظر عن كمية المبلغ الذي يتم جمعه كل سنة فإن هٰذا الأسلوب في جمع المال يؤثر في المجتمع اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية بأساليب مختلفة مثل:

١- توحد الشعور بالانتماء إلىٰ إسرائيل وتولد صورة إيجابية ٱتجاهها في نظر كل من اليهود وغير اليهود خارج إسرائيل.

٢- تجعل النقاش الذي يدور حول إسرائيل منصبًّا باتجاه القضايا الإنسانية التي يواجهها الشعب الإسرائيلي من ناحية ثقافية أو تعليمية مما يتوجب دعمه.

٣- جعل إسرائيل محور الحملة والتركيز علىٰ أنها محاصرة بالعالم العربي الذي سوف يرميها في البحر حسب تعبيرهم والحاجة إلىٰ دعمها ماديًّا ومعنويًّا.

ولقد ٱتبع اليهود في أمريكا طرقًا مختلفة لجلب تعاطف الناس معهم حيث يقوم الأغنياء منهم بالتبرع للجمعيات الخيرية وبالطبع هٰذا محسوب تمامًا من قبلهم ذلك أن ما يتم التبرع به للأعمال الخيرية يخصم لصالحهم من الضرائب المستحقة عليهم وبالتالي لا يخسرون شيئًا، ويظهرون أمام المجتمع الأمريكي بالكرماء ومحبي الخير فما بالك إذا كانت تلك التبرعات تذهب لصالح

إسرائيل عن طريق التبرع بها لصالح بعض الجمعيات الخيرية اليهودية في أمريكا وما تتلقاه تلك الجمعيات الخيرية معفىً من الضرائب باعتبارها منظمات خيرية أمريكية بغض النظر عن النشاطات التي تقوم بها تلك الجمعيات، أي أن كل ذلك يمكن أن يتم بطرق مباشرة أو غير مباشرة عن طريق التحايل على الدستور والنظام.

وجباية المال في المجتمع اليهودي لصالح بعضهم البعض له جذور تاريخية ويعود إلى الفترات العصيبة التي تعرض فيها اليهود في مناطق مختلفة من العالم للاضطهاد بسبب عنصريتهم وحقدهم الأسود على الشعوب خصوصًا في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولىٰ حيث كان الصندوق الأزرق موجودًا في جميع المحلات والمخازن اليهودية ليضع فيه المتبرعون ما تجود به أنفسهم من مال، وقد حدث ٱختلاف وشقاق بين الجاليات اليهودية المختلفة في الدول المختلفة علىٰ أسلوب جمع المال والتصرف به مما دعا إلىٰ إيجاد صيغة موحدة لجمع المال خصوصا عام ١٩١١م عندما ٱحتاجت الجاليات اليهودية إلىٰ مبالغ كبيرة من المال حيث عقدت اللجنة اليهودية الأمريكية مؤتمرًا لتوحيد الجباية ٱشتركت فيه جميع المنظمات اليهودية القومية وقد عين ذلك المؤتمر خمسة أعضاء يمثلون مختلف الاتجاهات في المجتمع اليهودي وكلفهم المؤتمر باختيار "مئة زعيم يهودي أمريكي" لتأليف لجنة الإغاثة اليهودية الأمريكية، ثم تلا ذلك تطورات مختلفة، إلىٰ أن قام "حاييم وايزمان" بصفته رئيسًا للمنظمة الصهيونية العالمية بتأسيس الوكالة اليهودية والذي كان غرضه الأساسي منها ٱجتذاب شخصيات يهودية غير صهيونية مثل البرت أينشتاين، ولويس مارشال، وأسرة روتشيلد لتأييد البرنامج الصهيوني.

وقد بدأ التعاون الحقيقي والموحد في عملية جباية المال خلال فترة الحكم النازي لألمانيا وخصوصا في عام ١٩٣٩م وذلك ٱستجابة للأزمة في

أوروبا حيث قامت منظمة النداء اليهودي المتحد والذي ضم تحت جناحيه عددا من المنظمات اليهودية.

وبعد قرار الأمم المتحدة بالتقسيم علىٰ **١٩٤٧**م أرسلت غولدا مائير إلى الولايات المتحدة الأمريكية لجمع المال من أجل السلاح وقد قالت للجماهير اليهودية الأمريكية التي ٱستمعت إليها ما ٱختصاره.

"إن الطائفة اليهودية في فلسطين سوف تحارب إلى النهاية ونحن نحتاج إلى السلاح والسلاح يحتاج إلى المال وعدونا يمكن أن يدعم من قبل الحكومة المصرية وكذلك الحكومة السورية، أما نحن اليهود فلا حكومة لنا ولٰكن لنا ملايين اليهود في الشتات أمثالكم والذين سوف يقدرون وضعنا ويدعموننا فبكت جماهير اليهود وتعهدت بالمال وكتبت غولدا مائير بعد ذلك في سيرتها الذاتية تقول "لم يحن وقت عودتي إلىٰ فلسطين حتىٰ كنت قد جمعت **٥٠** مليون دولارًا (وهٰذا مبلغ كبير جدا في ذلك الوقت) حولت على الفور إلىٰ صفقات سلاح سرية من أوروبا لصالح الهاجناه (منظمة إرهابية يهودية تعمل علىٰ قتل الفلسطينيين).

واليوم أصبحت جباية المال من قبل اليهود في أمريكا جيدة التنظيم عالية الٱحتراف ونشاط مركز في أولوياته علىٰ دعم حاجات إسرائيل وتشمل شبكة الجباية علىٰ نوعين من المنظمات:

١- نوع يجمع المال من المساهمات المعفاة من الضرائب وتضم النداء اليهودي، والنداء الإسرائيلي ولجنة التوزيع المشترك، والصندوق القومي اليهودي في أمريكا، وصندوق وقفية فلسطين، صندوق وقفية إسرائيل، وصندوق إسرائيل الجديد، بالإضافة إلىٰ عشرات المنظمات الصغيرة التي تجني المال مباشرة لصالح المؤسسات الإسرائيلية مثل الجامعات، المستشفيات، والمتاحف وغيرها.

٢- النوع الثاني فهو يجتذب الٱستثمارات المالية إلىٰ إسرائيل، وتوضع

الأموال في تصرف الحكومة الإسرائيلية علىٰ سبيل القرض بشروط ميسرة والمنظمات الكبرى التي تعمل في هٰذا المجال هي منظمة سندات دولة إسرائيل، والشركة الاقتصادية الإسرائيلية، والشركة الأمريكية الإسرائيلية.

ولقد استخدمت المنظمات اليهودية الكبرىٰ طرائق ووسائل مختلفة لإغراء الناس بصورة شخصية أو معنوية على التبرع مثل كتابة أسمائهم مع المبالغ التي تبرعوا بها في كتاب يسمى الكتاب الذهبي يصدر خصيصًا لهٰذا الغرض ويصبح متداولا بين الناس، وإقامة حفلات كبرىٰ يتم فيها تلاوة أسماء المتبرعين ومقدار تبرعهم وطلب وقوفهم وسط الحفل حتىٰ يتعرف عليهم الجميع، وإتاحة الفرصة أمام كبار المتبرعين بالاجتماع مع مسؤولين كبار من إسرائيل أو الحكومة الأمريكية سواء في جنيف أو واشنطن وبيان أهميتهم ودعمهم معنويًا عند الحاجة إلىٰ غير ذلك من الوسائل التي تساعد على التبرع. كما أن هناك شعارات مختلفة يتم جمع المال تحتها مثل:

إنقاذ شعب إسرائيل.

اليهود في خطر.

ادفع دولارًا تقتل عربيًا.

اليهود المحتاجون يتوجب مساعدتهم، من أجل أرض الميعاد.

وغير ذلك من الشعارات التي تميل إليها أنفس اليهود كما يستعملون شعارات أخرىٰ تتلاءم مع المناسبة عندما يتم جمع المال من غير اليهود.

وعندما تكون إسرائيل في حاجة إلىٰ دعم عاجل يقوم رئيس الوزراء الإسرائيلي ووزراؤه على التوالي بزيارة المنظمات اليهودية في أمريكا وبموافقة وفود منها للدعوة لجمع التبرعات من الطوائف اليهودية في أمريكا ومن المنظمات الموالية لليهود.

وقد تحولت نشاطات تلك المنظمات إلىٰ مجال المال والأعمال منذ عام ١٩٨٢م حيث تم إنشاء سندات إسرائيل للشركات والتي تم شراء ما قيمته

١٦٠مليون دولا من السندات التي عرضتها منظمة سندات إسرائيل من قبل عدد من الشركات والمصارف وشركات التأمين في أمريكا كما تم شراء تلك السندات من قبل ٩٥٠٠ صندوق تقاعد، ٣٥٠٠ مصرف، ١٥٠٠ ٱتحاد عالمي، ٥٠٠ شركة تأمين.

وأغلب المنظمات اليهودية في أمريكا تسجل تحت ٱسم منظمات خيرية معفاة من الضرائب وبالإضافة الى المنظمات السابقة الذكر هناك عشرات من جماعات الصداقة الإسرائيلية الأمريكية ومثل هٰذِه الجماعات تقوم بالجباية لمؤسسات أو منظمات معينة في إسرائيل ويشمل المستفيدون من هٰذِه المنظمات مؤسسات تربوية مثل الجامعات وصحية مثل المستشفيات وإنعاشية وغيرها[1].

٢- المؤسسات الخيرية النصرانية:

الإغاثة لخدمة النصرانية:

الراصد لحالات الإغاثة لخدمة النصرانية يوشك أن يجزم بأن العمل الإنساني الغربي إنما نشأ أصلًا لإدخال الناس في النصرانية وليس لإطعامهم أو كسائهم. . ينقل [جراهام هانكون] صاحب كتاب [سادة الفقر] عن "نيد أنفستروم" الذي كان رئيسا لمنظمة [رؤية العالم] قوله: گإننا نحلل أي مشروع أو برنامج نقوم بتنفيذه للتأكد من أن ذلك البرنامج يمثل الجانب التبشيري فيه مكونا مهما، إننا لا نستطيع أن نطعم الناس ثم نتركهم يذهبون إلىٰ جهنم!!".

ويقول صاحب الكتاب: إن شهود عيان أثبتوا أن منظمات إغاثية تعمل مع منظمة [رؤية العالم] دأب العاملون فيها علىٰ تهديد اللاجئين من السلفادور بوقف الطعام عنهم إن لم يأتوا لحضور القداس البروتستانتي، كما ضرب

(١) علاقة الإرهاب بالعمل الخيري في الفكر الصهيوني، حمد بن عبدالله اللحيدان، مقال نشر بجريدة الرياض السعودية.

الكاتب مثلا بهٰذِه الممارسات بما تم في الصومال، حيث لم يحتمل هٰذا الشعب المسلم بأكمله أن تتم فيه دعوة للنصرانية فأوسعهم ضربًا حتىٰ غادروه!

وذكر "ستان جوثري" أن مجموعة النصارى العرب المقيمين في الولايات المتحدة أنشأوا منظمة تسمىٰ [المعونة الصحية للشرق الأوسط] ٱختصارها HOME قال أحد أقطابها [د. عصام رعد]: " واجبنا الحد من موت الأفراد علىٰ غير النصرانية! ! " وبالتأكيد فإن مثل هٰذِه الجمعيات لا تحاربها أمريكا إنما تحفزها وتيسر لها السبل. . الأخطر في القضية أن الأنتشار الأفقي للنصرانية قابله صعود رأسي تحول معه النشاط التنصيري إلىٰ دور العلم المرموقة. . حيث تقوم جامعة كولومبيا العالمية بوضع مناهج علمية وتدريبية خاصة بگالتنكر والتخفي لتنصير المسلمين، بحيث يعمل نصارىٰ في شكل مسلمين داخل مجتمع المسلمين! ! وذلك ما تسميه بعض المجلات الأمريكية بـ" الحرب الصليبية الحذرة ". . حيث وصل عدد الكادر المؤهل لهٰذِه المهمة أكثر من ٣ آلاف مبشر تنصيري خاص بالمسلمين يعملون الآن في ٥٠ دولة.

يقول ديفيد كاشين أستاذ الدراسات الثقافية بهٰذِه الجامعة. والذي يلبس لباس المسلمين ويختلط بهم ويتظاهر بثقافتهم: "إن المسيح أجل عودته طيلة ألفي سنة لأننا لم ننجز المهمة الموكلة إلينا" وهٰؤلاء لهم منهج متكامل في تنصير المسلمين يسمونه "السياقية" حيث يضع المبشر منهم نفسه في سياق المجتمع الإسلامي كأنه واحد منهم ثم يبدأ يجذب إليه الأفراد واحدا بعد آخر!!

تعود جهود تنصير المسلمين إلى العام ١٩٧٧م حينما ٱجتمع المنصرون في بال بسويسرا. المكان نفسه الذي ٱجتمع فيه اليهود لإنشاء إسرائيل!!. وفي العام الذي يليه ٱجتمع المنصرون في أمريكا بولاية كلورادو بزعامة ١٥٠ منصرًا ووضعوا ٤٠ دراسة حول تنصير المسلمين في العالم! ووضعوا لانطلاقة هٰذا العمل مبلغ مليار دولار في ذلك الوقت، وأنشأوا معهد [زويمر] لتخريج

المنصرين! ثم عقد مؤتمر [المجلس العام لتنصير العالم] في عام **١٩٩٥** وانتدب له **٥٠٠** شخصية تم ٱختيارها بعناية بحيث يكون في ٱستطاعة كل واحد تعبئة شبكة تنصيرية تعمل علىٰ تنصير **١٠** آلاف شخص لهم القدرة علىٰ تعبئة [٢٠٠ ألف إرسالية] حتىٰ عام **٢٠٠٠**م وأسندوا الجانب الأكبر لإنجاح المشروع للعمل الإنساني الإغاثي إضافة إلى المنح الدراسية حيث يعتبر برنامج المنح الدراسية الذي يتبناه "جورج سورس " عبر مؤسسته العملاقة [المجتمع المفتوح] أكبر برنامج ينشط في هٰذا الأمر خاصة في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية وبلاد البلقان حيث تقوم المنح لآلاف المتميزين من أبناء المسلمين!

المؤسسات التطوعية النصرانية:

المؤسسات الخيرية النصرانية، تختلف هٰذِه المنظمات باختلاف المذاهب في الديانة الواحدة، فهناك منظمات تنصيرية تمثل البروتستانت، وأخرىٰ للكاثوليك، وثالثة للإنجيليين وغير ذلك؛ بل يوجد أكثر من **٤٠٠** مذهب بروتستانتي في أمريكا ولكل مذهب جمعياته ومنظماته الخيرية.

" المنظمات الدينية النصرانية" من حيث أعداد المنصرين، وإمكاناتهم وتوجهات هٰذِه المنظمات في ضوء المعلومات المتاحة علىٰ مواقع هٰذِه المنظمات:

يبلغ عدد المنصرين **٤٢٩** ألفا طبقا لإحصاءات عام **٢٠٠١**م، أما عدد المنصرين البروتستانت يصل إلىٰ ٦٤ ألف منصر، **٦ منهم يعملون علىٰ تنصير المسلمين، بمعدل ١٢٢٤٠ منصرًا، وهٰذا لا يشمل الكنائس الأخرى الكاثوليكية والأرثوزوكسية والإنجيلية.**

أما دخل العمل الكنسي في العالم في عام **٢٠٠١**م، فقد بلغ **١٥** تريليون و**٥٠٠** مليار دولار منها **٣٠٠** مليار دولار تخصص لشؤون العمل التنصيري و**١٧** مليار دولار للإرساليات الأجنبية، وأشهر المنظمات التنصيرية التي تعمل في

العالم الإسلامي وخاصة في دارفور وغزة منها :

*** منظمة الرؤية العالمية، وهي أنشئت في عام ١٩٥١ في أمريكا، وهي منظمة نصرانية إنجيلية وميزانيتها في عام ٢٠٠٧م وصلت إلىٰ ٧.٢ بليون دولار وهي تخلط بين العمل الإنساني والتنصيري.**

*** منظمة الكاريتاسي وهي كاثوليكية أنشئت في عام ١٩٨٧م وتضم ١٦٢ منظمة.**

*** منظمة العون المسيحي ولها نشاط في مجال العمل التنصيري ومجالات التنمية وخاصة في مكافحة الفقر.**

*** مؤسسة مبشرين من أجل الخير (الأم تريزا) في كالكتا بالهند وتضم ٤٠ منظمة تنصيرية.**

إن من جرب العمل الميداني يستطيع أن يؤكد الدعم الكبير الذي تلقاه المنظمات النصرانية من الدول والحكومات الغربية إضافة إلى الدعم الشعبي، فهي في أيديها أموال طائلة، وخبرات، وإمكانات بشرية وحماية توفرها لها الدول والحكومات الغربية[١].

إن الهجمة التي تريدها أمريكا بالجمعيات الإسلامية الخيرية في إطار ما تسميه (بتجفيف المنابع). الأولىٰ أن تقوم بها في أرضها التي أشرنا أن (٧٧) بليون دولار سنويًّاعلى الأقل تصرف للجمعيات الدينية.

فالتنصير القسري لشعوب المسلمين تارة بالطعام وتارة بالدواء والعلاج وتارة بإعمار الأرض - بزعمهم- وحفر الآبار وتقديم الخدمات كالطرق وغيرها وأخرىٰ ببناء المدارس الكنسية ومرة بالتدريب والتطوير كل ذلك من التدخل المقيت والإرهاب الديني التنصيري المدروس والمخطط لأفريقيا

---

(١) ضرورة توثيق العمل الخيري الإسلامي وتفعيل الدور التطوعي، الدكتور صالح الوهيبي، محاضرة ألقيت ضمن البرنامج الثقافي لكلية الآداب جامعة الملك سعود، وانظر: المنظمات الإسلامية "إحصاءات تطوعية" : فهد الزهراني.

وأندوسيا خاصة وغيرها عامة. . وأين نحن من هٰذِه الأرقام الفلكية التي تتدفق على الجمعيات التنصيرية.

وماذا لو كانت لدينا منظمات تنويرية دعوية للإسلام علىٰ غرار تنصيرهم؟ ؟ لكان لحقها قرارات الإقفال وتجميد الأموال بزعم أننا ندرس الناس القرآن والأصولية الدينية.

وليس من العجب أن كل المنظمات الإسلامية الموجودة ما هي إلا منظمات إغاثية بالدرجة الأولىٰ و لا يجرؤ أحد منها على الدعوة للإسلام علنًا، بالطريقة التي يقوم عليها المنصرون.

إن الإرهاب الحقيقي هو التنصير الذي تدعمه أمريكا باقتصادها لفتنة الشعوب عن دينها ودين آبائها وأجدادها وراجع توصيات مؤتمر كولورادوالتنصيري ومذكرات زويمر.

والأهداف للحملة الأمريكية على الجمعيات اللاربحية الإسلامية تتركز في الآتي:

١- ٱستنبات كراهية العمل التطوعي اللاربحي في نفوس ناشئة المسلمين وفي الأجيال القادمة بدعوى الإرهاب.

٢- إقامة سدود بين المتبرع سواء كان فردًا أو تاجرا وزعزعة الثقة في أهلية العمل التطوعي الإسلامي لقبول التبرع وأهلية القائمين عليه لصرفه في قنوات الحاجة الصحيحة.

٣- إيراد الحسرة والندامة في نفوس المنفقين حينما يرون أموالا لهم تبرعوا بها قد تم تجميدها مع العلم أنها لا تضيع عند الله كما هو معلوم من نصوص الشريعة حيث إنها وقعت في محلها.

٤- إفساح المجال تلقائيًا للمجال التنصيري عند غياب العمل الدعوي التطوعي الإسلامي وإحجام المسلمين عنه أو قلة الراغبين فيه.

٥- بث رسالة غير مباشرة لمحتاجي الإغاثة والرعاية والمتضررين بأنه

ليس لهم إلا المنظمات التنصيرية في حين أن العمل التطوعي الإسلامي يعود عليهم بويلات أكبر مما هم فيه من ضرر حالي إضافة لما في ذلك من تهيئة لقبول الدين النصراني المسيحي عند ضعاف العقول من الشعوب الفقيرة.

٦- تخذيل المسلمين المتضررين المحتاجين للمعونات والدعوة وفتنهم عن دينهم بدعوىٰ أن لا أحد جاء لإغاثتهم من المسلمين[١].

وأخيرًا نستعرض بعض التوصيات المهمة والتي بإذن الله تعالىٰ سيكون لها الفائدة في نماء العمل التطوعي بشكل عام:

١- ٱستمرار الدعم المستمر واللامحدود من الأفراد والحكومات للأعمال الخيرية والتطوعية المدروسة سواء القائمة أو المستحدثة مستقبلا.

٢- التوسع قاعديًّا (أفقيًّا) بالعمل التطوعي بحيث تنشأ جمعيات لاربحية متخصصة لمكافحة السرطان، ولحماية المستهلكين، وللتعليم المستمر، ولحماية الحياة الفطرية، ولمساعدة المرضى المحتاجين، ولتعليم المهن للعاطلين، ولرعاية المسنين، ولرعاية المعاقين، وللتبرع بالدم، ولخدمة الحجيج وللهلال الأحمر وغير ذلك.

٣- التوسع رأسيًّا بالعمل الخيري والتطوعي والتصريح بجمعيات جديدة.

٤- تكثيف الإعلانات ضمن حملة توعوية للمجتمع بأهمية العمل التطوعي ودوره في بناء المجتمعات.

٥- فرض إعلانات مجانية في وسائل الإعلام المختلفة عن العمل التطوعي أسوة بما هو حاصل في الدول المتقدمة في كل وسائل الأعلام.

٦- فرض نسبة مئوية غير الزكاة الواجبة علىٰ كل الشركات المحلية والخارجية ولاسيما البنوك لدعم الأنشطة اللاربحية وخدمة المجتمع المدني.

٧- مشاركة الجامعات ومعهد الإدارة العامة وطلبة مواد بحوث العمليات

---

(١) راجع مقال د / حمود البدر في جريدة عكاظ ليوم ٢٩/ ١١/ ١٤٢٢.

في إجراء بحوث تطويرية وميدانية عن الأعمال الخيرية التطوعية بكافة أنواعها لدعمها ومساندتها وتطويرها إداريًّا.

٨- تبني مقترح (بديل الغرامة والعقوبة المرورية) بأن يعمل المخالف مدة محددة لدىٰ إحدى الجمعيات التطوعية.

٩- السعي نحو إقامة مشاريع وقفية تعود بالعائد على المشاريع التطوعية وتوفر ٱستمرارية الدعم المستقر المحلي.

١٠- إنشاء بنوك إسلامية ذات قدم راسخة بعيدة عن سيطرة النفوذ الغربي والربوي.

١١- تدريس مادة عن العمل التطوعي الإنساني والاجتماعي والديني بالمدارس الاْبتدائية والثانوية وإنماء ذلك في الناشئة.

١٢- ٱستمرار الجمعيات اللاربحية في ٱتباع قواعد وأنظمة محاسبية دقيقة وواضحة في قيودها المحاسبية.

وأخيراً لن تبخل أمة على العمل الخيري والتطوعي وكتاب ربها يخاطبها بقوله تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢].

وأما أولئك الذين كفروا فجوابنا عليهم قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦][(١)].

---

(١) ينظر مقال أمريكا ونحن، والعمل الخيري - إحصائيات وأرقام - أفكار وتوصيات بجريدة المدينة - ملحق الرسالة الاْثنين ١٤/ ذي القعدة / ١٤٢٢هـ إعداد مهندس/ محمد أحمد حبيب.

فهرس الموضوعات

فهرس عام لموسوعة التطوع

المجلد الأول

المجلد الثاني

المجلد الثالث

المجلد الرابع

المجلد الخامس

وتضمن فتاوىٰ كبار العلماء والمجامع الفقهية حول مسائل العمل التطوعي مرتبة علىٰ أبواب الفقه، وهي: